

إسماعيل صبري



ديوان إسماعيل صبري

ديوان إسماعيل صبري

تأليف
إسماعيل صبري (أبو أميمة)



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٢٧٨ ٥

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٨.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

١١	الجزء الأول: الكونيات
١٣	النونية الكبرى
٥٥	الهمزية الكبرى
٨١	مرآة الزمن
٩٣	رحلة
١٠٣	الجزء الثاني: قصائد اجتماعية ووجدانية
١٠٥	حرب طرابلس
١٠٧	إلى الأمير
١١١	تشريف الأمير
١١٣	تهنئة
١١٥	في تهنئة محمود وهبي
١١٩	وداع
١٢٣	في قطار
١٢٥	تقريض
١٢٧	يا عظيما
١٢٩	فقيد الطيران
١٣١	علي أبو الفتوح
١٣٣	رثاء
١٣٥	إلى زوجة راحلة

١٣٧	فيدورا
١٣٩	المنصورة
١٤١	وردة
١٤٣	ناظك
١٤٥	إليها
١٤٧	هي أشعر
١٤٩	مطارحة
١٥١	وصف الحبيبة
١٥٥	تطريز
١٥٧	متناثرات في الهجاء
١٥٩	رسالة
١٦١	عاشق
١٦٣	للصباح
١٦٥	مصر
١٦٧	رثاء
١٦٩	غزل (١)
١٧١	غزل (٢)
١٧٣	صدودك
١٧٥	سلام ...
١٧٧	استنهاض
١٧٩	تحية
١٨١	تكريم
١٨٣	مصر
١٨٥	الجزء الثالث: غزل الأغاني
١٨٧	ستريس
١٨٩	هو القدر!
١٩١	العاشق
١٩٣	عيون وعيون

المحتويات

١٩٥	حيرة
١٩٧	لواعج
١٩٩	إليها
٢٠١	وهبتك قلبي
٢٠٣	راقبوها
٢٠٥	سحر الجمال
٢٠٧	شكوى
٢٠٩	يا عيونًا
٢١١	إليك وفائي
٢١٣	حرب!
٢١٥	القلب القاسي
٢١٧	أين العهود
٢١٩	جفون
٢٢١	دولة الحسن
٢٢٣	معلتي
٢٢٥	متى اللقاء
٢٢٧	فدى لك روحي
٢٢٩	جوابها
٢٣١	ملكك الفؤاد
٢٣٣	عن غادة
٢٣٥	سؤال
٢٣٧	وفاء
٢٣٩	هو الحب!
٢٤١	رجاء
٢٤٣	يوم الوداع
٢٤٥	لمن أشتكى؟
٢٤٧	قسم!
٢٤٩	استسلام

٢٥١	لقاء خيال
٢٥٣	هبيني لحظة
٢٥٥	سلي الليل
٢٥٧	سأصون العهد
٢٥٩	عهد
٢٦١	كم تحملت
٢٦٣	الحقيقة
٢٦٥	لولا الهوى
٢٦٧	إليها
٢٦٩	ليلة
٢٧١	لحظ العيون
٢٧٣	ربة الحسن
٢٧٥	حبيبة القلب
٢٧٧	مناجاة
٢٧٩	يا حياتي
٢٨١	قسما بثغر ...
٢٨٣	إلى قلب
٢٨٥	غيرت حالي
٢٨٧	لقاء
٢٨٩	نداءات عاشق
٢٩١	خبرها
٢٩٣	قصة لقاء
٢٩٥	عنها
٢٩٧	متى يكون التداني؟
٢٩٩	رفقا بحالي
٣٠١	أغنية حب
٣٠٣	حقيقة الحب
٣٠٥	الضاحك الباكي

٣٠٧	تغريدة
٣٠٩	دلال
٣١١	بأله رفقا
٣١٣	كيف أصنع؟
٣١٥	فاتنتي ارحمي
٣١٧	إلى رقيب!
٣١٩	أنت بدر
٣٢١	يا ليل
٣٢٣	دمعي يخفف كربى
٣٢٥	تمنيت شهدك
٣٢٧	لقاء على كأس

الجزء الرابع: أوبريت وأناشيد مدرسية

٣٢٩	حنين الأرواح
٣٣١	الموسيقى والعليل
٣٣٧	القطع الغنائية بقلم شجرة الدر
٣٣٩	صحوة العلم ونشوة المال
٣٤٣	مجد مصر
٣٤٩	صوت الضمير
٣٥١	أناشيد مدرسية
٣٥٣	نشيد مدرسة خليل أفا
٣٥٥	نشيد مدرسة محمد على
٣٥٧	نشيد مدرسة عابدين
٣٥٩	نشيد مدرسة القربية
٣٦١	نشيد مدرسة الشيخ صالح
٣٦٣	نشيد مدرسة مصر الجديدة
٣٦٥	

الجزء الخامس: ربيبة الكوخ

٣٦٧	الفصل الأول
٣٦٩	

٣٨٧

الفصل الثاني

٤٠٥

الفصل الثالث

٤٢١

الفصل الرابع

٤٤٩

الفصل الخامس

الجزء الأول

الكُونِيَّات

النونية الكبرى

فاتحة

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأَطْلِقْ لِسَانِي
مُلْهِمَ النَّفْسِ بِالتَّقَى خَيْرَ مَسْرَى
كُنْ مُعِينِي إِنْ أَعْجَزْتَنِي الْقَوَافِي
أَنْتَ قَصْدِي وَغَايَتِي وَرَجَائِي
يَا جَلَّالاً عَمَّ الوجودَ بِلُطْفٍ
وَاقْتِدَارًا أَحَاطَ بِالكونِ علماً
وَجَمَالاً فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى

وَأَنْرَ خَاطِرِي وَثَبَّتْ جَنَانِي
لِمَفَازَاتِ نوركِ الرَّيَّانِي
وَنَصِيرِي فِي سَامِيَّاتِ المعَانِي
مَالِكِ الْمُلْكِ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ
وَسَلَامَ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
نَظَّمْتَ عِقْدَهُ يَدُ الْإِتْقَانِ
سَبَّحَ الْحَسَنَ فِيهِ لِلرَّحْمَنِ

أسماء الله الحسنى

جَلَّ شَأْنُ الْإِلَهِ رَبِّ الْبَرَايَا
وَاحِدٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
حَكَمٌ عَادِلٌ لَطِيفٌ خَبِيرٌ
قَابِضٌ بَاسِطٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
وَاجِدٌ مَاجِدٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي الصُّدُورِ وَأَخْفَى
ظَاهِرٌ بَاطِنٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ

خَالِقُ الْخَلْقِ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
عَالِمُ الْغَيْبِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
نَافِذُ الْأَمْرِ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
مُرْسِلُ الْغَيْثِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
تَرْقُبُ الْخَلْقَ عَيْنُهُ كُلَّ أَنْ
وَالِيهِ سَبُوحُشَرُ الثَّقَلَانِ
نَعْمَ مَنْ فَارَ مِنْهُ بِالرِّضْوَانِ

وَعَدُ الْمُتَّقِينَ جَنَاتٍ عَدْنٍ
مُنْعَمٌ وَارِثٌ عَلَيَّ عَظِيمٌ
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ
إِنَّ يَوْمًا تُطَوَّى السَّمَاوَاتُ فِيهِ
يَوْمَ تَهْوِي الْأَفْلَاكُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
وَتَدُكُ الْأَرْضُ انْهِيَارًا وَيُقْضَى
وَلِمَنْ خَافَ رَبَّهُ جَنَّاتٍ
بَاعَتْ الْخَلْقَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
وَالِلَّهِ مَرْجِعُ الْإِنْسَانِ
كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمَهْيِمْنَ فَإِنَّ
أَفْلَاتٍ وَيُجْمَعُ النَّيِّرَانِ
كُلُّ أَمْرٍ وَيَسْجَدُ الْخَافِقَانِ

البعث والحساب

صِيحَةٌ تَجْعَلُ الرُّوَاسِيَّ عَنْهَا
وَتُدَوِّيْ أُخْرَى فَيَحْيَا رُفَاتٌ
نَخَرَتْهُ يَدُ الْبَلَى وَهَشِيمَا
مَنْ عَلَى رَجْعِهِ كَأَوَّلِ خَلْقٍ
كَانَ غُضْنَا غُضًّا فَتَبًّا رَطِيبًا
هَيَمْنَتْهُ عَلَى الثَّرَى خِيَلَاءُ
سَوْفَ يُدْعَى إِلَى قِيَامٍ رَهِيْبٍ
يَوْمَ تَجْرِي الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى
يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي!
فِي ذُهُولِ الْمَأْخُودِ لَمْ تَدْرِ نَفْسُ
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشْرٌ مَهِيْبٌ
يَقْذِفُ الرَّعْبَ فِي الْقُلُوبِ ارْتِجَافًا
يَجْمَعُ الْخَلْقَ مِنْذُ أَوَّلِ نَفْسٍ
لَمْ يُغَيَّبْ عَنْ عَرْضِهِ أَيْ فَرْدٍ
هَذِهِ السَّاعَةُ الرَّهِيْبَةُ فَاَنْظُرْ
قَدْ تَجَلَّتْ مُصَدِّقَ ذِكْرِ حَكِيمٍ
أَرْسَلْتَهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
تَنْسِفُ الْأَرْضَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
ضَمُّهُ التُّرْبُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ
بَعَثَتْهُ الرِّيحُ فِي الْوُدْيَانِ
قَادِرٌ غَيْرُ فَاطِرِ الْإِنْسَانِ؟
لَمْ يَفَكِّرْ فِي الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ
زِينَتَهَا وَسَاوَسَ الشَّيْطَانِ
أُنْكِرْتُهُ حِمَاقَةَ الطُّغْيَانِ
بَيْنَ لُجٍّ وَقَسْطَلٍ مِنْ دَخَانٍ
وَيُنَادِي الْحَسَابُ: أَنْ أُوَانِي!
لِنَعِيمٍ تُسَاقُ أَمْ لِهَوَانٍ
قَدْ أَحَاطَتْهُ أَلْسُنُ النَّيِّرَانِ
وَالْمَسَاوِي تَمُرُّ بِالْأَذْهَانِ
وَافَتْ الْأَرْضُ مِنْ رِيَاضِ الْجِنَانِ
ضَمُّهُ الرُّوحُ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
يَا ابْنَ حَوَاءَ آيَةَ الرَّحْمَنِ
جَاءَ لِلنَّاسِ بِالْهَدَى وَالْبَيَانِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

حكمة البعث

آيَةُ الْبَعْثِ أَصْدَقُ الْبُرْهَانِ
جَنَّةَ الْخُلْدِ أَوْ لَظَى النِّيرانِ
وَسَلَامٌ وَرَحْمَةٌ وَتَهَانِي
وَعُلُوءًا هَوَىٰ مَعَ الشَّيْطَانِ
وَيُعَانِي عَوَاقِبَ الطُّغْيَانِ

خَلِقَ النَّاسَ لِلْبَقَاءِ وَهَذِي
كُلُّ فَرْدٍ فِي الْحَشْرِ لَا بُدَّ يَلْقَى
إِنْ يَكُنْ صَدَقَ الْكِتَابُ فَأَمَّنْ
وَالَّذِي أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كِبَرًا
سَوْفَ يَلْقَى الْعَذَابَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

أهوال القيامة

كَالْفَرَّاشِ الْمَبْثُوثِ فِي الْكُثْبَانِ
قَذَفَتْهَا الْأَحْدَاثُ كَالطُّوفَانِ
حَمَلَهَا الْأَرْضُ وَأَخْتَفَى النِّيرانِ
آيَةُ الْبَعْثِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
بَيْنَ غَنَاءٍ رَوْضَةٍ وَأَغَانِي
فَأَطَاعَتْ غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ
وَرَمَاهَا فِي كَاذِبَاتِ الْأَمَانِي
بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِي
وَارْتَكَبْتُمْ مَا لَيْسَ فِي الْحُسْبَانِ
وَسَبَبْتُمْ بِحَسَنِهَا الْفِتَانِ
وَأَنْصَرَفْتُمْ إِلَى الْمَتَاعِ الْفَانِي
فِي مَهَاوِي الْفُجُورِ وَالْعُصْيَانِ
نَبَذْتُمْ مَرَاحِمَ الْغُفْرَانِ
قَدْ بَعَثْتُمْ إِلَى الْمَصِيرِ الثَّانِي
كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَ الْأَصْغَرَانِ
وَسَلَامٌ وَرَحْمَةٌ فِي حَنَانِ
مِنْ عَذَابٍ وَنَقْمَةٍ وَهَوَانِ
عَنْ سَوَاهَا وَأَيْنَ يَهْرُبُ جَانٌ؟

ظُلُمَاتُ تَعَثَّرَ الْخَلْقُ فِيهَا
أَوْ كَسِيلٍ مِنَ الْجَرَادِ خِضَمٌ
رَجْفَةٌ دَكَّتِ الْجِبَالَ فَأَلْقَتْ
صَدَقَ الْوَعْدُ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَمَّتْ
بَاغْتَتِكُمْ وَالنَّفْسُ تَمْرَحُ سَكْرَى
سَاقَهَا الطَّيْشُ لَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
حَبَبَ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ إِلَيْهَا
أَفْسَحَ الْمَالُ لِلْفَسَادِ مَجَالًا
فَتَنَّتْكُمْ أَمْوَالُكُمْ فَكَفَرْتُمْ
خَدَعْتُمْ بِسِحْرِهَا أُمَّ يَفِرْ
فَشْغَلْتُمْ عَنِ الْحَقِيقَةِ جَهْلًا
وَعِمِيتُمْ عَنِ الْهُدَى وَانْطَلَقْتُمْ
وَكَفَرْتُمْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ حَتَّى
فَالِى الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ هَلُمُوا
هَا هِيَ الْأَرْضُ أَخْرَجْتُمْ لَتُجْزَى
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمَّنْ
أَوْ تَكُونُوا مَكْذِبِينَ فَوَيْلَ
كُلِّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنٌ

يوم لا تملك النفوس انتصاراً
كل فرد له كتابٌ شهيد
قولها الحق بالذي قَدَّمَتْهُ
لم يُغَادِرْ صغيرةً ما حواها
وله الأمر وحده كلَّ آنٍ
سجلت فيه صادقاتُ البيانِ
طَوَّعَ شيطانها يدَ الإنسانِ
قدرةً نَزَهَتْ عن النسيانِ

الجنة

كلُّ شيءٍ غيرُ البديعِ ظلامٌ
حَلَقَتْ هَيْبَةً فَأَشْرَقَ نورٌ
وتلا الذِّكْرَ خَلَفَهُمْ شهداءُ
تلکم الجنة التي قد وَعَدْتُمْ
قد صَبَرْتُمْ مَصْدَقِينَ فَفَزْتُمْ
فسلامُ أهلِ اليمينِ عليكمُ
جَنَّةُ الْخُلْدِ زُيِّنَتْ فَأَقِيمُوا
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ فاضَ نوراً
أَشْرَفَ المرسلينَ قَدْرًا وجاهًا
خَصَّهُ الله بالشفاعةِ عَطْفًا
صلوات الإله تحبوك دوماً
وهو نورُ الآفاق والأكوانِ
واعتلى العدلُ كفةَ الميزانِ
باركْتَهُمْ مراحمُ الغُفْرانِ
أَدْخَلُوهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ
بخلودٍ في عالياتِ الجنانِ
كُلُّ مَنْ فِي النعيمِ يُهْدَى التهاني
ومع الحق لا تضيعُ الأمانِ
وجلاًلاً من الرِّضَى الرباني
عبقريُّ النُّهى عظيمُ الجنانِ
وحناناً على بني الإنسانِ
يا نبيَّ الإسلامِ والإيمانِ

قدرة الله

بين رَهَبٍ وذَلَّةٍ وخشوعٍ
وبدا الهولُ والنواظرُ حَسْرَى
وجنَّ الناسُ كُلُّهم في خضوعٍ
وَقَفَ العَبْدُ فِي رِحابِ إلهٍ
لم يَغِبْ عنه في السمواتِ شيءٌ
ملاً الأرضَ والسماءَ وجوداً
خَفَقَ القلبُ خَفَقَةَ الْحَيْرَانِ
زائغاتُ في رَجْفَةِ الْوُلْهَانِ
إِذْ تَجَلَّتْ مهابةُ الرحمنِ
نافذِ الأمرِ قاهرِ السُّلْطانِ
وعليمُ بما جَنَى الثَّقَلَانِ
خالقِ الكونِ لم يَغِبْ عن مكانِ

أَبْدِيْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَرْدًا
 بَيْنَ حَرْفَيْنِ كُلَّمَا شَاءَ يَقْضِي
 قَدْرَهُ أَحْصَتِ الْخَلَائِقُ عَدًّا
 رَحْمَةً عَمَّ رِزْقُهَا كُلَّ حَيٍّ
 خَبْرَةً أَبْدَعَتْ مُحَاسِنَ خَلْقٍ
 فَيُضْ عِلْمٌ مَا ذَرَّةٌ عَنْهُ غَابَتْ
 مَلِكٌ يَرْقُبُ الْخَلَائِقَ جَمْعًا
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِلَّذِي سَاءَ جُودًا
 يَرْسُلُ الْمَاءَ فَوْقَ جُرْدَاءٍ مَيِّتٍ
 فَتَمُوجُ الْأَرْضُ اهْتِزَازًا وَتَرْبُو
 تُخْرِجُ الْحَبَّ وَالثَّمَارَ وَتَزْهَوُ
 رَوَحَاتُ النَّسِيمِ تَحْمِلُ عِبْقًا
 كُلُّ شَيْءٍ يَسْبَحُ اللَّهَ حَمْدًا
 نَعْمُ سَاقِهَا الْمَهِيْمُنُ لِلنَّاسِ
 أَعْجَزُ الْخَلْقِ عُدُّهَا فَتَعَالَى
 فَاطَرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ فَرْدٌ
 عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ نُورٌ
 نَافِذُ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْبَرَائِ
 غَافِرُ الذَّنْبِ قَابِلُ التَّوْبِ مَلِكٌ
 كَاشِفُ الضَّرِّ وَالْبَلَاءِ مُجِيبُ
 فِي دِيَاجِي الظَّلَامِ يَرْحَمُ دَمْعًا
 وَيَجِيرُ الْمَلْهُوفَ مِنْ هَوْلِ كَرْبٍ
 وَيَمْدُ الْمَظْلُومَ مِنْهُ بِنَصْرِ
 أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ كَنْزُ الْعَطَايَا
 وَاهِبُ الْعِزِّ لِلضَّعِيفِ لِيَقْوَى
 وَاسِعُ الْحِلْمِ لَا يَعْجَلُ بِطُشَا
 يُمَهِّلُ الظَّالِمِينَ حَتَّى إِذَا مَا
 لَمْ يَدَعْ ذَرَّةً تَمُرُّ هَبَاءً

سَرْمَدِي الْجَلَالِ وَالسَّلْطَانِ
 مَطْلُقُ الْحُكْمِ لَمْ يُشَارِكْهُ ثَانٍ
 مِنْذُ أَوْفَى عَلَى الثَّرَى الْوَالِدَانِ
 جَلَّ وَهَابُهَا عَنِ النَّسِيَانِ
 فِي جَلَالٍ مِنْ دِقَّةِ الْإِتْقَانِ
 فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
 وَيُدِيرُ الْأَفْلَاقَ فِي الدُّورَانِ
 وَهُوَ أَذْرَى بِالْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِ
 فَيَرُدُّ الْحَيَاةَ لِلْوُدَيَانِ
 ثُمَّ تَبْدُو فِي سُنْدُسٍ فَتَانٍ
 فِي عَقِيقٍ وَلَوْلُو وَجُمَانٍ
 مِنْ أَرِيحِ الزَّهْوَرِ وَالرِّيْحَانِ
 كَيْ يُوَدِّي فَرَائِضَ الشُّكْرَانِ
 سَ فَحَمْدًا لِلْمُنْعَمِ الْمُنَّانِ
 بِاسْطِ الرِّزْقِ دَائِمِ الْإِحْسَانِ
 صَاحِبُ الطُّولِ فِي عُلوِّ الشَّانِ
 يَمْلَأُ الْكَوْنَ فَيُضِضُهُ الرِّبَّانِي
 مُطْلَقُ الْحُكْمِ لَمْ يُشَارِكْهُ ثَانٍ
 جَلَّ تَشْبِيهِهِ عَنِ الْحَدَثَانِ
 دَعْوَةُ الْوَاقِقِ الْحَزِينِ الْعَانِي
 أَمْطَرْتُهُ قَهْرًا صُرُوفَ الزَّمَانِ
 دَبَّرْتُهُ مِظَالِمَ الْإِنْسَانِ
 وَيَسْوِقُ الظُّلُومَ لِلنَّيِّرَانِ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ رَحْبُ الْحَنَانِ
 وَلِمَنْ خَافَ مُنْعَمٌ بِالْأَمَانِ
 خَيْرُ أَهْلِ اللَّعْفُو وَالْغُفْرَانِ
 شَاءَ ذَاقُوا عَوَاقِبَ الطَّغْيَانِ
 فِي طَرِيقِ الْأَعْمَالِ لِلْإِنْسَانِ

الجحيم

أَعْظَمَ الْأَجْرِ فِي عُلَا الرِّضْوَانِ
سَوْفَ تُجْزَى بِمَا جَنَّتَهُ الْيَدَانِ
يَوْمَ لَمْ تُجِدْ زَفْرَةَ النَّدْمَانِ
وَزَفِيرُ الْجَحِيمِ فِي ثَوْرَانِ
فِي زَيْبِرٍ يَرُوحُ بِالْأَذَانِ
حِينَ تَبْدُو ذَاتُ الشَّوَى لِلْعِيَانِ
فِي جَحِيمٍ وَظُلْمَةٍ مِنْ دُخَانٍ
أُطْلِقَتْهَا زَوَابِعُ النَّيْرَانِ
وَكَفَرْتُمْ بِالوَاحِدِ الدِّيَانِ
وَأَطَعْتُمْ غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ

كُلْ نَفْسٍ سَيَقَتْ إِلَى الْخَيْرِ تَلْقَى
وَالَّتِي قَادَهَا إِلَى الشَّرِّ طَبِشُ
جَامِعُ النَّاسِ وَالْمَوَازِينُ قَسَطُ
أَيُّ وَيْلٍ إِذَا الْمَوَازِينُ خَفَّتْ
وَأَسْتَشَاطَتْ غَضَبَاءَ وَهِيَ تُدَوِي
فَزَعُ يَمَلَأُ الْفَوَادَ ارْتَجَافًا
مِنْ حَمِيمٍ تَنَسَابُ فِيهَا سَيُولُ
وَهَوَى الْمُجْرِمُونَ بَيْنَ رَعُودٍ
فَهْلُمُوا يَا مَنْ ظَلَمْتُمْ وَجُرُئْتُمْ
إِنْ هَذَا تَصْدِيقُ مَا قَدْ كَذَبْتُمْ

المؤمنون في النعيم

لِلَّذِي نَالَ رُجْحَةَ الْمِيزَانِ
وَالْتَّغَاضِي عَنْ الْمَتَاعِ الْفَانِي
وَمَضَاءٍ وَعِقْفَةٍ وَأَمَانِ
قَرَّبَتْهُ مَثُوبَةُ الشُّكْرَانِ
عَالِيَاتُ فِي خَالِدَاتِ الْجِنَانِ
كَالْكَالِيِّ مَا بَيْنَ حُورٍ حَسَانِ
مِنْ كَرِيمِ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
مِنْ نُضَارٍ وَمِنْ نَعِيمِ الْجُمَانِ
حُورٌ عَيْنٍ مِنْ كَاعِبَاتٍ قِيَانِ
بَشْرَابِ الْأَعْنَابِ وَالرِّمَانِ
عَرَفُ مِسْكِ وَنَفْحَةِ الرَّيْحَانِ
سُرُرُ حَوْلِهَا الْقُطُوفُ الدَّوَانِي
فَوْقَ وَشْيٍ مِنْ نَادِرِ الْعَقِيَانِ

كُلُّ حَظٍّ وَكُلُّ فَوْزٍ عَظِيمٍ
بِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَتَرْكِ الْمَعَاصِي
خَالَفَ النَّفْسَ بَيْنَ عَزْمٍ وَصَبْرِ
وَأَطَاعَ الْإِلَهَ طَاعَةَ عَبْدٍ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أُعِدَّتْ قُصُورُ
وَالْفِرَادِيسُ زُيِّنَتْ بِبَدُورِ
وَبِدَارِ النِّعَمِ صُفَّتْ بَيُوتُ
عُرْفٌ تَحْتَ زَهْرِهَا الْمَاءُ يَجْرِي
تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ فِيهَا
وَعَلَيْهِنَّ طَافَ وَلَدَانُ خُلْدٍ
فِي أَبَارِيقَ مِنْ لُجَيْنِ شَذَاها
وَعَلَى الْجَانِبِينَ صُفَّتْ عُرُوشُ
رَصَعَتْهَا يَدُ الْعِطَاءِ بِدُرٍّ

جعل المتقين في مهرجان
ينشر الطيب في رياض الجنان
حيث مال النسيم بالأغصان
في مروج الكافور والأقحوان
باركت نبعها يد الرحمن
تتهادى الأنهار كالخيزران
لم يلوث بفاسد الأدران
أنهر الشهد في فسيح الجنان
كان أشهى أمنيّة الإنسان
يانعات المروج والأفنان
وجناها أيان تدعون دان
ورطيب ويانع كل أن
والذي في الخلود ليس بفان
في نعيم الفردوس غير العيان
سابغات من أنعم الرضوان
لسعيد قد فاز بالغفران
وتقدم بعاطرات التهاني
وتألق في الحور والولدان
بين فيض من الرضى والأمانى
فاشكروا من هدى إلى الإيمان
من له الحمد غيره كل أن
أبد الدهر خيفة الرحمن
وتراب في رافة وحنان
لم يغب فيض نوره عن مكان

إن فيها من النعيم متاعاً
أرضها سندس يغطيه زهر
ريحها عاطر يفيض عبيراً
فوق فيحاءها وتحت الدوالي
دفقت أنهر وفاضت عيون
من سلاف ومن معين فرات
ثم تجري أخرى بدر طهور
بين طيب الزهور تجري الهويينى
لم يشبه نعيمها بنعيم
نورها دائم فلا ليل فيها
إن فيها ما تشتهي كل نفس
كل شيء في جنة الخلد غص
كيف تدنو يد البلى من جناها
كل وصف مهما تسامى خيالاً
رحمة الله قد أفاضت عليها
وأعدت هذا النعيم جزاء
يا نعيم الجنات رحب وبارك
وابتسم يا جمال واهتف سلاماً
هاهم الأتقياء حلوا كراماً
يا عباد الرحمن ها قد بلغتم
مالك الملك إن وعدك حق
كل شيء يسبح الله حمداً
خالق الخلق من ضياء ونار
عرشه الأرض والسماء قريب

الشمس

بالغ صنْعُهُ ذُرَى الإِتْقَانِ
 بالغوالي من أَنْعَمِ الإِحْسَانِ
 وحياءً للعالم الحيواني
 ووهيجاً كلَفَحَةِ النُّيَرَانِ
 ثم تعلو بِذَرِّهِ كالدَّخَانِ
 طَوْدَ ماس في صفْحَةٍ من جُمانِ
 حكمةٌ جَدَدَتْ قُوَى العُمْرَانِ
 بمعين من غَيْثِهِ الهَتَّانِ
 يجعلُ الجِسْمَ يانعَ الرِّيعَانِ
 فَهِيَ رُوحُ الحَيَاةِ للأبدانِ
 بَلَقَعَا قد خَلَا من السَّكَّانِ
 غاب إدراكُهَا عن الأذهانِ
 وحناناً على بَنِي الإنسانِ
 محكماتٍ في عالم الأكوَانِ
 والذي ضَلَّ بَاءَ بالخُسْرَانِ
 وشفاءً في مُحْكَمِ القرآنِ
 ونذيراً للشارِدِ الغفلانِ
 عبقرى النهى فصيح اللسانِ
 خاتمُ المُرسَلِينَ فَخْرُ الزَّمانِ
 هادمُ الكفرِ شائدُ الإيمانِ
 دَمَّرَ الحقُّ دَوْلَةَ الأوثانِ

صانعٌ مُبْدِعٌ عليمٌ خبيرٌ
 كلُّ حَيٍّ إلى علاهُ مَدِينٌ
 خَلَقَ الشَّمْسُ في السماءِ سراجاً
 تملأُ الأرضُ كلَّ يومِ ضياءً
 تَحْمِلُ الغَيْثُ من أَجَاجٍ خَضَمٌ
 فَوْقَ مَتْنِ الهَوَاءِ يعلو جليداً
 شاءَ للأرضِ أَنْ تموتَ وتحيا
 كلما أَجْدَبَتْ سَقَاها سحابٌ
 هكذا ثَمَّ للحياةِ نظامٌ
 إنَّ للشمسِ في العناصرِ سرّاً
 لو خبا نورها عن الأرضِ صارتُ
 قدرةً حيرتُ عقولَ البرايا
 أبدعتها يدُ المَهْمِينِ رِفْقاً
 مُلْهُمُ النفسِ والتدابيرُ تجري
 فاز من بالتَّقَى أطاعَ ووفى
 أنزلَ النُّورَ رحمةً وسلاماً
 جاء بالحقِّ هادياً وبشيراً
 فاضِ علماً بالوَحْيِ صَدْرُ نَبِيٍّ
 خَيْرُ نفسٍ حَلَّتْ بأشرفِ جسمِ
 أحمَدُ المجتَبى شفيعُ البرايا
 جاهَدَ المشركينَ بالسَّيْفِ حتى

سبيل الإيمان

واذكروا الله خيفةً كلِّ آنٍ
واستعينوا به من الشيطانِ
واستزيدوا هدياً من القرآنِ
أنَّ هداكم لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ
وَمُحَالٌ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْهُ جَانِي
وتفانوا في طاعة الرحمنِ
واحفظوه بالبرِّ والإحسانِ
واذكروا بَطْشَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
واستعينوا بالصبرِ والإيمانِ

أَيُّهَا النَّاسُ آمِنُوا وَأَطِيعُوا
سَبِّحُوهُ مُسْتَغْفِرِينَ وَتَوَبُوا
طَهِّرُوا النَّفْسَ بِاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَهْبَةً وَاشْكُرُوهُ
وَاسْتَقِيمُوا فَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْكُمْ
وَأَسْلِكُوا لِلْهُدَى أَعْفً سَبِيلِ
وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ طَيِّبًا وَحَلَالًا
وَاجْعَلُوا الْعَدْلَ إِنْ حَكَمْتُمْ شَعَارًا
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَاسْعَوْا كِرَامًا

ضعف ابن حواء

وحليفًا للسَّهْوِ والنُّسْيَانِ
طائرَ اللَّبِّ غارقًا في الأمانِ
وتزودتَ بالمتاعِ الفاني
كنتَ فيها فريسةَ الشَّيْطَانِ
كيف تنسى عُقْبَى الْمَصِيرِ الثَّانِي؟
يا أَبْنَ حَوَاءَ وَقْفَةَ النَّدْمَانِ
بين كأسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِي!
أَمِنَّا مِنْ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
بين حالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
في دِيَاغِي الْقُبُورِ وَالْأَكْفَانِ
في جَحِيمٍ مِنْ زَفَرَةِ النَّدْمَانِ
سَكَنَ اللَّهُ مِنْكَ غَدْرَ الزَّمَانِ
هكذا فاجرعي كؤوسَ الْهَوَانِ
فيه يُجْزَى الْمُطِيعُ بِالْإِحْسَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا
خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا فَأَقْبَلْتَ تَلْهُو
قَادَكَ الْجَهْلُ فَارْتَكَبْتَ الْخَطَايَا
وَتَخَبَّطْتَ فِي دِيَاغِي حَيَاةٍ
يَا أَبْنَ حَوَاءَ كَيْفَ تَنْقَادُ أَعْمَى
كَيْفَ تَصْبُو إِلَى الْمَلَاهِي وَتَرْضَى
قَدْ فَقَدْتَ النُّهْيَ طَرُوبًا تُغْنِي
لَمْ تَفَكَّرْ فِي غَيْرِ دُنْيَاكَ يَوْمًا
يَنْقُضِي الْعُمْرُ وَالشَّبَابُ يُؤَلِّي
سِنَّةَ كُلِّهَا الْحَيَاةَ وَصَحْوُ
يُوقِظُ النَّفْسَ بَيْنَ حَرْبٍ وَكَرْبٍ
إِيهِ يَا نَفْسُ قَدْ تَغَافَلْتَ حَتَّى
لَا اعْتَذَارُ وَلَا شَفِيعُ يُرَجِّي
فَتَرَةَ الْأَرْضِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ

وبدار البقاء تَخْلُدُ نفسُ
تُنْقِلُ النفسُ من حياةٍ لأخرى
إنه الموتُ لم يَدَعْ أَيَّ حَيٍّ
فإذا جاء أمرُهُ لم يُؤَخَّرْ
ضجعه الموتِ رقدةٌ يُفقدُ الإنسَ
فهو بابٌ يجتازه كلُّ حَيٍّ

في نعيمٍ أو في لظى النيرانِ
إذ ينادي الجِمامُ أنْ أوَّني
فالبرايا جمعًا به سيَّانِ
وإذا حُمَّ فالْمَقْدَرُ دانِ
أنْ فيها، ويسكنُ الخافقانِ
وهو كأسٌ لا بدَّ للظمانِ

غرور ابن حواء

يا أبْنِ حواءِ دع غروركِ واعلمْ
خالفِ النفسَ واجتنبْ كلَّ شرٍّ
وافعلِ الخيرَ ما استطعتَ وأصلحْ
واتَّقِ اللهَ إنه خَيْرُ زادِ
وتواضعْ واصفحْ وسامحْ كريماً
وتوكلْ على المهيمِنِ واصبرْ
إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ يَفْتِكُ فتكا
فتنةً تملأُ العيونَ جمالاً
خادعٌ ماکرٌ عدُوٌّ لدودٌ
لا تُطعْ كَيْدَهُ وخالفهُ حتَّى

أنْ من عَفَّ عاش في اطمئنانِ
وتباعَدَ عن حَمأةِ العدوانِ
وتسابقُ في البرِّ والإحسانِ
للذي رامَ خالداً البُنَيانِ
واجعلِ الحِلْمَ زائداً الوُجْدانِ
واذكرِ الموتَ بينَ آنٍ وأَنْ
بِضِعافِ العقولِ والإيمانِ
وانطلاقُ في كاذباتِ الأمانِ
شرِ نفسٍ شَقَّتْ عصا العصيانِ
لا تُنَزِّلْ عليكما لعنتان!

مصير ابن حواء

يا أبْنَ حواءِ باطلٌ كلُّ شَيْءٍ
جِسْمُكَ الغَضُّ هيكُلٌ من تُرابٍ
يتوارى تحتِ التُّرى بَعْدَ حينٍ
وهشيما عظامُهُ تتداعى
كلُّ جِسْمٍ مَشَى على الأرضِ فيها

رَينَتْهُ مظاهرُ الهذيانِ
سَوْفَ يَبْلَى على يَدِ الحدثانِ
حيثُ يغدو فريسةً الدِّيدانِ
وإلى التُّربِ مرجعُ الإنسانِ
هي تِربٌ وهو الوليدُ الفاني

فهي أُم لكن بغيرِ قرآنٍ
وتجنبْ مَصَارِعَ الأزمانِ
بجمالٍ مبرِّجٍ فُتَّانِ
واستمالته مغرياتُ الجسانِ
كيف ينجو من وثْبَةِ الثُّعْبَانِ؟
غَرَضُ لِلْهَمُومِ والأحزانِ
متَّعَتْهَا الدنيا بأقصى الأمانِ
ومن العزِّ لِلأَسَى والهَوَانِ
يا أبْنَ حواءَ من صروف الزمانِ

أَخْرَجَتْهُ يَشْقَى وخجلى طَوْنُهُ
إِنَّ هَـذِي دُنْيَاكَ فاحذرْ أذاها
هي أَفْعَى في ثوبِ حَسَنَاءَ تَسْعَى
تَنْشِبُ النَّابُ في الذي نالَ منها
والذي كانَ لهوهُ بالأفْعَايِ
هكذا الدهرُ صَفُوهُ مستحيلُ
ما صفا الدَّهْرُ نِصْفَ يومٍ لنفسِ
من هَنَاءٍ إلى شِقَاءٍ وَذُلُّ
إن هذا كَيْدُ اللَّيَالِي فحسبي

مطامع ابن حواء

رَيْنَتْهُ مطامعُ الهذيانِ
والأمانِي خِدْعَةُ الشَّيْطَانِ
وتمسَّكَ بِشِرْعَةِ الْقُرْآنِ
لكَ نورٌ من فيضِهِ الرِّبَانِي
فهو أَزْكَى ما يكتبُ الْمَلَكَانِ
وقريبُ للقلبِ والشَّريَانِ
فمع الله أنت في كلِّ آنٍ
أَيُّ حَيٍّ في عَالَمِ الأكْوَانِ
واقْتِدَارِ وَرَحْمَةِ وَحْنَانِ
في طريقِ الْهُدَى والاطْمِئْنَانِ
وأطيعي أوامرَ الرَّحْمَنِ

يا أبْنَ حواءَ باطلُ كلِّ شيءٍ
فالجمالُ الذي سَبَاكَ خيالُ
هَذَبِ النَّفْسِ لا تطع ما تَمَنَّتْ
وتفكَّرْ في صُنْعِ رَبِّكَ يبدو
واذكر الله ما خَلَوْتَ كَثِيرًا
وَأَخْشَهُ إِنَّ لَهْوَتَ فَهُوَ رَقِيبُ
لا تقلْ إن خلوتَ إني وحيْدُ
إِنَّ عَيْنَ الإلهِ ما غاب عنها
ترقبْ الْخَلْقَ في جلالِ وحلمِ
أين منها المَفْرُ؟ يا نفسِ سِيرِي
قَدِّمي الْخَيْرَ ما استطعتِ وتوبي

ضلال ابن حواء

يا أَبْنَ حَوَاءَ أَنْتَ لِلَّهِ عَبْدٌ
كَيْفَ تَنْسَى فَضْلَ الْإِلَهِ وَتَمْشِي
لَمْ تَفَكَّرْ فِي غَيْرِ لَهْوٍ يُوَدِّي
قَدْ دَعَاكَ الشَّيْطَانُ فَانْقَدْتَ تَهْوَى
تُنْكِرُ الْحَقَّ وَالْهُدَى كَبْرِيَاءَ
إِنْ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ خَلُودُ
أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْجَهْلُ تَدْبِرُ
وَعَلَى الْعَبْدِ وَاجِبُ الشُّكْرِانِ
مَطْمَئِنَّا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ؟
يَا ضَعِيفَ النَّهْيِ إِلَى الْخَسِرَانِ
فِي ضَلَالِ الْغُرُورِ وَالْعُصْيَانِ
مُسْتَحَقًّا لِنَقْمَةِ النُّكْرَانِ
فِي زَفِيرِ الْجَحِيمِ وَالنِّيرَانِ
أَوْ تُعَاقَبُ بِالطَّرْدِ وَالْجِرْمَانِ

السماء والأرض

هَلْ لِهَذَا الْوُجُودِ غَيْرُ إِلَهٍ
أَمْرُهُ الْأَمْرُ لَمْ يُشَبَّهْ بِشَيْءٍ
دَبَّرَ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ بِصُنْعٍ
رَتَّبَ النُّجْمَ وَالْبُرُوجَ وَأَوْحَى
سَابِحَاتٍ تَشْقُ جَوْفَ فُضَاءٍ
خَاطِفَاتِ الْأَبْصَارِ كَالْبَرْقِ تَسْرِي
قُدْرَةُ اللَّهِ سَيَّرَتْهَا وَحَفَظَهَا
مَنْ بَدَّوْرٍ كَوَاكِبٍ وَشَمُوسٍ
تَقْطَعُ الْأَفَقَ فِي سَلَامٍ وَأَمْنٍ
سَبَّحَ النُّجْمُ فِي السَّمَاءِ يُوَدِّي
تَمَّ أَمْرُ السَّمَاءِ سَبْحَانَ رَبِّي
خَلَقَ الْأَرْضَ جَذْوَةً مِنْ شَهَابٍ
وَدَحَاها مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ دَحِيًّا
وَاحِدٌ فِي الْعُلَا وَفِي السُّلْطَانِ؟
مَطْلُوقُ الْحُكْمِ مَبْدَعُ الْأَكْوَانِ
غَايَةِ فِي الْجَلَالِ وَالْإِتْقَانِ
لِلنِّظَامِ الْعَجِيبِ بِالدُّورَانِ
بَيْنَ مَهْوَى الثَّرَى إِلَى كِيَوَانِ
فِي مَدَارِ الْجَوَازِ وَالْمِيزَانِ
زَوَّدَتْهَا بِنُورِهَا الرِّبَانِي
سَبَّحَتْ فِي الْعُلَا عَظِيمَ الشَّانِ
لَا حَظَّتْهَا عَنَايَةُ الرَّحْمَنِ
وَاجِبَ الْحَمْدِ مَا بَدَا الْمُلُوانِ
إِذْ بَنَاهَا قُوَّةَ الْبَنِيَانِ
لَا رَتْبَاطُ الْأَفْلَاكِ بِالْأَكْوَانِ
وَهَبَ الْأَرْضَ سُرْعَةَ الدُّورَانِ

القمر

حول سيارها وسر في أمان
 ه عليها للسير الوجان
 تتجلى في وجهه كل أن
 وعلى الأرض يشرف الكوكبان
 وحياة لعالم الحيوان
 من دياجي الظلام كالطيلسان
 صفحة النور من سيول الجمان
 ويمد النبات بالألوان
 مالك الملك واحد منان
 لبقاء الحياة في عنفوان
 غيوثا من خيرها الهتان
 ما ينمي جواهر الأبدان
 بحنان لم يؤته الوالدان
 وعليلا فوق الثرى يجريان
 ومعاشا كلاهما آيتان
 تتجلى في إمرة السلطان
 مشرقا في الدجى على الأكوان
 البس الأرض حلة العمران
 سخرتها رحماء للإنسان
 وذكاء عن سائر الحيوان
 وحباه موابب العرفان

ثم أوحى للبدر أن خذ مدارا
 ومن الشمس خذ ضياءك فاعكس
 إن للبدر في خطاه بروجاً
 هو يجري وكوكب الشمس يجري
 آية الشمس في النهار ضياء
 وإذا الليل البس الأرض سترًا
 ظهر البدر في السماء فألقى
 نوره يملأ القلوب أنشراحاً
 إن هذا النظام صنع إليه
 خلق الشمس رحمة وحناناً
 وأفاضت يد العطاء على الأرض
 بعد تقدير قوتها أودعتها
 نعمة الخالق الحكيم فأكرم
 سخر الماء والهواء فراثاً
 جعل الليل والنهار لباساً
 جعل الشمس في النهار عروساً
 وأحل البدر المنير مليكاً
 إن للنيّرين أكبر فضل
 كل هذا آلاء ربّ قدير
 ذلك الهيكل المفضل عقلاً
 كرم الله خلقه واصطفاه

سعة ملك الله

واسع الأفق بين قاص ودان
 في سُمُو الْجَلَالِ والسلطانِ
 ساه تُطوي مسارح الدورانِ
 كلَّ يوم بديعها في شانِ
 قوة القاهرة العزيز الباني
 في خُشوع من هَيْبَةِ الديانِ
 ما خبا نورهُ عن الإنسانِ
 وتَنَافى ما قد بدا للعِيانِ
 طَبَّقَ ما في صحائف الأكوانِ
 خُطَّ في اللُّوحِ ما انطوى في الجَنانِ
 ما توارى عن عبقرى البيانِ
 فيه سرًّا من غَيْثِهَا الربَّاني
 كلَّ حَيٍّ ما بين إنسٍ وجانِ
 من لدُنْهَا أَكْرَمَ به مِنْ حنانِ
 سَاجِدَاتٍ وَكَبَّرَ المشرقانِ
 كلُّ شَيْءٍ مُسَبِّحٌ بلسانِ
 تحت نِبراس نورها الربَّاني
 يطلبُ العَفْوَ والرضى كلَّ آنِ
 في اقتدارٍ وهَيْبَةٍ في أمانِ
 قدسَتْهُ للحمْدِ سبعُ مِثَالِ
 وجلالاً وَكَبَّرَ الخافقانِ
 وكذا الحيِّ من رميمٍ فانِ
 هَشَمَتْهَا تَقْلِبَاتُ الزمانِ
 أورثتها البِلَى يدُ الجِداثِ
 جميعاً في دورةٍ يسبحانِ
 رحمةً بالنباتِ والحيوانِ

يا بَنِي الأرضِ إِنَّ لِلَّهِ مُلْكًا
 تَعْلَمُ الأرضُ والسَّماءُ مداهُ
 قَبْضَةُ الله تَجْمَعُ الأرضُ في يَمَنِ
 هي ذات البروجِ سَبْعُ طباقُ
 رفعت سَمَكُهَا بغيرِ عمادِ
 عِزَّةٌ تَجْعَلُ القلوبَ سُجُودًا
 حكمةً دَبَّرَ المهيمنُ فيها
 تتراءى غير الذي أبرمته
 شاءها الخالقُ الحكيمُ فتَمَّتْ
 إنما اليُسْرُ ما أَرَادَ، وَقَدَّمَ
 خِبرَةً أَتَقَنَ المصوِّرُ فيها
 أَبْدَعَتْ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوْحَتْ
 آيَةَ الصانعِ العليمِ أَمَدَّتْ
 لم تَدَعْ كائناً بغيرِ حنانِ
 هَيْبَةُ خَرَّتِ الجبالُ لَدَيْهَا
 وَتَجَلَّتْ على الوجودِ جمالاً
 حضرةٌ تَجْمَعُ العوالمُ طُرّاً
 كلُّ مَنْ في الوجودِ بَيْنَ يَدَيْهَا
 نظرةٌ ملؤها الحَنُوُّ وَجِلْمُ
 رَأْفَةٍ عَمَتِ البرايا ولطفُ
 سَجَدَ الكونُ للمهيمنِ شُكْراً
 يُخْرِجُ الميْتِ من سِلالَةِ حَيٍّ
 يبعثُ الخَلْقَ من دِياجي قبورِ
 بعثت ما بها العوادي وَقَدَّمَ
 يأمر الشمسَ بالطوافِ مع البدرِ
 يجعلُ الماءَ من أَجَاجٍ معيناً

فَتَعَجُّ الْأَنْهَارُ بِالْفَيْضَانِ
فَتَمِيدُ الْأَغْصَانُ بِالْأَغْصَانِ
قَدْرَةُ الْخَالِقِ الْعَلِيِّ الشَّانِ
يَحْمِلُ الطَّيِّبَاتِ لِلْعُبدَانِ
وَأَمَدَتْ بِهِ جَنَى النِّعْمَانِ
يَعْبِقُ الزَّهْرُ مُشْرِقَ الْأَلْوَانِ
وَسُلَافٌ مِنْ طَاهِرَاتِ الدُّنَانِ
مَا تَنَاءَى عَنْ فِطْنَةِ الْإِنْسَانِ

يُرْسِلُ الْغَيْثَ هَاطِلًا فِي الرُّوَابِي
عَاصِفَاتُ الرِّيحِ بِالْأَمْرِ تَجْرِي
تَنْثَنِي مَلَقِحَاتٍ فَجَلَّتْ
مِنْ بَطُونِ الثَّرَى يَبَارِكُ مَاءٌ
زَوَّدَتْهُ النُّعْمَى عَنَاصِرَ شَتَى
مِنْ عَبِيرٍ وَمِنْ أَرِيحٍ زَكِي
سَكَّرَ مَنَعِشٌ وَشَهِدَ شَهِيٌّ
نَعَمْ أَبَدَعَ الْمَصَوِّرُ فِيهَا

عالم الحيوان

مَلْهَمَاتُ أُعِيَتْ عُلُومُ الْبَيَانِ
شَادَهُ فِي الْوُجُودِ أْبْرَعُ بَانَ!
فِي أَعَالِي الرُّبَا وَفِي الْأَقْنَانِ
مِنْ ثَمَارِ بَدِيعَةِ الْأَلْوَانِ
بِهِ شِفَاءٌ شَهْدًا إِلَى الْأَبْدَانِ
وَرَمَزِ النِّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ
وَحَلِيفُ النِّظَامِ وَالْعُمُرَانِ
فَوْقَ إِدْرَاكِ فِطْنَةِ الْحَيَوَانِ
أَكْسَبَتْ فَهْمَهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
مَحْكَمَاتِ السَّاحَاتِ وَالْجُدْرَانِ
شَاهِدَاتِ بِخَبْرَةِ الْفَنَانِ
جَاهِدَاتِ بِحَاثَةِ الْوِدْيَانِ
مَا ثَنَاهَا عَنْ عَزْمِهَا مَا تُعَانِي
أَحْكَمَ الْوَضْعِ كَيْ تَدُومَ الْمَبَانِي
أَنْ يَكِيلَ الْأَذَى لَهَا الْعَابِثَانِ
مَيَّزَتْهُ عَنْ عَالَمِ الْحَيَوَانِ

ثُمَّ أَوْحَى رَبُّ الْوُجُودِ إِلَيْهَا
نَسَجَ الْعَنْكَبُوتُ أَوْهَنَ بَيْتٍ
وَالِى النُّحْلُ أَنْ أَعْدِيَّ بِيوتًا
وَاطْلُبِي الْقَوْتَ بَيْنَ مَاءٍ وَزَهْرٍ
وَاقْتَفِي بَلَسَمَ الدَّوَاءِ وَرُدِّ
وَالِى النَّمْلُ عَالَمِ الْفِطْنَةِ الْجَدِّ
أُمَّهُرُ الْبَاحِثِينَ فِي الْأَرْضِ شَعْبًا
يَعْمَلُ النَّمْلُ دَائِبًا وَصَبُورًا
مَلْهَمَاتٌ قَدْ حَيَّرَ الْعَقْلُ فِيهَا
فِي بَطُونِ الثَّرَى يُعِدُّ بِيوتًا
حَوْلَ جُدْرَانِهَا بَنَى حُجَرَاتٍ
صَالِحَاتٍ لِحَفِظِ مَا ادَّخَرَتْهُ
جَامِعَاتِ الْأَقْوَاتِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَرَفُ أَبَدَعَ الْمَهْنَدُسُ فِيهَا
قَاهِرَاتُ يَدِ الْبَلَى وَمُحَالٌ
إِنْ لِلنَّمْلِ فِي الْحَيَاةِ خِلَالًا

صَادِقُ الْعَزْمِ مَخْلُصُ الْإِيمَانِ
لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ فِي الْعُمْرَانِ
بَيْنَ دِفْءٍ وَمَطْعَمٍ فِي أَمَانٍ
طَالِبِ الرِّزْقِ جَاهِدًا غَيْرَ وَإِنْ
لَمْ يَسِرْ مِنْ نَفْحَةِ الْكِتْمَانِ
سَارِيَاتٌ مَا بَيْنَ أَنْ وَأَنْ
لَا تَقَاءِ الْأَذَى قُبَيْلَ الْأَوَانِ
فَسُبْحَانَ مُلْهِمِ الْحَيَوَانِ

عَامِلٌ مَاهِرٌ مُطِيعٌ صَبُورٌ
أُمَمٌ مَثَلَتْ أَدَقَّ نِظَامِ
يَتَّقِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَاءِ فَيَبْقَى
وَإِذَا مَا الرَّبِيعُ أَذَّنَ يَسْعَى
إِنْ وَحَى الْإِلَهَامُ أَفْضَى إِلَى النَّمِ
يَعْرِفُ الْجَوَّ وَالْأَعَاصِيرُ فِيهِ
مَنْ رِيَّاحٍ وَمَنْ سَيُولُ وَنَارٍ
عَالَمُ النَّمْلِ آيَةُ الْجَدِّ فِي الْأَرْضِ

عالم البحر

بَارَكَ اللَّهُ مَرَّتَعِ الْحَيَاتَانِ
اللَّهُ فِيهِ مَا سَبَّحَ الْجَارِيَانِ
فِيهِ شَتَى الْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ
بَيْنَ أَصْدَافِهَا كَلَمَحِ الْحَسَانِ
وَعَقُودُ مَنْ فَاتِنِ الْمَرْجَانِ
سِ بِأَمْرِ مَنْ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ

أَوْدَعَ الْبَحْرَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا
سَابَحَاتُ الْأَسْمَاكِ تُكْثِرُ ذِكْرَ
أَكْلٍ طَيِّبٍ طَرِيٍّ شَهِيٍّ
وَحُلِيِّ تَأَلَّقَتْ لَامِعَاتُ
لُؤْلُؤِ نَادِرٍ وَدُرٍّ يَتِيمٍ
نَعْمَ سَاقَهَا الْخِضَمُّ إِلَى النَّا

عالم الطير

مَا سَهَتْ لِحِظَةً عَنِ الشُّكْرَانِ
وَمَعَ الْكَوْنِ كَبَّرَ الْمَشْرِقَانِ
رَجَّعْتَهُ الْآفَاقُ بِالْأَلْحَانِ
قَدْ تَجَلَّى بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
غَامِرُ الْخَلْقِ بِالْأَنْدَى وَالْحَنَانِ
بِأَقْصَى الْقَفَارِ وَالْوُدَيَانِ
فَهُوَ رَمَزٌ لِلشَّاكِرِ الْيَقْظَانِ

أُمُّ الطَّيْرِ أَكْثَرُ الْخَلْقِ حَمْدًا
مَا تَبَدَّى نُورٌ وَغَشَى ظِلَامٌ
إِذْ تَهَآى النِّسِيمُ يَحْمِلُ شَدْوًا
سَبَّحَ الطَّيْرُ فِيهِ رَبًّا رَحِيمًا
وَاحِدٌ مَنْعَمٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ
يَرْزُقُ الطَّيْرَ أَيْنَمَا حَلَّتِ الطَّيْرُ
عَالَمُ الطَّيْرِ فِي الْوُجُودِ عَجَابٌ

تلك آلاءُ قدرةِ الرحمنِ
 ربةِ التاجِ ربةِ الصولجانِ
 كان هذا من عالمِ الطيرانِ
 يعلمُ العاهلُ العظيمُ الشانِ
 ونبيُّ دانتَ له الثَّقَلانِ
 نال مُلْكًا غَنَى به النِّيرانِ
 فَجَرُ مُلْكٍ قد ساسه تاجانِ
 وذاتِ الجلالِ والسلطانِ
 جَمَعَ الخلقَ بينِ إنسٍ وجانِ
 في انكسارٍ ورجفةٍ وهوانِ
 ويَدُ البطشِ سُخْطُها منه دانِ
 قد تماذوا في الكفرِ والعُصيانِ
 واستجابوا لدعوةِ الشيطانِ
 قبل أن تَهْتَدِيَ إلى الإيمانِ
 رأتِ الحقَّ ساطعَ البُرْهَانِ
 مَنْ تَغْنَى بِمُلْكِهِ الماضِيانِ
 أَيْنَمَا حَلَّ حَلَّقَ الفَرْقَدَانِ
 أيقظتُ أهلَهَا مِنَ الهَذْيَانِ
 آيةَ النورِ في جَبِينِ الزمانِ
 ضارِعَاتٍ بالحمدِ والشُّكرانِ
 وأعالي الرُّبَا وفي الأفنانِ
 سَرَيَانِ الأرواحِ في الأبدانِ
 شاكراتٍ للواحدِ الدِّيَّانِ

ولكلِّ في عِلْمِ الأرضِ نفعٌ
 من رسولٍ قد جاء بِلُقَيْسٍ يدعو
 أَمِنَ الجَنِّ أَم من الإنسِ؟ لا بل
 هدهدٌ قد أحاطَ عِلْمًا بما لم
 مَلِكٌ يأمرُ الرياحَ فتجري
 خَصَّهُ اللهُ منطقَ الطيرِ لَمَّا
 إِنَّ يومًا تَفَقَّدَ الطيرَ فيه
 تاجُ بلقيسَ تاجِ قامعةِ الجَنِّ
 وسليمانُ ربُّ أكبرِ مُلْكٍ
 وقفَ الطائرُ الضعيفُ ذليلاً
 يرجي العَفْوَ والمليكَ غضوبٌ
 لم تبرئهُ غيرُ أنباءِ قومٍ
 عبدوا الشمسَ عاكفينَ عليها
 حَكَمَتْهُمْ بِلُقَيْسٍ في جَبَرُوتٍ
 وأتاها نورُ الهِدَايَةِ لما
 واستقرتِ وعرشُها بينَ أيدي
 مَلِكُ المَشْرِقَيْنِ بَرًّا وبحرًا
 رحلَهُ الهُدْهُدُ الأَمِينِ إليها
 أَنْقَذَتْهُمْ من الهلاكِ فكانتِ
 أُمُّ الطَّيْرِ تذكُرُ اللهَ دَوْمًا
 بينَ أَوْكَارِها وبينِ الدوالي
 عاطراتِ التسبيحِ في الكُؤُنِ تَسْري
 تملأُ الأرضَ والسَّمَوَاتِ حَمْدًا

عالم الهوام والحشرات

وَتَعَالَى مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ
 لَمَدِينُ بِالشُّكْرِ لِلدِّيَّانِ
 زاحفات مَلَأْنَ كُلَّ مَكَانٍ
 بِقُوَّةٍ أَعْجَزَتْ قُوَى الْإِمْكَانِ
 باقتدارِ المَحِيطِ بِالْأَكْوَانِ
 نَ فِيبدو من سَبْحِهَا عَالَمَانِ
 وَمُقَامُ مَدَاهِ لَيْسَ بِفَانٍ!
 خَادِعُ حُسْنُهَا كَذُوبُ الْأَمَانِ
 أَبَدِي الْحَيَاةِ لَيْسَ بِفَانٍ!
 كُلُّ نَفْسٍ فِي عِزَّةٍ أَوْ هَوَانٍ
 مِنْهُ صِيغَتْ هَيَاكِلُ الْأَبْدَانِ
 ثُمَّ يَبْلَى عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ
 بَعَثَتْ ذَرْهَا يَدُ الْحَدَثَانِ
 فِي بُطُونِ الْوَهَادِ وَالْوِدْيَانِ
 فِي ظِلَامٍ عَنْهُ اخْتَفَى النَّيِّرَانِ
 مِنْ قَدِيمِ الْأَبَادِ وَالْأَزْمَانِ
 مِنْ رُفَاتٍ تُرَبًّا كَذَرِّ الدُّخَانِ
 غَيْرُ رَبِّ الصُّرَاطِ وَالْمِيزَانِ
 وَالسَّمَوَاتِ وَرَدَّةُ كَالِدِّهَانِ!
 سِرَاعًا لَمْ تَخْتَلِطْ ذَرَّتَانِ!
 مَا تَنَاءَى عِلْمًا عَنِ الْأَذْهَانِ
 قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْوَاحِ وَالْجِسْمَانِ
 يَبْدُو لِلنُّورِ هَيْكُلُ الْإِنْسَانِ
 قُدْرَتُهُ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
 فِي إِمَامِ مُفَصَّلِ التَّبْيَانِ

جَلَّ مَنْ أَمْطَرَ الْخَلَائِقَ رِزْقًا
 كُلُّ حَيٍّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
 فِي بُطُونِ الثَّرَى وَغَابِ الْفَيَافِي
 أَعْجَبَ الْخَلْقَ صُنْعُهُ وَحَيَاةُ
 عَالَمِ الذَّرِّ وَالْبَعُوضِ شُهُودُ
 كُلُّ هَذِي الْأَحْيَاءِ تَسْبَحُ فِي الْكُو
 عَالَمُ زَائِلٌ مَدَاهُ قَصِيرُ
 تِلْكَ الدُّنْيَا الْفَنَاءِ دَارُ اخْتِيَارِ
 مَا تَقَضَّتْ حَتَّى تَلَاهَا خُلُودُ
 تِلْكَ دَارُ الْبَقَاءِ سَيَقَتْ إِلَيْهَا
 كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ تُرَبُّ
 وَلِكُلِّ عُمُرٍ إِذَا تَمَّ يَذْوِي
 مِنْ هَشِيمٍ وَمِنْ رُفَاتٍ عِظَامِ
 طَبَقَاتٍ تَكْدَسَتْ فَوْقَ بَعْضِ
 وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ
 وَقُبُورِ ضَاقَتْ بِأَشْلَاءِ خَلْقِ
 كُلُّ جِسْمٍ يَدُ الْبَلَى حَوْلَتْهُ
 مِنْ عَلَى عَدُّ ذَرْهَا ذُوِ اقْتِدَارِ
 بَاعِثُ الْخَلْقِ فِي قِيَامٍ رَهيبِ
 سَتَقُومُ الْأَجْسَادُ مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ
 قُدْرَةُ أَوْدَعِ الْمُهَيِّمِ فِيهَا
 عِلْمُهُ قَدْ أَحَاطَ بِالْكُؤُنِ قَدَمًا
 خَطَّ فِي اللَّوْحِ مَا أَرَادَ وَلَمَّا
 مِنْ سَعِيدٍ وَمِنْ شَقِيٍّ قِضَاءُ
 كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ عِلْمًا وَعَدًّا

عالم الوحش

في مُرُوجِ الغاباتِ تحتِ شعارٍ
وَبَجُوفِ الأَحْراشِ بينِ سُدُولِ
يَسْكُنُ الوحْشُ هادئاً في كُھُوفِ
لم تَنْلُهَا يَدُ الأَدَى وبِرْفَقِ
بينِ آجامِها تروُحُ وتغدو
في عَرِينِ الأسودِ كُلِّ هَزْبِرِ
ضَيِّغٌ بِاسِلٌ رَهِيبٌ مَهِيبٌ
قُوَّةُ زَانِهَا حَنَانًا وَعِلْمًا
عَالَمُ الوحْشِ من نمورٍ وفُھِدِ
تلك أَكَالَةُ اللحومِ افْتِرَاسًا

من كَثِيفِ الظُّلالِ والأَغْصَانِ
من شَبَاكِ الجذوعِ والسَّيْقَانِ
أَمَنَاتٍ من وَطْأَةِ الإنسانِ
لَا حَظَّتْهَا عَنَابَةُ الرَّحْمَنِ
ضَارِيَاتُ السَّبَاعِ في اطمئنانِ!
في فَيَافِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
مَلِكٌ قَادَ دَوْلَةَ الحَيَوَانِ
خُلُقُ الْفَيِّصَلِ الجَرِيِّ الجنَانِ
وذئَابٍ وَأَرْقَمِ أَفْعَوَانِ
واقتِنَاصًا في فَجَعَةِ النَّهْمَانِ

عالم الأنعام

يَمْلَأُ البَيْدَ حَوْلُهَا رَاتِعَاتُ
أَمَنَاتٍ شَرَّ انْقِضَاضِ الضَّوَارِي
تَأْكُلُ العُشْبَ وَهُوَ يَنْسُجُ لَحْمًا
إِنَّ أَجْسَامَهَا مَصَانِعُ لِلْحَمِ
مَزَقَتْهَا شَرَاهَةُ الوحْشِ ظُلْمًا
حَفِظَتْهَا وَقَايَةُ اللهِ لُطْفًا
لَا حَظَّتْهَا عَيْنُ العَنَابَةِ حَتَّى
في بَقَاعِ يَدُومٍ فِيهَا صِرَاعٌ
لو تَبَارَتْ فِيهَا الضَّوَارِي لَأَخْلَتْ
هلْ يَجِيرُ الضَّعِيفُ غَيْرُ قَوِيٍّ
يَمْلَأُ الوحْشُ رَهْبَةً الغَابِ دُعْرًا
شَرِسُ يَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَيُرِيدِي

من بهيمِ الأَرَامِ والغُزْلَانِ
سَارِيَاتٍ فِي العُشْبِ والغُذْرَانِ
وَيُنَمِّي عِظَامَهَا بِالذَّهَانِ
تُغْذِي الضَّعِيفَ غَذْوُ السَّمَانِ
فَأُبِيدَتْ عَلَى مَرُورِ الزَّمَانِ
وَسَلَامًا مِنْ ثَوْرَةِ العُدْوَانِ
يَحْفَظُ الأَمْنُ دَوْلَةَ العُزْمَرَانِ
يَصْبُغُ الأَرْضَ بِالنَّجِيعِ القَانِي
أَرْضَ قِيَعَانِهَا مِنَ السُّكَّانِ
أَوْ يَحْسُ الْجَبْرُوتَ غَيْرُ الْجَبَانِ
شَرُّ نَفْسٍ تَمِيلُ لِلْعُدْوَانِ
بَاغْتِيَالٍ مُسْتَضْعَفِ الحَيَوَانِ

الأسد ملك الحيوان

حَارِسًا بِاسِلًا جَرِيءَ الْجَنَانِ
لَا يُبَالِي بِمُرْهَفٍ أَوْ يَمَانِي
أَسَدَ الْغَابِ هَيْبَةَ السُّلْطَانِ
خَيْرَ مَلِكٍ فِي دَوْلَةِ الْحَيَوَانِ
لِ مَهِيْبًا جَوَارُهُ فِي أَمَانِ
وَمُحَالٌ يَفِرُّ مِنْ مَيْدَانِ
يَتَهَادَى فِي خِفَّةٍ وَاتِّزَانِ
وَقَلْبٌ يَحْبُوهُ فَيْضُ الْحَنَانِ
جَنَبَاتِ الْأَجَامِ وَالْوُدَيَانِ
لِتُؤَلِّيَ عَنْ سَاكِنِ الْقِيَعَانِ
وَسَلَامًا فِي صَالِحِ الْعُمْرَانِ
مَلِكُ الْوَحْشِ حَامِلُ الصَّوْلَجَانِ

خَلَقَ اللَّهُ رَحْمَةً بِالضَّحَايَا
فَيَصَلَا يَقْهَرُ الْوَحْشَ جَمِيعًا
قُوَّةً أَكْسَبَتْ مَلِيكَ الضَّوَارِي
ضَيْغَمًا قَاهِرًا وَلَيْثًا هَصُورًا
خَصَّهُ اللَّهُ بِالْبَسَالَةِ وَالنُّبْ
لَا يُجَارِيهِ فِي الْمُبَارَاةِ خَصْمٌ
ثَابِتُ الْعِزْمِ فِي خُطَاهُ وَقُورًا
نَظْرَةً مِلْؤُهَا الرِّزَانَةُ وَالْجَلْمُ
وَرَزِيرٌ كَالرَّعْدِ قَدْ رَجَعْتَهُ
يَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الضَّوَارِي
جَعَلَ اللَّهُ سَطْوَةَ اللَّيْثِ أَمْنًا
حَارِسٌ سَاهِرٌ قَوِيٌّ أَمِينٌ

غفلة ابن حواء

كَ عَنْ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ
وَبَصِيرٌ يَرَاكَ فِي كُلِّ آنٍ
فِي ظِلَامٍ مِنْ غَفْلَةِ النَّسِيَانِ
مُسْتَجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
فَتَخَبَّطْتَ فِي دِيَاجِي الْأَمَانِي
لِلرَّقِيبِ الْمُهَيِّمِ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَعُرُورًا جَاهَرْتَ بِالْعِصْيَانِ
يَتَجَلَّى وَلَسْتَ بِالْوَسْنَانِ
قُدْرَةَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ الشَّانِ
تَكُ شَيْئًا فِي ذِكْرِيَاتِ الزَّمَانِ
أَبْدَعْتَهُ بِرَاعَةِ الْإِتْقَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ كَيْفَ تُلْهِيكَ دُنْيَا
كَيْفَ تَنْسَى أَنَّ إِلَهَهُ سَمِيعٌ
كَيْفَ تَنْسَى ذِكْرَ الرَّقِيبِ وَتَمْشِي
تُنْفِقُ الْعُمْرَ فِي الضَّلَالَةِ تَلْهُو
زَيْنَتْ جَنْدُهُ إِلَيْكَ الْمَعَاصِي
أَنْكَرْتَ نَفْسَكَ الضَّعِيفَةَ فَضْلًا
وَضَلَلْتَ الْهُدَى فَأَعْمَاكَ طَيْشٌ
لَمْ تَرَ النُّورَ وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ
أَيُّهَا الْغَافِلُ الْأَثِيمُ تَذَكَّرْ
كَيْفَ سَوَّوْكَ مِنْكَ الْبَنَانُ وَلَمَّا
فَأَفَاضْتَ يَدَ الْمُصَوِّرِ حُسْنًا

وَحَبَّبْتُكَ الْآلَاءَ بِالْإِحْسَانِ
ثُمَّ طِفْلاً مُطَهَّرَ الْأُرْدَانِ
مِنْ رَبِيعِ الْحَيَاةِ فِي رَيْعَانِ
مِنْ نَشَاطٍ وَقُوَّةٍ وَمِرَانِ
فِي مَشْيِبٍ مُهَدَّمِ الْأَرْكَانِ
سَابِحِ الذَّهْنِ فِي دُجَى الْأَحْزَانِ
كَانَ حُلُمًا فِي خَادَعَاتِ الْأُمَانِ
حَاسِرَ الْقَلْبِ مِنْ فَوَاتِ الْأَوَانِ
رَوْعَةُ الْبَيْنِ وَانْتِقَامُ الزَّمَانِ
فِي انْحِنَاءٍ عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ
أَيُّهَا الْهَيْكَلُ الرَّمِيمُ الْفَانِي
كَيْفَ تُطَوَّى صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ
صَحْوَةُ النَّاسِ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
الْجِسْمُ فِيهَا عَنْ أَغْيَنِ الْحَدَثَانِ

أَلْبَسْتُكَ النُّعْمَى بِأَحْسَنِ خَلْقٍ
نُطْفَةً كُنْتَ فِي الظَّلَامِ جَنِينًا
فَغُلَامًا غَضَّ الشَّبَابِ فِتْيًا
يَصْعَدُ الْعَمْرُ سُلَّمًا فِي سِرَاجٍ
ثُمَّ يَخْبُو سِرَاجُهُ حِينَ يُمَسِّي
دَبَّ شَيْخًا عَلَى الْعَصَا فِي اكْتِنَابِ
طَارِدَتُهُ الْهَمُومُ يَبْكِي شَبَابًا
يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ يَرْجِعُ يَوْمًا
أَنْهَكَ الضَّعْفُ هَيْكَلًا هَشَمَتُهُ
شَبَحُ أَشْمَطُ تَقْوَسَ ظَهْرًا
يَسْمَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ تَدْعُوهُ: هَيَّا
أَنْ لِلتَّرْبِ أَنْ يَضْمَكَ فَاَنْظُرْ
هَا هُوَ الْقَبْرِ مُسْتَقْرُكٌ حَتَّى
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةً يَتَوَارَى

دعوة الإيمان

لَمْ تُؤَيِّدْهُ دَعْوَةُ الْإِيمَانِ
وَشَفَاءٌ فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
مِنْ كَلَامِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
لِلْبَرَايَا شَرَائِعُ الْقُرْآنِ
جَاءَ حَقًّا بِمُعْجَزَاتِ الْبَيَانِ
لَمْ تُبَدَّلْ حَرْفًا يَدُ الْإِنْسَانِ
حُجَّةَ الْمُهْتَدِينَ طُولَ الزَّمَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ بَاطِلٍ كُلِّ شَيْءٍ
أَنْزَلَ الْحَقُّ دَعْوَةَ الْحَقِّ نَوْرًا
فَصَلَّتْهُ آيَاتُ ذِكْرِ حَكِيمٍ
خَيْرٌ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى بَيِّنَتُهُ
إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ
حَضَنَتْهُ عَيْنُ الْعَنَايَةِ حَتَّى
أَبَدَ الدَّهْرَ سَوْفَ يَبْقَى كَرِيمًا

موسى عليه السلام

بَدَلُ الْعَابِثُونَ تَوَرَّاةَ مُوسَى
غَضِبَ اللَّهُ وَالْكَلِيمَ عَلَيْهِمْ
وَتَمَادَوْا فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
حَيْثُ بَاؤُوا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

المسيح عليه السلام

وَبَسَفَرِ الْمَسِيحِ إِنْجِيلِ عَيْسَى
غَيْرِ الْإِفْكَ حُجَّةَ الْحَقِّ مَكْرًا
وَيُنَحُّ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَهْدَ النَّصَارَى
يَوْمَ قَالَ الْمَسِيحُ: مَنْ أَنْصَارِي؟
دَبَّرَ الْآثِمُونَ كَيْدًا وَلَكِنْ
كَانَ صَلْبُ الْمَسِيحِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
ضَلَّ كَيْدُ الْيَهُودِ إِذْ سَوْفَ تَمْحُو
صَوْرَ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ شَبِيهَا
هَكَذَا يُضْهِرُ النَّضَارُ لِيَصْفُو
أَرْضَ كُونِي عَلَى الْمَسِيحِ حَرَامًا
سَوْفَ يَرْقَى إِلَى السَّمَوَاتِ حَيًّا
رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عَيْسَى
بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ ضَلَّتْ يَهُودُ
وَتَفَشَّتْ فَوْضَى أَدَارَتْ رَحَاهَا
خَيَّمَتْ ظُلْمَةً تَحْجَبُ فِيهَا
ظَلًّا دِيَجُورُهَا الْمُضِلُّ حِينًا
حَبَطَ عَشَوَاءَ يَضْرِبُ النَّاسَ فِيهِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
يُوقِعُ النَّاسَ خَادِعًا وَكَذُوبًا
يُدْفَعُ النَّفْسَ لِلْفُجُورِ فَتَشْقَى

حَرَّفَ الْمُفْتَرُونَ آيَ الْبَيَانِ
وَتَعَدَّى جَهْلًا عَلَى الْأَيَّانِ
إِذْ أَحَسَّ الْمَسِيحُ بِالْعُدْوَانِ
وَهُوَ يَدْعُو لِلرُّشْدِ وَالْإِيمَانِ
أَحْبَطَ اللَّهُ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ
لَيْسَ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ الْهَدْيَانِ
آيَةُ الْحَقِّ ظُلْمَةُ الْبُهْتَانِ
حِينَ قَامُوا بِعَرْضِهِ لِلْعِيَانِ
وَبِهَذَا تَمَّتْ لَهُ آيَتَانِ
فَهُوَ سِرٌّ مِنَ الْعُلَا الرَّبَّانِي
جَسَدًا فِيهِ سَبَحَ الْأَطْهَرَانِ
قَبَسَ النُّورِ فِي عَيُونِ الزَّمَانِ
كُلُّ حِزْبٍ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَيَانِ
فِتْنَةَ الْعَابِثِينَ بِالْأَيَّانِ
مَنْ سَنَّا الرُّشْدِ وَالْهُدَى كُوكَبَانِ
فِي سَعِيرٍ مُوَجَّجِ النَّيِّرَانِ
بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
وَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ
فِي شَبَاكِ مِنْ مُغْرِيَاتِ الْأُمَانِي
وَالْمَلَذَاتِ طُعْمَةِ النَّيِّرَانِ

محمد عليه السلام

أعلن الصُّبْحُ دَعْوَةَ الْإِيمَانِ
صَدَعَتْهُ زَلَزِلُ الْهَذْيَانِ
أَرْسَلَتْهَا مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
مُحْكَمَاتُ الْآيَاتِ فِي الْفُرْقَانِ
مَا تَدَاوَى مِنْ طَاهِرِ الْبُنْيَانِ
سَيِّدِ الْخَلْقِ صَفْوَةِ الْإِنْسَانِ
حَصْنَتِهِ الْآلَاءُ بِالْقُرْآنِ
طَاهِرِ النَّفْسِ صَادِقِ الْإِيمَانِ
دَعْوَةُ الْحَقِّ غَفْلَةُ الْبُطْلَانِ
كَانَ مَجْدَ الْأَجْيَالِ وَالْأَزْمَانِ

مَا انْقَضَتْ فَتْرَةُ التَّخَبُّطِ حَتَّى
وَتَبَدَّى نُورُ الْيَقِينِ بِأُفُقٍ
وَتَجَلَّتْ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لِمَا
بَيَّنَّاتُ مِنَ الْهُدَى فَصَلَّتْهَا
سَاقَهَا الرُّوحُ لِلْأَمِينِ لِيَبْنِي
فَاضَ بِالذِّكْرِ صَدْرُ أَحْمَدَ نُورًا
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ خَيْرِ بَشِيرِ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى فِي خُشُوعٍ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي الْجِهَادِ لِتَعْلُو
فَأَحَلَّ الدِّينَ الْحَنِيفَ مَقَامًا

الإسلام

أَبَدَ الدَّهْرَ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
قَدْ قَضَتْهُ إِرَادَةُ الدِّيَانِ
مَا أَقَامَتْهُ خَالِدَ الْبُنْيَانِ

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ ذُخْرٌ سَيَبْقَى
أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءُ لِلنَّاسِ نُورًا
يُرْشِدُ النَّفْسَ أَيْنَ تَبْنِي لِيَبْقَى

القرآن

أَعْجَزَ الْخَلْقَ مَا حَوَى مِنْ بَيَانِ
سَمِعَ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
عَرَبِيٌّ الْمَبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي
فِي جَلَالٍ لَهُ انْحَنَى الثَّقَلَانِ
مَعْجَزَ الرَّأْيِ حُجَّةٌ فِي الْبَيَانِ
هَكَذَا شَاءَ فَاطِرُ الْإِنْسَانِ

دَعْوَةُ الْحَقِّ فِي كِتَابِ كَرِيمٍ
سَيَّرَتْ آيَةُ الْجِبَالِ وَأَحْيَتْ
لَفْظُهُ مُحْكَمٌ غَنِيٌّ فَصِيحٌ
فَاضٌ مَجْدًا بِبَلَاغَةٍ وَتَسَامَى
إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ
لَمْ يُبَدَّلْ مِنْ آيَةٍ أَيْ حَرْفٍ

رَاقَبْتُهُ عَيْنُ الْعَنَاءِ حِفْظًا
هو باقٍ كما تَنَزَّلَ حَتَّى
لَمْ يُغَادِرْ مِنَ الشَّرَائِعِ شَيْئًا
جاء نورًا للعالمين سلامًا
ناسخًا قَبْلَهُ لِتُورَةِ مُوسَى
مُغْلِنًا لِلضِّيَاءِ دَعْوَةَ صُبْحٍ
كَانَ نِبْرَاسُهُ عَلَى الْأَفْقِ طَهَّ
خَيْرَ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى أَرْسَلْتُهُ
وَأَنَارْتُ بِهِ فُؤَادَ الزَّمَانِ
يُبْعَثُ الْخَلْقَ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
وَهُوَ سِرُّ الرُّقْيِ وَالْعُمَرَانِ
مُنْقِذًا مِنْ حَمَاقَةِ الطُّغْيَانِ
وَلِسْفَرِ الْمَسِيحِ بَعْدَ زَمَانٍ
أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
مُرْسِلًا نُورَ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ
رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْحَنَانِ

الإسراء والمعراج

صَفْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ بَدْرُ قُرَيْشٍ
وعليه صَلَّى إِلَهَهُ فَأَكْرَمَ
هَاشِمِيٍّ أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
بَيْنَ حَقْلِ مِنَ الْمَلَائِكِ صَلَّى
سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَقَدْ كَانَ مِنْهَا
خُطْوَةٌ نَالَهَا شَفِيعُ الْبَرَائِيَا
أَغْرَقَ الْخَلْقَ رُبَّةً وَمُقَامًا
جَوْهَرٌ خَالِصٌ يَتِيمٌ نَقِيٌّ
خُلِقَتْ رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ نُورًا
مَنْ كُطِبَ عَلَيْهِ الْبَرَائِيَا
عَنْ شَدِيدِ الْقُوَى تَلَقَّنَ عِلْمًا
خَصَّهُ اللَّهُ بِالرِّضَى وَاجْتَبَاهُ
جاء للناسِ مَنْقِذًا مِنْ عَذَابٍ
أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى رَفِيعُ الشَّانِ
بَحْبِيبِ الْعَلَا وَحَبِيدِ الزَّمَانِ
وَبِمِرَّاهُ كَبَّرَ الْمَسْجِدَانِ
فِي جَلَالٍ مِنْ نِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
قَابَ قَوْسَيْنِ سَارِعَتْ لاحتِضَانِ
لَمْ يَنْزِلْهَا مِنَ النَّبِيِّينَ ثَانٍ
خَيْرُ نَفْسٍ مَا شَاغَلَتْهَا الْأَمَانِيَا
فَاضٌ لِأَلَاؤِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ
قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ
أَيَّدَتْهُ السَّمَاءُ بِالْقُرْآنِ
أَكْبَرَتْهُ مَذَارِكُ الْعِرْفَانِ
وَحَبَّاهُ فَصَاحَةُ التَّبَيَّانِ
كَانَ هَوْلًا لَوْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ

جهاد الرسول عليه السلام

وَيُعَانِي مِنَ الْأَذَى مَا يُعَانِي
وَأَبِيدَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
فِي ثَبَاتِ دَعَائِمِ الْإِيمَانِ
جَاهِدُوا مَخْلَصِينَ لِلرَّحْمَنِ
طَهَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ أَدَى الْكُفَّانِ
شَمْسُهُ الْأَرْضَ فَازْدَهَى الْمَشْرِقَانِ
وَخُضُوعَ وَكَبَّرَ النَّيِّرَانِ
صَلَوَاتُ تَزْكُو بِكُلِّ لِسَانِ
لَمْ يُكْرَمْ بِهِ رَسُولٌ ثَانِ
وَأَبْعَثِي النُّورَ مُشْرِقًا بِالْأَمَانِي
فَتَرَوْدُ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ

ظَلَّ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ
جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَدَاهُمْ
فَوْقَ أَنْقَاضِ جَهْلِهِمْ كَانَ يَبْنِي
بَيْنَ صَحْبٍ مُصَدِّقِينَ كِرَامِ
حَارَبُوا الْكُفْرَ وَالضَّلَالَةَ حَتَّى
وَتَجَلَّى الدِّينَ الْحَنِيفُ وَعَمَّتْ
سَبْحُ الْكُوفُ رَبَّهُ فِي خُشُوعِ
وَتَسَامَتْ كَنْفَحَةُ الْمُسْكِ تَسْرِي
حَامِلَاتٍ إِلَى النَّبِيِّ سَلَامًا
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجِ
نِعْمَةُ اللَّهِ بِابْنِ حَوَاءَ نَمَتْ

ظلم ابن حواء

وجمال الدنيا مَتَاعُ فَنَاءٍ
لَمْ تُفَكَّرْ فِي وَاجِبِ الْإِنْسَانِ
مُسْتَفِرًّا شَرَاهَةَ الْحَيَوَانِ
بِعَوَاذِي تَقْلُبَاتِ الزَّمَانِ
فِي دِيَاجِي الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
بَيْنَ عَيْنَيْكَ خَلَّةَ النَّسْيَانِ
فِيهِ قَادَتُكَ لَذَّةُ النَّشْوَانِ
عَنْ مَخَازِيكِ مُغْمَضِ الْأَجْفَانِ
دُنْيَوِيُّ الْهَوَى كَدُوبُ الْأَمَانِي
بَيْنَ خَمْرِ وَبَيْنَ غَيْدِ حِسَانِ
خَادَعَاتٍ بِسَحَرِهَا الْفِتَانِ
مُحْكَمَاتٍ مِنْ كَيْدِهِ الْخَوَانِ

يَا ابْنَ حَوَاءَ أَنْتَ غِرٌّ خَصِيمٌ
سَاقَكَ الطَّيْشُ فَاَنْطَلَقْتَ جَهْلًا
فَنَهَالَكْتَ فِي أَقْتِنَاصِ الْمَلَاهِي
تَسْتَجِلُّ الْحَرَامَ غَيْرَ مُبَالٍ
وَتُبِيحُ الْفُجُورَ نَشْوَانَ تَهْوَى
وَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ غَاوِيكَ أَلْقَى
فَاسْتَبَقْتَ الْخُطَى تَجُوبُ ظِلَامًا
طَائِرَ اللَّبِّ سَابِحًا فِي خِيَالِ
أَحْمَقُ أَرْعَنُ شَقِيٍّ ظُلُومِ
لَمْ تُفَكَّرْ فِي غَيْرِ لَهْوِكَ يَوْمًا
وَلَيْالِ سَبَتِكَ فِيهَا عَيُونُ
قَدْ أَعَدَّ الشَّيْطَانُ فِيهَا شَبَاكًا

سلبتك النهى ففادك أعمى
زَيَّنْتُهُ لِلْغَافِلِينَ الْمَلَاهِي
مُغْرِيَاتُ الْأَهْوَاءِ تَلْعَبُ دَوْرًا
في طريقٍ مُهْدَمٍ الْبُنْيَانِ
وأحاطته خادعاتُ الْأُمَانِي
كَادَ فِيهِ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

قصر الحياة والأمل

أيها الغافلُ الْجَهُولُ تَنَبَّهْ
سِنَةٌ كُلُّهَا حَيَاتُكَ مَهْمَا
أيها الْأَحْمَقُ الظُّلُومُ تَدَبَّرْ
كُلُّ شَيْءٍ تَصُبُّو إِلَيْهِ خِيَالُ
أيها الْجَا حِدُ الْكِنُودُ تَذَكَّرْ
دَعْ مَلَاهِيكَ سَاعَةً وَتَفَكَّرْ
أَيْنَ مِنْهُ الْمَفَرُّ وَهُوَ مُحِيطُ
حَاضِرُ شَاهِدُ سَمِيعُ بَصِيرُ
وَتَيَقَّظُ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْنَانِ
طَالَ عَهْدُ اتِّصَالِهَا بِالزَّمَانِ
وَأَكْبَحِ النَّفْسَ عَنْ هَوَى الْعِصْيَانِ
وَسَنِي الْأَفْرَاحِ فِيهِ ثَوَانِ
كَيْفَ سَوَّاكَ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي جَلَالِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
بِالْبَرَايَا جَمْعَاءَ فِي كُلِّ آنٍ
مَا نَأَى فَيُضْ نُورِهِ عَنْ مَكَانٍ

يقظة القلب

أَيْنَمَا كُنْتَ فَالْإِلَهَ قَرِيبُ
كُلُّ جِسْمٍ يَنَامُ إِلَّا شَهِيدًا
إِنَّهُ الْقَلْبُ يَا أَبْنَ آدَمَ فَاعْجَبْ
صَلَّةَ النُّورِ بَيْنَ عَبْدٍ وَرَبِّ
لَمْ تَغِبْ لَحْظَةً عَنِ الذِّكْرِ نَجْوَى
عَالَمٍ سَرٍّ مَا أَنْطَوَى فِي الْجَنَانِ
يَذْكُرُ اللَّهَ خَافِقًا بِلِسَانِ
لِمَلَاكٍ قَدْ حَلَّ فِي شَيْطَانِ
نِعْمَةً سَاقَهَا عَظِيمُ الْحَنَانِ
أَصْغَرِيهِ، فَوَادِهِ وَاللِّسَانِ

تسبيح الخلائق

أَوْ نَمَا فِي مَرَاتِبِ الْحَيَوَانِ
مُلْهَمَاتٍ مِنْ فَيْضِهِ الرَّبَّانِي
ذَاكَرَاتٍ آلَاءُهُ كُلُّ آنٍ
خَالِقٍ رَازِقٍ عَظِيمٍ الْحَنَانِ
عَالَمٍ الظُّلْمِ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْعَوَانِي
أَبْعَدَ الرُّشْدَ عَنْ مَدَى الْعِرْفَانِ
كُلَّ كَيْدٍ يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
فَاسْتَبَاحَتْ رَذِيلَةَ الْعُدُونِ
فِي الْحَيَاتَيْنِ زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
وَمَتَاعٍ مَهْمَا تَفَاحَرَ فَاثِنِ
مِنْ جَمَالِ طِلَاوِهِ مِنْ دُخَانِ
فِي قُرُونٍ مَرَّتْ كَمَرُ الثَّوَانِي
طَالَ يُقْضَى فِي غَفْوَةِ الْوَسْنَانِ
لَمْ تُغَيَّبْ عَنْ وَرِيدِهَا شَفَتَانِ
قَدْ قَضَاهُ الْمَحِيطُ بِالْأَكْوَانِ
مِنْ قَدِيمِ الْآبَادِ وَالْأَزْمَانِ
وَبِأَمِّ الْكِتَابِ أَصْلُ الْبَيَانِ
قَدْ تَجَلَّى فِي الْجَدْيِ وَالسَّرَطَانِ
الْمَعِ النَّابِهَيْنِ فِي الْعِرْفَانِ
عَنْ شَبِيبِهِ وَعَنْ حُدُودِ الْمَكَانِ
مَا بِهِ ذَرَّةٌ بِغَيْرِ لِسَانِ
شَاكَرَاتٍ لِأَنْعُمِ الرَّحْمَنِ
فِي قُلُوبٍ تَفِيضُ بِالْإِيمَانِ
وَسَيَحْظَى الْمُطِيعُ بِالْغُفْرَانِ

كُلُّ شَيْءٍ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ حَيًّا
أُمُّ أَوْدَعَ الْمُهَيِّمُنُ فِيهَا
شَاكَرَاتٍ لِأَنْعُمِ اللَّهِ دَوْمًا
أَلْسُنُ سَبَّحَتْ بِذِكْرِ إِلِهِ
تِلْكَ شَتَّى عَوَالِمِ الْأَرْضِ إِلَّا
نَسِيَ اللَّهُ وَهُوَ نَشْوَانُ يَلْهُو
فَتَنَّتْهُ الدُّنْيَا وَالْهَاهُ غَاوٍ
زَيْنَ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ وَأَمْلَى
هَبَاءَ النَّفْسِ لَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ لَا بُدَّ يَلْقَى
تَتَقَضَّى دُنْيَاهُ يَوْمًا فَيَوْمًا
زُخْرُفٌ خَادِعٌ وَصَفْوٌ كَذُوبٌ
مُشْرِقَاتٌ أَغَارَهَا الْوَهْمُ تَوْبًا
مَرَّ طَيِّفًا كَلَمَحَةِ الْبَرْقِ يَسْرِي
إِنَّهُ الْعَمْرُ يَا أَبْنَ آدَمَ مَهْمَا
يُخْتَمُ الْعَمْرُ بِالرَّدَى وَهُوَ كَأْسٌ
فَإِذَا حُمَّ لَا مَرَدٍّ لِأَمْرِ
خَطٍّ فِي اللَّوْحِ مَا قَضَى لِلْبَرَايَا
يُثْبِتُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَمْحُو
هَكَذَا كُنْتَ يَا أَبْنَ آدَمَ نَوْرًا
قُدْرَةُ أَعْجَزَ التَّفَكُّرُ فِيهَا
قُدْرَةُ الْوَاحِدِ الْمُنَزَّهَ حَقًّا
صَاحِبُ الْأَمْرِ وَحْدَهُ فِي وُجُودٍ
تَمَلُّ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ حَمْدًا
إِنَّ ذِكْرَ إِلَهِ يُرْسَلُ نَوْرًا
أَكْثَرَتْ ذِكْرَ رَبِّهَا فَاطْمَأْنَنْتْ

مُطَمِّنًا فِي عُزْلَةٍ وَأَمَانٍ
حَافِظًا وَافِيًا عَظِيمَ الْحَنَانِ
قَدْ تَجَلَّى فِي نَضْرَةِ الرَّيْعَانِ
تَتَوَالَى بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
أَوْهَنْتَ عَظْمَهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ
ضَمَّمَهُ الرُّوحَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ مَنْ رَعَاكَ جَنِينًا
وَتَوَلَّاكَ بِالْعَنَايَةِ طِفْلًا
وَأَمَدَ الشَّبَابَ مِنْكَ بِعِزِّمْ
وَإِذَا مَا ضَعُفْتَ أَوْلَاكَ نُعْمَى
تِلْكَ أَلَاؤُهُ وَقَدْ صِرْتَ شَيْخًا
عَمَّ فَيَاضَ رِزْقُهُ كُلَّ حَيٍّ

عالم الله

وَأَقْتَدَارًا أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
بَعْدَ مَوْتٍ بِهِيجَةِ الْأَغْصَانِ
فِي بَسَاطِ مُرْصَعِ الْأَلْوَانِ
فِي جُذُوعِ النَّبَاتِ بِالْأَدْهَانِ
قُدْرَةٌ أَعْجَزَتْ قُوَى التَّبْيَانِ
مَا بَدَأَ نُورَ سِرِّهِ فِي جَنَانِ
ضَمَّمَهَا عِلْمُهُ بِأَجَلَى بَيَانِ
كُلَّ يَوْمٍ سُلْطَانُهُ فِي شَانِ
طَيِّبَاتِ الْأَعْمَالِ بِالْإِحْسَانِ
لَمْ يُصَدِّقْ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
فَهُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ لِلْأَبْدَانِ
وَجَنُوبًا وَشَمَالًا تَجْرِيَانِ
حَيْثُ مَالِ النَّسِيمِ بِالْأَغْصَانِ
فِي فَجَاجَاتِ عَالَمِ الدَّوَرَانِ
بِشِعَاعِ يَفِيضُ فِي الْأَكْوَانِ
وَيُنَمِّي عَنَاصِرَ الْأَبْدَانِ
جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ جُرْمِهَا النَّبِيرَانِ
وَبِسِرِّ التَّكْوِينِ تَتَّصِلَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ مَنْ أَمَاتَ وَأَحْيَا
يَبْعَثُ الْأَرْضَ كُلَّ عَامٍ فَتَحْيَا
تُنْبِتُ الْحَبَّ وَالتَّمَارَ وَتَزْهُو
يُمِزْجُ الْمَاءَ وَهُوَ يَجْرِي حَثِيثًا
كُلَّ شَرْبٍ لَهُ مِذَاقٌ وَطَعْمٌ
فَيُضْضِ عِلْمَ الْحَكِيمِ رَبِّ الْبَرَايَا
لَمْ يَدْعُ ذَرَّةً عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
مَالِكُ الْمُلْكِ نَافِذُ الْأَمْرِ فَرْدٌ
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُتَجَزَّى
وَيَنَالُ الْقَصَاصَ كُلُّ أَثِيمٍ
كُلُّ شَيْءٍ خَلَا مِنَ الْمَاءِ مَيِّتٌ
أَطْلَقَ الرِّيحَ زَعَزَعًا وَرُخَاءً
مُنْعِشَاتٍ لَوَافِحًا تَنْتَهَادِي
وَهَبَ الشَّمْسَ قُوَّةً فَأَضَاءَتْ
تُرْسِلُ النُّورَ مِنْ بَعِيدٍ مَدَاهَا
يَمْلَأُ الْأَرْضَ بِهَجَّةٍ وَحَيَاةٍ
تِلْكَ أُمُّ الْقُوَى وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا
هِيَ أُمُّ وَالْأَرْضُ لِلشَّمْسِ بِنْتُ

لم تهدد بِطَارِيءِ الْحَدَثَانِ
 فِي نِظَامِ الْجَدْيِ وَالسَّرَطَانِ
 وَعَلَيْهَا قَدْ أَشْرَقَ النَّيِّرَانِ
 وَحَبَّاهَا الْأَوْتَادُ مِنْ صَفْوَانِ
 وَجَمَالَ يَحْفُفُهَا الْقَمَرَانِ
 أَبْدَعَتْ سَيْرُهُ يَدُ الْإِتْقَانِ
 يَمْلَأُ اللَّيْلَ لَأْلَأَ مِنْ جُفَانِ
 سَخَّرَتْهُ الْآلَاءُ لِلْإِنْسَانِ
 غَيْثًا مِنْ هَاطِلِ هَتَّانِ
 أَكْسَبَتْهُ الْحَيَاةُ فِي عُنْفَوَانِ
 كِي يِعْمَ الْهَوَاءُ كُلَّ مَكَانِ
 مِنْ حَبِيثِ الْأُدْرَانِ وَالْدَّيْدَانِ
 وَأَمَدَّ الْحَيَاةَ بِالرَّيْعَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ فَنَانِ
 سَيَّرَتْهُ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
 فَوْقَ عَدِّ الْمَلِئُونَ فِي الْحُسْبَانِ
 فِي مَدَارٍ يَحُدُّهُ الْإِبْعَدَانِ

جَذَبَتْهَا يَدُ الْأُمُومَةِ حَتَّى
 وَهِيَ تَهْوِي كَالْبَرْقِ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ
 وَاسْتَوَتْ فِي مَدَارِهَا وَهِيَ تَجْرِي
 أَطْفَاءَ اللَّهِ سَطْحَهَا وَدَحَاهَا
 دَارَتْ الْأَرْضُ فِي اتِّزَانٍ وَأَمْنٍ
 تَمَّ لِلشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ نِظَامُ
 يَجْمَعُ الْأَرْضَ فِيهِ وَالْبَدْرُ يَجْرِي
 عَالَمُ الشَّمْسِ أَبَدُ الْخَلْقِ صُنْعًا
 وَلَدَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَأَجْرَى الْمَاءَ
 وَأَمَدَّ النَّبْتَ الْبَهِيحَ بِرُوحٍ
 وَأَطَارَ الرِّيَّاحَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 وَأَبَادَ الْوَهِيحُ كُلَّ كَرِيهِ
 طَهَّرَ الْأَرْضَ وَالَّذِي دَبَّ فِيهَا
 لَوْ تَوَارَتْ أَشَعَّةُ الشَّمْسِ يَوْمًا
 يَا أَبْنَى حَوَاءَ كَوَكَبُ الشَّمْسِ عَبْدُ
 هُوَ يَرْبُو عَنْ كَوَكَبِ الْأَرْضِ جَرْمًا
 شَقَّ جَوْفَ السَّمَاءِ كَالْبَرْقِ يَجْرِي

في قبضة الله

طَاعَةَ الْعَبْدِ لِلنَّذَا الرَّبَّانِي
 حِينَ نَادَى مُسِيرُ الْأَكْوَانِ
 تَذَكَّرُ اللَّهَ خِيفَةً كُلَّ آنٍ
 وَحَبَّتْهَا بِفَيْضِهَا النُّورَانِي
 كُلُّ نَجْمٍ يَدُورُ فِي حُسْبَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ تَدْبِيرُهُ فِي شَانِ
 رَتَّبَتْ عِقْدَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ

يَا أَبْنَى حَوَاءَ أَمَكِ الْأَرْضُ أَذَتْ
 جَاءَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ طَوْعًا
 سَابَحَاتِ الْأَفْلَاكِ فِي كُلِّ بُرْجٍ
 سَيَّرَتْهَا يَدُ الْعِنَايَةِ لُطْفًا
 بِاسْمِ رَبِّ السَّمَاءِ كَالْبَرْقِ تَجْرِي
 قُدْرَةُ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ تَعَالَى
 فَلَكَ دَائِرٌ بِأَبْهَى نِظَامٍ

شاكراتُ أَجْرَامِهِ فَضَّلَ رَبٌّ
صَانِعُ مُبْدِعٌ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
لَمْ يُكَيِّفْ وَلَمْ يُشَبِّهْ بِمِثْلٍ
كَانَ فَرْدًا وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَيْءٌ
بَدَأَ الْخَلْقَ وَالْعَوَالِمَ ذَرًّا
رَافِعًا سَمَكَهَا بِغَيْرِ عِمَادٍ
زَيْنَتْهَا كَوَاكِبٌ لَامِعَاتُ
كَالدَّرَارِيِّ تَطُوفُ فِي كُلِّ بُرْجٍ
سَارِيَّاتٍ ثَوَابِتٍ مَشْرِقَاتٍ
تِلْكَ سَبْعُ مُحَلَّقَاتٍ طِبَاقٍ
وَالِىَ الْأَرْضِ وَهِيَ جَرْدَاءُ قَحْلُ
مَنْ أَجَاجَ أَجْرَى فُرَاتًا مَعِينًا
أَنْزَلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ سَيْوُولُ
صَيَّرَ التُّرْبَ وَهُوَ يَنْسَابُ طِينًا
وَبَمَرِ الْهَوَاءِ دَبَّتْ حَيَاةٌ
أَكْسَبَتْهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ دِفْنًا

قَدْ حَبَّأَهَا بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
مُعْجِزٌ وَصَفُهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
وَمُحَالٌ إِدْرَاكُهُ بِالْعِيَانِ
أَبَدِيٌّ لَمَّا يَغِبُ عَنْ مَكَانٍ
تَمَّ خَلْقًا فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
وَالسَّمَوَاتِ شَادَهَا مِنْ دُخَانٍ
جَلَّ شَأْنًا وَعِزَّةٌ خَيْرٌ بَانَ
مِنْ شُمُوسٍ وَمِنْ بُدُورٍ حِسَانٍ
فِي اتِّزَانٍ مِنْ شَرَعَةِ الدُّورَانِ
سَابِحَاتٍ فِي الْخُوتِ وَالسَّرَطَانِ
قَدْ تَقَضَّى فِي صُنْعِهَا يَوْمَانِ
أَرْسَلَ الْمَاءَ فَالتَقَى الْبَحْرَانِ
مَنْ أَعَالَى الرَّبُّبَى إِلَى الْوُدَيَانِ
مَاطِرَاتٌ مِنْ سَلْسَلِ هَتَّانِ
كِي تُسَوَّى عُنَاصِرُ الْحَيَوَانِ
حَرَّكَتْ فِيهِ دَوْلَةُ الدِّيْدَانِ
وَنُومُوا وَنَفَحَتْ مِنْ دِهَانِ

الله القادر

آيَةُ الشَّمْسِ فِي الْوُجُودِ حَيَاةٌ
دَبَّ فَوْقَ الثَّرَى عَوَالِمُ شَتَّى
وَبَبْطُنِ الثَّرَى أُعِدَّتْ كُنُوزُ
مِنْ فُحُومٍ وَمَعْدِنٍ وَعُيُونٍ
وَعَقَاقِيرَ مِنْ جَوَاهِرٍ أَغْيَا
حَضَرَتْهَا يَدُ الْحَكِيمِ لِنَحْيَا
خَبْرَةَ الْوَاحِدِ الْمَحِيطِ جَلَالًا

وَعَلَى الْأَرْضِ آيَةُ الْعُمْرَانِ
وَنَمَا النَّبْتُ وَارِفَ الْأَغْصَانِ
أَوْدَعَتْ مَا بِهَا يَدُ الْحَنَّانِ
مُفْعَمَاتٍ بِالزَّيْتِ وَالْأَذْهَانِ
فَهُمْ إِدْرَاكِهَا قُوَى الْأَذْهَانِ
سَالِمَاتٍ عَوَالِمُ الْحَيَوَانِ
بِجَمِيعِ الْأَفْلَاكِ وَالْأَكْوَانِ

وَحَبَّاهَا الْأَقْوَاتَ بِيضَ الْأَمَانِي
 لَوْ تَوَلَّيْتُهُ نُضْرَةً الرَّيْعَانِ
 فِيهِ تَسْرِي عَنَاصِرُ الْأَبْدَانِ
 عَزَّ بُعْدًا عَنْ عَالَمِ الْإِمْكَانِ
 خَيْرَ مَهْدٍ لِدَوْلَةِ الْإِنْسَانِ
 بَاسِطُ الرِّزْقِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
 لَمْ يَغِبْ نُورُ ذَاتِهِ عَنْ مَكَانِ
 وَلَهُ النُّجْمُ وَالنُّرَى يَسْجُدَانِ
 فِي نِظَامِ الْمَلَكَوَاتِ لِلرَّحْمَنِ
 أَرْلِي مُهَيِّمِينَ صَمْدَانِي
 مَالِكُ الْمُلْكِ لَمْ يَشَارِكْهُ ثَانِ
 مِنْ لَدُنْهُ جَرَى بِهِ حَرْفَانِ
 قَدَرٌ نَافِذٌ بَغِيرِ تَوَانِ
 وَاحِدُ الطَّوْلِ فِي قُوَى السُّلْطَانِ
 وَمُحِيطٌ بِالْجَهْرِ وَالْكِتْمَانِ
 وَاسِعُ الْعَفْوِ لَمْ يُعْجَلْ بِجَانِ
 قَبْلَ ضَمِّهِ لِلْأَرْوَاحِ لِلْجُسْمَانِ
 لَمْ يُؤَخَّرْ عَنِ الْمَدَى وَالْمَكَانِ
 ضَمَّ أَطْوَارَهَا دَقِيقُ الْبَيَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ أَقْدَارُهُ فِي شَانِ
 وَأَمَدُ الْبَحَارِ سَبْعُ دَوَانِ
 كَلِمَاتُ الْمَحِيطِ رَبُّ الْبَيَانِ
 سَابِغَاتٍ مِنْ غَيْثِهِ الْهَتَّانِ
 أَنْ تَنَالَ الْإِحْصَاءَ فِي الْحُسْبَانِ
 طَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ لِلْعُمْرَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ طَوْعُ الْبَنَانِ
 يَتَبَارَى فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِانِ

أَوْدَعَ الْأَرْضَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا
 كُلُّ جِسْمٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ يَحْيَا
 وَأَدِيمُ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا
 لَمْ يَغِبْ عَنَصَرٌ عَنِ الْأَرْضِ مَهْمَا
 تَمَّ لِلْأَرْضِ أَمْرُهَا حَيْثُ بَاتَتْ
 بَارَكَ اللَّهُ مَا بِهَا وَعَلَيْهَا
 مَنْ كَرَبَ الْعُلَا تَفَرَّدَ حُكْمًا
 بَيْنَ حَرْفَيْنِ كُلَّمَا شَاءَ يَقْضِي
 كُلُّ حَيٍّ قَدْ ضَمَّهُ الرُّوحُ عَبْدٌ
 صَاحِبِ الطَّوْلِ فِي جَلَالٍ وَمُلْكٍ
 لَمْ يُشَبَّهْ وَلَمْ يُمَاتِلْهُ شَيْءٌ
 مُطْلَقُ الْحُكْمِ لَا مَرَدٍّ لِأَمْرِ
 أَمْرُهُ الْأَمْرُ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ
 إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
 وَاهِبِ النُّورِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ
 قَاهِرٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 كُلُّ هَذَا فِي اللَّوْحِ بَادِيءٌ بَدِءٍ
 سَجَّلَتْهُ يَدُ الْقَضَاءِ نَفَادًا
 لَمْ يَغَادِرْ نَفْسًا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
 سُنَّةُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ تَجَلَّتْ
 لَوْ أَجَاغَ الْبَحَارِ صَارَ مَذَادًا
 نَفَدَ الْمَاءُ قَبْلَ أَنْ تَتَقَضَّى
 فَيُضْ بِرٍّ عَلَى الْخَلَائِقِ أَسْدَى
 نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تَعْدُ وَحَاشَا
 مَنْعَمٌ يَمْنَحُ الْبَرَايَا جَمِيعًا
 رَازِقٌ مُحْسِنٌ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ
 كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ مِنْ كَائِنَاتٍ

يوم البعث والوعيد

وَتَغِيضُ الْجَنِينَ قَبْلَ الْأَوَانِ
وَبَرِيقُ الْأَبْصَارِ فِي لَمَعَانِ
مَلَأَ الرُّعْبُ فِيهِ كُلَّ مَكَانٍ
وَسَيُولُ الرُّخْضَاءُ كَالطُّوفَانِ
أَوْ مُجِيرٌ مِنَ أَلْسِنِ النَّيِّرَانِ
يَذَرُّ الْوَيْلَ وَهُوَ رَأْيُ الْعِيَانِ
وَمَشَى الْخَوْفُ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
كُلُّ فَرْدٍ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ
نَافِذُ الْأَمْرِ وَاهِبُ الْغُفْرَانِ
وَجَلَالٌ أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
وَنَفْوذٌ يَقْضِي بَغِيرَ تَوَانٍ
سَجَّلَتْهُ مَهْمَا نَأَى الشَّفَتَانِ
وَصَدَاهُ يَجُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
لِيَزْكِيَ مَا سَطَرَ الْكَاتِبَانِ
سَوْفَ يُدْلِي بِمَا جَنَّتُهُ الْيَدَانِ
وَاسْتَطَارَتْ بَوَاعِثُ النَّسِيَانِ
بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانٍ
سَاعَةُ الْفَصْلِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
جَاءَ حَقًّا فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
وَجُحُودًا هَوَى إِلَى النَّيِّرَانِ
سَوْفَ يُلْقَى عَوَاقِبُ الْكُفْرَانِ
أَثْقَلْنَهَا الْأَغْلَالُ لِلْأَذْقَانِ
مَنْ جَحِيمٌ وَهَاجَةِ الْأَرْكَانِ
وَسَيُولُ الْحَمِيمُ فِي غَلِيَانٍ
: رَبِّ زِدْنِي مِنْ طَعْمَةِ الْإِنْسَانِ!
يَشْمَلُ الْكَوْنُ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانِ

صَيَحَّةُ الْقَهْرِ تَجْعَلُ الْوُلْدَ شَيْبًا
وَتَهْدُ الْقُلُوبَ دُعْرًا وَهَوْلًا
مَوْقِفٌ يُورِثُ الذُّهُولَ عَسِيرٌ
زَائِغَاتٌ فِيهِ النَّوَاطِرُ حَيْرَى
لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ نَصِيرٌ
لَا فِدَاءٌ مِنْ كَرْبِهِ أَوْ شَفِيعٌ
خَشَعَ الصَّوْتُ غُصَّةً فَهُوَ هَمْسٌ
وَانْكَسَارًا فِي ذِلَّةِ الْعَبْدِ أَضْحَى
مَلِكٌ قَادِرٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
هَيْبَةٌ تَرْجِفُ الْعَوَالِمَ مِنْهَا
وَاقْتِدَارٌ أَطَاعَهُ كُلُّ حَيٍّ
حُكْمُهُ الْحُكْمُ لَا يَبْدُلُ لَفْظٌ
ذَرُّهُ يَمْلَأُ الْهَوَاءَ وَجُودًا
أَبَدَ الدَّهْرِ لَفْظُهُ سَوْفَ يَحْيَا
أَيَّنَ مِنْهُ الْمَقَرُّ وَهُوَ شَهِيدٌ
حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ خُشُوعٌ
وَتَلَقَّتْ أَعْمَالُهَا كُلُّ نَفْسٍ
إِنْ هَذَا يَوْمُ الْوَعِيدِ وَهَذِي
بَاغْتَتَكُمُ مِصْدَاقُ قَوْلِ حَكِيمٍ
كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كِبْرًا
بِتَسِ مَنَوَاهُ فِي الْجَحِيمِ وَعَذْلًا
وَسَيَصْلَى السَّعِيرَ فِي أَصْفَادٍ
دَرَكَاتٍ سَبْعُ طَبَاقٍ عَذَابٍ
سَارِيَّاتِ السُّمُومِ تَنْسَابُ فِيهَا
يَوْمٌ يُدْعَى: هَلْ امْتَلَأَتْ؟ وَتَدْعُو
مَنْ كَرَبَ الْعُلَا يَدِيرُ نِظَامًا

رَقِيبٌ عَلَى الْوَرَى كُلِّ آنٍ
 هُمْ جُنُودُ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
 كُلُّ سِرْبٍ مُسَبِّحٌ بِلسَانٍ
 أَزَلِّيٍّ مُطْمَئِنٌّ لِلْجَنَانِ
 فِي دَوَامٍ فَرِيضَةٍ الشُّكْرَانِ
 خَيْرَ هَادٍ لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ
 يَوْمَ نَادَى الْقَضَاءُ أَنْ أَوَانِي
 وَلِمَنْ خَافَ نِقَمَتِي جَنَّتَانِ
 يَا مُجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
 بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَخَدْعِ الْأُمَانِي
 مَا تَبَدَّى مِنْ زُخْرِفٍ فَتَّانِ
 فَتَدَّهَوْرَتْ فِي مَهَاوِي الْهَوَانِ
 سَاقَكَ الطَّيْشُ لِلطَّلَا وَالْغَوَانِي
 خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
 بَيْنَ كَأْسٍ وَقَيْنَةٍ وَأَغَانِي
 أَشْعَلَتْ نَارَهَا وَعُودُ الْأُمَانِي
 فَتَمَادَتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ
 وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
 كَيْفَ بَاتَتْ فَرِيْسَةَ الشَّيْطَانِ
 سِرٌّ إِعْرَاضَهَا عَنِ الْإِيمَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو لِعَيْنِكَ فَإِنْ
 فَتَقَيَّقُظْ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْنَانِ
 لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ سِرٌّ لِحَبَانِي
 أَنَّ رَبَّ الْوُجُودِ نُورُ الْمَكَانِ
 مِنْ بَطُونِ الثَّرَى أَوْ الْقُطْبَانِ
 فِي كُھُوفِ الْأَصْدَافِ وَالْحَيَاتَانِ
 كُنْ مَعَ اللَّهِ تَحَظُّ بِالْغُفْرَانِ

مَلِكُ عَرْشِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
 حَوْلَ أَرْجَائِهِ الْمَلَائِكُ صُفَّتْ
 رُكَّعًا سُجَّدًا قِيَامًا قُعُودًا
 زِكْرُهُ يَمْلَأُ الْوُجُودَ جَلَالًا
 سَبَّحَ اللَّهَ كُلُّ شَيْءٍ لِتَبْقَى
 جَلَّ شَأْنُ الْقَدِيرِ رَبِّ الْبَرَايَا
 وَارِثُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ جَمِيعًا
 قَوْلُهُ الْحَقُّ إِذْ يَقُولُ أُخْشَوْنِي
 يَا أَبْنَ حَوَاءَ يَا صَرِيحَ الْمَلَاهِي
 يَا جَهُولًا حَمَلْتَ نَفْسَكَ إِثْمًا
 وَسَبَّكَ الدُّنْيَا وَعَرَّكَ مِنْهَا
 قَادَكَ الْحُمُقُ لِلضَّلَالَةِ أَعْمَى
 وَتَفَانَيْتَ فِي الْمَلَذَّاتِ حَتَّى
 فَتَهَالَكْتَ فِي ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
 تَسْهَرُ اللَّيْلَ فِي سُرُورٍ وَأُنْسٍ
 مُشْبِعًا يَا ظُلُومَ مَطْمَعِ نَفْسٍ
 زَيْنَ الشَّرِّ حَوْلَهَا كُلُّ شَيْءٍ
 لَا تَرَى النُّورَ إِذْ تَحَجَّبَ عَنْهَا
 إِنَّهَا النَّفْسُ يَا أَبْنَ آدَمَ فَانْظُرْ
 مَا دَعَاها إِلَى الْغَوَايَةِ إِلَّا
 يَا أَبْنَ حَوَاءَ إِنَّمَا الْعَيْشُ نَوْمٌ
 وَتَمَادِيكَ فِي غُرُورِكَ جَهْلٌ
 وَخَشَ عَيْنَ الرَّقِيبِ فَهُوَ شَهِيدٌ
 أَيْنَمَا كُنْتَ يَا أَبْنَ آدَمَ فاعْلَمْ
 لَوْ حَوَّتْكَ الْجُوزَاءُ أَوْ أَعْمَاقُ
 أَوْ تَسْتَرَّتْ تَحْتَ لُجٍّ خِصَمٌ
 يَا سَلِيلَ الثَّرَابِ أَنْتَ ضَعِيفٌ

فَصَلَّتْهُ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ
 رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْحَنَانِ
 مِنْ كَلَامِ الْمُهَيِّمِنِ الرَّحْمَنِ
 صَادَقَ الْوَعْدِ وَأَضَحَ التَّبَيَّانِ
 وَيُوصِّي بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 كَيْ تَقْوَى دَعَائِمُ الْعُمْرَانِ
 وَبَشِيرًا بِخَالَدَاتِ الْجَنَانِ
 قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِالْقُرْآنِ
 فَاضْ نُورًا بِسَامِيَّاتِ الْبَيَانِ
 عَرَبِيٌّ الْمَبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي
 حِينَ شَاءَتْ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
 وَلَدَّتْهُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
 عَزَّ قَدْرًا عَنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
 عَبَقَرِيَّ النُّهَى عَظِيمِ الْجَنَانِ
 نُورُ طَهْ وَكَبَّرَ الْمَشْرِقَانِ
 رَفَعَ الدِّينَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
 كُلُّ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
 حَرَفَ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَدْيَانِ
 حِينَ وَافَى الْأَمِينُ بِالْفُرْقَانِ
 يُرْشِدُ النَّفْسَ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
 شَاغَلَتْهَا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ
 تُنْقِذُهَا مِنْ ثَوْرَةِ الْعِصْيَانِ
 تَتَوَارَى عَنْ مُفْزَعَاتِ الْأَمَانِي
 تَذْكُرُ اللَّهَ خِيفَةً كُلَّ أَنْ
 تَتَحَلَّى بِالسَّابِقَاتِ الْحَسَانِ
 فِيهِ تَبْقَى سَعِيدَةً فِي أَمَانِ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
 أَرْسَلْتُهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
 فِي كِتَابِ آيَاتِهِ مُحْكَمَاتٌ
 جَاءَ هَدْيًا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
 يَجْعَلُ الْعُرْفَ لِلْعِبَادِ شِعَارًا
 وَعَنِ الْبَغْيِ وَالْفَوَاحِشِ يَنْهَى
 وَبِنَارِ الْجَحِيمِ جَاءَ نَذِيرًا
 إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عَلِيمٍ حَكِيمٍ
 كُنْزُ عِلْمِ آيَاتِهِ بَيِّنَاتٌ
 زَاخِرٌ بِالْهُدَى كِتَابٌ مُبِيرٌ
 أَنْزَلْتُهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ بُشْرَى
 أَنْ يَبِيدَ الدِّينَ الْحَنِيفَ ضَلَالًا
 لَقِنَ الْوَحْيَ آيَهُ لِنَبِيِّ
 خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
 هَلَّلَ الْكَوْنُ إِذْ تَلَأَلَ فِيهِ
 خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ خَيْرُ حَنِيفٍ
 أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ يُصَلِّي
 جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرَّسَالَةِ لَمَّا
 وَعَلَى النَّاسِ نِعْمَةُ اللَّهِ تَمَّتْ
 إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خَيْرُ صِرَاطٍ
 أَيُّهَا النَّاسُ خَالِفُوا غَيَّ نَفْسٍ
 طَهَّرُوهَا مِنَ الرِّذِيلَةِ حَتَّى
 حَارَبُوهَا بِالطَّيِّبَاتِ عَسَاهَا
 حَذَرُوهَا عَيْنَ الرَّقِيبِ لَكُمَا
 عَوَّدُوهَا عَلَى الْفَضِيلَةِ حَتَّى
 أَلْبَسُوهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ نُورًا

خَيْرُ زَادٍ لِلْمَنْهَلِ النَّفْسَانِي
 لَوْ تَمَادَتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعُصْيَانِ
 يَتَلَاشَى مَهْمَا بَدَأَ كَالدُّخَانِ
 كَمَنَامٍ يَمُرُّ مَرَّ الثَّوَانِي
 لَمْ يُفَكِّرْ فِي يَقْظَةِ النَّدْمَانِ
 مَا صَفَا الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِهَانِي
 كَانَ حُلُمًا فِي جَوْلَةِ الْوَسْنَانِ
 مَلَكَ الْمَوْتِ فِي حُلُولِ الْإَوْنِي
 وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
 وَطَوَاهُ فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
 فِيهِ أُمْسَى فَرِيَسَةِ الدِّيْدَانِ
 حَوَلَتْهَا ذَرًّا يَدُ الْحَدَثَانِ
 كُلُّ جِسْمٍ يَضُمُّهُ عَالَمَانِ
 وَخَلُودٌ فِي الْعَالَمِ النُّورَانِي
 وَمَقَامُ الْخُلُودِ لَيْسَ بِفَانِ
 يَوْمَ عَرْضِ الصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ
 بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَأَمَانِ
 وَالْمَخَازِي تَمَثَّلَتْ لِلْعِيَانِ
 مُرْسَلَاتٌ لَوَائِمَ النَّيِّرَانِ
 فِي دَوِيٍّ يَرْوَعُ كُلُّ جَنَانِ
 وَأَزِيرٌ يَجُوبُ كُلَّ مَكَانِ
 كَالْفَرَاشِ الْمَبْنُوثِ فِي الْقِيْعَانِ
 كَحَمِيمِ السَّعِيرِ فِي غَلِيَانِ
 مَرَّ بِالْقَلْبِ وَالنَّهْيِ وَاللِّسَانِ
 صَدَقَ الْوَعْدُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
 لَمْ يُغَيِّبْ عَنْ حَشْدِهِ أَصْغَرَانِ
 وَاعَدَ الْمُؤْمِنِينَ خُلْدَ الْجَنَانِ

رَوْدُوهَا التَّقْوَى فَإِنَّ جَنَاهَا
 ذَكَّرُوهَا أَنَّ الْجِسَابَ عَسِيرُ
 وَجَمَالُ الدُّنْيَا الَّذِي يَسْتَبِيهَا
 سَنَوَاتُ الْأَعْمَارِ تَجْرِي سِرَاعًا
 سَاخِرَاتُ أَيَّامِهَا مِنْ ظُلُومِ
 ضَاغِكَاتٍ وَالْمُعْغِرِيَاتُ تُنَادِي
 كُلُّ عُمْرٍ مَهْمَا تَرَأَى طَوِيلًا
 صَحْوَةٌ أَيْقَظُ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا
 دَهَمُ النَّفْسِ حِينَ حُمَّ قَضَاءُ
 خَلَفَ الْجِسْمَ فِي سُكُونٍ وَرَهْبٍ
 وَإِلَى الرَّمْسِ حَيْثُ وَارَاهُ تُرْبُ
 نَاخِرَاتُ يَدِ الْبَلَى فِي عِظَامِ
 جِئَمَةِ الْمَوْتِ فِي الْوُجُودِ انْتَقَالَ
 عَالَمُ الظُّلْمَةِ الْقَصِيرُ مَدَاهُ
 أَيُّهَا النَّاسُ لِلْبَقَاءِ خُلِقْتُمْ
 كُلُّ جِسْمٍ بَعْدَ الْبَلَى سَوْفَ يَحْيَا
 وَتُوفَى مَا قَدَمَتْ كُلُّ نَفْسٍ
 حَصْحَصَ الْحَقُّ وَالْمَوَازِينُ قَسْطُ
 وَعُيُونُ الْجَجِيمِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 فِي زَفِيرٍ كَقَاصِفِ الرَّعْدِ يَجْرِي
 لَهَبٌ يَخْطِفُ النَّوَاطِرَ رُغْبًا
 حَوْلَ حَشْدٍ تَكْدَسُ الْخُلُقُ فِيهِ
 وَسَيُولُ الرُّحُضَاءُ تَنْسَابُ مُهَلًا
 وَقَدَةُ الْحَشْرِ ضَاعَفَتْ كُلَّ كَرْبٍ
 هَذِهِ السَّاعَةُ الَّتِي قَدْ وَعِدْتُمْ
 مَوْقِفٌ لِلْجِسَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ
 كَمْ أَفَاضَ التَّنْزِيلُ عَنْهُ بَيَانًا

وَحَبَاكُمُ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
 شَمَلْتُكُمْ فِي رَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
 خَالِقِ الْخَلْقِ فَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 وَحَدَّهَ فِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
 أَوْرَثْتَهَا الْبَلَى يَدُ الْحَدَثَانِ
 كَانَ يَطْوِي الْأَحْقَابَ فِي الْأَكْفَانِ
 يَمْلَأُ الْبَيْدَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
 سَابِحَاتٍ فِي لُجَّةِ النَّدْمَانِ
 كَانَ يَغْشَى مَحَاجِرَ الْوُسْنَانِ
 وَعُتُوا وَشَدَّهَ الْغَاوِيَانِ
 عَنْ رَبِّ الظُّلُمِ رَايَةُ الْعِصْيَانِ
 قَدْ تَلَاسَّتْ سَفَاهَةُ النُّكْرَانِ
 نَبَذْتُكُمْ مَرَاجِمُ الْغُفْرَانِ
 مُسْتَجِيبِينَ دَعْوَةَ الشَّيْطَانِ
 وَتَجَلَّى مَا أَغْفَلَ النَّظِيرَانِ
 أَنْ يَرَى الظُّلْمَ نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ
 وَسَلَامٍ وَجَنَّةٍ وَتَهَانِي
 وَالشَّيَاطِينَ طُعْمَةَ النَّيِّرَانِ
 كَدَوَابِّ تَفَنَّى بِمَرِّ الزَّمَانِ
 فَضَلْتُكُمْ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ
 زَوَّدْتُكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 وَهَدَاكُمُ لِلْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ
 يَوْمَ هَوْلِ الْخُرُوجِ فِي أَطْمِنَّانِ
 وَبِخُلْدِ الْأُخْرَى لَهَا جَنَّتَانِ
 هَا وَعِيدِي وَالْوَيْلُ مِنْ سُلْطَانِي
 كَيْفَ يَنْجُو مَنْ نِقْمَتِي مَنْ عَصَانِي؟
 أَبْعَدُوكُمْ عَنْ طَاعَتِي وَحَنَانِي

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ رَعَاكُمْ حَلِيمًا
 وَأَفَاضَتْ أَيْدِيهِ أَكْبَرَ نِعْمَى
 غَيْرُ نُورِ الْوُجُودِ رَبِّ الْبَرَايَا
 بَاعِثُ الْعَالَمِينَ فِي مَلَكُوتِ
 مِنْ رُفَاتٍ تَكْدَسَتْ فِي قُبُورِ
 نَاشِطَاتٍ تَقُومُ بَعْدَ رُقُودِ
 كَجَرَادٍ يَفِرُّ مِنْ أَجْدَاثِ
 ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ جَمُوعِ سُيُولِ
 كَشَفَ الْمَوْقِفُ الرَّهِيْبُ غِطَاءَ
 أَسْدَلْتُهُ حِمَاقَةَ الْجَهْلِ كِبْرًا
 إِنَّهُ الْحَقُّ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَهْوِي
 أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ بُعِثْتُمْ وَعُدَلَا
 وَعَمِيتُمْ عَنْ الْهَدَايَةِ حَتَّى
 فَقَضَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ فِي ضَلَالٍ
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ
 فَهَلُمُّوا إِلَى الْحِسَابِ وَحَاشَا
 إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمْنُ
 أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَأَنْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ مَا خَلَقْتُمْ لِتَحْيُوا
 بَلْ حَبَبْتُكُمْ مَوَاهِبُ وَعَقُولُ
 نِعْمَةُ اللَّهِ حِينَ تَمَّتْ عَلَيْكُمْ
 كَرَّمَ اللَّهُ خَلْقَكُمْ وَرَعَاكُمْ
 كُلُّ نَفْسٍ تَخْشَى إِلَهَهُ سَتَمَشِي
 لَقَيْتُهَا الدُّنْيَا قَرِيرَةً عَيْنٍ
 خَلَقَ الرُّعْبُ وَالْمَلِكُ يُنَادِي:
 يَا عُصَاةَ الرَّحْمَنِ حَلَّ بَلَائِي
 مَا جَنُودَ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ

إِنَّهُ الْفَصْلُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
 سَوْفَ يُجْزَى الْمُسِيءُ بِالْجِرْمَانِ
 كَانَ يَخْشَى بَطْشِي وَلَا يَنْسَانِي
 قَدْ وَعَدْتُمْ بِهِ وَذَا غُفْرَانِي
 فِي قُصُورٍ أَعَدَّهَا رِضْوَانِي
 وَصَبَرْتُمْ عَلَى كُرُوبِ الزَّمَانِ
 وَجَزَاءُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ!
 يَا عِبَادِي بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِانِ
 يَتَجَلَّى الْيَقِينُ مِلءَ الْعِيَانِ
 عَرَضِيٌّ مَهْمَا تَرَفَّهَ فَإِنْ
 وَازْرَعُوا فِيهِ زَهْرَةَ الْإِيمَانِ!
 فِيهِ يَسْعَى إِلَى الرِّضَا الرَّبَّانِي
 بِجَدِيدٍ وَمَا بَدَأَ النَّيِّرَانِ
 تَأْمَنُ النَّفْسُ زَفْرَةَ النَّدْمَانِ
 أَشْعَلَتْهُ حِمَاقَةُ الْهَذْيَانِ
 تُبْعِدُوهُ عَنْ غِلْظَةِ النَّهْمَانِ
 فَإِذَا ضَاعَ ضَيَّعَتْهَا الْأُمَانِي
 لِلْحَيَاتِينَ أَثْبَتَ الْبُنْيَانِ
 تَأْمَنُوا فِي الْقِيَامِ عَضَّ الْبَنَانِ
 أَسْدَلَتْهُ أَصَابِعُ الشَّيْطَانِ
 شَنَّ حَرْبًا عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ
 مَالِكُ الْمُلِكِ أَمْرُهُ حَرْفَانِ
 لِلْبَدِيعِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
 وَاسْتَفَزَّتْهُ حَمَاءُ الْعِصْيَانِ
 أَمَرَ رَبِّ الْعُلَا عَظِيمِ الشَّانِ
 خَالِقُ مِنْهُ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
 وَتَسَامَى التَّقْدِيسُ لِلرَّحْمَنِ

لَا فِدَاءٌ وَلَا شَفِيعٌ يُرَجَّى
 وَاقْتِدَارِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
 إِنَّ عَفْوِي يَنْأَلُهُ كُلُّ عَبْدٍ
 أَيُّهَا الْمُحْسِنُونَ هَذَا نَعِيمِي
 فَهَلُمُّوا إِلَى فِرَادِيسِ خُلْدٍ
 وَسَلَامٍ لَكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ
 إِنَّ هَذَا وَعْدِي وَقَدْ تَمَّ وَعْدِي
 فَهَنِيئًا لَكُمْ نَعِمَتُمْ وَفُزْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ حَارِبُوا النَّفْسَ زُهْدًا
 وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِأَمْتِهَانِ مَتَاعٍ
 طَهَّرُوا الْقَلْبَ مِنْ بُذُورِ الْخَطَايَا
 وَاجْعَلُوا الذِّكْرَ زَادَهُ فَهُوَ نُورٌ
 وَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا جَاءَ فَجُرْ
 وَاسْلُكُوا لِلْهُدَى صِرَاطًا سَوِيًّا
 زَوِّدُوهَا التَّقَى فَيَخْبُو سِرَاجٌ
 وَأَمْلِكُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَيَقِينَا
 إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنَّفُوسِ جَمَالٌ
 وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخِرَافَاتِ وَابْنُوا
 وَأَقْصِرُوا فِي الْخُطَا وَعَنُّوا وَتُوبُوا
 وَأَزِيحُوا عَنِ الْعَيُونِ سِتَارًا
 أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطْيَعُوا عَدُوًّا
 لَمْ يُطِيعْ فِي السُّجُودِ أَمْرَ إِلَهٍ
 كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ
 أَيُّ مَقْتٍ لِمَنْ تَمَرَّدَ كِبَرًا
 أَغْضَبَ اللَّهَ إِذْ أَبَى أَنْ يُلَبِّيَ
 يَا عِبَادِي أَسْجُدُوا لِأَدَمَ إِنِّي
 سَجَدَ الْكُلُّ طَائِعًا فِي خُضُوعٍ

وَنَأْبَى عَنِ السُّجُودِ شَقِيٍّ
مَلَأَ الشَّرُّ نَفْسَهُ كِبْرِيَاءَ
إِيهِ ... إبليسُ لَعْنَةُ اللَّهِ حَلَّتْ
كَيْفَ تَنْجُو مِنْ نِقْمَتِي وَعِقَابِي
قال: رَبِّي ذَرْنِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ
سَوْفَ يَغْوِي أَبْنَاءَ آدَمَ مَكْرِي
وَأَبْثُ الْفَسَادَ فِيهِمْ وَكَيْدِي
وَأَوْزُ النِّفَوسِ أَزًّا فَتَهْوِي
سَابِحَاتٍ فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خِيَالٍ
سَوْفَ تَبْقَى كَمَا تَمَنَيْتِ حَتَّى
يَوْمَ عَرْضِي لِمَنْ خَلَقْتُ وَلَمَّا
وَأَدْعُ إبليسُ مَا اسْتَطَعْتَ وَغَرَّرَ
هَذَا سَعِيرِي وَزَمَهْرِيرِي يَدْعُو
يَوْمَ أَدْعُو: هَلِ امْتَلَأَتْ؟ وَغَيْظًا
وَتُنَادِي غَضَبًا: هَلِ مِنْ مَزِيدٍ؟
أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمَكْدُوبُ هَيَّا
ذَا سَعِيرِي مُوجَّجٌ وَحَمِيمِي
فَهْلُمُوا إِلَيَّ يَا مَنْ كَفَرْتُمْ
أَنَّ إبليسَ أَنَّ أَذِيكَ هُوَ لِي
يَا سَجِينِي أَنَّ الْقِصَاصَ وَهَذَا
يَا عَدُوَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كُنْتَ حَرْبًا
كُنْتَ تَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ وَتَسْعَى
كَمْ تَرَبَّصْتَ بِابْنِ آدَمَ حَتَّى
وَنَصَبْتَ الشِّبَاكَ كَيْدًا وَمَكْرًا
قُضِيَ الْأَمْرُ وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ
ذُقْ أَشَدَّ الْعَذَابِ يَا شَرَّ غَاوٍ
يَا رَجِيمَ الدَّارَيْنِ بِئْسَ خُلُودٌ

ضَلَّلَتْهُ حِمَاةُ الطُّغْيَانِ
بَاءَ مِنْهَا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ
يَا رَجِيمًا خَسِئَتْ مِنْ شَيْطَانٍ!
أَيُّ عَبْدٍ يَفِرُّ مِنْ سُلْطَانِي؟
فِي ضَحَاهُ سَيُحْشَرُ الثَّقَلَانِ
وَاخْتِيَالًا يُطْغِيهِمْ شَيْطَانِي..
يُلْبِسُ الرُّشْدَ طَلْسَمَ النَّسْيَانِ
فِي حَضِيضٍ مِنْ مُهْلِكَاتِ التَّفَانِي
غَارِقَاتٍ فِي لُجَّةِ الْهَذْيَانِ
يَوْمَ فَضِّلِ مَا بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
لَمْ يُبَدَّلْ مَا أُخْرِجَتْ شَفَتَانِ
مِنْ أَطَاعَتِكَ نَفْسُهُ بِالْأَمَانِي
لِعَذَابِ الْحَرِيقِ مَنْ قَدْ عَصَانِي
تَتَبَدَّى فِي ثَوْرَةِ الْغَضَبَانِ
كَيْفَ تَنْسَى وَقُودَهَا نِيرَانِي؟
هَذَا جَحِيمِي خُلُوٌّ مِنَ السُّكَّانِ
لِعُصَاةِ الرَّحْمَنِ يَنْتَظِرَانِ
مَا أَشَدَّ الْعَذَابَ فِي أَحْضَانِي
فِي عَذَابٍ لَمَّا يُهَيَّأُ لِثَانٍ
وَعَدُ رَبِّي حَقًّا لِأَوَّلِ جَانِي
أَعْلَنْتَهَا حِمَاةُ الطُّغْيَانِ
فِي انْتِشَارِ الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
نَبَذَتْهُ مَرَا حِمُ الْغُفْرَانِ
كَيْ تَضَلُّهُ عَنْ هُدَى الْإِيمَانِ
دَبَّرَتْهُ مَكَائِدُ الشَّيْطَانِ
أَبْعَدَ النُّورَ عَنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
صَدَقَتْ فِيهِ آيَةُ الرَّحْمَنِ

كحياة الأنعام والحيوان
عَبَقَرِيًّا، أَكْرِمَ بِهِ مِنْ مَكَانٍ
أَبْدَعْتَ صُنْعَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
جَعَلَ الْخَارِقَاتِ طَوْعَ الْبَنَانِ
تَتَسَامَى دَعَائِمُ الْعُمَرَانِ
غَمَرَتْهُ الْأَلَاءُ بِالْإِحْسَانِ
أَيَّدَتْهُ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
فِي خَشْوَعٍ بِحَمْدِهِ كُلِّ أَنْ
تَنْفَعُ النَّاسَ يَوْمَ غُصَّ الْبَنَانِ
وَتَزُوْدَ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ
وَيَخْلُدِ الْآخَرَى لَكَ الْجَنَّتَانِ
بِاسْمِ رَبِّ هَذَاكَ لِلْإِيمَانِ
مِنْ أَضَالِيلِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ
فَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ بِالرَّحْمَنِ
كُلَّ غَيٍّ يَقُوْدُ لِلْكَفْرَانِ
مِنْ أَلَدِ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ
نَاطِقٌ بِالْهُدَى فَصِيحُ الْبَيَانِ
وَنَذِيرًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ
مَنْ يَشَاءُ الْمَحِيْطُ بِالْأَكْوَانِ
لَا يَرَى النُّوْرَ وَهُوَ مِلْءُ الْمَكَانِ
أَمَرْتُكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
رِ تِلْكَمُ دَسَائِسُ الشَّيْطَانِ
دَعْوَةُ الْحَقِّ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
مُؤْمِنَ الْقَلْبِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
سَاجِدًا بِاِكْيَا مِنْ الْقُرْآنِ
فِي فَرَادَيْسِ خَالِدَاتِ الْجَنَانِ
يُفْقِدُ الرُّشْدَ فِي لُظَى النُّيْرَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ مَا خُلِقْتَ لِتَحْيَا
أَنْتَ بِالْعَقْلِ قَدْ بَلَغْتَ مَكَانًا
صَوَّرَ اللَّهُ فِيكَ أَحْسَنَ خَلْقٍ
وَأَمَدَ الْفَوَادِ فِيكَ بِنُورٍ
كُلُّ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ لَكَ كَيْمًا
يَا أَبْنَ حَوَاءَ أَنْتَ أَكْثَرُ خَلْقٍ
كَرَّمْتِكَ النُّعْمَى وَأَوْلَيْتَكَ فَضْلًا
فَاشْكُرِ الْمُنْعَمَ الرَّحِيمَ وَسَبِّحْ
وَادْكُرِ الْمَوْتَ فَهُوَ أَحْسَنُ ذِكْرَى
وَاجْعَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَكَ مَوْلَى
تَقْضِ دُنْيَاكَ مَا حَبِيتَ سَعِيدًا
إِنَّ هَذَا الْفَوْزَ الْعَظِيمُ فَكَبِّرْ
حَكِّمِ الْعَقْلَ يَا أَبْنَ آدَمَ وَأَحْذَرْ
لَا تُطْعِمُهُ وَتَتَّخِذَهُ وَلِيًّا
يَطْبَعُ الشَّرَّ فِي النُّفُوسِ وَيُمْلِي
إِنَّ هَذَا الطَّاغُوتُ شَرُّ لَعِينٍ
أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَتَاكُمْ كِتَابُ
بَيِّنِ الرُّشْدِ وَالضَّلَالِ بِشِيرَا
يَبْعَثُ النُّوْرَ فِي الْقُلُوبِ فَيَهْدِي
وَالَّذِي صَمَّ قَلْبُهُ ظَلَّ أَعْمَى
بَيِّنَاتٌ قَدْ فَصَّلْتَ كُلَّ شَيْءٍ
وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْمُنْكَ
أَيُّ فَوْزٍ لِمَنْ أَطَاعَ وَلَبَّى
طَاهَرَ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي
يَسْمَعُ الذِّكْرَ وَهُوَ يُتْلَى فَيَجْتَنِبُ
بَيْنَ وَعْدِ مُبَشِّرِ بِنَعِيمٍ
وَوَعِيدِ مُصَوِّرِ لِعَذَابٍ

أَيُّ مَقْتٍ يَرَى وَهَوْلٍ يُعَانِي
فِي نَعِيمٍ مِّنَ الْمَتَاعِ الْفَانِي
كُلُّ مَا يَشْتَهِي وَنَالَ الْأَمَانِي
مِنْهُ مَدَّتْ لِلْمُؤَبَّقَاتِ يَدَانِ
فَتَمَادَى فِي الْكُفْرِ وَالْعُصْيَانِ
دَهَمَتْهُ لَفَائِفُ الْأَكْفَانِ
فَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ قَوْتِ الْأَوَانِ
وَسَبِّتْكُمْ بِالْمُغْرِيَاتِ الْحِسَانِ
بَيْنَ مَوْجِ السُّرُورِ وَالْأَحْزَانِ
مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهِنَّ ثَوَانِ
لِلنَّعِيمِ الْمُقِيمِ أَوْ لِلْهَوَانِ
يَوْمَ عَرِضَ الْأَعْمَالِ عِضُّ الْبَنَانِ
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ
مِنْهُ تَبَدُّوْا مَفَازَةَ الرِّضْوَانِ
صَوَّبَ نَوْرَ الْيَقِينِ فِي أَطْمِنَانِ
وَاسْتَزِيدُوا مِنْ خَالِدِ الْبُنْيَانِ
مُفْسِدِ الرُّوحِ مُتْلِفِ الْأَبْدَانِ
حِينَ تَسْرِي فِي الْحَسِّ كَالْأَفْعَوَانِ
فَهِيَ أَقْوَى حِبَائِلِ الشَّيْطَانِ
وَاذْكُرُوهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فِي سُجُودٍ مَا ضَوَّاءُ الْمَشْرِقَانِ
مِنْ صَفَاءِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِمْعَانِ
أَبْدَعَتْ صُنْعَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
لَمْ يَشْبَهْ فِي دِقَّةِ الْإِتْقَانِ
خَاطِفَاتُ الْأَبْصَارِ قَاصِ وَدَانِ
فِي فُضَاءِ الْأَفَاقِ وَالْأَكْوَانِ

مَنْ تَوَلَّى وَلَمْ يَخَفْ مِنْ وَعِيدِ
خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ يَلْهُو
مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا تَبَوُّاً مِنْهَا
دَارٌ لَّهُوَ طَاشَتْ بِعَقْلِ جَهُولِ
مُلِئَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ شَرًّا
أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ حَتَّى
أَوْدَعَتْهُ الدُّنْيَا بُطُونَ ثَرَاهَا
أَيُّهَا النَّاسُ آمِنُوا وَأَطِيعُوا
مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي فَتَنَتْكُمْ
غَيْرُ يَوْمٍ أَحْلَامُهُ سَابِحَاتُ
سَنَوَاتِ الْأَعْمَارِ كَالْبَرْقِ تَجْرِي
فَتْرَةُ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ
فَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ تَأْمَنَ نَفُوسُ
وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مَا حَيِيْتُمْ حَلَالًا
وَاسْلُكُوا لِلصَّلَاحِ خَيْرَ سَبِيلِ
وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَافَاتِ وَامْشُوا
وَازْرِعُوا الْيَوْمَ تَحْصُدُوا بَعْدَ حِينِ
وَاهْجُرُوا الْخَمْرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رَجَسِ
تَسْلُبُ الرُّشْدَ مِنْ نَهْيِ مُحْتَسِيهَا
لَقَبُوهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ حَقًّا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ شُكْرًا
سَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَأَعِيرُوا خَلْقَ السَّمَوَاتِ فَيْضًا
فَكَّرُوا خَاشِعِينَ فِي مَلَكُوتِ
فَلَكَ حَيَّرَ الْعُقُولَ نِظَامًا
سَارِيَاتٍ فِرَاقِدُ وَشَمُوسُ
سَابِحَاتُ كُلِّ يَشَقُّ مَذَارًا

مَلَكُوتُ فِيهِ الْعَوَالِمُ تَجْرِي
لَا حَظَّتْهَا عَيْنُ الرَّقِيبِ لِتَبْقَى
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُهُ تَتَوَارَى
إِنَّهُ الْفَصْلُ بَيْنَ دُنْيَا وَأُخْرَى
إِنَّ عَيْشَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ يَوْمٌ
طَائِرٌ نَاطِقٌ كِتَابٌ شَهِيدٌ
عَزَزْتُ صِدْقَهُ شَهَادَةُ أَيْدٍ
فَاخْشَوْا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ تَقُومُوا
يَوْمَ يَهْتَزُّ مِنْكَبُ الْأَرْضِ رُعْبًا
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ فِدَاءً
وَلَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ فِي جُمُوعٍ
حُكْمُهُ الْفَصْلُ فِي مَصِيرِ عِبِيدٍ
فَازَ بِالْخُلْدِ فِي فَرَسِيحَاتِ عَدْنٍ
وَأَضَلَّ السَّبِيلَ مَنْ تَاهَ كِبَرًا
وَإِذَا تَمَّ فِي الْمَشِيئَةِ أَمْرٌ
آيَةُ النُّورِ بَيَّنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ
مَا سَعِيدُ الدَّارَيْنِ يَا نَفْسُ إِلَّا
وَالشَّقِيُّ الْمَلْعُونُ دُنْيَا وَأُخْرَى
يَا إِلَهَ الْوُجُودِ نِعْمَكَ عَمَّتْ

آمَنَاتٍ طَوَارِيءَ الْحَدَثَانِ
مَا أَرَادَتْ مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
أَفْلَاتٍ وَيَخْتَفِي النَّيِّرَانِ
أَعْلَنْتُهُ عَلَى الْوَرَى صَيِّحَتَانِ
فِيهِ تَمَّتْ صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ
سُجِّلَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْبَيَانِ
وَجُلُودٍ وَأَعْيُنٍ وَلِسَانِ
مَنْ دِيَاجِي أَجْدَاثِكُمْ فِي أَمَانٍ
وَالسَّمَوَاتُ وَرْدَةٌ كَالدَّهَانِ!
أَوْ فِرَارًا مِمَّا تَرَى وَتُعَانِي!
تَسْأَلُ الْعَفْوَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
أَلِدَارِ الْجَحِيمِ أَمْ لِلْجِنَانِ؟
مَنْ هَذَا الرَّحْمَنُ لِلْإِيمَانِ
وَعُتُّوْا وَخَادَعَتْهُ الْأُمَانِي
لَمْ يُبَدَّلْ مَا سَجَّلَ الْحَرْفَانِ
وَكَفَى الْآنَ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
مَنْ تَفَانَى فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
كُلَّ غِرٍّ هَوَىٰ مَعَ الشَّيْطَانِ
كُلَّ حَيٍّ فِي سَائِرِ الْأَكْوَانِ

الهمزية الكبرى

فاتحة

أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ
لَا تَعِيشُوا فِي الْأَرْضِ ظُلْمًا وَبَغْيًا
وَأَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
لَا يَغُرَّنَّكُمْ نَعِيمُ حَيَاةٍ
إِنَّمَا الْعُمُرُ لِمَحَةٍ فَمَمَاتٍ
مَلِكُ الْمَوْتِ يَقْتَفِي كُلَّ حَيٍّ
يَتْرُكُ الْجِسْمَ هَامِدًا، لَيْتَ شِعْرِي
كُلُّ نَجْمٍ مُهَدَّدٌ بِأَفْوَلٍ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ الْبَدِيعِ ظِلَامٌ
يَا بَنِي الْأَرْضِ إِنَّ لِلَّهِ مُلْكًا
إِنَّ رَبًّا يُدِيرُ مُلْكًا كَهَذَا
حَارَتِ الْخَلْقُ فِي تَصَوُّرِ ذَاتِ

فَاذْكُرُوا مَنْ لَهُ الْغِنَى وَالْبَقَاءُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ ضِعْفَاءُ
أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَهُ الْأَتْقِيَاءُ
وَرِخَاءُ وَصِحَّةٌ وَهَنَاءُ
فَسُكُونٌ فَحُفْرَةٌ ظُلْمَاءُ
فِي أَوَانٍ قَدْ آَنَّ فِيهِ الْفَنَاءُ
أَنْعِيمٌ يَضُمُّهُ أَمْ شِقَاءُ
وَلِنُورِ الْإِلَهِ دَامَ الضِّيَاءُ
وَأَسْتَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْأَشْيَاءُ
تَعْلَمُ الْأَرْضُ قُدْرَهُ وَالسَّمَاءُ
قَادِرٌ دَائِمًا عَلَى مَا يَشَاءُ
بَيْنَ حَرْفَيْنِ أَمْرُهَا وَالْقَضَاءُ

مَالِكِ الْمُلْكِ إِنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ
تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَيُقْضَى
وَيَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَيَهْوَى
حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ سُكُونٌ

مَنْ لَهُ الْحَمْدُ غَيْرُهُ وَالثَنَاءُ
كُلُّ أَمْرٍ وَيَسْتَكِنُ الْهَوَاءُ
كُلُّ نَجْمٍ وَتَفْزَعُ الْأَرْجَاءُ
وَأَنْجَلَتْ قُدْرَةً وَأَنَّ الْوَفَاءُ

كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُهَيِّمِينَ فَإِنْ صَاحَ سُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْكِبَرِيَاءُ

الساعة

دَنَتِ السَّاعَةُ الرَّهِيْبَةَ لَمَّا وَعَلَتْ صَيْحَةً تَجْمَعُ مِنْهَا دَكَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَهَدَّتْ صَيَّرَتْ شَامِخَ الرُّوَاسِخِ عَنْهَا أَلْقَتِ الْأَرْضُ مَا بِهَا وَتَحَلَّتْ هَالَهَا الرُّوعُ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءً وَأَنْشَقَّاقًا ذَاتُ الْبُرُوجِ تَرَامَتْ ثُمَّ غَابَتْ نُجُومُهَا وَأَكْفَهَرَتْ

جاء أشراطُهَا وَحُقَّ الْجَزَاءُ بِأَلِيَّاتِ الرُّفَاتِ وَالْأَشْلَاءِ كُلَّ طَوْدٍ مُرِيْعَةٍ بِطُشَاءٍ وَتَنَحَّتْ عَنْ حَمَلِهَا الْجَرْدَاءُ وَتَدَاعَتْ عَنْ أَفْقِهَا الصَّمَاءُ غَيَّرَ الصَّدْعُ حَالَهَا وَالْفَنَاءُ فَتَوَارَتْ أَقْمَارُهَا الزُّهْرَاءُ وَاخْتَفَى نُورُهَا وَزَالَ الْبَهَاءُ

* * *

إِنَّ هَذَا يَوْمُ الْجِسَابِ فَطَاشَتْ يَوْمَ لَا تَنْفَعُ أَبْنَى آدَمَ إِلَّا يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي! يَوْمَ يَلْتَفُ كُلُّ سَاقٍ بِسَاقٍ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمُسِيءُ اعْتِدَارُ يَوْمَ حَشَرَ حَوَى الْبَرَايَا جَمِيعًا يَوْمَ فَصِّلَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فِيهِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ انْتِصَارًا كُلُّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنٌ كُلُّ نَفْسٍ لَهَا لِسَانٌ وَعَيْنٌ ثُمَّ أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَجُلُودٌ

يا بني الْأَرْضِ مُقْلَةً عَمِيَاءَ حَسَنَاتٌ تَقَدَّمَتْ وَوَفَاءَ وَتَفَرُّ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ وَيُسَاقُ الضُّعَافُ وَالْأَقْوِيَاءُ عَنْ ذُنُوبٍ وَيَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ شَاخِصَاتٍ أَبْصَارُهَا فَرْعَاءُ حَائِرَاتٌ مِنْ هَوْلِهِ هَلْعَاءُ وَلَهُ الْأَمْرُ وَحَدَهُ وَالْقَضَاءُ عَنْ سِوَاهَا وَلَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ وَفَوَادٍ وَكُلُّهَا رُقْبَاءُ تَنْطِقُ الْحَقُّ أَنَّهُمْ شَهْدَاءُ

البعث

يُهْرَعُ النَّاسُ مِنْذُ أَوَّلِ خَلْقِ
بَعَثَتْهَا الْقُبُورُ تَجْرِي سَرَّاعًا
مَا جَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقِ
مَدَّتِ الْأَرْضُ كِي تَوْفِي جُمُوعًا
وَاجِفَاتُ قُلُوبُهَا حَيْرَاءُ
أَفْرَعَتْهَا مِنْ نَوْمِهَا الدُّهْمَاءُ
كَجَرَادٍ يَضِيقُ عَنْهُ الْفَضَاءُ
فَوْقَهُمْ تُمْطِرُ الْعَذَابُ السَّمَاءُ

* * *

يَا بَنِي الْأَرْضِ تِلْكَ وَقْفَةُ حَشَرٍ
كُلُّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ قَدِيمٌ
لَمْ يُغَايِرْ صَغِيرَةً مَا حَوَاهَا
كُلُّ مَنْ مَدَّ لِلْكِتَابِ يَمِينًا
وَلَهُ قَالَتْ التَّهَانِي سَلَامٌ
وَيَحْ مَنْ كَانَ حَظُّهُ بِشِمَالٍ
صَاحَ فِيهِ صَوْتُ الْعَذَابِ وَعِيدًا
أَنْظُرِ النَّارَ كَيْفَ تُرْجِي سَعِيرًا
يَا أَبْنَ حَوَاءَ أَنْتَ طِينٌ وَمَاءُ
سُجِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
قُدْرَةُ اللَّهِ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
ضَمَّهُ الْأَمْنُ وَالرِّضَا وَالْهِنَاءُ
وَبَدَا الْعَفْوُ بِاسْمَاً وَالْعِطَاءُ
هَالَهُ الْخِزْيُ خِيفَةً وَالْعِنَاءُ
: قَدْ تَنَحَّى عَنْ مُقْلَتَيْكَ الْغِطَاءُ!
وَعِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ الشُّوَاءُ

* * *

قَبْضَةُ اللَّهِ تَجْمَعُ الْأَرْضَ جَمْعًا
قُدْرَةُ اللَّهِ حَيَّرَتْ كُلَّ لُبٍّ
قُوَّةُ اللَّهِ أَذْهَلَتْ كُلَّ لُبٍّ
حِكْمَةُ اللَّهِ أَحْكَمَتْ كُلَّ أَمْرٍ
خِبْرَةُ اللَّهِ أَتَقَنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةُ اللَّهِ أَدْرَكَتْ كُلَّ خَلْقٍ
وَبَيِّمَنِي الْبَدِيعُ تَطْوَى السَّمَاءُ
فَتَفَانَتْ فِي كُنْهَهَا الْأَنْبِيَاءُ
فَتَفَانَتْ فِي وَصْفِهَا الْعُلَمَاءُ
فَاسْتَنَارَتْ بِرُوحِهَا الْحُكَمَاءُ
فَتَبَارَتْ فِي مَدْحِهَا الشُّعْرَاءُ
فَتَلَاشَى فِي عَدِّهَا الْإِحْصَاءُ

* * *

إِنَّ عِلْمَ الْإِلَهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ
وَصِفَاتُ تَنَزَّهَتْ عَنْ شَرِيكِ
نَافِذُ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْبَرَايَا
بِخُلُودٍ لَهُ يَدُومُ الْبَقَاءُ
فَتَسَامَتْ مِنْ حُسْنِهَا الْأَسْمَاءُ
عَالِمُ الْغَيْبِ عَرْشُهُ الْعَلِيَاءُ

كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ ودوامًا إليه يَسْرى الدُّعاء

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ حَمْدًا أَبَدَ الدَّهْرِ كَيْ يَدُومَ الثَّنَاءُ
وَيُنْوِرَ الْإِلَهَ أَشْرَقَتْ الْأَرْ ضُ وَجَاءَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ
وَقَضَى الْحَقُّ بَيْنَهُمْ حُكْمَ عَدْلِ وَيُوعِدُ الْإِلَهَ تَمَّ الرِّضَاءُ
يَا نَبِيُّونَ تِلْكَ جَنَاتُ عَدْنٍ فَادْخُلُوهَا وَكَبِّرِي يَا سَمَاءُ
هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ وَعَدْتُمْ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أَمْنَاءُ
دَارُ خُلْدٍ جَزَاءُ مَا قَدْ صَبَرْتُمْ تِلْكَ عُقْبَى الْجِهَادِ يَا أَنْبِيَاءُ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ يَتَهَادَى بِجَبِينٍ يَفِيضُ مِنْهُ الضِّيَاءُ
أَشْرَفَ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهًا خَيْرُ بَذَرٍ قَدْ أَنْجَبَتْ حَوَاءُ
خَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لَمَّا أَذِنَ الْحَقُّ وَأَسْتَجِيبَ النِّدَاءُ
وَيُنْوِرَ الْقُرْآنُ كَانَ إِمَامًا وَحَكِيمًا عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءُ

* * *

أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ جَنَاتِ عَدْنٍ لَكَ نَفْسٌ أَيْيَّةُ شَمَاءُ
صَلَوَاتُ الْإِلَهَ تَرَعَاكَ دَوْمًا يَا أَبْنَى عَدْنَانَ بَارَكْتَكَ السَّمَاءُ

جَنَاتُ النِّعِيمِ

سَيِّقْ أَهْلُ التُّقَى لِذَا رِ نَعِيمٍ يَتَهَادُونَ حَيْثُ حَلَّ الْهِنَاءُ
تَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكُ بُشْرَى بِأَسْمَاتٍ وَجُوهُهَا سَمْحَاءُ
زَانَ أَبْوَابَهَا وَمِيضُ الدَّرَارِي تَنَسَّامَى أَنْوَارُهَا الزَّهْرَاءُ
تِلْكَ دَارُ الَّذِينَ نَالُوا بِحَقِّ أَجَرَ إِيمَانِهِمْ فَنِعْمَ الْجَزَاءُ
أَمَنُوا بِالْكِتَابِ لَمَّا أَتَاهُمْ وَأَطَاعُوا الرَّسُولَ نِعْمَ الْوَفَاءُ
صَدَقَ الْوَعْدُ فَادْخُلُوا بِسَلَامٍ دَارَ خُلْدٍ يَطِيبُ فِيهَا الْبَقَاءُ
إِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهِي كُلُّ نَفْسٍ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ لَهَا مَا تَشَاءُ
حُورٌ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ اللَّالِي كَاعِبَاتٌ قُدُودُهُنَّ الضِّيَاءُ

لَاعِبَاتُ يَزِينُنَهُنَّ الْبَهَاءُ
تَتَرَامَى أَطْرَافُهُ الْخَضْرَاءُ
تَتَنَتَّنَى أَعْطَافُهَا الْحُسْنَاءُ
مِنْ رَحِيقِ مِزَاجِهِ السَّرَّاءُ!
وَسُرُورِ بِهِمْ أَحَاطَ الْهَنَاءُ
وَأَبْتَهَاجًا عَيُونُهَا حَوْرَاءُ
بِكُؤُوسِ سُلَافِهَا الصَّهْبَاءُ
صَفَهَا الْحُورُ كَيْ يَدُومَ الصَّفَاءُ
فَوْقَ مَا قَدْ تَخَيَّلَ الشُّعْرَاءُ!
عَاطِرَاتُ رِيَاضِهَا الْفَيْحَاءُ
وَعَلَيْهَا تُرْفَرِفُ الْوَرَقَاءُ
حَيْثُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا رَغْدَاءُ
لَمْ تُغَيِّرْ مِنْ طَعْمِهِ الْأَجْوَاءُ
رِيحُهَا الْمِسْكُ رُوحُهَا نَشْوَاءُ
خَيْرَ دَارٍ يَحْطَى بِهَا الْأَتْقِيَاءُ
فِي خُلُودٍ لَا يَغْتَرِيهِ فَنَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ حُنَفَاءُ
فَاشْكُرُوا مَنْ لَهُ الرِّضَا وَالْبَقَاءُ

يَتَسَابَقْنَ حَوْلَ زَهْرٍ وَمَاءٍ
رَاتِبَاتٌ عَلَى بِسَاطٍ بَدِيعٍ
تَتَوَارَى خَلْفَ الدَّوَالِي دَلَالًا
ثُمَّ يُهَرَّعْنَ لِلْقُصُورِ حُسَاةً
حَيْثُ يَلْقَيْنَ أَهْلَهَا فِي نَعِيمٍ
تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ بِشْرًا
وَعَلَيْهِمْ تَطُوفُ وَلِدَانُ خُلْدٍ
وَأَبَارِيقُ مِنْ لُجَيْنِ نَقِيٍّ
إِنَّ لِلْجَنَّةِ الْبَهِيْجَةِ وَضْفًا
ظِلُّهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا
فَوْقَ أَغْصَانِهَا الْعَنَادِلُ تُشْدُو
وَتَفِيضُ الْأَنْهَارُ شَهْدًا مُصَفَّى
ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدَرٍّ شَهِيٍّ
وَبَحْمَرٍ كَالْأُرَى تَنْسَابُ أُخْرَى
إِنَّ دَارَ الْفِرْدَوْسِ كَانَتْ مَابَا
أَدْخَلُوهَا قَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا
فَانْعَمُوا وَأَهْنَأُوا وَطِيبُوا نَفُوسًا
رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَيْكُمْ

دار الجحيم

يَسْتَغْيِثُونَ حَيْثُ حَلَّ الْبَلَاءُ
وَأَسْتَشَاطَتْ مِنْ غِيْظِهَا الرِّمْمَاءُ
تَقْذِفُ الرُّعْبَ وَالْقُلُوبَ هَوَاءُ
هَامَةً الشَّمَّ وَالذُّرَا الشَّمْعَاءُ
رَجَّعَتْهُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَرْجَاءُ
مِثْلُهُ الْقَصْرُ بِئْسَ ذَاكَ التَّوَاءُ

ثُمَّ سِيقَ الْكُفَّارُ نَحْوَ جَحِيمٍ
وَوَقُودُ السَّعِيرِ زَادَ أَشْتِعَالًا
ثُمَّ هَاجَتْ دَارُ الْجَحِيمِ وَمَاجَتْ
فِي زَفِيرٍ كَالرَّعْدِ تَنْدُكُ مِنْهُ
وَشَهِيْقٍ يَنْقُضُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
شَرًّا كَالْجَمَالَةِ الصُّفْرِ تَرْمِي

يُسْحَبُ الْمُجْرِمُونَ وَالْأَشْقِيَاءُ
يَتَفَانُونَ طَاعَةً، أَقْوِيَاءُ
من قلوبٍ لهم براها الْقَضَاءُ
مُرْعِدَاتٍ صِيحَاتُهَا فَزَعَاءُ
فَاغِرَاتٍ أَفْوَاهُهَا غَضْبَاءُ
وَبَرِيحِ السَّمُومِ يَجْرِي الْهَوَاءُ
وَبِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَجْرِي السَّقَاءُ
منهُ تُشَوَّى الْوُجُوهُ وَالْأَمْعَاءُ
منهُ تُكْوَى الْجِبَاهُ وَالْأَحْشَاءُ
لِعَصِيٍّ طَاشَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ
قد أَطْعَمْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ يَا رِعَاءُ
عن طريقِ الْهُدَى وَعَزَّ الدَّوَاءُ
منذ وَاقَتْ من خُلْدِهَا حَوَاءُ
وتركتكم ما أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءُ
إِنَّ هَذَا جِزَاءُ قَوْمٍ أَسَاءُوا
وَوَظَلَمْتُمْ فَحَقَّ هَذَا الْبَلَاءُ
حَلَقَ الْمَوْتَ فَوْقَكُمْ وَالْفَنَاءُ
إِنْ صَبَرْتُمْ أَوْ إِنْ جَزَعْتُمْ سَوَاءُ
لا أَعْتَذَرُ لَكُمْ وَلَا شُفْعَاءُ
وعليها الْمَلَائِكُ الرُّقَبَاءُ
وبأمرِ الْعَزِيزِ يَجْرِي الْقَضَاءُ
لا ظَلِيلُ بِهَا يُحِيطُ الْقَضَاءُ
تَ وَهَيْهَاتَ يُسْتَجَابُ النَّدَاءُ
حيثُ حَلَّ الْخُلُودُ زَالَ الْفَنَاءُ
أَوْ عَذَابٌ مُخَفَّفٌ أَوْ رَجَاءُ
بَدَّلَ اللَّهُ غَيْرَهَا مَا يَشَاءُ
وَعَلَى الْعَدْلِ قَامَ هَذَا الْجِزَاءُ

تلك نَارُ الشَّوَى التي لَظَاهَا
إِنَّ حُرَّاسَهَا غِلَظٌ شِدَادُ
ما الْحديدُ الشَّدِيدُ أَعْظَمُ بَأْسًا
حول أَبْوَابِهَا الصَّوَاعِقُ دَوَّتْ
أَدْخَلُوهَا تَطَايَرَ الْهَوَلُ فِيهَا
سَارِيَاتُ اللَّهَيْبِ تَنْسَابُ مِنْهَا
من حَمِيمٍ تَفِيضُ فِيهَا عُيُونُ
إِنَّ هَذَا شَرَابٌ كُلُّ أَثِيمٍ
وطعامٌ دُو غَصَّةٍ وَعَذَابُ
إِنَّ دَارَ الْجَحِيمِ شَرُّ مَكَانًا
ما جنودُ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةُ
شَاغَلَتْكُمْ بِغِيَّهَا فَعَمِيَّتُمْ
إِنَّ هَذَا الشَّيْطَانُ كَانَ عَدُوًّا
قد سَلَكْتُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
أَيُّهَا الظَّالِمُونَ ذُوقُوا نِكَالًا
فَتَنَنْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَبَنُوكُمْ
وكفرتكم بِأَنْعَمِ اللَّهِ حَتَّى
إِنَّ هَذَا تَصْدِيقٌ مَا قَدْ كَفَرْتُمْ
فَهَلُّمُوا إِلَى الْجَحِيمِ جَمِيعًا
إِنَّ فِيهَا الْعَذَابَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ
قَدْ أَطَاعُوا الرَّحْمَنَ فِي كُلِّ أَمْرٍ
دَرَكَاتُ سَبْعٍ طَبَاقُ عَذَابٍ
كُلُّ مَنْ فِي الْعَذَابِ يَسْتَصْرِخُ الْمَوْتُ
وَهَبَاءٌ يَضِيغُ كُلُّ تَمَنٍّ
لا مَمَاتُ بِهَا يُهَوَّنُ كَرْبًا
كلما أَنْضَجَ الْحَرِيقُ جُلُودًا
إِنَّ هَذَا جِزَاءُ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ قَدْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا
ها هي الأرضُ وَقُيِّتْ ما أَسْتَحَقَّتْ
قد تَسَامَى عَرْشُ الْقَدِيرِ جَلَالًا
حَوْلَهُ حَقَّتْ الْمَلَائِكُ تَتَلَوُ
لا يَمْلُونَ لِحِظَةً مِنْ دُعَاءِ
مَجْدُوا اللَّهَ بِالثَّنَاءِ دَوَامًا
هم جنودُ الْمُهِيمِينَ الْمُتَعَالِي
رُكَّعًا سُجَّدًا قِيَامًا قُعُودًا
وَبِحُكْمٍ عَدْلٍ تَجَلَّى الْقَضَاءُ
وَتُوَفَّى بِمِثْلِ هَذَا السَّمَاءِ
فَاسْتَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْأَرْجَاءُ
أَحْسَنَ الذِّكْرِ كَيْ يَغْمَّ الرِّضَاءُ
هُمْ عَبِيدُ لِرَبِّهِمْ أَوْفِيَاءُ
حَمَلَ الْعَرْشَ مِنْهُمْ الْأَكْفَاءُ
مَظْهَرُ الْبَطْشِ مِنْهُمْ الْأَقْوِيَاءُ
مَنْ تَوَالَى تَسْبِيحِهِمْ سُعْدَاءُ

عَمَّ نُورُ الْإِلَهِ سَبْعًا طِبَاقًا
وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
حَفَّهَ الْمُوَلَّعُونَ بِاللَّهِ حُبًّا
وَتَدَلَّى الْوَحْيُ الْأَمِينُ أَبْتِهَالًا
فَتَلَاشَتْ أَمَامَهُ الْأَضْوَاءُ
ضُ جَمِيعًا، وَفَاضَتْ الْأَلَاءُ
وَحَبَّاهُ الْأَيْمَةُ الْأُمْنَاءُ
يَا قَدِيرًا يَا مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ

أَسْفَرَتْ هَيْبَةً فَأَشْرَقَ عَدْلُ
يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ
وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا قَدْ أَطَعْتُمْ
فَالِى الْجَنَّةِ الْفَسِيحَةِ سِيرُوا
فَتَعَالَى الْهَتَافُ مِنْ كُلِّ صَوِّ
فَأَفَاضَ الْعَطَاءُ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَتَجَلَّى عَفْوٌ وَعَمَّ رِضَاءُ
مَ خُلُودٌ يَدُومُ فِيهِ الْهِنَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنْكُمْ رُحَمَاءُ
قَدْ وَعَدْتُمْ بِهَا وَتَمَّ الْوَفَاءُ
جَاوَبَتْهُ الْآفَاقُ وَالْأَرْجَاءُ
لِلَّذِي الْمُلْكُ مُلْكُهُ وَالْبَقَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
جَاءَ بِالْحَقِّ لِلْقُلُوبِ ضِيَاءُ
أَنْزَلَتْهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ
فَتَلَاشَتْ مِنْ نُورِهِ الظُّلُمَاءُ

لم يُغَادِرْ من الشرائع شيئاً
جاءكم بالهدى كِتَابٌ كريمٌ
إنه من لَدُنْ حَكِيمٍ عليمٍ
عَاطِرُ الذُّكْرِ للقلوبِ شِفَاءٌ
إِنَّ هذا القرآنَ يكفيه فخراً
فاض نُورًا بالوحي صدرَ نبيٍّ
ورسولٍ للرُّسلِ جاء خِتَامًا
جاء بردًا للعالمين سلامًا
كَافَحَ الكُفْرَ والضلالةَ حتى
وأقام الدينَ الحنيفَ وبَاتَتْ
آيةُ الحقِّ قد تَجَلَّتْ عليكم

حَارَ في فَهْمِ كُنْهَها البُلْغَاءُ
عربيُّ البيانِ فيه الدواء
مُحْكَمَاتُ آيَاتُهُ عِصْمَاءُ
أعجزَ الخلقَ لَفْظُهُ الوَضَاءُ
أنه رَحْمَةٌ قَضَتْهَا السماءُ
من قُرَيْشٍ عَزَّتْ به الأنبياءُ
وَبَشِيرٍ دَانَتْ له العلِيَاءُ
كُنْزُ عِلْمٍ عليه طَابَ الثناءُ
شَادَ حِصْنَ الهدى وَتَمَّ البناءُ
خَافِقَاتُ أَعْلَامُهُ الخضرَاءُ
وبنورِ الإسلامِ تَمَّ الهناءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هذا بِلَاغٌ
إِنَّ دَنَا الخَيْرُ فَاَلْمَسَاءُ صَبَاحٌ
إِنَّ هذا الحديثَ أَحْسَنُ ذِكْرَى

فُصِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
أَوْ دَنَا الشَّرُّ فَالصَّبَاحُ الْمَسَاءُ!
كُلُّ نَفْسٍ يَحْلُو لَهَا ما تَشَاءُ

أَيُّهَا الظَّالِمُونَ قد شَاغَلَتْكُمْ
فَأَجَبْتُمْ نِدَاءَهَا
وَضَرَبْتُمْ بِشَرَعِ الْحَقِّ عَرْضًا
وَمَلَكْتُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
وَعَمِيتُمْ عن الْهُدَى وَمَحَالَ
وَأَنْدَفَعْتُمْ إِلَى الْمَعَاصِي سُكَارَى
وَأَتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَ غَاوٍ مُضِلٍّ
حَبَبَ اللَّهْوِ وَالْفَسَادِ إِلَيْكُمْ
فَرَكِبْتُمْ غَمَارَ بَحْرِ خِضَمٍّ
مَآخِرَاتُ غُبَابِهِ سُفُنُ اللَّهْ

وَعَرَّتْكُمْ بِطَيْشِهَا الْأَهْوَاءُ
شَهَوَاتٍ يَفِرُّ مِنْهَا الْحَيَاءُ
فَأَشْمَازَتْ نُفُوسُهَا الْعَلِيَاءُ
فَخَبَا النُّورُ وَأَسْتَحَالَ الضُّيَاءُ
أَنْ تَرَى النُّورَ مُقْلَةً عَمِيَاءُ
وَأَرْتَكِبْتُمْ ما فَاضَ مِنْهُ الْإِنَاءُ
زَيْنَ الشَّرِّ مَكْرَهُ وَالِدَهَاءُ
وَحَدَّثَتْكُمْ جُنُودُهُ الْأَشْقِيَاءُ
هَائِجَاتُ أَمْوَاجِهِ الظُّلَمَاءُ
وَرَمَاهَا أَنَّى أَرَادَ الْهَوَاءُ

تَتَلَّشَى أَخْلَامُهُ أَلْحَمَاءُ
زَيَّنَتْهُ لَدَيْكُمْ الْخِيَلَاءُ
قِي كَمَا يَسْتَرُّ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ
شَيَّدَتْهَا الْمَطَامِعُ الْجَوْفَاءُ
مَا أُبِيحَتْ مِنْ أَجْلِهِ الصُّهْبَاءُ!
وَالْغَوَانِي عَقُولُهُنَّ هَوَاءُ
مِنْهُ يَبْكِي وَيَسْتَغِيثُ الْحَيَاءُ
زَالٌ مِنْهُ الْحَيَاءُ زَالُ الْمَاءِ
فَإِذَا ضَاعَ زَالَ عَنْهَا الْبَهَاءُ
فَلَهُوْتُمْ بِهِ فُحْمُ الْقَضَاءِ
فَضَحِكْتُمْ وَرَاحَ يَبْكِي الْوَفَاءُ
فَهُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
وَتُوفَى حُقُوقُهَا الْأَقْرَبَاءُ
وَاجِبَاتُهَا يَدُومُ الْوَلَاءُ
نَهَمَتْهُ بِشَرُّهَا الْنُكْبَاءُ
يَشْهَدُ الدَّهْرُ أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ
وَسَلَاةً تَسْمُو بِهِ الْعُلَيَاءُ
نَفِدَ الْمَالُ ثُمَّ مَاتَ الرَّجَاءُ
وَصَحَوْتُمْ وَقَدْ عَفَا الْإِغْوَاءُ
وَعَفَوْتُمْ حَتَّى اخْتَفَى ذَا الْغَطَاءِ
شَمَلْتُمْ مِنْ جِلْمِهِ النُّعْمَاءُ
قَاهِرٌ عَادِلٌ لَهُ مَا يَشَاءُ؟
رَّ وَكَيْفَ اسْتَطِيرَ هَذَا الْبَلَاءُ
أَمْ نَسِيتُمْ مَنْ عِنْدَهُ السَّرَّاءُ؟
قَاصِرَاتُ أَحْلَامِكُمْ أَغْيَاءُ
جَرَّعَتْكُمْ سُمُومُهَا الرَّقِطَاءُ
خَاتَلَتْكُمْ مَنْ طَبَعَهَا الْإِغْوَاءُ

حَمَلْتَكُمْ إِلَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ
فَمُلِئْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ غُرُورًا
تَتَوَارَوْنَ فِي النَّزَاهَةِ وَالصَّدِّ
وَتُقِيمُونَ لِلنِّفَاقِ صُرُوحًا
وَتُبِيحُونَ لِلخُمُورِ مَجَالًا
قَدْ تَنَاهَى فِيهِ الْفُجُورُ وَأَضْحَى
وَسَلَبْتُمْ بِهِ عُقُولَ الْغَوَانِي
فَقَضَيْتُمْ عَلَى الْعَقَافِ وَوَجْهَ
إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنُّفُوسِ جَمَالُ
سَهْلَ الْمَالِ كُلِّ غِيٍّ لَدَيْكُمْ
إِنَّمَا الْمَالُ قُوَّةٌ فَتَنَتْكُمْ
إِنَّهُ لِلنُّفُوسِ خَيْرٌ اخْتِبَارُ
حِكْمَةُ الْمَالِ أَنْ يُبَرَّ يَتِيمٌ
وَتَوَدَّى لِلوَالِدَيْنِ فُرُوضُ
وَتَعُمَّ الْخَيْرَاتُ كُلُّ فَقِيرٍ
إِنْ لِلْمُحْسِنِينَ أَحْسَنَ ذِكْرِي
خُلِقَ الْمَالُ لِلْفَضِيلَةِ ذُخْرًا
فَأَسَأْتُمْ فِيهِ التَّصَرُّفَ حَتَّى
ذَهَبَ الْمَالُ حِينَ كُنْتُمْ سَكَارَى
قَدْ رَفَعْتُمْ عَنِ الْحَيَاءِ قِنَاعًا
أَيُّهَا الْجَاوِدُونَ فَضَّلَ إِلَيْهِ
كَيْفَ يَعْصِي الضَّعِيفُ أَمْرَ قَوِيٍّ
كَمْ أَبَاحَتْ نَفُوسُكُمْ لَكُمْ الشَّ
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ عَهْدًا
أَمْ جَهَلْتُمْ بِأَنْكُمْ مِنْ تَرَابٍ
خَدَعَتْكُمْ بِسُخْرِيهَا أَمْ بِفِرٍ
وَأَسْتَمَالَتْ عَقُولَكُمْ فَجُنِنْتُمْ

إِنَّ فِيهَا مِنَ الْفَوَاتِنِ طَيْفًا
فهي مجبولة على الغدر لا تحفظ
كلُّ دَمْعٍ منها يسيلُ عليها
دائمًا تَسْتَرِدُّ ما تَهْبُ الدنـ
وعجيبٌ أُمٌّ بغير حَلِيلٍ
وَلَدَتْهُمْ وَمَتَّعَتْهُمْ قَلِيلًا
فَطَوَتْهُمْ فِي جَوْفِهَا وَأَطْمَأْنَنْتْ

منذ جاءت لآدم الأسماء
عهدًا وليس فيها وفاء
وَتَوَلَّى إذ تصعد الحوَّاء
يا كأن كان خُدْعَةً ذا العطاء
عَشِقَتْهَا أَبْنَاؤُهَا التُّعَسَاءُ
ثم أَرْعَتْ كأنهم أعداء
خَشِيَةَ العارِ أن يُقالَ بِغَاءِ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ باطلٌ كلُّ شيءٍ
فالجمالُ الذي سَبَاكُمْ خيالٌ
كلُّ بَيْتٍ يَبْلَى على الدهرِ ما عَمَّ
ونعيمُ الدنيا الذي نالَ منكم
تعبُ الناصِحُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا
لو نظرتم إلى الحقيقةِ يومًا
خَلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ وَجَهْلُ
سِنَّةٍ كُلُّهَا الحِياةِ وَصَحْوُ
أَرَجَعَ السَّمْعَ لِلْأَصَمِّ وصارت
وأعاد الضِّيَاءَ للعينِ حَتَّى
ثُمَّ رَدَّ الْمَسْلُوبَ من كلِّ جِسْمٍ
إِنَّمَا عَيْشُكُمْ مَنَامٌ قَصِيرٌ
وكذا العُمُرُ والسَّنُونَ خيالٌ
تتراءى لكم طَوَالًا ولكن
ينقضي العُمُرُ بين عُسْرٍ وَيُسْرٍ
كلُّ مَنْ أَطْلَقَ الْبَصِيرَةَ بَحْنًا
فاسألوا مَنْ قَضَى ثمانينَ عامًا
لستُ أدري كَيْفَ أَنْقَضَى وكأني
كنتُ بِالْأَمْسِ لاهِيًا بِالتَّصَابِي

زَيْنَتْهُ بِكَيْدِهَا الْهَيْفَاءُ!
زائلٌ فوقه يَحُومُ الْفَنَاءُ
رَمَاهُمَا تَفَنَّنَ الْبَنَاءُ
ما تَقَضَّى حتى تَلَاهُ الْعَنَاءُ
وملألاً أَعْيَى الطَّبِيبُ الدَّوَاءُ
ما سَهَوْتُمْ حتَّى أَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ
بعد هذِي الحِياةِ يَفْنَى الْبَقَاءُ
فَارَقَ الْعَيْنَ بَعْدَهُ الْإِغْفَاءُ
تُحْسِنُ النُّطْقُ أَلْسُنُ خِرْسَاءِ
أَبْصَرَتْ مِنْهُ أَعْيُنُ عَمِيَاءِ
عَذَّبَتْهُ الْأَمْرَاضُ وَالْأَدْوَاءُ
فيه تَشْقَى وَتَسْعُدُ الْأَحْيَاءُ
تَتَهَادَى كما يَمُرُّ الْهَوَاءُ
لو عَقَلْتُمْ لَزَالَ هَذَا الْخَفَاءُ
حُلُوهُ الْمُرُّ وَالْهَنَاءُ الشَّقَاءُ!
يَتَسَاوَى سُرُورُهُ وَالْبُكَاءُ
كيفَ مَرَّتْ وكيفَ زالَ الرُّوَاءُ؟
في مَنَامٍ أَحْلَامُهُ فَرْعَاءُ
لا أَبالي مَهْمَا أَحَاطَ الشَّقَاءُ

فَفَقَدْتَ الشَّيْبَابَ حِينَ دَعَانِي شَيْبُ رَأْسِي وَاللَّحْيَةُ الْبِيضَاءُ
إِنَّمَا اللَّحْظَةُ الَّتِي أَنَا فِيهَا هِيَ عَيْشِي وَلِيَكْفِنِي ذَا الْعَزَاءِ

* * *

ما الحياة الدنيا سِوَى دَارٍ لَهَا
أَوْ كَسَوْقٍ قَدْ هُدِّدَتْ بِانْفِصَاضٍ
رَابِحَاتٍ قُوَى الْفَطَانَةِ فِيهَا
يُنْقَلُ النَّاسُ مِنْ حَيَاةٍ لِأُخْرَى
تِلْكَ دَارٌ تَدُومُ فِيهَا حَيَاةٌ
خُلِقَ الْمَوْتُ بَيْنَ دَارٍ وَدَارٍ
فَهُوَ بَابٌ يَجْتَازُهُ كُلُّ حَيٍّ
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا لَذِكْرِي
أَتُرِيدُونَ بَعْدَ هَذَا بَلَاغًا
أَيِّنَ مَنْ عَمَّرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا
أَيِّنَ مَنْ زَيَّنُوا الْعُرُوشَ جَمَالًا
أَيِّنَ مَنْ عَزَّ مُلْكُهُمْ وَتَسَامَى
أَيِّنَ مَنْ كَافَحُوا الْمَصَاعِبَ حَتَّى
أَيِّنَ مَنْ دَمَرُوا الْحُصُونَ بِبَاسٍ
أَيِّنَ مَنْ سَابَقُوا الرِّيَّاحَ بِخَيْلٍ
أَيِّنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بِصَبْرِ
أَيِّنَ مَنْ شَيَّدُوا الْهَيْأَكِلَ حُبًّا
أَيِّنَ مَنْ هَدَمُوا الْمَعَابِدَ ظُلْمًا
أَيِّنَ مَنْ خَرَّبُوا الْمَدَائِنَ جَبًّا
أَيِّنَ مَنْ جَاهَدُوا وَمَاتُوا كِرَامًا
أَيِّنَ مَنْ كَانَ هَمُّهُمْ جَمْعُ مَالٍ
أَيِّنَ مَنْ أَصْلَحُوا فَأَحْيَوْا نَفُوسًا
أَيِّنَ مَنْ أَوْقَفُوا الْحَيَاةَ لِنُصْحٍ
أَيِّنَ مَنْ حَارَبُوا النَفُوسَ بِزُهْدٍ

تَتَقَضَّى مَتَى تَوَارَى الضِّيَاءُ
سَوْفَ يَنْفَضُّ بَيْنُهَا وَالشَّرَاءُ
خَاسِرَاتٌ مِنْ جَهْلِهَا الْأَغْبِيَاءُ
قَدَرُ أَعْمَالِهِمْ يَكُونُ الْجَزَاءُ
حَيْثُ فِي هَذِهِ الْبَلَى وَالتَّوَاءُ
ضُجْعَةٌ بَعْدَهَا يَكُونُ النَّوَاءُ
وَهُوَ كَأْسٌ فِيهِ الْبَرَايَا سَوَاءُ
وِعِظَاتٌ جَاءَتْ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ
فَصَلَّتْهُ الشَّرَائِعُ السَّمْعَاءُ
أَيِّنَ عُمَرَانُهُمْ وَأَيِّنَ الْبِنَاءُ
أَيِّنَ تَيَجَّانُهُمْ وَأَيِّنَ الْبِهَاءُ
أَيِّنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيِّنَ الْعَلَاءُ
ذَلَّلُوهَا وَأَيِّنَ ذَاكَ الدَّهَاءُ
مِنْ حَدِيدٍ وَأَيِّنَ تِلْكَ الدِّمَاءُ
صَافِنَاتٍ تَهَابُهَا الْهَيْجَاءُ
أَيِّنَ مَنْ صَاوَلَتْهُمْ النُّكْبَاءُ
وَأَحْتَرَامًا لَهَا فَعَزَّ الْبِنَاءُ
وَعُتُوًّا وَأَيِّنَ مَنْ قَدْ أَسَاءُوا
رَيْنَ بَلِ أَيْنَ تِلْكَ الْأَشْلَاءُ
أَيِّنَ إِقْدَامُهُمْ وَأَيِّنَ الْمَصَاءُ
أَيِّنَ أَمْوَالِهِمْ وَأَيِّنَ الثَّرَاءُ
أَوْشَكَتْ تَسْتَمِيلُهَا الْأَهْوَاءُ
أَيِّنَ إِيْمَانُهُمْ وَأَيِّنَ النَّدَاءُ
أَيِّنَ تَقَوَّاهُمْ وَأَيِّنَ الْوَفَاءُ

أَيْنَ مِنْ أَرْسَلُوا لِيَجْمَعَ شُعُوبٌ
لَمْ يَضُرَّهُمْ مُرُّ الْأَذَى وَبِصَبْرٍ
رَفَعَ اللَّهُ ثُمَّ إِدْرِيسَ حَيًّا
مَرَّقَتْهَا الْأَدْيَانُ وَالْخُلَطَاءُ
وَأَصَلُّوا الْهُدَى، نِعْمَتِ الْأَنْبِيَاءِ!
حَيْثُ أَضَحَّتْ مَكَانَهُ الْعُلَيَاءُ

نوح

أَيْنَ شَيْخُ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ
أُنْقَذَتْ وَأَهْلُهُ وَهِيَ تَجْرِي
بَرَكَاتُ الْإِلَهِ يَا نُوحَ حَلَّتْ
هَذَا الرُّوحُ بَعْدَ أَنْ قِيلَ بُعْدًا
أَيْنَ هُوْدٌ وَقَدْ دَعَا قَوْمٌ عَادٍ
وَتَمُودُ الَّذِينَ قَدْ أَخَذَتْهُمْ
نَاقَةُ اللَّهِ أَنْكَرُوهَا وَظُلْمًا
صَنَعَ الْفُلْكَ حِينَ حَلَّ الْبَلَاءُ
بَيْنَ مَوْجِ جِبَالِهِ الدَّامَاءُ
قَضَى الْأَمْرَ أَقْلَعِي يَا سَمَاءُ
وَنَجَا الرِّكْبُ حِينَ غِيَضَ الْمَاءُ
فَعَصَوْهُ فَحَلَّ فِيهِمْ وَبَاءُ
صَيْحَةُ الْقَهْرِ وَفَقَّ مَا قَدْ أَسَاءُوا
عَقَرُوهَا فَحَقَّتْ النَّكْبَاءُ

إبراهيم

أَيْنَ مَنْ حَطَّمَ الْهَيْكَلَ حَتَّى
أَوْقَدُوا النَّارَ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءً
إِنَّمَا النَّارُ لِلْعَصَاةِ عَذَابٌ
نَارُ كُونِي عَلَى خَلِيلِي بَرْدًا
وَأَرَادُوا كَيْدًا فزَادُوا خَسَارًا
فَارَقَتْهَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءُ
وَمَحَالٌ تَذَوُّقُهَا الْأَنْبِيَاءُ
وَهِيَ لِلْمُشْرِكِينَ بَيْتُ الْجَزَاءِ
وَسَلَامًا وَفِي السَّلَامِ الْوَقَاءُ
حَيْثُ شَاءَ الْقَدِيرُ بِالْخِزْيِ بَاءُوا

* * *

يَا أَبَا الْخَلْقِ وَالرَّسَالَةِ وَحْيٍ
أَنْتَ خَلَقْتَ ثُمَّ إِلَهَةُ الْقَوَى
بَعْدَ أَنْ سِيلَ كُلُّهُمْ هَلْ يُرْجَوُ
وَرَمَيْتِ الْكَبِيرَ مِنْهُمْ بِجُرْمٍ
وَيَقِينٌ وَمَلَّةٌ وَأَبْتِلَاءُ
مِ جُذَاذًا وَهُمْ لَدَيْكَ سَوَاءُ
نَ طَعَامًا وَهَلْ يُجِيبُ الْفَضَاءُ
هُوَ فِينَا الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

يَتَمَارُونَ، حِينَ ضَلَّ الْمِرَاءُ
رَا وَلَمْ يَنْتَقِصْكَ طِينٌ وَمَاءُ
وَرَفَعْتَ التَّوْحِيدَ وَهُوَ اللَّوَاءُ
وَلِلطَّيْرِ فِي الْجَحِيمِ أَنْطَوَاءُ
يَا رَسُولًا يَرَادُ مِنْهُ شِوَاءُ
هَ وَاللَّهِ فِي يَدَيْهِ الْعِطَاءُ
فَلَذَاتٍ نَعِمْتَ الْأَبْنَاءُ
قُمْتَ لِلَّهِ ثُمَّ سِيقَ الْفِدَاءُ

ثُمَّ أَوْقَفْتَهُمْ لَدَيْهِ حِيَارَى
يَوْمَ لَمْ تَخْشَ غَيْرَ رَبِّكَ قَهَا
بَلْ تَقَدَّمْتَ وَالنَّوَاطِرُ حَسَرَى
ثُمَّ لَمْ تَعْتَصِمَ بِأَجْنَحَةِ الرُّوحِ
فَتَأَبَّيْتُ عَنْ سِوَى اللَّهِ غَوًّا
وَبَهَا كُنْتَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّـ
وَاهِبُ الشَّيْخِ بَعْدَ ضَعْفٍ وَبَأْسِ
ثُمَّ لَمَّا أُرِيتَ مِنْهُمْ ذَبِيحًا

يعقوب

فَتَوَارَى عَنْ مُقْلَتَيْهِ الضِّيَاءُ
وَعَلَيْهِ لِلْإِفْكِ تَجْرِي دِمَاءُ
خَانَهُ الذَّنْبُ وَأَعْتَرَاهُمْ بُكَاءُ
دَ فَصَبْرٌ وَرَحْمَةٌ وَرَجَاءُ
وَالِىَ اللَّهُ حَقًّا مِنْهُ التَّجَاءُ
خَاشِعًا قَانِتًا فَحَلَّ الرِّضَاءُ
بَعْدَ طُولِ الْفِرَاقِ أَنَّ اللَّقَاءُ
دَّ بَصِيرًا وَزَالَ عَنْهُ الْعَنَاءُ

أَيْنَ مَنْ وَاصَلَ الْبُكَاءَ حَزِينًا
يَوْمَ جَاءُوهُ بِالْقَمِيصِ عِشَاءُ
وَأَدَّعُوا كَاذِبِينَ أَنَّ أَخَاهُمْ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ نَفُوسُكُمْ الْكَيْدَ
كَظَمَ الْغَيْظَ بِالتَّصَبُّرِ دَهْرًا
وَدَعَا اللَّهَ وَالِهَا مُسْتَغِيثًا
يَا أَبَا الْغَائِبِ الْعَزِيزِ سَلَامُ
حِينَ رَدُّوا قَمِيصَ يَوْسُفَ فَارْتَدَّ

يوسف

رَ مَنَامًا وَلِلرُّؤْيَى فُيَاءُ
رَ وَمَجْلَاهُ كَوَكَبَ لَأَلَاءِ
ذُبِحَتْ عَنْهُ سَخْلَةٌ عَجَفَاءُ
حَ لِسَبْطِ الذَّبِيحِ فِيهَا رَجَاءُ
وَفِي الصُّبْحِ لِلدُّجَى إِفْشَاءُ

وَأَبْنُ يَعْقُوبَ إِذْ أَرَأَى الشَّمْسَ وَالْبَدْنَ
وَبِمَرَاهِمَا رَأَى أَحَدَ الْعَشْرِ
سُجَّدًا كُلُّهُمْ لَهُ وَهُوَ عَبْدٌ
وَتَجَلَّتْ كَأَنَّهَا فَلَقَ الصُّبْبَ
وَنَهَاةً عَنِ الْإِبَاحَةِ بِالسَّرِّ

ويل والله فاعِلُ ما يشاء
فَأَسْرُوا كَيْدًا وَضَاعَ الإِخَاءَ
إِنَّمَا الْقَتْلُ سُبَّةٌ شَنْعَاءُ
بَّ حَتَّى يُقْصِيهِ عَنْهُ الدَّلَاءُ
وَرَسُولٌ كَفَى الْأَبَاءَ الْإِبَاءَ
هِيَ بِالصَّبْرِ وَالتَّقَى سَرَاءُ!
مِ سَجودًا يَشْعُ مِنْهَا الضِّيَاءُ
بَصْبُورٍ تَحْوِطُهُ الْأَرْزَاءُ
فِيكَ وَالنَفْسُ صَرَصَرُ هَوَجَاءِ
زَانِهِ مِنْكَ مَظْهَرٌ وَضَاءُ
هَلْ عَنِ الْحُسْنِ تَذْهَلُ الْحَسَنَاءُ
كِ وَهَذَا لِنُسْتَرِ الْفَحْشَاءِ
كَ وَفِيًّا وَدُونَكَ الْأَوْفِيَاءِ
فُسُهُمْ سَوَّلَتْ وَهَذَا بَلَاءُ
فِي خِضَابٍ تَسِيلُ مِنْهُ الدَّمَاءُ

هَكَذَا يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ بِالنَّأِ
وَرَأَوْهُ أَحَبَّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ
وَرَأَوْا قَتْلَهُ فَقَالَ أَخُوهُ
قَالَ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ هَذَا الْجُبِّ
وَإِذَا بَيْعَ مَرَّتَيْنِ نَبِيٍّ
كُلُّ ضُرَاءٍ تَرْجُفُ النَّفْسُ مِنْهَا
يَا صَبِيًّا رَأَى الْكَوَاكِبَ فِي النَّوْ
حِكْمَةُ اللَّهِ فِي الْقَضَاءِ فَأَكْرَمُ
إِنَّ زَوْجَ الْعَزِيزِ أَوْسَعُ عُذْرًا
إِذْ رَأَتْ مَشْهَدَ النَّبِوَّةِ نَوْرًا
وَعَزِيزٌ عَلَى الْقُلُوبِ التَّجَنِّي
غَيْرَ أَنْ الْحَيَاءُ أَدْنَى إِلَى الْإِفِّ
حِينَ هَامَتْ وَحِينَ هَمَّتْ رَأَيْنَا
نَفْسَهَا سَوَّلَتْ وَأَسْبَاطُنَا أَنْ
وَكَفَى نِسْوَةَ الْمَدِينَةِ عُذْرًا

ضَمَّ مَنْ كُلُّ أَهْلِهِ أَنْبِيَاءُ
وَالِى السَّجْنِ سَيْقٌ وَهُوَ بَرَاءُ
بَدَأُ الْوَعْظُ فِيهِ وَالْإِلْقَاءُ
قَلَّدَتْهُ وَشَاحَهَا الْأَسْمَاءُ
دِ الْبَلَايَا فَزَالَتْ اللَّأْوَاءُ
وَاحْتِجَاجٌ وَهَكَذَا الْبُرَاءُ
نَّ مَنْ قَبْلُ أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ؟
أَنَا رَاوِدْتَهُ وَقَدَّ الرَّدَاءُ!
ثَوْرَةُ النَّفْسِ فِي ابْنِ آدَمَ دَاءُ
إِنَّمَا النَّفْسُ لَوْمُهَا إِغْرَاءُ!
لِ وَلاَحَتْ بِأَفْقِهِ الْجَوْرَاءُ

حَسَمُوا فِتْنَةَ الْجَمَالِ بِسَجْنِ
بَيْعَ بَيْعِ الرَّقِيقِ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا
وَبَرُؤْيَا النَّدِيمِ صَادَفَ عَهْدًا
قَالَ مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا خَيَالًا
وَبَرُؤْيَا الْعَزِيزِ حَطَّمْ أَصْفَا
وَدَعَوُهُ وَلِلْبَرِيِّ احْتِكَامُ
قَالَ مَا بِالْهَنْ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُ
قَالَتْ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ إِنِّي
لَيْسَ لِي أَنْ أَخُونَ بِالْغَيْبِ عَهْدًا
هِيَ نَفْسِي وَمَا أَبْرِيءُ نَفْسِي
فَتَلْقُوهُ طَاهِرَ الْيَدِ وَالذِّبِّ

وَأَحَلَّتْهُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ حَقًّا
وَأَجْتَبَاهُ لِنَفْسِهِ وَخَلِيقُ
هَكَذَا يُضْهِرُ النُّضَارُ لِيُصَفُّوْا
مَقْعَدَ الصَّدَقِ نَفْسُهُ الْعَصَمَاءُ
بَابُنِ يَعْقُوبَ عِنْدَهَا الْإِجْتِبَاءُ
وَالْبَلَايَا يَتِمُّ فِيهَا الصَّفَاءُ

أيوب

أَيْنَ مَنْ قَاوَمَ الْبَلَاءَ بِصَبْرٍ
مَسَّهُ الضَّرُّ وَانْبَرَى الدَّاءُ يُفْرِي
صَيَّرَتْهُ يَدُ النُّحُولِ خَيَالًا
إِيَّاهُ أَيُّوبَ قَدْ بَرَّتْكَ سِقَامُ
كَلَّمَا أَزْدَادَ كَرْبُهُ زَادَ صَبْرًا
كَشَفَ اللَّهُ ضَرَّهُ حِينَ عَادَتْ
وَثَبَاتٍ وَلَمْ يُفِدْهُ الدَّوَاءُ
جِسْمَ طَوْدٍ فَانْهَارَ هَذَا الْبِنَاءُ
وَتَعَدَّى عَلَى الصَّبُورِ الْبَلَاءُ
كَادَ يَدْعُوكَ لَوْ جَزَعْتَ التَّوَاءُ
هَزَمَ الدَّاءُ حَمْدَهُ وَالتَّنَاءُ
لَرَمِيمِ الْعِظَامِ تَجْرِي الدَّمَاءُ

شعيب

أَيْنَ مَنْ قَالَ أَهْلَ مَدْيَنَ أَوْفُوا
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا ضَعِيفُ
وَأَصْرُوا عَلَى الْعِنَادِ عُتُوءًا
وَأَهَانُوا شُعَيْبَ بِئْسَتْ نَفُوسُ
فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ لَمَّا تَعَالَوْا
وَاتَّقُوا اللَّهَ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
أَنْتَ فِينَا وَهُمْ هُمُ الضُّعَفَاءُ
وَنُفُورًا وَلَمْ يُفِدْهُمْ دَوَاءُ
قَادَاهَا الْكُفْرُ وَالْعَمَى وَالرِّيَاءُ
كِبْرِيَاءُ وَحَلَّ فِيهِمْ شِقَاءُ

موسى

أَيْنَ مُوسَى مَنْ جَاءَ فِرْعَوْنَ طِفْلًا
أُودِعَ الْيَمَّ خَوْفَ بَطْشِ عَدُوِّ
أَكْرَمُوهُ إِذْ قِيلَ قُرَّةُ عَيْنٍ
إِنْ فِرْعَوْنُ قَدْ طَغَى وَتَعَالَى
تَرَقَّبُ النَّجْمَ عَيْنُهُ النَّجْلَاءُ؟
وَتَوَلَّى مَهْدَ الْكَلِيمِ الْمَاءُ
تَمَّ حَقًّا مَا قَدَّرَتْهُ السَّمَاءُ
بِئْسَ عَهْدٌ أُبَيِّحَ فِيهِ الدَّمَاءُ

فاستجارت رجالهم والنساء
كان حصناً عزّت به الأبرياء
إذ بدا الرُّشدُ دبّت البغضاء
وأستوى حين فاضت الآلاء
وتوارث أمامه الأقوياء
فالتقته الجناية النكراء
نِعْمَةٌ منه وأستجيب الدعاء
حذر الموت هكذا النصحاء
خشية الغدر يوم تمّ العداء
وعن الورد أبعد الضعفاء
ن انكساراً إذ هزّ موسى الوفاء
وسقى وأتقى وحقّ الثناء
وهو من موقِف الأجير براء
وفتّى فنعّم هذا اللقاء
زانها الطهرُ والوفا والحياء
ما رآها حتّى تعالى النداء
وتجلّد لا تضطرب يا هواء
وأجتبأه وفاضت النعماء
قيل خذها تجذب بها ما تشاء
يدّ موسى وأيدّته السماء
فأطيعوه أو يحيق البلاء
ثم طارت بالساحر الأنباء
سجّداً وأعتلت ضحاها ذكاء
وتولّت فرعونهم كبرياء
وعوثهم بطيشها الخيلاء
وهوى بالعصا فشقّ الماء
كان قبراً لهم وتمّ الجزاء

أل فرعون عذبوا قوم موسى
ودعوا ربهم فأرسل سيفاً
عزّ قدراً في قصر فرعون حتّى
ثم لما آتاه حُكماً وعِلماً
بات في مصر للمليك ظهيراً
وأتى القوم يرّقّب الأمن فيهم
فدعا ربّه فأولاه عفواً
جاءه مؤمن المدينة يسعى
فرّ يעדو تلقاء مدين خوفاً
وعلى مائه ترأحم قوم
ما لبنتي شعيب عنه تذوداً
في مضاء كعزيمة الليث وفى
ودعاه شعيب يجزيه أجراً
فالتقى عندها نبیان شيخ
هذه (صفوة) العزيزة فاهناً
بعد عشر سعى فأنس ناراً
إخلع النعل وأستمع ما يوحى
جانب الطور كلمّ الله موسى
قال ألق العصا فأدبر خوفاً
وتبدّت بيضاء من غير سوء
أل فرعون قد أتاكم رسول
قال فرعون إنّ هذا لسحر
حين ألقى عصاه خرّوا جميعاً
شهد الكل أن موسى رسول
فتمادى وجنّده في ضلال
أدرك البحر قبل أن يذركوه
وأقتفاه فرعون والجند سعيًا

قارون

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
أَيَّنَ مَا حَازَ مِنْ كُنُوزٍ وَمَالٍ
كُلُّ مَنْ يَفْتَرِي يَنَالُ جِزَاءً
دَبَّرَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةَ كَيْدًا
وَأَعْتَدَى ظَالِمًا غَوِيًّا كَذُوبًا
فَرَمَاهُ الْقَضَاءُ مِنْهُ بِخَسْفٍ
غَرَّهُ الْجَاهُ وَالْمُنَى وَالْفِرَاءُ!
خَبَّأَتْهَا فِي جَوْفِهَا الْجُرْدَاءُ؟
وَيَحْ قَارُونَ هَذِهِ الْأَفْتِرَاءُ
وَعَلَى الْحَقِّ لَا يَفُوزُ الْمِرَاءُ
وَأَسْتَفَزْتُ عُتُوَّهُ كِبَرِيَاءُ
عِبْرَةً لِلَّذِينَ عَاثُوا وَرَاءُهَا

طالوت وجالوت

أَيَّنَ جَالُوتُ مَنْ تَعَاظَمَ بِأَسًا
أَوْقَدَ النَّارَ ثُمَّ شَادَ حُصُونًا
مَا تَمَادَى جَالُوتُ فِي الظُّلْمِ حَتَّى
كَانَ طَالُوتُ قَدْ تَمَلَّكَ فِيهِمْ
قَادَهُمْ مُرْغَمِينَ نَحْوَ الضُّوَارِي
أَظْلَمَ الْجَوُّ حِينَ مَاجَتْ جِيوشُ
صَالَ جَالُوتُ حِينَ آنَسَ ضَعْفًا
أَذْهَلَ الْخَوْفُ جَيْشَ أَبْنَاءِ إِسْرَا
صَاحَ طَالُوتُ بَيْنَهُمْ لَا تَخَافُوا
وَأُنْبِرَى كَالْحُسَامِ يَطْلُبُ خَصْمًا
رَحِمَةُ اللَّهِ أَرْسَلَتْ خَلْفَ طَالُو
كَانَ هَذَا دَاوُدُ سَابِعَ رَهْطٍ
رَفَعَ النُّصْرَ حِينَ صَالَ لِوَاءَ
لَمْ يَرَوْعَهُ بِأَسْ خَصْمٍ عَنِيدٍ
فَتَمَشَى كَاللَّيْثِ يَطْلُبُ قُوتًا
وَرَمَاهُ فَخَرَّ يَهُوِي صَرِيْعًا
سَبَّحَ اللَّهَ وَهُوَ يَرْمِي حَصَاهُ
أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا الْهَيْجَاءُ
لجِيوشِ ضَاقَتْ بِهَا الْبَيْدَاءُ
أَمَرَ اللَّهُ قَوْمَ مُوسَى فَجَاءُوا
وَهُوَ بَدَنٌ وَكُلُّهُمْ ضَعْفَاءُ
جَيْشُ جَالُوتَ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
وَبَدَا الرُّعْبُ وَأَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ
وَتَمَشَّتْ فِي جَيْشِهِ الْكِبَرِيَاءُ
ثِيْلٌ أَوْ كَادَ فِيهِ يَخْفَى الْهَوَاءُ
كَمْ ضَعِيفٍ دَانَتْ لَهُ الْأَقْوِيَاءُ
لَا يُبَارِيهِ فِي الْوَفَى قُرْنَاءُ
تَ غَلَامًا قَدْ عَزَزَتْهُ السَّمَاءُ
أَيْنَمَا حَلَّ زَالَتِ النَّكْبَاءُ
وَكَسَاهُ ثَوْبُ الْجَلَالِ الضَّيَاءُ
وَجِيَادٌ مَاجَتْ بِهَا الصَّخْرَاءُ
ثُمَّ نَادَى جَالُوتُ أَنْ الْفَنَاءُ
وَتَرَامَى عَلَى الْعَدُوِّ الْقَضَاءُ
جَاوَبَتْهُ الْقِفَارُ وَالْأَرْجَاءُ

نَزَلَ الْهَوْلُ وَاقْتَفَتْهُمْ جُنُودٌ لَمْ يَرَوْهَا وَسَالَتْ الرُّحُضَاءُ
تَمَّ نَصْرُ الضَّعِيفِ حِينَ تَجَلَّتْ قُوَّةُ اللَّهِ وَاسْتِقَامَ الْبِنَاءُ

داود

أَيْنَ دَاوُدَ مِنْ أَنْابِ بَقْلَبٍ خَشْيَةَ اللَّهِ حَلَّ فِيهِ الْحَيَاءُ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ عَامًا لَمْ يَشْبُ حُسْنَ صِدْقِهَا إِغْيَاءُ!
حَوْلُهُ أَوَّبَتْ جَمِيعَ الرِّوَاسِي ثَمَّ حَنَّتْ لَصَوْتِهِ الشَّمَخَاءُ
وَكَذَا الطَّيْرُ جَاوَبَتْهُ بِشَدْوٍ رَجَعَتْ حُسْنَ شَدْوِهَا الْأَرْجَاءُ
وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتِ هِيَ الدَّرُوعُ رِثَاءُ

سليمان

أَيْنَ مِنْ سُحَّرَتْ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنِّ سُسُ وَغَنَّتْ بِمُلْكِهِ الْجَوَزَاءُ
يَأْمُرُ الرِّيحَ حَيْثُمَا شَاءَ تَجْرِي مَلِكُ صَدْرُ تَاجِهِ الزُّهْرَاءُ
زَادَهُ اللَّهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ عِلْمًا وَتَبَاهَتْ بِمُلْكِهِ الشَّعْرَاءُ
وَرِثَ الْمُلْكَ عَنْ أَبِيهِ وَمَلِكُ شَادَهُ الْحَمْدُ طَابَ فِيهِ الثَّنَاءُ
يَا ابْنَ دَاوُدَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحُكْمٍ كَمْ تَمَنَّتْ مَنَالَهُ الْأَكْفَاءُ
كُنْتَ فِي الْأَرْضِ خَيْرَ مَنْ حَازَ مُلْكًا يَا سَلِيمَانُ تَمَّ فِيهِ الْعَطَاءُ

يونس

أَيْنَ ذُو النُّونِ إِذْ تَوَلَّاهُ كَرْبُ فَاثْمَطَى الْفُلْكَ حِينَ طَابَ الْهَوَاءُ
وَقَفَ الْفُلْكَ بَغْتَةً حِينَ قَالُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ سَاهِمُوا أَوْ تَسْأَلُوا
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُونُسَ يُجْرَى لاختِبارِ وَأَنْ هَذَا الْجَزَاءُ
فَرَمَوْهُ فِي الْيَمِّ وَالْحَوْتُ يَجْرِي سَاقَهُ الْوَحْيُ رَحْمَةً وَالنَّدَاءُ
ظَلَّ فِي بَطْنِهِ يُسَبِّحُ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَزُولَ الْعَنَاءُ

فَرَجَ اللَّهُ كَرْبَ يُونُسَ عَذْلًا وبهذا تَمَّ الرُّضَا والصِّفَاءُ

زكريا

أَيْنَ مَنْ قَالَ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَهَنَ الْعَظْمُ وَأَضْمَحَلَّ الْبِنَاءُ
يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ هَبْ لِي وَلِيًّا يَرِثُ النُّورَ كِي يَدُومَ الضِّيَاءُ
هَدْيِ الرُّوْعَ وَأَبْتِهْجَ زَكْرِيَّا يَا كَفِيلَ الْعِذْرَاءِ أَنْ الْوَفَاءُ
رَحْمَةُ اللَّهِ أَكْرَمَتَكَ بِيُحْيَى نَالَ حُكْمًا مَا نَالَه أَبْنَاءُ

عيسى

ظَلَّ حَيًّا مَنْ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْ عِدَ وَطِفْلًا وَعَظَّمَتْهُ السَّمَاءُ
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَطْهَرِ أُمَّ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهَا عَذْرَاءُ
جَاءَهَا الْوَحْيُ فَاسْتَعَاذَتْ بِرَبِّ الـ خَاسٍ مِنْهُ وَدَبَّ فِيهَا الْحَيَاءُ
قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ حَقًّا فَاحْمِلِي النُّورَ نِعْمَ هَذَا الْعَطَاءُ
فَتَوَارَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا وَأَضَاءَتْ مِخْرَابَهَا الزَّهْرَاءُ
وَأَتَاهَا الْمَخَاضُ إِذْ تَتَنَاجَى لِيَتَنَبِّئَنِي مَتَّ أَوْ دَعَانِي الثَّوَاءُ
وَضَعَتْهُ وَالْجِدْعُ يَحْنُو عَلَيْهَا وَاسْتَنَارَتْ بِوَضْعِهَا الْأَرْجَاءُ
إِيهِ أُمِّي لَا تَحْزَنِي وَأَحْمِلِينِي سَوْفَ يَبْدُو لِلْقَوْمِ هَذَا الضِّيَاءُ
فَأَتَتْ قَوْمَهَا بِهِ وَهِيَ حَجَلَى فَرَمَوْهَا بِأَنَّ هَذَا بَغَاءُ
أُخْتُ هَارُونَ كَيْفَ تَرْضَيْنَ هَذَا أَلْ عِمْرَانَ كُلُّهُمْ أَتَقِيَاءُ
إِنْ هَذَا بَيْتُ الْعِفَافِ قَدِيمًا كُنْتَ نَذْرًا فَكَيْفَ ضَاعَ الْوَفَاءُ
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاهْتَزَّ عَيْسَى وَتَجَلَّى عَلَى الْمَسِيحِ الْإِبَاءُ!
بُوْغَتْ الْقَوْمُ إِذْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْ عِدَ صَبِيًّا وَخَيَّمَ الْإِصْغَاءُ
قَالَ إِنِّي عَبْدُ لِرَبِّ الْبَرَايَا أَرْسَلْتَنِي بِالْبَيِّنَاتِ السَّمَاءُ
حَمَلْتَنِي أُمِّي كَمَا شَاءَ رَبِّي فَهِيَ أُمُّ مَا شَابَهَتْهَا نِسَاءُ
أَحْسَنَ اللَّهُ نَبْتَهَا وَأَجْتَبَاهَا وَحَبَاهَا الرُّضَا فَنِعْمَ الْعَطَاءُ

آيَةُ الطُّهْرِ دُرَّةُ عَضْمَاءِ
أَمْطَرَتْهُمْ فِي عَهْدِهِ الْآلَاءِ
فَتَفَانَتْ فِي حُبِّهِ الْأَوْفِيَاءِ
حَدَّثْنَا عَنْ صِدْقِهَا الْأَنْبِيَاءِ
حِكْمَةُ اللَّهِ نَالَهَا مَنْ يَشَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ مَا أَصَرُّوا وَشَاءُوا
مَا أَرَادُوا حَتَّى يَتِمَّ الْوَفَاءُ
إِيَّاهُ يَا قَوْمَ قَدْ أُجِيبَ الدُّعَاءُ
كَانَ عِيدًا لَهُمْ وَزَالَ الْمِرَاءُ
لِلْهُدَى نَاصِحًا فَسَادَ الْوَلَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ سُفَهَاءُ
يُحِيطُ اللَّهُ كَيْدَ مَنْ قَدْ أَسَاءُوا
أَكْرَمِي الضَّيْفَ رَحِيْبِي يَا سَمَاءُ

وَأَصْطَفَاهَا عَلَى النِّسَاءِ جَمِيعًا
أَمَّنَ الْكُلُّ بِابْنِ مَرْيَمَ حَقًّا
كَانَ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ وَجِيهًا
مِنْهُ جَاءَتْ بِالْخَارِقَاتِ عِظَاتُ
طَالَمَا أُبْرَأَ الْمَسِيحُ وَأَحْيَا
سَأَلُوهُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا طَعَامًا
قَالَ عِيسَى: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا
فَرِحَ الْقَوْمُ حِينَ قَالَ بِشِيرُ
وَتَوَالَى نَزُولُهَا فِي أَوَانٍ
ظَلَّ يَدْعُو عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِيهِمْ
بَنَسَ قَوْمٌ كَالْوَالِدِ لِعِيسَى عَدَاءُ
دَبَّرُوا لِلْمَسِيحِ كَيْدًا وَدَوَمَا
رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عِيسَى

محمد صلى الله عليه وسلم

(أَحْمَدُ) الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الثَّنَاءُ
قَبْلَ مِيلَادِهِ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَصْطَفَاهُ الْعَلَاءُ
فَاعَزَّتْ مِنْ شَأْنِهِ الْإِسْرَاءُ
لَمْ تَحْزُ بَعْضَ قَدْرِهِ الْأَكْفَاءُ
يَتَسَامَى إِلَى السَّمَاءِ الْبِنَاءُ
عَمَّ نَوْرُ الْهُدَى وَسَادَ الضِّيَاءُ
كُتِبَ النُّصْرُ فَوْقَهُ وَالْمَضَاءُ
خَيَّمَ الْكُفْرُ حَوْلَهَا وَالْعَدَاءُ
بِجِيوشِ رَجَالِهَا أَوْفِيَاءُ
لَا يُبَالُونَ بِالْوَعَى أَقْوِيَاءُ

مَنْ كُنُوزِ الْيَقِينِ بَدْرُ قَرَيْشٍ
خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ مَنْ بَشَّرْتَنَا
أَرْسَلْتَهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
وَرُقِيًّا أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
وَبِفَضْلِ الْإِلَهِ أَحْرَزَ مَجْدًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الصَّعَابُ وَأَضْحَى
وَأَنَارَ الْقُلُوبَ بِالْهُدَى حَتَّى
وَأَقَامَ الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسَيْفٍ
وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ رَغْمَ أَنْوَفٍ
رَدَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ شَرْقًا وَغَرْبًا
عَزَّزْتَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ جَنُودُ

فَتَفَشَّى فِي الْكَافِرِينَ الْفَنَاءَ
فَتَمَنَّنُوا لَوْ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ
كَمْ تَفَانَتْ فِي حُبِّهِ أَتْقِيَاءُ
فَأَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْعَلِيَاءُ
وَعَلَى نُورِهِ سَعَى الْحُنَفَاءُ
وَحَبَّاهُ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَطَاءُ
تَمَّ مِيقَاتُهَا وَحَانَ الْوَفَاءُ
وَنَذِيرًا لِمَنْ عَصَوْهُ فَبَاءُوا
يَوْمَ مِيلَادِهِ وَعَمَّ النَّدَاءُ
وَأَمْلَيْتِي الْأَرْضَ رَحْمَةً يَا سَمَاءُ
فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْطَعُ الْأَضْوَاءُ
قَدْ أَقَرَّتْ بِبَعْثِهِ الْأَنْبِيَاءُ
صَافَحَتْ سَيْفَ نَصْرِهِ الْجُوزَاءُ
خَاتَمَ الرُّسُلِ نُورُهَا الْوُضَاءُ
وَأَقْتَدَارُ وَهْيَبَتِهِ وَمَضَاءُ
وَوَفَاءُ وَحِكْمَتُهُ وَإِبَاءُ
لَمْ تَنْلُ بُعْدَ شَأْوِهَا أَصْفِيَاءُ
لَمْ يُعَادِلْهُ فِي الْوُجُودِ نَقَاءُ
لَمْ يُمَاتِلْهُ فِي السَّنَاءِ صَفَاءُ
سِ دَوَاءُ فَكَانَ مِنْهُ الشِّفَاءُ
يَوْمَ يَشْتَدُّ كَرْبُهَا وَالْعَنَاءُ
رَفَعَتْهُ يَمِينُهُ السَّمْحَاءُ
لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهُ وَالْهَنَاءُ
يَوْمَ يَخْلُو وَرُودُهُ وَالسَّقَاءُ
سَائِرُ الْكَائِنَاتِ وَالْآلَاءُ
تَتَنَاجَى بِذِكْرِهَا الْأَوْفِيَاءُ
أَبَدِيَّ نُجُومِهِ الْأَنْبِيَاءُ

طَارَدُوا الْمَشْرِكِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
جَاهَدُوا طَائِعِينَ أَمَرَ نَبِيِّ
شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَاجْتَبَاهُ
جَعَلَ اللَّهُ نُورَهُ بَدْءَ خَلْقٍ
رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَأَصْطَفَاهُ
جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرَّسَالَةِ لَمَّا
كَانَ لِلنَّاسِ هَادِيًا وَبَشِيرًا
كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ عِيدًا
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
هَا هُوَ النُّورُ يَا شُمُوسُ تَجَلَّى
سَيِّدُ الْعَالَمِينَ خَيْرُ بَشِيرٍ
كُوكَبُ الْفَاتِحِينَ أَشْرَفُ بَدْرٍ
أَوَّلُ الْخَلْقِ رُتَبَةً وَمَقَامًا
شَرَفُ عَزَّ أَنْ يُنَالَ وَمَجْدُ
هِمَّةُ جَاوَزَتْ أَقَاصِي الْأَمَانِي
مُعْجَزَاتُ تَحَيَّرَ الْعَقْلُ فِيهَا
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
جَوْهَرُ خَالِصٌ تَلَأَلَا نُورًا
رَحْمَةً سَاقَهَا الْمُهَيِّمُنُ لِلنَّاسِ
أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى شَفِيعُ الْبَرَايَا
جَامِعُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لَوَاءِ
قَائِدُ الْمُتَّقِينَ نَحْوَ خُلُودِ
صَاحِبِ الْخَوْصِ فِي فَسِيحَاتِ عَدْنٍ
أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ
ثُمَّ بَاتَتْ فَرَضًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ
يَاضِيَاءُ الْأَبْصَارِ يَا بَدْرُ كَوْنٍ

يا شَفَاءَ القُلُوبِ مِن كُلِّ دَاءٍ يا طَبِيبًا ما غَابَ عنه الدَّواءُ
يا مُنِيرَ العقولِ ظُلُمَةِ الجَهِـ لِ سَلامٍ ورحمَةٍ وولاءِ
يا رَجاءَ العِيونِ في كُلِّ آنٍ يا عَظِيمَ النُّهى عليك الثَّناءُ
يا مُجِيرَ النَفوسِ مِن كَرْبِ يومٍ يُفَقِدُ الرُّشدَ هَولُهُ والبَلاءُ
يا سِرَاجَ الهُدَى عليك صَلاةٌ وسَلامٌ يَعمُ مِنْهُ الرِّضاءُ

* * *

كُلُّ نَفْسٍ لا بُدَّ ذائِقَةً المَوِّ تِ يَقِينًا متى دعاها الفَناءُ
سُنَّةُ اللّهِ في جَميعِ البرايا وَنَفَادُ لما أَرادَ القِضاءُ
إنما الحَيُّ يا أَبْنَ آدمَ فَرَدُّ لَم يُنازِعُهُ ما قَضَى شُركاءُ
وَاحِدٌ لَم يَلِدْ قَوًى عَزيزُ نَافِذُ الأَمْرِ صانِعُ ما يَشاءُ
عالمُ الغَيبِ لَم يَمائِلُهُ شَيءٌ وَلَهُ وَحْدَهُ العُلا والبِقاءُ

* * *

أيها النّاسُ خالِفُوا طَيِّشْ نَفْسِ صَرَفَتْها عَنِ الهُدَى الأَهواءُ
واتركوا اللّهُوَ ما اسْتَطَعْتُمْ فَعارُ أَنْ تولى في غِيَّها الحُوباءُ
واعملوا الطَّيِّباتِ ما لَاحَ فَجَرُّ إِنَّ لِلطَّيِّباتِ نِعَمَ الجِزاءِ
واصنعوا الخَيرَ لِلحياتَيْنِ حَتى تَأْمَنَ النَفْسُ إِنَّ تَدانَى القِضاءُ
واستعينوا بالصَبْرِ في كُلِّ خَطْبٍ فَهُوَ لِلنَفْسِ والفِؤادِ الدَّواءُ
أَنْفِقُوا المالَ في المَبَرَّاتِ حَتى لَم يُهَدِّدْهُ بِالنَّفادِ الفَناءُ
واطلبوا الرِّزْقَ طَيِّبًا وحِلاَّ فَإِذا طابَ عَزَّ مِنْهُ البِناءُ
وأقيموا الصَلاةَ لِلهِ فَرضًا فَهِيَ لِلقلبِ واليَقينِ الضِّياءُ
وهي تَهْدِي إلى العِفافِ وتَنهى كُلَّ نَفْسٍ طاشَتْ بِها الفَحْشاءُ
وأقيموا المِيزانَ بِالقِسْطِ حَتى لا يَقولُ الكِرامُ ضاعَ الوِفاءُ
واجعلوا البِرَّ والزكاةَ شَفيعًا يومَ تَجْرى بِالمَوْقِفِ الرِّحْضاءُ
وَأَيِّمُوا شَهَرَ الصِيامِ قِيامًا إِنَّ قَرانَ فَجْرِهِ لَأَلاءُ
وأقيموا مَناسِكَ الحَجِّ سَعْيًا حَولَ بَيتِ عِمادِهُ العَلياءِ
حَرَمُ طاهِرٌ وَرُكنٌ شَريفٌ وَحَطيْمٌ وكَعْبَةٌ وَلِواءُ

وَحَنَانًا نِعَمَّتِ الرَّحْمَاءُ
وَأَطْمَئِنُّوا فَلَا يَضِيعُ الْجَزَاءُ
وَاذْكُرُوا عَدْلَ مَنْ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ
وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ
لَا شَيْئَهُ لَهُ وَلَا شُرَكَاءُ
خَالِقِ الْخَلْقِ فَاعِلُ مَا يَشَاءُ
فَمَعَ الْعَدُوِّ تَعَثَّرُ الشَّهْبَاءُ
وَاكْبَحُوا النَّفْسَ فَالْكَمَالُ الْحَيَاءُ
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغُرَّكُمْ كِبْرِيَاءُ
وَأَبْتَنُوا حَيْثُ لَا يَزُولُ الْبِنَاءُ!
فَمَنْ الظُّلَمُ أَنْ يَمُوتَ الْوَفَاءُ
وَانصُرُوا الْحَقَّ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءُ
فَهُوَ وَرْدٌ تَجْتَازُهُ الْأَحْيَاءُ
لَوْ حَوَّتْكُمْ فِي بُرْجِهَا الْجَوَازُ
وَأَهْدِمُوا إِفْكَ مَا أَدَّعَى الْأَدْعَاءُ
فَهِيَ مَنَوَى مَنْ أَنْكَرَتْ حَوَاءُ
بِزْفِيرٍ: إِلَيَّ يَا أَشَقِيَاءُ!
فَهَوَى النَّفْسِ حَيَّةً رَقِطَاءُ
وَأَطِيعُوهُ فَالْنَعِيمُ الْجَزَاءُ

وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ عَطْفًا
وَأَغِيثُوا الْمَلْهُوفَ جَوْدًا وَحِلْمًا
وَاكْظُمُوا الْغَيْظَ وَاصْفَحُوا عَنْ مُسِيءٍ
وَأَطِيعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ حُبًّا
وَاحْذَرُوا الشُّرْكَ فَالْمُهَيِّمُنُ فَرْدٌ
قَادِرٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
وَاقْصِرُوا فِي الْخُطَا وَسِيرُوا الْهُوَيْنَا
وَاغْضُضُوا الطَّرْفَ فَالْعَيُونُ شُهُودٌ
وَاجْعَلُوا حِلْيَةَ التَّوَاضُعِ تَاجًا
وَازرعوا اليوم تحصدوا بعد حينٍ
وَصِلُّوا الْعَهْدَ بِالْوَفَاءِ دَوَامًا
وَاجْعَلُوا الْعَدْلَ إِنْ حَكَمْتُمْ شِعَارًا
وَاذْكُرُوا الْمَوْتَ بَيْنَ أَنْ وَانَ
أَيْنَ كُنْتُمْ يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ حَتَّى
سَارِعُوا لِلْهُدَى وَعَفُوا وَتَوَبُّوا
وَاتَّقُوا النَّارَ دَارَ كُلِّ أَثِيمٍ
يَوْمَ يُدْعَى: هَلْ امْتَلَأْتُمْ؟ وَتَدْعُو
وَأَذْرَأُوا النَّفْسَ عَنْ سُمُومِ الْأَفْعَايِ
بَادِرُوا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ شُكْرًا

لِهُرَاءٍ مِمَّا أَدَّعَى الْأَغْبِيَاءُ
مُطْمَئِنِّينَ حَيْثُ شَاءَ الْقَضَاءُ
وَمُضِلٌّ قَدْ أَنْذَرْتَهُ السَّمَاءُ
لَعْنَةُ اللَّهِ فَوْقَهُ وَالْبَلَاءُ
مَنْ دِيَاجِي أَجْدَاثِهَا الْأَشْلَاءُ
وَيُنَادِي الْقَضَاءُ أَنْ الْوَفَاءُ
قَمْطَرِيرٍ أَهْوَالُهُ صَعْقَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُعِيرُوا اسْتِمَاعًا
وَأَضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَافَاتِ وَأَمْشُوا
وَأَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاوٍ
قَدْ عَصَى اللَّهَ فِي السُّجُودِ فَصَبَّتْ
قَالَ رَبِّ أَنْظِرْنِي حَتَّى تَوَافِيَ
يَوْمَ تَجْرِي الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى
إِبْقِ حَتَّى مِيقَاتِ يَوْمِ عَبُوسٍ

كُلَّ فَرَضٍ يَدْعُو إِلَيْهِ الْعَلَاءُ
زَيَّنَتْهُ جُنُودُهُ الْأَغْوِيَاءُ
تَحْتَ إِغْرَائِهَا جَنَى الْأَشْقِيَاءِ
حَيْثُ مَالَتْ بِالنَفْسِ زَالِ الْحَيَاءِ
بَيَّنَّنْهُ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ
تَتَوَارَى الرَّذِيلَةُ الْحَمَقَاءُ
تَتَمَشَّى مَعَ الدِّمِ الْفَحْشَاءُ
كِي يُوَارَى عَنِ الْعَيُونِ الْبَغَاءُ
فِيهِ تَمْشُونَ حِينَ يَخْبُو الضُّيَاءُ
تُسْتَبِيهَا بِمَكْرِهَا الْأَهْوَاءُ
تُمنَحُ الْعَفْوُ يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءُ
إِنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ نِعَمُ الْعَطَاءِ
وَاطْلُبُوا الْعَفْوَ يَكْتَنِفْكُمْ رِضَاءُ
وَيَقِينَا إِيْمَانُهُ لَا يُرَاءُ
صَحْوَةُ الْعَيْشِ لِمَحَّةٍ فَالْتَوَاءُ

حَارِبُوهُ بِالصَّالِحَاتِ وَأَدُّوا
وَاتَرَكُوا الْخَمْرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رَجْسٍ
سَهَّلْتُ لِلنَّفُوسِ كُلِّ الْمَعَاصِي
لَقَّبُوهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ قَدْ مَأَى
وَادْفَعُوا بِالْعَفَافِ كُلَّ حَرَامٍ
وَانْشَرُوا الْعِلْمَ وَالْفَضِيلَةَ حَتَّى
وَاقْطَعُوا دَابِرَ الْفُجُورِ وَإِلَّا
وَابْذَلُوا النَفْسَ فِي صِيَانَةِ عَرْضٍ
وَاجْعَلُوا الصَّدَقَ وَالْأَمَانَةَ نَوْرًا
وَامْنَعُوا بِالتَّقَى مَطَامِعَ نَفْسٍ
طَهَّرُوهَا مِنَ الذُّنُوبِ عَسَاهَا
وَتَفَانُوا فِي صُنْعِ كُلِّ جَمِيلٍ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَأَسْعَوْا كِرَامًا
وَأَمْلَأُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَحَنَانًا
وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِاجْتِنَابِ الْخَطَايَا

فَالِإِلَامَ الْجَهَالَةَ الْحَمَقَاءُ؟
هَيَّمَنْتُهُ عَلَى الثَّرَى الْخِيَلَاءُ
خَاضَعَاتٍ وَمَاجٍ مِنْهُ الْهَوَاءُ
وَالْتَقَتُهُ الْمَوَانِعُ الشَّمَاءُ
وَرَتَّنَتْهُ الْأَثْمَةُ الشُّعْرَاءُ
وَاسْتَنَارَتْ حَيَاتُهُ الرِّغْدَاءُ
لَمْ تَهَبَّهَا لِغَيْرِهِ الْعُلَيَاءُ
مَا اسْتَطَاعَتْ بُلُوغُهُ الْحُكْمَاءُ
حِينَ طَارَتْ بِمُلْكِهِ الْأَنْبَاءُ

يَا أَبْنَ حَوَّاءَ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا
جِسْمُكَ الْغَضُّ هَيْكَلٌ مِنْ تُرَابٍ
سَوْفَ يَبْلَى مَهْمَا حَبَّتْهُ الْأَمَانِي
وَأَثَقَتْهُ الْأَسُودُ بَرًّا وَبَحْرًا
وَبَكَّتْهُ الْعَيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الْمَطَالِبُ سَعْيًا
وَأَتَاكَ لَهُ الْمَعَالِي كُنُوزًا
وَأَعَدَّتْ لَهُ الْمَوَاهِبُ حُكْمًا
وَتَمَشَّتْ لَهُ الْمَصَاعِبُ طَوْعًا

يَنْعَمُ الْجِسْمُ بِالْحَيَاةِ قَلِيلًا ثم يدعوه بعد ذاك الفناء
فَيُلَبِّي نِدَاءَهُ وَتَوَلَّى عنه تلك النَّصَارَةَ الْحَسَنَاءَ
وَيُؤَارَى عَنِ الْعِيُونِ وَيَبْلَى وهشيمًا تَضُمُّهُ الْغُبْرَاءُ
إِنَّمَا النَفْسُ لِلْخُلُودِ فَحَسْبِي يا أَبْنَحَوَاءَ يَوْمَ يَدْنُو الْقَضَاءُ
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشْرٌ رَهِيْبٌ وقيامُ أَهْوَالِهِ فَرْعَاءُ
يَجْمَعُ الْخَلْقَ كُلَّ قَاصٍ وَدَانٍ منذ عاشت عَلَى الثَّرَى حَوَاءُ
فَادْرَعْ مَا يِقِيكَ هَوْلَ عَذَابٍ وَأَذْخِرْ مَا يَفِرُّ مِنْهُ الْبَلَاءُ
إِنَّ تَقْوَى الْإِلَهِ أَكْبَرُ نُخْرٍ وهي كَنْزٌ لَا يَغْتَرِيهِ الْفَنَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ بَيِّنَاتٌ وَعِظَاتٌ قَامَتْ لَهَا الْخُطْبَاءُ
أَوْقَفَ النَفْسَ وَالنَّفِيسَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ أَيْمَّةٍ أَنْبِيَاءُ
فَخَذَوْهَا مِلَّةَ الْيَقِينِ وَوَفَّوْا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ يَحِلُّ الرِّضَاءُ
هَا هُوَ الْعَقْلُ رَائِدٌ فَذَرُوهُ يَتَخَيَّرُ لِحَظِّكُمْ مَا يَشَاءُ
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمِّنْ وَنَعِيمٌ وَرَحْمَةٌ وَهَنَاءُ
أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَوَيْلٌ وَعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ وَشَقَاءُ
فَاسْلُكُوا مَا حَلَا لَكُمْ مِنْ طَرِيقٍ خَيْرُهُ النُّورُ، شَرُّهُ الظُّلْمَاءُ
لَا يَرَى الظَّالِمُونَ فِيهِ سَبِيلًا وَبِنُورِ الْهُدَى يَرَى الْأَتْقِيَاءُ
فَاسْتَقِيمُوا وَآمِنُوا وَأَطِيعُوا يَهْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَيَحْلُو الثَّنَاءُ
وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ تَنَالُوا أَجَرَ إِيْمَانِكُمْ وَتَرْضَى السَّمَاءُ
وَانْكُرُوهُ وَسَبِّحُوهُ كَثِيرًا مَا تَغْشَى دُجَى وَلَاخَ ضِيَاءُ

مرآة الزمن

وَأَذْكُرُ بَقَاءَ مُدَبِّرِ الْأَكْوَانِ
مُرَّ الْأَدَى وَمَظَالِمِ الْإِنْسَانِ
تَكْفِيكَ شَرَّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
رُسِمَتْ عَلَيْهِ عَجَائِبُ الْحَدَثَانِ
لَعِبْتَ بِسَاحَتِهِ ذُووِ التَّيْجَانِ
بَلَغَ السَّمَاءَ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ
وَدَعَتْهُ عِزَّتُهُ إِلَى الْعِصْيَانِ
بَاتَتْ لِسُكْنَى الْبُومِ وَالْغُرْبَانِ
نَسَى الْحِسَابَ وَهَيْبَةَ الرَّحْمَنِ
وَالْعُجْبُ يَمْلَأُ سَاحَةَ الْإِيْوَانِ

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ حَيٍّ فَإِنْ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا قَدْ أَصَابَكَ وَأَحْتَمِلْ
وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ ثَبَاتِكَ قُوَّةً
وَأَنْظُرْ (لِمِرَاةِ الزَّمَانِ) بِنَاضِرٍ
صَوْرٌ عَلَى إِنْسَانٍ عَيْنِكَ مَسْرَحًا
مِنْ كُلِّ عَاتٍ كَمْ تَخَيَّلَ أَنَّهُ
فَطَغَى وَتَاءَ بِمُلْكِهِ مُتَالِّهَا
كَمْ مِنْ قُصُورٍ بِالْمِظَالِمِ شَادَهَا
سَفَكَ الدَّمَاءَ وَجَارَ جَبَّارًا وَقَدْ
وَمَشَى وَمَقَتْ الْكِبْرِيَاءُ يَقُودُهُ

* * *

وَيَمِرُّ بِالذُّكْرِى عَلَى الْأَذْهَانِ
تَبْدُو إِلَيْكَ شَرَّاسَةُ الْحَيَوَانِ
تُدْمِي فُؤَادَكَ قَسْوَةُ الْإِنْسَانِ
عَبْرُ جَرَتْ بِالْمَدْمَعِ الْهَتَّانِ
غَضَبَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَثِيمِ الْجَانِي
وَالظَلَمُ يَفْتِكُ بِالْبَرِيِّ الْعَانِي

يُرَوِّى لَكَ الْمَاضِي عَجَائِبَ مَا رَأَى
فَإِذَا وَهَبْتَ لَهُ التَّأَمُّلَ لِحِظَةً
طَوْرًا تُبَاغِتُكَ الْعِظَاتُ وَتَارَةً
كَمْ فِي الْعُصُورِ السَّالِفَاتِ تَمَثَّلَتْ
نُقُشَتْ عَلَى صُحُفِ الزَّمَانِ فَسَجَلَتْ
بَيْنَا الْجَرَائِمُ يَسْتَفِزُّكَ بَطْشُهَا

يَنْجَابُ دَيْجُورُ المَظَالِمِ مُسْرِعًا ويلوح فجرُ العدلِ والإحسانِ
ويروقُ لِلْعَيْنِ التَّمَتُّعُ حينما تبدو الفضيلةُ في أَجَلٍ معاني
يَصِفُ الكِرَامَ العاملينَ وما لهم في المجدِ من عِزٍّ ومن سُلْطَانِ
ويُعِيدُ ذِكْرَ مَآثِرٍ قد سَطَّرَتْ لِذَوِي الإِنَابَةِ آيَةَ الشُّكْرَانِ

* * *

هِمَمٌ تَجَاوَزَتْ السَّمَكَ مَكَانَةً وَعَلَتْ عَلَى الْجَوَازِءِ وَالْمِيزَانِ
لَمْ يُبْلِهْهَا مَرُّ العُصُورِ وَلَمْ تَزَلْ مَا عَمَّرَتْ مَرْصُوصَةَ البُنْيَانِ
تَبْقَى بَقَاءَ الْعَالَمِينَ مَصُونَةً تَزْهَوُ بِثُوبِ نَضَارَةِ الرِّيْعَانِ
تلك الكُنُوزُ الْخَالِدَاتُ بَرَاءَةٌ لِلْعَامِلِينَ بِدَعْوَةِ الإِيمَانِ
الْبَازِلِينَ النَفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَالطَّالِبِينَ مَرَاحِمَ الْغُفْرَانِ
وَالْعَاكِفِينَ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالتَّقَى وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
بِيضِ الصَّنَائِعِ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَنْجَبَتْ حَوَاءٌ مِنْ أَسْمَى بَنِي الْإِنْسَانِ
نُورٌ تَلَأَلَا مِنْ سَنَاءِ مَوَاهِبِ سَطَعَتْ بِجَوْهَرِ أَطْهَرِ الْأَبْدَانِ
شَهِدَتْ بِمَا لِلْمَحْسِنِينَ أُولِي النُّهَى فِي الْبِرِّ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَبِمَا أَقَامَ الْمُصْلِحُونَ مِنَ الْهُدَى فِي عَالَمِ الذُّكْرِى بِكُلِّ مَكَانِ
وَبِصَدَقِ عَزَمِ الْمُتَّقِينَ وَمَا لَهُمْ بِالزُّهْدِ مِنْ قَدَرٍ عَظِيمِ الشَّانِ

* * *

تَتَمَثَّلُ الْحُسْنَى وَمَا قَدْ خَلَدَتْ بِصَحَائِفِ التَّارِيخِ مِنْ رِضْوَانِ
تَبْدُو وَأَيَاتُ الرِّضَاءِ تَضُمُّهَا لِلْخُلْدِ ضَمَّ الرُّوحِ لِلْأَبْدَانِ
سِيرٌ تَمُرُّ عَلَى الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى مَرَّ الْكَرِيمِ الْمُزْنِ بِالْوُدَيَانِ
فَيَفِيضُ مَاءُ الْغَيْثِ بَيْنَ سَهُولِهَا وَيَسُوقُ سَيْلَ الْخُصْبِ لِلْعِيدَانِ
حَتَّى إِذَا أَرْدَهَتْ الْمُرُوجُ وَأَيَّنَعَتْ لَعِبَ النَّسِيمُ بِمُورِقِ الْأَغْصَانِ
وَجَرَتْ يَنَابِيعُ الْحَيَاةِ وَنَوَّرَتْ شَتَّى الزُّهُورِ بِأَبْدَعِ الْأَلْوَانِ
هَذِي قُلُوبُ الْمُهْتَدِينَ وَمَا حَوَتْ بِالْهُدَى مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
فَدَعَ التَّمَرُّدُ يَا أَبْنَ آدَمَ وَأَتَّعِظُ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي نَعِيمٍ فَاانِ
مَهْمَا بَلَّغَتْ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْغِنَى وَالْحِظُّ وَالْإِقْبَالِ وَالسُّلْطَانِ

وَسَعَتْ إِلَيْكَ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
رَفَعَ اللُّوَاءَ بِوَأْسِلُ الْفُرْسَانِ
بِيَدِ الْمَهَابَةِ أَنْفَسَ التَّيْجَانِ
كُلُّ الْمَطَالِبِ مِنْكَ طَوْعَ بَنَانِ
وَأَمَنْتَ شَرَّ تَقْلُبِ الْأَزْمَانِ
كَالْوَهْمِ حَوْلَ فَطَانَةِ الْأَذْهَانِ

وَتَقَرَّبَتْ مِنْكَ الْمَحَاسِنُ كُلُّهَا
وَمَشَتْ تُحْيِيكَ الْجُنُودُ وَفَوْقَهَا
وَالْمُلْكُ أَقْبَلَ نَحْوَ بَابِكَ حَامِلًا
وَأَنْقَادَتْ الْأَمَالُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
وَحَسِبْتَ أَنَّكَ قَدْ تَمَلَّكَتِ السُّهَى
وَنَعِيْمُكَ الزَّاهِي خِيَالٌ زَائِلٌ

فَعَدَوْتَ عَبْدَ جَمَالِهَا الْفَتَّانِ
وَسَبَّكَ مِنْهَا سَاحِرُ الْأَجْفَانِ
وَرَمَاكَ سَهْمُ خِدَاعِهَا الْخَوَّانِ
تَلْهُو وَتَلْعَبُ فِي صَفَا وَأَمَانِ
عَهْدَ الشَّبَابِ لِسَالِفِ الْأَزْمَانِ
كَفَيْكَ تَصَلَّى زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
وَالنَّفْسُ طَامِحَةٌ إِلَى الْعِصْيَانِ
وَالذِّكْرِيَّاتُ مُثِيرَةُ الْأَشْجَانِ
وَتَبَيَّتْ فَوْقَ مَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ
فِي اللَّهْوِ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالنُّدْمَانِ
وَاللَّاعِبَاتِ فَوَاتِنِ الْغُزْلَانِ
النَّاعِسَاتِ مَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ
مَهْمَا طَرِبْتَ لِرِقَّةِ الْأَلْحَانِ
فِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ تَحْنَانِ

بَسَمَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حُسْنُهَا
وَأُنْقَذْتَ مَدْفُوعًا بِطَيْشِكَ لِلْهُوَى
سَلَبْتَ نَهَاكَ بِغِيَّهَا وَدَهَائِهَا
مَرَّ الشَّبَابُ وَأَنْتَ مَسْلُوبُ النُّهَى
وَدَنَا الْمَشِيبُ مُبَاغِتًا لَكَ نَاعِيًا
فَصَحَوْتَ مَرْتَجَفَ الْفُؤَادِ مُقْلَبًا
تَبْكِي صَبَّكَ وَكَيْفَ ضَاعَ بَهَاؤُهُ
فَيُرِيْقُ دَمْعَكَ ذِكْرُ أَيَّامِ الصَّبَا
تُمْسِي وَتُصْبِحُ نَادِمًا مُتَحَيِّرًا
يَأْلَيْتَ عُمْرَكَ مَا تَقْضَى غَضُّهُ
وَالكَاعِبَاتِ السَّاحِرَاتِ رَشَاقَةٌ
وَالشَّارِدَاتِ الْغَيْدِ رَبَّاتِ الْبَهَا
وَبَوَاعِثِ الْأُنْسِ الْقَصِيرِ زَمَانُهُ
وَالْمُغْرِيَّاتِ الصَّافِيَّاتِ وَمَا لَهَا

وَنَعِيْمَهَا وَشَقَاءَهَا سَيَّانِ
وَالنَّفْسُ لَا تَخْلُو مِنَ الْأَحْزَانِ
يَلْقَاكَ بَيْنَ مَخَافٍ وَأَمَانِ
وَيَزِيدُ فِيكَ مَهَابَةَ السُّلْطَانِ

إِنَّ الْحَيَاةَ سُرُورَهَا وَبُكَاءَهَا
وصفاءً عَيْشِكَ يَسْتَحِيلُ دَوَامُهُ
وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى صَفْوِ الْمُنَى
بَيْنَا يَسُوقُ لَكَ السَّعَادَةَ بِاسْمَا

يَنسَابُ كَالْأَفْعَى فَيَنْشَبُ نَابَهُ فِي أَمْنِكَ الْمُتَغَافِلِ الْوَسْنَانِ
فَتَهْبُ مُلْتَاعَ الْفُؤَادِ مُعَذِّبًا وَتَذُوقُ سُوءَ عَوَاقِبِ الْخُسْرَانِ
تَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ زَمَنِ الْهِنَا وَتَنُوحُ نَوْحَ الْحَائِرِ الْوَلَهَانِ

* * *

إِذْ ذَاكَ يَنْقَشِعُ الظَّلَامُ وَيَنْجَلِي نُورُ الْيَقِينِ بِيَقْظَةِ الْوُجْدَانِ
فَتُذِيقُكَ الْيَّامُ مَرَّ كُؤُوسِهَا لَتَعِيشَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
عَدْلًا يُبْغِيكَ الْقَضَاءَ جَزَاءَ مَا أَسْرَفْتَ فِي حُبِّ الْمَتَاعِ الْفَانِي
فَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادِكَ رَاضِيًا وَاهْجُرْ نَعِيمًا عَادَ بِالْخُسْرَانِ
وَاتْرُكْ هَذَاكَ اللَّهَ غَيِّكَ وَاسْتَقِمْ وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ خَالِدَ الْبُنْيَانِ
وَإِذْكَ هَوَانُكَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الْمُفْرِغَيْنِ الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ

* * *

أَيَّنَ الَّذِينَ عَنَا لِسَطْوَةَ مُلْكِهِمْ قَاصِي الْمَدَائِنِ رَهْبَةً وَالْدَّانِي
وَمَشَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَحْتَ لَوَائِهِمْ طَوْعًا تَحِيطُ بِهِمْ عُتَاةُ الْجَانِ
وَبِأَمْرِهِمْ جَرَتْ الرِّيَّاحُ وَسَيَّرَتْ لَهُمُ الْجِبَالُ وَسُخَّرَ الثَّقَلَانِ
أَيَّنَ الْأَكَاسِرَةَ الَّذِينَ تَفَاحَرُوا بِعُرُوشِهِمْ وَجَلَالَةِ الْإِيْوَانِ
وَفَخَامَةِ الْمُلْكِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ فِي عَهْدِ أَغْدَلِهِمْ أَنْوُ شِرْوَانِ
أَيَّنَ الْغَزَاةُ الْفَاتِحُونَ وَبِأَسْهُمْ أَيْنَ الْأُسُودُ قَيَاصِرُ الرُّومَانِ
أَيَّنَ الرُّؤُوسُ الْعَبْقَرِيَّاتُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْيُونَانِ
تِلْكَ الْكَنُوزُ الْغَالِيَاتُ شَهَادَةُ لِبُلُوغِهِمْ أَقْصَى مَدَى الْعِرْفَانِ

* * *

أَيَّنَ الْعَمَالِقَةَ الْعُتَاةُ وَأَيَّنَ مَا تَرَكَهُ مِنْ تَرْفٍ وَمِنْ عُمْرَانِ
مِنْ قَوْمٍ عَادٍ وَالْعِرَاقِ وَتُبَّعٍ وَثُمُودَ مَنْ شَقُّوا عَصَا الْعِصْيَانِ

* * *

أَيَّنَ الْعَصُورُ الْمُدْهَشَاتُ وَمَا حَوَتْ مِنْ فُطْنَةٍ أَعْيَتْ قُوَى الْإِنْسَانِ
عَهْدُ لَهُ شَهِدَ الزَّمَانُ عَجَائِبًا ضَنَّ الْوُجُودُ بِهَا لِعَهْدِ ثَانِ

لجلالها قد كَبَّرَ القمَرانِ
بَعُدَتْ مَدَارُكُهُ عَنِ الْأَذْهَانِ
أَوْحَىٰ بِهَا الْكَهَنُوتَ لِلْكُھَّانِ
مَتَعَاقِدِينَ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ
فِي الْأَرْضِ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
وَالْمَاءُ لِبَّأْهِمْ بِكُلِّ لِسَانِ
وَمَشَتْ سِبَاعُ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ
تَجْرِي بِقُدْرَةِ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ
فِي الشَّاسِعِينَ الْحَوْتَ وَالْمِيزَانَ
كَالْبَرْقِ بَيْنَ الْجَدْيِ وَالسَّرْطَانِ
لِعَجَائِبِ الْأَفْلَاكِ فِي الدَّوَرَانِ
فِي مِصْرَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْعِمْرَانِ
لِتَدْوَمَ رَغْمَ طَوَارِيءِ الْحَدَثَانِ
رَمَزُ الْحَيَاةِ لِهَيْكَلِ الْإِنْسَانِ
وَهِيَ النَّمُوُّ لِسَائِرِ الْأَبْدَانِ
وَالطَّيْرُ بَيْنَ خِمَائِلِ الْأَغْصَانِ
عَفِنًا مِنَ الْأَقْذَارِ وَالِدِّيْدَانِ
فَوْقَ السُّهُولِ وَفِي رُبَا الْوُدَيَانِ
حَفِظَتْ نِظَامَ الْعَالَمِ الْحَيَوَانِي
مَلَأَ الْفَضَاءَ وَعَمَّ كُلَّ مَكَانِ
خَلَوْا مِنَ الْأَمْلَاحِ وَالْأُدْرَانِ
أَطْوَادُ مَاسٍ فِي سُهُولِ جُمَانِ
تِلْكَ الْجِبَالُ هَوَتْ مِنَ الذُّوْبَانِ
تَجْتَاحُهَا قِمَمٌ مِنَ الصَّوَانِ
وَالسَّيْلُ يُهْدِي الْخِصْبَ لِلْقِيعَانِ
وَعَلَى الْعُنَاصِرِ إِمْرَةُ السُّلْطَانِ
جَرْدَاءَ خَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّانِ

نَالَتْ بِهِ مِصْرُ الْفَرِيدَةُ هَيْبَةً
عِلْمٌ يُحَارُّ الْفِكْرَ فِي تَكْيِيفِهِ
سِرُّ أَصُولِ الْعِلْمِ فِيهِ طَلَاسِمٌ
دَرَسَتْهُ بَيْنَ هِيَآكِلٍ وَمَعَابِدِ
حَفَظًا لِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ وَمَا لَهُمْ
فَأَطَاعَهُمْ شُمُّ الْجِبَالِ وَصَلْدُهَا
وَأَنْصَاعَ مُخْتَلَفِ الرِّيحِ لِأَمْرِهِمْ
رَصَدُوا الْكَوَاكِبَ وَهِيَ بَيْنَ بَرُوجِهَا
وَمَوَاقِعِ النُّجُومِ الْبَعِيدِ مَدَارُهُ
وَالثَّاقِبَاتِ الشُّهُبِ سَابِحَةَ الْفَضَا
حَسَبُوا طَوَالِعَ كُلِّ نَجْمٍ وَأَهْتَدَوْا
وَتَبَيَّنُوا تِلْكَ الْبُرُوجَ وَفَعَلَهَا
فَبَنَوْا هِيَآكِلَهُمْ عَلَى أَسْرَارِهَا
عَلِمُوا بِأَنَّ الشَّمْسَ سَيِّدَةُ الْقُوَى
وَلِكُلِّ جِسٍّ حَلٌّ تَحْتَ شِعَاعِهَا
فَالنَّيْبُ وَالْحَيَوَانُ مُفْتَقِرٌ لَهَا
وَالْمَاءُ لَوْلَاهَا لِأَصْبَحَ رَاكِدًا
فَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ عَذْبًا جَارِيًا
بَعَثَتْ لِسَطْحِ الْأَرْضِ أَعْجَبَ آيَةٍ
نُورًا وَنَارًا مِنْ وَهِيَجِ سَنَائِهَا
حَمَلَتْ بِخَارِ الْمَاءِ عَذْبًا طَاهِرًا
صَعَدَتْ بِهِ مَتْنُ الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ
حَتَّى إِذَا اصْطَدَمَتْ لِسُرْعَةِ سَيْرِهَا
طَوْرًا تُمَزَّقُهَا الرِّيحُ وَتَارَةً
فَالْغَيْثُ يَكْسُو الْأَرْضَ ثَوْبًا يَانِعًا
وَلَهَا عَلَى سَيْرِ الرِّيحِ قِيَادَةٌ
وَالْأَرْضُ لَوْلَاهَا لَكَانَتْ بَلَقْعًا

مُزْدَانَةً بِنَفَائِسِ الْقُرْبَانِ
فَانْذَكَ صَرْحُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
مَا شَيْدُوا لِلْعَجَلِ وَالْجُعْرَانِ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي الْحُسْبَانِ
جَعَلُوهُ بَيْتَ سَرَائِرِ الْأَكْوَانِ
نُقِشَتْ عَلَيْهِ طَلَاسِمُ الْكِتْمَانِ
لِلرَّابِضِ الْمُتَحَفِّزِ الْيَقْظَانِ
لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلسَّكُونِ مَعَانِ
كَيْدَ الْعَوَادِي وَقَفَّةَ الْحَيْرَانِ
جِسْمَ الْهَزْبِرِ وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ
مُفْنِي الْعُصُورِ وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
ضَمَّ الْكَنْوَزَ غَوَالِي الْأَثْمَانِ
مَجْدًا تَعَذَّرَ عَنْ ذَوِي التَّيْجَانِ
وَطَوَى الزَّمَانُ صَحِيفَةَ الْكُفَّانِ

شَادُوا لِهَيْكَلِهَا الْعَظِيمِ مَعَابِدًا
نَسَبُوا لَهَا مَجْدَ الْأُلُوهَةِ رَهْبَةً
عَكَفُوا عَلَيْهَا عَابِدِينَ وَهَدُمُوا
وَاسْتَخْدَمُوا تِلْكَ الْقَوَى لِبَلُوغِهِمْ
نَحْتُوا بِبَاطِنِ «مَنْفٍ» أَقْدَسَ مَعْبِدِ
صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرِّ غَامِضِ
صَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبٍ سَاهِرِ
رَمَزَ الْمَهَابَةِ وَالرِّزَانَةِ وَالْجَمَى
يَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرَةٍ قَدْ أَوْقَفَتْ
جَسَدَ حَوَى أَسْمَى الْقَوَى رَمَزًا لَهُ
هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهيبُ ثَبَاتُهُ
عَهْدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي
وَاسْتَخْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبَلُوغِهِمْ
حَتَّى أَتَى (مِينَا) وَأَسَّسَ مُلْكُهُ

رَبَطُوا السَّفِينِ بِمُقَلَّةِ الرُّبَّانِ
بَلَّغْتَهُ مَصْرَ بِهِمْ مِنَ الْعُمَرَانِ
كَانُوا الْأَيْمَةَ فِي قَوَى الْإِمْكَانِ
قَامَتْ لِذِكْرِي مَجْدُهُ الْهَرَمَانِ
وَادِي الْمُلُوكِ سَيَادَةَ الْوُدْيَانِ
مَخْبُوءَةٌ عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
فِي الْوُزْنِ نَالَتْ رَجَحَةَ الْمِيزَانِ
أَسْرَارُهُ غَابَتْ عَنِ الْأَذْهَانِ
يَقِظُ تَتَبَعَ خُطْوَةَ الْعُدُونِ
مِنْ بَطْنِ مَنْفٍ إِلَى رَبَا أَسْوَانِ
عَزَمًا يُؤَدِّي وَاجِبَ التَّيْجَانِ
أَبَدًا لِتَذْرِكُهُ يَدُ الْإِنْسَانِ

أَيَّنَ الْفِرَاعِنَةَ الْمُلُوكُ وَأَيَّنَ مَنْ
أَيَّنَ الْأُسُودَ الْفَاتِحُونَ وَأَيَّنَ مَا
آثَارُهُمْ فِي مَصْرَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ
عَهْدَ الْعَجَائِبِ عَصْرُ (مَنْفِيَس) الَّذِي
وَطَلَّاسِمُ السَّرِّ الَّذِي أَهْدَى إِلَى
وَادِ كَنْوَزِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَيْدِيهِ
لَوْ أَنَّ قِيَمَتَهَا وَمَا فَوْقَ الثَّرَى
أَخْفَى مَخَابِئَهَا الْعَدِيدَةَ طَلَّسِمُ
حُرَّاسُهُ تَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَاضِرِ
سَهْرَتٍ عَلَى تَحَفِّ الْمُلُوكِ أَمِينَةٍ
وَعَلَى الْقَبَابِ الْبَيْضِ قَامَ أَشَدُّهَا
كَهْفُ حَوَى كَنْزِ الْكَنْوَزِ وَلَمْ يَكُنْ

قد هَيَّأَ الْكَهَنُوتُ أَرْصَادًا لَهُ
تِيحَانُ بَيْتِ الْمُلِكِ مِنْ (مينا) إِلَى
وَصَوَالِجِ الْأُسْدِ الْفِرَاعِنَةِ الَّتِي
وَحُلِيِّ رَبَّاتِ الْخُدُورِ قَلَانْدُ
أَلَقْتُ عَلَيْهِ طَلَّاسَمَ النَّسْيَانِ
مَلِكِ الْوَعَى (سيزوستريس) الثَّانِي!
سَحَرَتْ عَيُونَ قِيَاصِرِ الرُّومَانِ
مَنْضُودَةٌ مِنْ جَوْهَرِ فَتَّانِ

* * *

أَيَّنَ الْجَبَابِرَةُ الْمُلُوكُ وَبَأَسُهُمْ
وَجَمَاجِمُ الْأَعْدَاءِ جَنِي سَيُوفِهِمْ
وَالْجَوِ أَقْتَمُ وَالذُّرُوعُ تَطَايِرَتْ
وَجِيَادُهُمْ تَنْسَابُ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
كَالْأُسْدِ تَنْقُضُ انْقِضَاضَ صَوَاعِقُ
تَتَكَدَّسُ الْأَشْلَاءُ تَحْتَ رِكَابِهَا
لَمْ يَنْتَهَ حَشْدُ الْجَمُوعِ عَنِ الْمَنَى
مَهْمَا تَلَاَحَمَتِ الصَّفُوفُ لِرَدِّهَا
وَأُنْذَكَ صَرْحُ حِصُونِهِ وَتَشَتَّتَتْ
وَمَشَى الْقِضَاءُ إِلَى الْعَدُوِّ وَمَزَقَتْ
وَتَقَدَّمَ النِّصْرُ الْمَبِينُ مُصَافِحًا
يَوْمَ اشْتَدَّادِ الْكَرْبِ فِي الْمِيدَانِ
تَنْهَالُ تَحْتَ سَنَابِكِ الْفُرْسَانِ
مِنْ هَوْلٍ مَا قَدْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ
ظُلُمَاءَ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَدُخَانِ
تَجْتَاحُ مَا تَلْقَاهُ مِنْ بُنْيَانِ
فِي مَوْجِ بَحْرِ مِنْ نَجِيعِ قَانِ
كَلَّا وَلَمْ تَحْفَلْ بِهِوْلٍ طِعَانِ
فَشَلَ الْعَدُوُّ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
أَبْطَالُهُ فِي ظُلْمَةِ الْوُودِيَانِ
يُؤْمِنَاهُ قَهْرًا رَايَةَ الْعِصْيَانِ
أَبْطَالَ مِصْرَ ضِيَاعِمِ الْمِيدَانِ

* * *

فِي كُلِّ وَادٍ كَانَ مَيْدَانًا لَهُمْ
أَثَرًا يُمَثِّلُ بَطْشَهُمْ بَعْدُوهُمْ
صُورًا تَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ دَوَقِهِمْ
دَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَاتَحِينَ وَعَمَّرُوا
وَبَنَوْا لِمِصْرَ الْمَجْدِ رَغْمَ مَطَامِعِ
دَوْلٍ تَمَنَّتْ مَا لِمِصْرَ مِنَ الْعُلَا
قَامَتْ لِتَبْنِي الْمَجْدِ لَكِنْ خَانَهَا
أَيَّنَ الْفِرَاعِنَةُ الَّذِينَ تَأَلَّهُوا
زَعَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَلَّ بِرُوحِهِمْ
نَقَشُوا مَوَاقِعَهُمْ عَلَى الصَّوَانِ
فَتَكَ الْجِيَاعُ الْأُسْدَ بِالْغُزْلَانِ!
وَهَيَامِهِمْ بِالْغَزْوِ وَالْعُمَرَانِ!
مَا هَدَّمَ الْجَبَرُوتُ مِنْ بُنْيَانِ
لِلْفُرْسِ وَالْأَشُورِ وَالرُّومَانِ
وَلَكُمْ تَضْيَعُ مَعَ الْغُرُورِ أَمَانِي
بَطْشُ الْأُسُودِ بِهَا وَجْهَلُ الْبَانِي
فِي مِصْرَ مِنْ (خُوفٍ) إِلَى الرِّيَّانِ
نُورًا وَهَيَمَنَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ

فَطَعَوْا وَعَاثُوا مُفْسِدِينَ وَأَسْرَفُوا
كَفَرُوا فَمَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا هَيْكَلٌ
وَالْكِبْرِيَاءُ إِذَا تَمَكَّنَ غِيَّهَا
فَهِيَ الْجُنُونُ لِكُلِّ غَرٍّ جَاهِلٍ
أَوْ فَهِيَ مَقْتُ اللَّهِ صَبَّ عَلَى الَّذِي
ظَلَمُوا وَجَارُوا وَأَسْتَبَدُّوا قَسْوَةً
ظَنُّوا بِأَنْ نَعِيمَهُمْ وَهَنَاءُهُمْ
وَأَسْتَخْدَمُوا الْإِنْسَانَ فِي أَهْوَائِهِمْ

* * *

نَحْتُوا الْجِبَالَ وَشَيِّدُوا مِنْ صَلْدِهَا
رَمَزًا (لَامُونَ) الَّذِي عَكَفُوا عَلَى
وَلْمَجِدِ (إِيزِيس) الَّتِي ظَنُّوا بِهَا
وَلِعَجَلٍ مَنْفٍ وَمَالِهِ قَدْ هَيْكَلُوا
(أَبِيسُ) حَيًّا أَكْرَمُوهُ وَمَيِّتًا
وَمَشَتْ تَشْيَعُهُ الْمَلُوكُ يَحْفَهُمْ
عَبَدُوهُ فِي ظِلِّ الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا
كَفَرُوا بِمَنْ خَلَقَ الْوُجُودَ وَأَشْرَكُوا
وَبَنُوا مِنَ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ مَعَابِدًا
دُورًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ لَمْ تَجْسُرْ عَلَى
قَدْ أودعوها مَا أَسْتَحَالَ وَجُودُهُ
صُورًا مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى مَثَلَتْ
وَعَلَى الْهَيْكَلِ حَوْلَهَا تَحَفُّ لَهَا
وَبِأَبْدَعِ الصُّورِ الْجَمِيلَةِ سَجَلُوا
نَقْشًا عَلَى الصَّخْرِ الَّذِي عَجَزَ الْبَلَى
مَرَّتْ بِهِ الْأَجْيَالُ وَهُوَ كَأَنَّهُ
تَرْمِي مَعَانِيهِ الْعَجِيبَةَ عَنْ مَدَى
عَلِمُوا بِأَنْ الرُّوحَ لَا تَفْنَى وَإِنْ

فِي الظُّلُمِ وَالْجَبَرُوتِ وَالطُّغْيَانِ
جَسَدٌ سَيُصْبِحُ طُعْمَةً الدِّيدَانِ
مَنْ نَفْسُهُ دَفَعَتْهُ لِلْعُضَيَّانِ
قَدْ هَاجَهُ مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَسِيَ إِلَهِهَ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
وَأَسْتَسْلَمُوا لِأَوَامِرِ الْكُفَّانِ
فِي مُلْكٍ وَادِي الْنِيلِ لَيْسَ بِقَانٍ
وَأَسْتَعْبَدُّوهُ بِرَهْبَةٍ وَهَوَانٍ

وَالْجَسْمُ يَقْضِي فِي الْحَيَاةِ نَصِيبَهُ
فِيْفَارِقُ الدُّنْيَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي
كُلُّ الْنَفُوسِ إِلَى الْخُلُودِ مَصِيرُهَا
قَدْ بَرَّهَنَ الْإِيضَاحُ فِي تَصْوَيرِهِمْ
عَنْ صَحْوَةِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ رُقُودِهَا
حَيْرَى تَبْعَثُهَا الْقُبُورُ كَأَنَّهَا
هَذَا هُوَ الْبَعْثُ الَّذِي جَحَدَتْ بِهِ
حَقًّا لَهُ فَطِنُوا وَلَمَّا تَأْتِيهِمْ
وَلَقَدْ رَأَى الْحُكَمَاءُ أَنَّ يَدَ الْبَلَى
فَتَظَلُّ تُنْشِزُ فِي عِظَامِ رَطَبَةٍ
فَإِذَا تَجَرَّدَ أَصْلُهَا وَتَطَهَّرَتْ
أَخَذَ الْبَلَى يَسْرِي فَيَنْخَرُ هَيْكَلًا
عَهْنًا فَتُرَبًّا كِي يُرَدَّ لِأَصْلِهِ
لَا بُدَّ يَوْمًا كُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى
لَمَّا بَدَأَ لِيَقِينَهُمْ مَا رَاعَهُمْ
خَافُوا عَلَى أَجْسَادِهِمْ مِنْ هَوْلٍ مَا
فَتَمَكَّنُوا بِالْعِلْمِ مِنْ تَحْلِيلِهَا
فَحَصُّوا كُرَاتِ دَمِ الْوَرِيدِ وَكَيْفَ قَدْ
وَتَبَيَّنُوا الْقَلْبَ الْعَجِيبَ بُطَيْنُهُ
لِيَحُولًا مَصْلَ الْوَرِيدِ إِلَى دَمٍ
بَحَثُوا الْعِظَامَ وَمَا حَوَتْ أَدْوَارُهَا
بَحَثًا يَحَارُ الطَّبُّ فِي تَعْلِيلِهِ
وَبَقَاءُهَا عُمْرًا طَوِيلًا غَضَّةً
فَنَخَاعُهَا وَاللَّحْمَ سُرَّ حَيَاتِهَا
مَا غَابَ عَنْهُمْ عِنَصْرٌ لَمْ يَفْقَهُوا
لَهُمْ انْطَوَى الْعِلْمُ الْعَجِيبُ وَصَرَّحَتْ
فَتَوَصَّلُوا لِنَوَالٍ مَا قَدْ أَمَلُوا

حَتَّى يَجِيْنَ مِنَ الْجَمَامِ تَدَانِي
بِسَعَادَةٍ تَلْقَاهُ أَوْ بِهَوَانٍ
وَالْحِظْ مُوَكُّولٌ إِلَى الْغُفْرَانِ
بَأَدَقِّ فَهْمٍ فِي أَتَمِّ بَيَانٍ
وَقِيَامِهَا لِلْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ
سَيَلُ الْجَرَادِ يَهِيْمُ فِي الْوُدَيَانِ
أُمَمٌ غَوَتْهَا فِتْنَةُ الشَّيْطَانِ!
رُسُلٌ لِيَتَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ
لَا بُدَّ أَنْ تَسْطُو عَلَى الْأَبْدَانِ
حَتَّى تُجَرِّدَهَا مِنَ الدِّيدَانِ
مِنْ كُلِّ مَا حَمَلَتْ مِنْ الْأُرْدَانِ
يَنْهَارُ تَحْتَ عَوَامِلِ الذُّوْبَانِ
وَالْتَرَبُّ أَصْلُ سُلَالَةِ الْإِنْسَانِ
نَرًّا يَكُونُ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
وَتَبَيَّنُوا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَإِنْ
يَنْتَابُهَا فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
وَدَمُ الْحَيَاةِ يَدِبُّ فِي الْأَبْدَانِ
رَدَّ الْحَيَاةَ لَهَا دَمُ الشُّرْيَانِ!
وَأَذَيْنَهُ فِي الصَّدْرِ يَنْقَبِضَانِ!
حَيٌّ إِذَا مَا دَارَ يَنْبَسِطَانِ
فِي الشَّيْبِ وَالْإِطْقَالِ وَالشُّبَّانِ
عَرَفُوا بِهِ مَا هِيَ الْحَيَوَانِ
فِي قُوَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَمِرَانِ
وَهُمَا لِحِفْظِ كَيَانِهَا حِصْنَانِ
تَأْثِيرُهُ فِي الْهَيْكَلِ الْجُثْمَانِي
بِالرَّغْمِ مِنْهُ غَوَامِضُ الْكِتْمَانِ
وَمَعَ الْهَزِيمَةِ لَا تَضِيعُ أَمَانِي

* * *

عَلِمًا بِسَرِّ صَيَانَةِ الْأَبْدَانِ
يَوْمًا لِتَبْقَى آيَةُ الْأَزْمَانِ
تَتَعاقَبُ الْأَحْقَابُ فِي اطمئنانِ
قد غادرته نضارة الرِّيعَانِ
وقد اختفى عن أعين الْحَدَثَانِ
بالميتِ أُخْرَى مِنْهُ بِالْوَسْنَانِ
سَخِرْتَ بِفَتْكِ كَوَارِثِ الْعُدُونِ
مكتوفةً بالرغمِ مِنْهُ يَدَانِ
أَمْثَالُهَا وَقَوَاهُ فِي نُقْصَانِ
يَجْتَازُهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَدَانِي
حُكْمَاءُ مِصْرَ عَوَادِيِ الْمُلُوكِ
وَقَضَى عَلَى مَدِينَةِ الرُّومِ
لو كان مُنْصَرَفًا إِلَى الْعِرْفَانِ
بِالْمُعْجَزَاتِ بَعِيدَةِ الْإِمْكَانِ
أو بعد ذِيَاكَ النِّجَاحِ أُمَانِي؟
وثبَاتِهِمْ وَبِحِدَّةِ الْأَذْهَانِ
لم تقضِ بعدَ الْمَوْتِ غَيْرَ ثَوَانِ!
يَوْمًا مَضَى فِي رَاحَةٍ وَأَمَانِ
وهي التي شهدت ضحى الطوفانِ!
وَصَلَتْ إِلَيْهَا حِكْمَةُ الْإِنْسَانِ
وَحَبَا سِرَاجُ الطَّبِّ فِي الْيُونَانِ
مُنْذُ كَفَّ كَوْكُبُهُ عَنِ الدَّوَرَانِ
أَسْرَارُهُ وَنَأَى عَنِ الْبُرْهَانِ
ممزوجةً بِالعَالَمِ الرُّوحَانِي
أَعْجُوبَةُ الدُّنْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ

كانت نَتِيجَةُ بَحْثِهِمْ أَنْ وَفَّقُوا
بعدَ المماتِ مَنْ اتَّصَلَ يَدُ الْبَلَى
أَمْنًا تَمَرُّ بِهَا الْقُرُونُ وَبَعْدَهَا
وقوامُهَا صَلْبُ فَتْيِي ذَابِلُ
ألقى السُّبَاتَ عَلَيْهِ سُلْطَانُ الْكُرَى
لم تَنْتَقِضْهُ سِوَى الْحَيَاةِ وَلَمْ يَكُنْ
ترمي مَنَاعَتُهُ الزَّمَانَ بِنَظَرَةٍ
والدهرُ يَعْجَبُ أَنَّ سُلْطَانَ الْبَلَى
مَرَّتْ بِهِ تِلْكَ الْعُصُورُ وَتَنْقُضِي
سُدَّ رَهِيْبٍ كُلَّمَا قَدْ هَمَّ أَنْ
هذا هو أَلْسَرُ الَّذِي هَزَمْتَ بِهِ
أَقْصَى عَنِ الْإِغْرِيقِ كُلِّ حَضَارَةٍ
ما أَبْعَدَ الْإِنْسَانَ فِي تَفْكِيرِهِ
تَأْتِي الْمَوَاهِبُ لَوْ تَكَامَلْ نُورُهَا
هل بعدَ تِلْكَ الْخَارِقَاتِ فِطَانَةٌ
أَجْسَادُهُمْ شَهِدَتْ بِقُوَّةِ عَزْمِهِمْ
ظَهَرَتْ لِنُورِ الشَّمْسِ وَهِيَ كَأَنَّهَا
وَكأنَّ أَلْفَ السَّنِي تَبَدَّلَتْ
هي بَيْنَنَا وَتَظَلُّ دَهْرًا بَعْدَنَا
قَدْ أَظْهَرَ التَّحْنِيْطُ أَعْجَبَ آيَةٍ
عَجَزَتْ شُعُوبُ الْأَرْضِ عَنِ إِدْرَاكِهِ
وَحَلَّتْ بِحَارَ الْعِلْمِ مَنْ أَصْدَافِهِ
عِلْمٌ تَوَارَى أَصْلُهُ وَتَحَجَّبَتْ
صَعَدَتْ مَوَاهِبُهُ السَّمَاءَ فَأَصْبَحَتْ
قد كان إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ وَلَمْ يَزَلْ

مرآة الزمن

وكفى به فخراً لمصر وأهلها أمّ القرى سُلْطَانَةِ الْوُدَيَانِ
هي جنةُ الدُّنْيَا التي قد أَحْرَزَتْ ما عز من مُلْكٍ ومن عُمرَانِ

رحلة

يا مَنْ نَفَى عَنِّي لَذِيذَ مَنَامِي
يا مَنْ لِأَوَّلِ نَظَرَةٍ قَدْ خَلَّتُهُ
فَوَهَبَتْهُ قَلْبِي وَكُلَّ سَعَادَتِي
عَامَانٍ قَدْ مَضَيَا لِعَهْدِ غَرَامِنَا
إِنِّي سَأُشْرَحُ قِصَّتِي لَكِنَّمَا
مَنْنِي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
مَلَكًا تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرِشِ غَرَامِي
وَحَسِبْتُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ مَرَامِي
أَمْسَى بِهَا جِسْمِي أَلِيفَ سَقَامِ
أَخْشَى دُخُولَ الْوَجْدِ طَيِّ كَلَامِي

* * *

قَدَّمَ الرَّبِيعُ فَفَاضَ بِالْإِنْعَامِ
أَعَدُّوا عَلَى النَّيْلِ الْحَبِيبِ هَنِيهَةً
حَتَّى نَزَلَتْ بِرَوْضَةٍ فَوَاحَةٍ
حَوَتْ الْعَجَائِبَ مِنْ فَصِيلَاتِ الْفَلَاحِ
فَوَلَجَتْهَا وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ غِبْطَةً
مَا سَتَ غُصُونُ الْبَانِ طَوْعَ نَسِيمِهَا
يَا نِعْمَهَا مِنْ رَوْضَةٍ فِي مِصْرٍ قَدْ
تَنَسَّرَبُ الْحُورُ الْجِسَانَ لِدُورِهَا
أَلْفَيْتُ فِي وَسْطِ الْحَدِيقَةِ جَوْقَةً
فَرَعَبْتُ أَنْ أَبْقَى لِأَطْرَبِ مَسْمَعِي
فَتَسَابَقْتُ نَحْوَ الْمَكَانِ الْكَاعِبَا
وَدَرَجْتُ أَرْسَمُ لِلرُّبَى أَحْلَامِي
وَهَنِيهَةً أَرْتَادُ أَرْضَ سَلَامِ
هِيَ مَسْرَحُ الْغُزْلَانِ وَالْأَرَامِ
وَبَدَتْ جَمَالًا فِي أَتَمِّ نِظَامِ
وَسَمِعْتُ فِيهَا صَيْحَةَ الضَّرْغَامِ!
فَانْجَابَ مِنْ فَرْطِ الْهِنَاءِ ظَلَامِي
جَمَعْتُ جَمِيلَ الطَّيْرِ وَالْأَنْعَامِ
مِنْ فَاتِكَاتِ اللَّحْظِ وَالْهَنْدَامِ!
صَدَحَتْ تَوَقُّعُ أَطْيَبِ الْأَنْعَامِ
وَكَأَنَّ سَرَى بِالزَّائِرِينَ مَرَامِي
تُ الْغَيْدُ يَجْذِبُهُنَّ صَدْحُ حَمَامِ

وَنَزَّاحَمْتُ حَوْلَ الْكَوَاعِبِ فِتْيَةً
بَيْنَا السَّهَامُ مِنَ الْعُيُونِ تَبَادَلَتْ
كُنْتُ الْوَحِيدَ بِمَعْزِلٍ عَنْ جَمْعِهِمْ
سَرْعَانَ مَا أَنْقَطَعَ الْخَيَالُ لَأَنِّي
ظَنَيْتُ تَنَزَّلَ مِنْ سَمَاءٍ نَعِيمِهِ
حُلُوَ الشَّمَائِلِ أَهْيَفُ مُتَرَبَّبُ
يُزْرِي بِغُصْنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
وَيُمَاطِلُ الطَّائُوسَ فِي خُطَوَاتِهِ
بَهْجَ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
رَشَاءً تَسْرِبَلٍ بِالْجَمَالِ فَوَجَّهَهُ
فَإِذَا رَنَا لِلشَّمْسِ أَوْقَفَ سَيْرَهَا
وَالْبَدْرُ يَخْجَلُ مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
أَهْدَتْهُ مُبْدِعَةُ الدَّلَالِ لِحَاطَهَا
بَاهِي الْمَحْيَا زَانَ حُمْرَةَ خَدِّهِ

مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمًا
وَمَضَتْ ثَوَانٍ خِلْتُ فِيهَا أَنَّنِي
وَجَرَى يُوجِّجُ بِالْأَرِيحِ ضِرَامِي
زُرْتُ الْجَنَانَ وَحَقَّقْتُ أَحْلَامِي

بَيْنَا أَنَا فِي بَحْرِ وَجْدِي سَابِحُ
إِذْ قَدْ تَحَوَّلَ نَحْوَ وَجْهِي وَجْهَهُ
وَتَحَرَّكَتِ قَدَمَايَ لَا أَذْرِي إِلَى
وَمَشَيْتُ مِنْ حَمْرِ الْهَوَى مُتَمَاطِلًا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا خَلِيًّا لَمْ يَكُنْ
وَطَفِئْتُ لَا أَذْرِي أَحْلَمًا مَا أَرَى
وَتَحَرَّكَتِ قَدَمَاهُ نَحْوِي فَأَغْتَدَى
يَا نِعْمَهَا مِنْ سَاعَةٍ فِيهَا جَرَى

أَشْتَأَقُ أَنْ لَا تَنْقُضِي أَوْهَامِي
فَتَسْعَرْتُ فِي مُهْجَتِي آلَامِي
أَيُّ الْجِهَاتِ تَحَرَّكَتِ أَقْدَامِي!
ثَمَلًا وَلَكِنِّي بَغِيرَ مُدَامِ
يَذْرِي الْهَوَى حَتَّى اكَتَوَى بَغْرَامِ
أَمْ يَقْظَلَةُ أَمْ فَتْرَةُ الْأَوْهَامِ
قَلْبِي يَدُقُّ وَخَانَنِي إِقْدَامِي!
مَاءُ الْحَدِيثِ فَجَاءَ طِبْقُ مَرَامِي

بعوائد التركيّ عند سَلام
إيضاحه إذ حان أَخْذُ تِزَامِي!
والقَلْبُ يرقصُ من لَذِيذِ مَنَامِي:
وَأرى الغزاة أعلَنتْ بِسَلام
يَخْشَى هجومَ الباطش الضَّرغامِ!
إني أرى قد حان وقتُ طعامي
يَنُوي الرَّحِيلَ مضاعفًا آلامي
أَنوارُهُ وغرِقَتْ في أوهامي
وأفقتُ حالًا من لَذِيذِ مَنَامِي
كيما أقاوم عِلَّةَ الإيكامِ
كالسيف يلعبُ في يد الصَّمصامِ
هذا الحسابُ بِجُمْلِ الأرقامِ
وكانني قد صُدَعْتُ أَقْلَامِي
من حَوْلِنَا والفِكرُ في آلامِ
طربِ المَسرَّةِ راقصَ الأقدامِ
وكانَ تَهَلَّلَ وجهُهُ بكلامي
ما بين لونِ الوَرْدِ والأعْنامِ:
كيف اتَّصلتْ بفائه والَّلامِ؟
قد صيغَ والتكرارُ بالإلزامِ
إِنِّي أَعْلَمُ صِيغَةَ الأرقامِ
وَعَلَيَّ حَقُّ سُؤالِ الإستفهامِ!
وأضِفْ إليها اثنين يا ابنَ كِرامِ
إِسْمًا بِهِ قَدْ عِيلَ صَبْرُ غَرَامِي
بالباء بعد الراءِ تم مرامي
شفتاه: صُنْ يا ابنَ الخليلِ زَمَامِي
قَضَى زمانًا في بَكا وظَلَامِ
كقميصِ يُوَسِّفُ فانجلتْ أَيَّامِي

وتحركتْ شَفَتاهُ نحوي وَانحنى
وَرَنًا وقالَ: الوقتَ أَرْجُو سيدي
فأَجَبْتُه ويدي تَلَعِبُ ساعتِي
قد مرَّ بعد الستِّ عشرُ دقائق
فتلَقَّتْ الطَّبِيّ الجَمِيلُ كأنَّهُ
وتلفظتْ شفتاه: هيّا ساعتِي
وتحركتْ يُمْنَاهُ نَحْوي وانثَنَى
فرايْتُ نجمَ سَعادَتِي قد أَظلمتْ
وجمعتُ كُلَّ قُوَايِ بل وبَسالَتِي
وتَحَرَّكَتْ شَفَتَايِ رَغْمَ إِرادَتِي
وسأَلْتُه: ما الإسمُ؟ قالَ ولحظُهُ
إِنْ شئتُ أَسْقِطُ ستَّةَ من مائةِ
فصبرتُ حينًا لم أَذُقْ طَعْمَ الهُدَى
ومَضَتْ ثَوَانٌ والسكونُ مخيِّمٌ
حتى عثرتُ بِمَطْلَبِي فغدوتُ من
ناديتُهُ فاهتزَّ تِيهاً جيدُهُ
وأجابَ والإعْجابُ صَيَّرَ خَدَّهُ
كيف اهتديتُ إلى أَصُولِ حروفِهِ
من أينَ تَدْرِي أَنَّهُ مِنْ أَرْبعِ
فأَجَبْتُه: هذا الحسابُ صناعتِي
فَرَنَّا وقالَ: سألْتُمُوا فأَجَبْتُكُمُ
لَكَ ما تشاءُ فَمَايَتانِ وَعَشْرَةٌ
وحروفُهُ سَبْعُ أَقُولُ بِوصفِها
وبِهِ وقد إِنْ أخرجتْ فاستُبدِلتْ
فتنبَّهَ الطَّبِيّ الجَمِيلُ وتَمَتَّتْ
فكأنَّني يعقوبُ أَبْصَرَ بعدمَا
وكانَ دُرَّ حديثِهِ قد جاءَني

والطير أَشَدَّتْ مُنْعِشَ الْأَنْعَامِ
وَكَأَنَّهَا تَدْعُو لَنَا بِدَوَامِ
أَعْطَافُهُ بِالْوَرْدِ وَالْأَكْمَامِ
أَزْهَارُهُ وَعَلَا هَدِيلُ حَمَامِ
أَشْتَأَقُ حَكْمَ النَقْضِ وَالْإِبْرَامِ
قَدْ صَارَ يُشْبِهُ صُورَةَ الْأَصْنَامِ
عَيْنِي وَقَلْبِي ثُمَّ نَارَ غِرَامِي
وَكَأَنَّ وَجْدِي قَدْ أَذَابَ عِظَامِي
فَاهْتَزَّ جِسْمِي وَأَزْتَحَّتْ أَقْدَامِي
أَمْسَى بِجِسْمِي كُلِّ عَضْوٍ دَامِي
قَدْ صِرْتُ حَارِسَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ!
عَزَفْتُ لِصُحْبَتِنَا بِحُسْنِ خِتَامِ
وَجَنَاتِهِ فَتَلَهَّبَتْ بِضِرَامِ
أَنْغَامِهَا بِالْوَجْدِ وَالْآلَامِ
حَتَّى الْغُصُونُ تَعَلَّقَتْ بِالْهَامِ
قَدْ جَاءَ يَجْمَعُ غَايَةَ الْإِحْكَامِ
(هَذَا مَلَاكُ الطُّوْلِ وَالْإِنْعَامِ)
لِجَمِيلِ أَخْلَاقٍ وَحُسْنِ نِظَامِ
حَتَّى تَرَكْنَا مِنْزِلَ الضَّرْعَامِ

وَالرَّوْضُ هَبَّ بِهِ النَّسِيمُ مَبَارِكًا
وَبَلَابِلُ الْبُسْتَانِ طَارَتْ حَوْلَنَا
وَالْتَرَجِسُ الْغَضُّ الْجَمِيلُ تَمَآيَلَتْ
وَتَرَاقَصَتْ أَغْصَانُهُ وَتَبَسَّمَتْ
فَوَقَفْتُ مِنْ طَرَبِ الْمَسَرَّةِ حَائِرًا
هَذَا النَّسِيمُ وَكُلُّ حَيٍّ حَوْلَنَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ
وَتَدَفَّقَتْ عَنِّي حُنُوءًا نَحْوَهُ
وَتَحَرَّكَتْ يُمْنَايَ تَلَمَّسُ زُنْدَهُ
وَاشْتَدَّ فِي خَفَقَانِهِ قَلْبِي وَقَدْ
وَحَسِبْتُ أَنِّي عِنْدَمَا صَاحَبْتُهُ
وَكَأَنَّ مُوسِيقَى الْحَدِيقَةِ خَلَفْنَا
وَالشَّمْسُ عِنْدَ مَغِيبِهَا قَدْ قَبَّلَتْ
وَالطَّيْرَ عِنْدَ فِرَاقِهِ قَدْ أَبْدَلَتْ
وَحَنًا عَلَيْهِ الْبَانُ يَمْنَعُ مَشْيَهُ
عَشِيقَتُهُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ فَحَسَنُهُ
خَطَّتْ يَدَ التَّكْوِينِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وَعَشِيقَتُهُ لَا لِلْجَمَالِ وَإِنَّمَا
مَا زَالِ يُطَرِّبُنِي بِعَذْبِ حَدِيثِهِ

* * *

سَيَّارَةً مِنْ شَارِعِ الْأَهْرَامِ!
فَكَأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا
ثَوَّبَ عَلَيْهِ لَكِي أُرِيحَ غِرَامِي
إِيوَانُ كِسْرَى كَانَ دُونَ مِقَامِي!
مَدَّتْ مِفَاتِنَهَا كَغَفْرِخِ نَعَامِ
وَالْبَدْرُ أَجْلَى مُزْعِجِ الْأَحْلَامِ
لَعِبًا تَضِيقُ لِوُصْفِهِ أَفْهَامِي

خَرَجَ الْأَمِينُ عَلَيْهِ يَسْتَدْعِي لَنَا
وَخَرَجَتْ وَالْيُسْرَى تَطُوقُ خَصْرَهُ
شَخَّصَتْ لَهُ كُلَّ الْعَيُونِ وَلَيْتَنِي
سَاعَدْتُهُ حَتَّى جَلَسْتُ جَوَارَهُ
وَعَدَتْ هُنَاكَ صَافِنَاتُ جِيَادِنَا
وَالْجَوُّ رَقَّ نَسِيمُهُ مِنْ حَوْلَنَا
وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنُّهَى

وكواكبُ العُلَيَاءِ زادَ وَمِيضُهَا
ما زالَ سائِقُنَا يسوقُ جِيَادَهُ
فسألتُهُ إن كانَ يَسْمَحُ وَقْتُهُ
فَرَنَا بلحظِ جُفُونِهِ وأجابني
واصطفتِ الحُورُ الحَسَنُ أمامي
حتى وصلنا مَلْعَبَ الأَقْدَامِ
كيما أقومَ بواجبِ الإكرامِ
شكرًا ولكن حانَ وقتُ مَنامي

* * *

فَرَأَيْتُ أَنْ وَجَبَ الوصولُ لِدارِهِ
قَصُرٌ بمصرَ على الولاءِ مُشِيدٌ
تلتفُّ حولَ فنائه فيحاءٌ قد
غناءً تبسمَ والزهورُ تزيئُهَا
والطيرُ كانَ صغيرُهُ يدعو إلى
وَحَرِيرِ أَفْواهِ الجداولِ شاركتِ
حتى أَفُوزَ بِصُحْبَةِ وَتَدَانِي
بيتِ الكرامِ لِقَاصِهَا والداني
عَبقتِ بِسَرِّ الوَرْدِ والرَّيْحَانِ
كقلائدِ الياقوتِ والمَرْجَانِ
تحريكِ أَعْطَافِ لُغُصْنِ البَنانِ
أُنْغَمَ طَيْرِ الرُّوضِ في الألحانِ

* * *

وَلَجَّ العَزِيزُ عَرِينَهُ من بَعْدِ أَنْ
والبدْرُ أسفرَ والزهورُ تَبَسَّمتْ
نطقَ اللسانِ مُتَرْجِمًا عن مُهَجَّتِي
يا أَيُّهَا البدرُ الَّذِي عَنِّي نَأَى
إِنْ كُنْتَ قَدْ أَظْلَمْتَ جَوْ مَسَرَّتِي
صَبْرًا فَوَادِي كُلِّ بُعْدٍ ينقضي
أَهْدَى سلامًا ضاعَ فيه بياني
واستقبلته شقائق النُعمانِ
: سِرُّ في سلامٍ دائمٍ وأمانِ!
ترعاك عَيْنُ عنايةِ الرحمنِ
فكذاك شَأْنُ البدرِ في الدَّوْرانِ
والدهرُ ضَدَّ رَغائبِ الوُلْهانِ

* * *

غَادَرْتُ ذاكَ القصرَ أَحْسَدُهُ عَلَى
وقفلتُ مَكْتَتَبًا أَحْنُ إلى الَّذِي
سُبْحَانَ مَنْ زَرَعَ الورودَ بِخَدِّهِ
مَنْ لِي بِدَمْعِي كي أروِّيها بِهِ
سيانَ في حُلْمٍ أَرَى أم يقظةٍ
وقضيت داجي لَيْلَتِي مُتَقَلِّبًا
سَحَرٍ به يُزْري بِسَحَرِ بياني
مَلَكُ الفؤادِ بِلَحْظِهِ الفَتَّانِ
وَجَلَّتْ سَنَاهَا زهرةُ الرُّمانِ
حتى تضاعفَ حُسْنُهَا نِيرانِي
داعٍ إلى خَدِّ الحبيبِ دعاني
حَيْرَانٍ لا يَهْوَى الكرى أَجفاني

طَيْفٌ يُجَدِّدُ ذِكْرَهُ أَشْجَانِي
شَمْسُ الضُّحَى تَزْهَوُ عَلَى الْأَفْنَانِ
وَخَرَجْتُ أَقْصَدُ مَسْرَحَ الْغُزْلَانِ
تَكْسُو الرُّبَى حُلًّا مِنَ الْأَلْوَانِ
وَأَعْلَلُ الْأَمَالَ بِالْوُجْدَانِ
يَنْسَابُ بَيْنَ مَعَاقِلِ الْوُدَيَانِ
فِي مَرْجِلٍ وَالْجَوُّ أَحْمَرُ قَانِ
عَصَفَتْ رِيَّاحُ صَبَا الْحَبِيبِ الْجَانِي
وَجْهِي الْمَسْرَّةُ وَانْجَلَتْ أَحْزَانِي
نَظُمَ الْقَرِيضُ يَحَارُ فِيهِ الْبَانِي
فَتَنَّتْ قُلُوبَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ
لِلْبَدْرِ ضَوْءٌ جَبِينَهَا الْفَتَّانِ
وَعَلَّتْ تُشَاهِدُ دَارَةَ الْمِيزَانِ
غُضُنًا تَرْبَعُ فَوْقَهُ نَهْدَانِ
فَجَلَا سَنَا فَجْرِ أَضَاءِ عَيَانِي
كَانَ الْمُعَذِّبُ فِي الْغَرَامِ مَكَانِي!
فَكَانَهَا وَوَشَّاحَهَا قَمَرَانِ
فَسَطَطَتْ عَلَى الْأَسَادِ وَالْغُزْلَانِ
(مَرَجَ النُّهَى بَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)
وَاصْبُوتِي مِنْهُ بِأَحْمَرِ قَانِ
يَا مَنْ يَرَى الْفُرْدَوْسَ فِي النَّيِّرَانِ!
فَتَصُولُ فِي أَحْشَائِهِمْ كَيْمَانِي
(فَأَتَى كَبِشْمَ اللَّهِ فِي الْعُنُوتَانِ)
وَتَرَفَعَتْ عَنْ رُؤْيَا الثَّقَلَانِ
هَلْ فِي السَّمَاءِ لَهَا شَبِيهُ ثَانِ

يَهْفُو النَّعَاسُ بِمُقْلَتِي فَيُرْدُهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
بَادَرْتُ حَالًا بَارِتْدَاءٍ مَلَابِسِي
وَالشَّمْسُ قَدْ نَشَرَتْ ذَوَائِبَ شَعْرِهَا
فَعَرَجْتُ نَحْوَ الْقَصْرِ أَذْكُرُ مَا مَضَى
وَأُرَاقِبُ الظُّبْيَ الْغَرِيرَ لَعَلَّهُ
وَمَضَى طَوِيلُ الْوَقْتِ حَتَّى خَلْتُنِي
بَيْنَا أَنَا وَالْجَوُّ حَوْلِي مُعْتِمٌ
فَتَحَوَّلَتْ عَنِّي الْكَأَبَةُ وَأَعْتَلَتْ
وَرَأَيْتُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَدْعُو إِلَى
غُضُنَيْنِ بَيْنَهُمَا مَهَاةٌ قَدْ بَدَتْ
كَسَفَتْ جَمَالَ الشَّمْسِ وَجَنَّتْهَا وَمَا
فَاقَتْ غَزَالَ الْأَمْسِ عَشَرَ مَرَّاحِلٍ
وَالثَّوْبُ لَمْ يَحْجُبْ خَفَايَا جِسْمِهَا
بَاحَ الْقَمِيصِ بِسَرٍّ مَكْنُونِ الْهَوَى
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْقَمِيصَ وَلَيْتَهُ
حُورِيَّةً ضَمَّ الْوِشَّاحُ قَوَامَهَا
سَلَّتْ صَوَارِمَ لَحْظِهَا مِنْ غَمْدِهَا
وَتَبَسَّسَتْ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُتَمَنِّعٍ
تَرَكْتَهُ لِلْعُشَّاقِ يَنْسِبُ خَدَّهَا
خَدُّ يُرِيكَ نَعِيمَهُ فِي نَارِهِ
تَرْنُو لَوَاحِظُهَا إِلَى عُشَّاقِهَا
صَاعَ الْجَمَالِ جَبِينَهَا مُتَعَبِّدًا
شَخَصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقْلَةٌ
وَعَلَّتْ إِلَى الْجَنَّاتِ تَطْلُبُ أَنْ تَرَى

* * *

عهد الخرافة أعصر اليونان

فحسبتُ أني عُدتُ أحقابًا إلى

تمثال (أورانيا) عظيم الشان
وعَدَتْ لها الأفلاك طَوْعَ بَنَانٍ
مَلَكُ الجمالِ إلهةُ الأغصانِ
فهو المُنْظَمُ خُطَّةَ الأكوانِ
تَبْقَى تُرَاقِبُ دِقَّةَ الدَّوَرَانِ
كي تُظْهِرِينَ مَحَاسِنَ الإنسانِ
رغم الأنوفِ إطاعةُ العبدانِ

وعجبتُ حينَ رَأَيْتُهَا قَدْ شَابَهَتْ
وجرى بها نِبْتُونٌ يَسْبَحُ في الفضا
وكانَ (كاليبو) تَغَارُ لأنها
لكنما (جوبيتر) تَخْشَى بَطْشَهُ
صَدَرَتْ أوامرُهُ إلى الألى بأن
وأشار للأخرى إلى الأرضِ اهبطي
وَعَلَا وكلُّ الكائناتِ مُطِيعَةٌ

سِنَّةُ الخيالِ وعُدْتُ لِلوُجْدَانِ
والشمسُ هَزَّ لَهَيْبُهَا أركانِي
أَنِي أُصْنِتُ بِسَهْمِهَا الْخَوَانِ
وَمَشَتْ وَذَيْلُ قَمِيصِهَا يِرْعَانِي
وَتَسْتَرَّتْ عن ناظِرِي وَعَيَانِي
وأحاطَ جَبِشُ الليلِ بالبُسْتَانِ
قلبٌ يَدُقُّ بِفُرْقَةٍ وتَدَانِي!
يَجْسُرُ عَلَى نُطْقِ الكلامِ لسانِي
هَامَ الملوِكُ بِبَهْجَةِ التَّيْجَانِ
أَلْفَ السُّجُودِ مَحَبَّةَ الْغُفْرَانِ
عن زُكْرِ آيِ الواحدِ الدِّيَانِ
أَمَلْتُ بِأَن أَغْدُو وَحِيدَ زَمَانِي
راشَ الفؤادِ وباتَ طَيِّ جَنَانِي
فاعتاضَ حلو العَيْشِ بالأحزانِ

هَبَّ النسيمُ فَأَقْشَعَتْ حركاتُهُ
فَوَجَدْتُني ما زِلْتُ أَقْتَحِمُ اللَّطْيَ
والرَّيْمُ يُظْهِرُ أَنَّهَا قَدْ لَاحَظَتْ
فَكَسَا الْحَيَاءُ وَرُودَ حَدِيثِهَا دَمًا
وَتَمَايَلَتْ كَالْغُصْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا
ناحتُ لها الورقاءُ عندَ فِرَاقِهَا
وبقيتُ كَالْتِمثالِ ليس بِجَوْفِهِ
لم أستطعُ تحريكَ أَعْضَائِي ولم
لو أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَقْيَالٍ لِمَا
ولو أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ عَابِدِ
لَرْنَا لِطَلْعَتِهَا وَالْهَاهُ الْهَوَى
أَنَا لَمْ أَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَيْسَ لِي
لكنما ما حِيلَتِي وَالسَّهْمُ قَدْ
هذا جزاءُ فَتَى تَلَاعَبَ بِالْهَوَى

نَارُ الغزاليةِ أحرقتُ أبداني
للبدْرِ أَمْ هَذَا مَلَاكُ ثَانِ
سَرْعَانَ ما بِيَمِينِهِ حَيَّانِي

وَوَظَلِلْتُ أَنْتَظِرُ الْغَزَالَ وَإِنَّمَا
وَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ تَكُونُ شَقِيقَةً
ظَهَرَ الْغَزَالُ وَتَغْرُهُ مُتَبَسِّمٌ

من فَرَطَ ما قد سَرَّني أَبْكَاني
ثَوْبٌ يُغَاظِلُ حُلَّةَ السُّلْطَانِ
لَاخْتَارَهُ لَخْلَافَةِ الْإِيوَانِ
خِلْتُ الثَّرِيًّا غُلَّقْتُ بِنَانِي
قَلْبِي أَخْفَفَ وَطَاءَةَ الْخَفَقَانِ!
في القلبِ من ظَمًا ومن نيرانِ
وَجَنَاتِهِ كَعَشِيقٍ بِنْتُ الْحَانِ
فَأَقَابِلِ الْإِحْسَانَ بِالشُّكْرَانِ
وَقْتُ الْهَجِيرِ بِرَاحَةِ وَأَمَانِ
وَالْفَرْحُ عَاقٌ عَنِ الثَّنَاءِ لِسَانِي
ما حازها قَدَمًا أَنُو شِرْوَانِ
وتَكَادُ تَجَحُّدُ دُورَةَ الْمَلَوَانِ
ضَنْ الزَّمَانِ بِهَا عَلَى التَّيْجَانِ
غَزَلُ كَعَذْبِ الْمَاءِ لِلظُّمَّانِ
يكفي الْعُيُونُ الْهَمْسُ بِالْأَجْفَانِ
لو كَانَ يَسْمَحُ أَنْ يَدُومَ زَمَانِي!

(هَجَمَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ
لِلَّهِ مَا أَبْهَى جَمِيلَ رَدَائِهِ
لو أَنَّ كِسْرَى كَانَ فِي أَيَّامِهِ
مَدَّ الْيَمِينَ مُصَافِحًا وَمُصَبِّحًا
صَافِحُهُ وَضَغَطَ بِالْيَسْرِ عَلَى
وَسَالَتْهُ مَاءٌ لِأُطْفِيءَ مَا بَدَا
فَأُشَارَ نَحْوَ الْقَصْرِ ثُمَّ تَلَهَّبَتْ
وَأَفْرَحْتِي لو تَسَمَحَنْ بِزِيَارَتِي
نَقْضِي قَصِيرَ الْوَقْتِ حَتَّى يَنْقُضِي
فَتَحَرَّكَتْ قَدَمَايَ تَتَّبِعُ سَيْرَهُ
وَوَلَجْتُ دَارًا بِالْجَمَالِ تَسْرِبَلْتُ
مَا أُمُّهَا لَيْلٌ وَلَمْ تَدْرِ الدُّجَى
وَجَلَسْتُ أَرُشِفُ كَأَسْ حُبِّ طَاهِرٍ
وَخَلَوْتُ بِالظُّبِيِّ الْجَمِيلِ وَبَيْنَنَا
طَوْرًا نَكَلُّمُ بِالشِّفَاهِ وَتَارَةً
مَا كَانَ أَشْهَى خَلَوْتِي بِمَسَامِرِي

* * *

بِالسَّرِّ يَعْلَمُ غَيْرُ غُصْنِ الْبَانِ
قُلْنَا لَصُنْتُ السَّرَّ بِالْكِتْمَانِ
إِلَّا بِعَيْنِ صَبَابَتِي تَرَعَانِي
وَيَبُوحُ بِالْمَكْنُونِ مِنْ أَشْجَانِي
خَطَرَاتُهُ وَالسَّمْعُ وَالْعَيْنَانِ
كَهَفٌ أَعُوقَكَ طَارِيءَ الْحَدَثَانِ
يُهْدِي إِلَيَّ قَلَائِدَ الْعِقْيَانِ
قَبْلُ يَقْطَعُهَا غَرَامُ هَانِي
بِاللُّطْفِ صَوْتُ الطُّهْرِ وَالْإِيمَانِ
بَيْتُ الْمُحِبِّ بِخُلُوعٍ وَأَمَانِ

غَابَ الْعَوَاذِلُ وَالْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَوْ أَعْتَقَدْتُ بِأَنَّهُ وَاشٍ بِمَا
وَلَكُنْ وَشَى لِلزَّهْرِ مَا مِنْ زَهْرَةٍ
خَفَتِ الْنَسِيمُ يُذِيعُ أَسْرَارَ الْهَوَى
فَسَأَلْتُهُ كِتْمَانَ مَا قَدْ لَاحَظْتُ
فَأَجَابَنِي خَفْضَ عَلَيْكَ وَلَيْتَنِي
وَجَرَى يَقْبَلُ وَجَنَّتِيهِ وَيَنْتَنِي
فَتَبَوَّذْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَازَلِي
يَهْفُو الْفَوَاذُ لَوَقْعِهَا فَيَرُدُّه
مَا أَسْعَدَ الْوَلَهَانَ حِينَ يَضُمُّهُ

قَبْلَ أَنْقِضَاهَا كُنْتُ فِي الْأَكْفَانِ وَمِنَ الْمُحَالِ يَدُومُ وَقْتُ تَدَانِي يَدْعُوكُمَا الطَّاهِي إِلَى الْأَلْوَانِ! كَانَتْ دَوَاءً لِلْفَوَادِ الْعَانِي مِنْهُ الْعُيُونُ فَكَانَ وَصَلَ غَوَانِي طَيِّفُ الْخَيَالِ يَلْذُ لِلْوَسْنَانِ	يَا لَيْتَهَا كَانَتْ تَدُومُ وَلَيْتَنِي سَرْعَانَ مَا تَجْرِي أَوْيَقَاتُ الْهَنَاءِ نُودَيْتُ وَالظُّبْيَ الْجَمِيلَ: تَفَضَّلَا بِئْسَ النَّدَاءُ فَقَدْ حُرْمْنَا خَلْوَةً مَا كَانَ أَقْصَرَ مُدَّةً أَنْسَتْ بِهَا كَرَّرْتُ وَلَكِنْ لَمْ تَطُلْ فَكَأَنَهَا
---	---

* * *

لَبَدَلْتُ أَيَّامِي لَهَا بِثَوَانِي لَجَعَلْتُهَا عُمْرِي وَقُلْتُ كَفَانِي	لَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَفِي ثَمَنًا لَهَا أَوْ أَنَّ عَمَرَ الْمَرْءِ طَوْعُ بَنَانِهِ
--	--

الجزء الثاني

قصائد اجتماعية ووجدانية

حرب طرابلس

جيشٌ عَلَى الْحَقِّ مَكْتُوبٌ لَهُ الظَّفَرُ
كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ يَسْمُو لَهُ النَّظَرُ
تَعْنُو الْمُلُوكُ لَكُمْ وَالْدِّينُ يَفْتَخِرُ
بِقُوَّةِ اللَّهِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
فَأَصْبَحَ الذِّئْبُ قُرْبَ الْلَيْثِ يَحْتَضِرُ
إِنْ غَابَتِ الْأُسْدُ فَلَالْشَّيْبَالُ تَنْتَصِرُ!
أَهْلُ السَّمَاءِ وَجِنُّ الْأَرْضِ وَالْبَشَرُ
أَغْرَاكَ بِالْجَهْلِ سَيْفٌ كَادَ يَنْكَسِرُ
تَحْمِي الْعَرِيْنَ وَجَمْرُ اللَّحْظِ يَسْتَعِرُ
أَقْدَامُهُمْ هَامَةٌ الْيُونَانُ فَانْدَحَرُوا
جِيوشُ (أَذْهَمَ) لَمَّا سَاقَهَا الْقَدَرُ
فَكُلُّهُمْ (أَذْهَمَ) فِي السَّلَامِ مُسْتَتِرُ
نُرى فَعَالَهُمْو مَا لَيْسَ يُنْتَظَرُ
مِنَ الرُّؤُوسِ وَدَمْعُ الْبَيْضِ يَنْهَمِرُ
عَنْتَ وَجْوهَ عَلَاهَا الْجُبْنُ وَالضُّجْرُ
جَبْرُ الزُّجَاجِ عَسِيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ
وَكَيْفَ يَثْبُتُ ذَنْبٌ جَاءَهُ نَمْرُ
وَالْمُسْلِمُونَ لِمِثْلِ الْيَوْمِ تَذَخَّرُ

التَّاجُ أَثْبَتَ مِنْ رَضْوَى يُحِيطُ بِهِ
أَلَّهُ يَخْرُسُهُ وَالْدِّينُ يَنْصُرُهُ
يَا آلَ عَثْمَانَ لَا زِلْتُمْ بِمَنْعَتِكُمْ
وَالْغَرْبُ يَعْرِفُ يَوْمَ الْحَرْبِ بَطْشَكُمْ
لَكِنْ تَجَاهَلْتِ الطَّلِيَانَ قَدَرَكُمْ
يَا ذَنْبُ مَالِكَ وَالْآجَامُ تَدْخُلُهَا
(يَا جَيْشَ رُومَا) عَلَيْكَ الْيَوْمَ قَدْ نَقَمْتَ
(يَا جَيْشَ رُومَا) فَلَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا
وَكَيْفَ جَرَّدَتْهُ وَالْأُسْدُ رَابِضَةٌ
أَهْلُ نَسِيَتْ أَسْوَدَ التُّرْكِ مِنْ وَطِئَتْ
فَسَلْ (أَثِينَا) وَ(فِرْسَالُوسَ) كَمْ فَعَلَتْ
إِنْ كَانَ أَذْهَمُ لَبَّى أَمْرَ خَالِقِهِ
وَيَوْمَ يَعْلَنُ أَمْرُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ
سَلْ بَيْضُ عُثْمَانَ فِي الْهِيَجَاءِ كَمْ حَصَدَتْ
لِلتُّرْكِ كَمْ طَاطَأَتْ هَامُ الْمُلُوكِ وَكَمْ
قِرْصَانَ رُومَا أَفِيقُوا مِنْ سُبَاتِكُمْ
أَهْلُ نَسِيْتُمْ أَمَامَ التُّرْكِ مَوْفَقَكُمْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ رَبُّ الْعَرْشِ حَافِظُهُ

أَلَقْتُ إِلَيْهِ مِقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ
وما بغير علاء الدين يَفْتَكِرُ
قرصان رُومًا عليك اليوم تَأْتِمُرُ
يَحْتَلُّهَا الذُّنْبُ وَالْأَعْدَاءُ تَفْتَخِرُ
لِتَجْعَلِي دَوْلَةَ الطُّلَيانِ تَعْتَبِرُ
يَحْتَلُّ دَارًا عَلَيْهَا الْقَلْبُ يَنْفَطِرُ
على طَرَابُؤُسٍ يَا بَيْتُ ذَا الْخَبَرِ!
تكاد من لطمَةِ الأمواج تَنْفَجِرُ
خوفًا من السَّيْفِ والأرواحِ تُحْتَضِرُ
خاضَ الظَّلَامَ وَلَكِنْ غَرَّهُ الْقَمَرُ
وَاشِينَ يَنْفَعُهُمْ أَنْ أَحْدَقَ الْخَطَرُ
يَوْمَ الْجِهَادِ بَأَنْ لِّلْمَوْتِ نَبْتَدِرُ
وَمَنْ سَيَنْزِلُ فِي سَاحَاتِهِ الْكَدَرُ
ويظهرُ الحقُّ والأَعْدَاءُ تَنْبَهَرُ
فَرَّتْ جِيوشُ الْعِذَاءِ إِذْ هَالَهَا الْخَطَرُ
فَالْحَرْبُ يَلْزُمُهُ الْإِنْفَاقُ وَالسَّهَرُ
مَا الْمَالُ مَا فِي كَنُوزِ الْأَرْضِ يُدْخَرُ

(محمَّد الخامس) المولى العظيمُ ومن
أَنْعَمَ بِهِ مِنْ مَلِكٍ سَاسَ دَوْلَتَهُ
يا دولة السيفِ أَيْنَ الضيغُ الْأَسَدُ؟
ما مِنْ شُرُوطِ الْوَفَا أَنْ تَتْرَكِي بَلَدًا
فبادري وأظهري كالبدرِ في أَفْقٍ
بَنِي الْهَلَالِ الْعَدُوَّ الْيَوْمَ يَطْمَعُ أَنْ
لا كان يومٌ نَرَى الْقَرْصَانَ ظَافِرَةً
قَوْمُ أَسَاطِيلُهُمْ فِي الْبَحْرِ واقِفَةٌ
قَوْمُ جِيوشُهُمْ فِي الْبَرِّ شَارِدَةٌ
ومن عَجِيبٍ نَرَى أَسْطُولَهُمْ طَمَعًا
هم يحسبون بأن الدهرَ يَبْسُمُ وَالْـ
ويجهلون بأنَّ الدِّينَ يَأْمُرُنَا
سَيَعْلَمُونَ قَرِيبًا أَيُّ مُنْقَلَبٍ
وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ وَالْآفَاقُ بِاسْمَةٍ
وَيُخَفِّقُ الْعَلَمُ الْمَنْصُورُ فَوْقَ رَبِّي
لَكِنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مَذْيَدٌ
وَالْمَالُ مَالٌ إِذَا جَادَ الْكَرِيمُ بِهِ

عن مَجْدِكُمْ حَدَّثَ التَّارِيخُ وَالسَّيْرُ
فَالْمَالُ أَحْسَنُ مَا يُجْنَى بِهِ الثَّمَرُ
بِبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ قَدْ تَشْهَدُ الْعُصْرُ
بِبَذْلِ أَرْوَاحِكُمْ يَا حَبَّادَ السَّفَرِ
النَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْأَهْرَامُ وَالْأَنْثَرُ
إِلَى الْعُلَا مَنْزِلًا يَسْمُو لَهُ الْبَصَرُ
لِلْإِكْتِتَابِ بِمَالٍ تَحْسَنُ الذِّكْرُ
أَيْدِيكُمْ فَأَعِينُوا الْجَيْشَ يَنْتَصِرُ
وَأَحْفَظْ لَنَا تَاجَهَا يَا مَنْ لَهُ الْقَدْرُ

يا مُسْلِمِي الْهِنْدِ شَدُّوا أَرْزَ دَوْلَتِكُمْ
يا مسلمي الصينِ واليابانِ هَمَّتْكُمْ
يا مُسْلِمِي الْفُرْسِ كِسْرَى كَانَ أَكْرَمَ مَنْ
سَكَانَ أَطْلَسَ إِنَّ الدِّينَ يَأْمُرُكُمْ
أَبْنَاءَ مِصْرَ أَعِيدُوا الْيَوْمَ مَجْدَكُمْ
قَدْ كَانَ مَجْدُكُمْ فَاقَ السَّهَى وَسَمَا
فَبَادِرُوا بِأَدَاءِ الْفَرَضِ وَأَسْتَبِقُوا
فَالْجَيْشُ يَحْتَاجُ مِنْكُمْ بَعْضَ مَا مَلَكَتْ
يا عَالِمَ الْغَيْبِ عَجَلْ نَصْرَ دَوْلَتِنَا

إلى الأمير

بُشِّرَى فَحْجُكَ لِلْبِلَادِ سَلَامٌ وَبِهِ تَصَافَتْ مِصْرُنَا وَالشَّامُ
وَبِهِ سَمَا الْحَرَمُ الْحَرَامُ وَقَدْ غَدَتْ تَعْلُو قَوَاعِدُهُ بِكُمْ وَتُقَامُ
فَالدَّهْرُ عَبْدُكَ وَالسَّنِينُ أَسِيرَةٌ وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ غُلَامُ

* * *

جاءَ الْعَزِيزُ فَمَرْحَبًا بِقُدُومِهِ بِالْبِشْرِ عَادَ وَثَغْرُهُ بِسَامُ
وَأَفَى فَحَلَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ مَجْدَهَا إِذْ أَمَّهَا الْإِسْعَادُ وَالْإِكْرَامُ
بِالْيَمَنِ أَبَ عَزِيزُ مِصْرٍ مُبْجَلًا يَا طَالَمَا خَفَقَتْ لَهُ أَعْلَامُ
يَا مِصْرَ تِيهِي وَاطْرَبِي وَاسْتَقِيلِي رَاعِي بَنِيكَ فَشْهَمْنَا مِقْدَامُ
بِالْحَجِّ أَتَمَمْتَ الْفُرُوضَ جَمِيعَهَا يَا خَيْرَ مَنْ بَسَمَتْ لَهُ الْآيَامُ
قَدْ زُرْتَ مَكَّةَ وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَنَا عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
أَرْضًا حَلَلْتَ يَمُجُّ رِيًّا عُودِهَا لِلخِصْبِ أَوْ نُعْمَى يَدَيْكَ عِمَامُ
بِكَ زُيِّنَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ لِأَنْهَا رَأَتْ الْهَلَالَ وَأَمَّهَا الْإِنْعَامُ
فَاهْنَأْ بِزُورَتِكَ الْمَدِينَةَ إِذْ بِهَا قَبْرُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ الْأَعْلَامُ
أَرْضُ حَبَاهَا اللَّهُ مِنْهُ رِعَايَةٌ مَمْشَى الْمَلَائِكِ حَفَّهَا الْإِعْظَامُ
فِيهَا جُنُودُ التُّرْكِ خَيْرٌ بَوَاسِلِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ دَابُّهُ الْإِقْدَامُ
هُمْ خَيْرٌ مَنْ سَلَوْا سُيُوفًا فِي الْوَعَى وَبِهِمْ يَفُوزُ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ
قَوْمٌ حَمَاةُ الدِّينِ يَشْهَدُ بِأَسْهُمْ أَنَّ الْوَعَى لِلتُّرْكِ فِيهِ غَرَامُ

أَنْعِمْ بِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ وَبِمُلْكِهِمْ إِذْ بِالتَّأْوِيلِ أَدْرَكُوا مَا رَأَوْا

نَلْتِ الْمُرَادَ وَنَجْمُ سَعْدِكَ سَاطِعُ بِسَمَاءِ مِصْرَ تُجِلُّهُ الْأَقْوَامُ
وَالْبَشَرُ لَاحَ مُهَنِّئًا بِقُدُومِكُمْ كَالْبَدْرِ نَضْفَ الشَّهْرِ وَهُوَ تَمَامُ!
بُشْرَاكِ يَا مِصْرُ فَقَدْ وَافَى الَّذِي دَوْمًا تَرُومُ بَقَاءَهُ الْأَعْوَامُ
كَمْ شَادَ (عَبَّاسُ) لَنَا بِالْعِزِّ فِي أَيَّامِهِ يَا حَبَّذَا الْيَّامُ
أَيَّامُهُ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى مَنْ شَاوَهُمْ فِي الْمُلْكِ لَيْسَ يُرَامُ

يَا عَهْدَ (طِيبَةَ) إِنَّ مَجْدَكَ فَاقَهُ مَجْدُ لَنَا بِأَمِيرِنَا وَوَنَامُ
(رَمْسِيْسُ) هَيَّا مِنْ سُبَاتِكَ كِي تَرَى فِي مِصْرَ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
(أَحْمِيْسُ) أَجَلَيْتِ الرُّعَاةَ فَكُنْتَ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ تُظَلُّكَ الْأَعْلَامُ
(سِيْزُوْسْتَرِيْسُ) الْيَوْمَ عَهْدٌ غَيْرُ ذَا كَ الْعَهْدِ إِذْ ضَاءَتْ بِهِ الْأَفْهَامُ
(مُمَيَّا) خَوْفُو أَيُّهَا الْجِسْمُ الَّذِي عَبَثَتْ بِهِ الْأَعْوَامُ وَالْأَيَّامُ
خَلَفَتْ أَثَارًا بِمِصْرَ عَجِيبَةً (هَرْمًا) يَشِيبُ الدَّهْرُ وَهُوَ غُلَامُ
قُمْ مِنْ مَنَاكِ (أَبْسَمَاتِيْكُ) تَرَى قَدْ أَرَّخَتْ أَعْمَالَكُمْ أَقْلَامُ
(يَا نِيْخَاوُسُ) الْيَوْمَ أَصْبَحَ قُطْرُنَا مِنْ نُورِهِ السَّامِي يَزُولُ ظِلَامُ
يَا أَيُّهَا الْأَمْلَاكُ قَوْمُوا كَيْ تَرَوْا مِنْ لِلْأَرِيْكَةِ عَزَّزْتُهُ كِرَامُ
إِنْ كَانَ مَجْدُكُمْ (بِمَنْفٍ) قَدْ سَمَا فِي (عَابِدِيْنِ) الْيَوْمَ جَلَّ هُمَامُ
فَاقَ السُّهَّا فَضْلًا وَمَجْدًا فِعْلُهُ فِي النَّيْلِ كَمْ خَضَعَتْ لَهُ أَقْوَامُ

يَا بَدْرُ حَيَّاكَ السُّرُورُ فَمَرْحَبًا لِعُلَاكَ فِي مِصْرَ يَدُومُ سَلَامُ
عَادَ الْأَمِيرُ فَحَبَّذَا يَوْمٌ أَتَى فِيهِ لِمِصْرَ الْمَجْدُ وَالْإِعْظَامُ
فَالْيَوْمُ تَجْدُرُ بِالْقُلُوبِ مَسْرَّةُ حَيْثُ النَّدَى لِلْبَائِسِيْنَ يُرَامُ
(مِصْرُ) بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِش تَشَرَّفَتْ وَلَقَدْ غَدَتْ غَمْدًا وَأَنْتَ حُسَامُ
وَالنَّيْلُ فَاضَ مِنَ السُّرُورِ وَأَهْلُهُ بِهِمْو إِلَى مَرَأَى الْعَزِيْزِ هَيَّامُ

إلى الأمير

لا زالَ نَجْمُ عُلَاكَ يَزْهُو سَاطِعًا فِي مِصْرَ دَوْمًا مَا سَمَتْ أَهْرَامُ
وَأَفَيْتَ وَالْبَدْرَ التَّمَامَ فَأَرْحَتْ بُشْرَايَ عَوْدُ الْبَدْرِ وَهُوَ تَمَامُ

تشریف الامیر

فَهَلْ صَاحِحٌ بَدَا فِي بُرْجِهِ الْقَمَرُ؟
حَتَّى السَّمَاءِ لَمَعَتْ فِي أَفْقِهَا الدُّرُورُ
كَأَنَّمَا الْغَيْثُ وَقَتْ الْجَدَبَ يَنْهَمِرُ
مِنَ السُّرُورِ وَعَرَفُ الْمِسْكِ يَنْتَشِرُ
وَالْكِيرَوَانُ لِرَبِّ الدَّارِ يَنْتَظِرُ
مِنَ السَّقَامِ لِمَنْ قَدْ شَفَّهَ السَّهَرُ
وَمَاؤُهُ لَيْسَ يَعْرِو صَفْوَهُ كَدَرُ
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ قَدْ حَفَّهَا ثَمَرُ
فَبَعْدَ أَنْ أَجْدَبَتْ قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ
مَنْ كَانَ لِلْمَجْدِ وَالْعَلِيَاءِ يُدْخِرُ
وَأَسْفَرَ الْقُطْرُ عَنْ عَيْنٍ بِهَا حَوْرُ
نَلَتْ الْمُنَى بِرِضَاهُ حَبْذَا السَّفَرُ
وَعَزَّ بِالنُّصْرِ مَكْتُوبًا لَهُ الظُّفَرُ
أَلَقَتْ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ
تَعْنُو الْمُلُوكُ لَكُمْ وَالْدِّينُ يَفْتَحِرُ

إِنِّي أَرَى نُورَ وَاوِي النَّيْلِ يَنْتَشِرُ
إِنِّي أَرَى الْجَوَّ قَدْ رَقَّتْ نَسَائِمُهُ
إِنِّي أَرَى كُلَّ وَجْهِ بَشٍّ مُبْتَهَجًا
إِنِّي أَرَى قَلْبَ وَاوِي النَّيْلِ فِي طَرَبٍ
إِنِّي أَرَى الْقُطْرَ قَدْ غَنَّتْ بِلَابِلُهُ
إِنِّي أَرَى نَسَمَاتِ الصُّبْحِ شَافِيَةً
إِنِّي أَرَى النَّيْلَ تُغْرِي النَّفْسَ لَذَّتُهُ
إِنِّي أَرَى مِصْرَ فِي أَبْهَى مَنَاظِرِهَا
وَكَيْفَ لَا وَامِيرُ الشَّرْقِ شَرَّفَهَا
يَا مِصْرَ تَبْهِي دَلَالًا فَالْعَزِيزُ أَتَى
وَأَقَى الْأَمِيرُ فَلَاحَ الْبِشْرِ مُبْتَسِمًا
يَمَمْتَ نَحْوَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ
أُنْعِمَ بِهِ مِنْ مَلِكٍ سَاسَ دَوْلَتَهُ
(محمَّد الخامس) الْمَوْلَى الرَّهِيْبُ وَمَنْ
يَا آلَ عُثْمَانَ يَا مَنْ عَزَّ نَصْرُهُمْ

* * *

اللَّهُ أَكْبَرُ عَبَّاسُ الْعَزِيزُ لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مَا يَحْلُو بِهِ الْأَثَرُ

أَهْلًا بِهِ مُقْبِلًا مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ
طُوبَى لِتَرْبٍ عَلَيْهِ الْيَوْمَ قَدْ وُضِعَتْ
يَا مِنْهَلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكُوْنِهِ
وَلَوْعَةً أَحْرَقَتْ مِنَّا الْفُؤَادَ بِمَا
جَدَّدْتَ بِالْعَوْدِ يَا عَبَّاسُ بِهِجَّتْنَا
الْعَوْدُ أَحْمَدُ وَالْعَلِيَا تُورِّخُهُ
كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ يَسْمُو لَهُ النَّظَرُ
أَقْدَامُهُ فَهُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ عَطِرُ
إِلَيْكَ نَشْكُو أَشْتِيَاقًا هَاجَهُ السَّفَرُ
وَقَاكُمُوهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَالْقَدَرُ!
وَأَسْعَدَتْ قُطْرُنَا أَلَاؤُكَ الْغُرُرُ
يَا مَجْدَ مِصْرَ أَتَى عَبَّاسُكَ الْقَمَرُ!

تهنئة

وَالْجَو رَقَّ نَسِيمُهُ وَتَعَطَّرَا
رَوَى بِلَذَّتِهِ الْقُلُوبَ وَأَسْكَرَا
وَعَقُودَهَا أُمَسَّتْ تَفُوقُ الْجَوْهَرَا
لِعِبَا تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
أَمَّةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا
أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لِحْظًا سَاحِرَا
فَكَسَتْ أَدِيمَ الْأَرْضِ ثَوْبًا أَخْضَرَا
وَجَرَى فَحَفَ بِزَهْرَهَا وَتَبَعْتَرَا
كَالْخَاتَمِ الْمَاسِيِّ زَانَ الْخِنْصَرَا
نَظُمَ الصُّفُوفِ يُمَجِّدُ الْإِسْكَندَرَا
زُرْتُ الْجِنَانَ وَقَدْ وَرَدْتُ الْكُوْتَرَا
أَمْ يَقْظَةُ أَمْ ذَا خَيَالٍ صَوْرَا؟

الْبَذْرُ عَنْ وَجْهِ الْبِشَاشَةِ أَسْفَرَا
وَالنَّيْلُ مِنْ طَرَبِ الْمَسْرَةِشِ مَاؤُهُ
وَكَوَاكِبُ الْعُلَيَاءِ زَادَ وَمِیْضُهَا
وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنُّهَى
عَضَمَاءُ كُلِّ الْكَائِنَاتِ غَدَتْ لَهَا
شَخَصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقْلَةً
وَعَلَتْ عَلَى عَرْشِ الْجَمَالِ بِعِزِّهَا
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِأَسْمَا
وَالْتَفَتِ الْأَقْمَارُ تَسْطَعُ حَوْلَهَا
وَاصْطَفَتْ الْحُورُ الْحَسَانَ كَأَنَّهَا
وَكَأَنَّي وَالسَّعْدُ كَانَ مُرَافِقِي
فَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ مَنَامٌ مَا أَرَى

* * *

سِنَّةَ الْخَيَالِ وَأَبْعَدَتْ طَيْفَ الْكَرَى
فِي ذَا الْمَسَاءِ وَحَقُّ لِي أَنْ أَخْضَرَا
وَجَدْتُهُ مَشْغُولَ الْيَزَاعِ مُفَكِّرَا
جَعَلَتْهُ نَافَسٌ فِي الْجَلَالِ الْقَيْصَرَا

هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ
فَذَكَرْتُ شَهْمًا قَدْ دُعِيتَ لِعَرْسِهِ
بَدَرْتُ إِلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
نَثَرَتْ عَلَيْهِ قَلَانِدًا مِنْ جَوْهَرٍ

وَكَسَتْهُ مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ بُرْدَةٌ
وَسَمَتْ بِهِ عَرْشَ الْبَلَاغَةِ فَأَعْتَلَى
خَاضَ الْقَرِيضَ بِفُلْكِهِ حَتَّى إِذَا
(الطَّاهِرُ الْعَشِيُّ) مَنْ نَفَحَاتُهُ
الكَاتِبُ اللَّبِيقُ الْبَلِيغُ بَيَانُهُ
شَمْسُ النَّقْيِ وَشُعَاعُ أَقْمَارِ الْهُدَى
رَوْضُ بَزْهَرٍ غُلُومِهِ فَاقَتْ (قَنَا)
حَسَنَاتُهُ نَفَدَ الْمِدَادُ لِحَضَرِهَا
شَغَلَتْ مَحَاسِنُ فَضْلِهِ وَخَصَالِهِ
جَمَعَتْ مَكَارِمُهُ مَكَارِمَ حَاتِمِ
يَا مَنْ لَجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ
فِي شَأْنِهِ وَجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ
لَوْ أَنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ مَسَّ يَمِينَهُ
يَا أَبْنَ الذِّي مَا ضَمَّ بُرْدَ كَابِنِهِ
قَدْ شَدَّتْ سَوْقًا لِلثَنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
مِنْكَ الشُّمُوسُ أَخَذْنَ ضَوْءَ جَبِينِهَا
صَاغَ النُّحَاةُ اللَّفْظَ وَقَتَ نَبَاتِهِ
يَا طَاهِرَ الْأَجْدَادِ أُبْلَغُ خَاطِبِ
لَوْ أَمَكْنَ الْأَقْلَامُ أَنْ تَسْعَى عَلَى
مِنْ كُلِّ مَنَبِتِ شَعْرَةٍ لَوْ كَانَ لِي
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ بَدْرُ قِرَانِكُمْ
بِظَرِيفِ عَرْسِكَ طَاهِرٌ وَقُدُومِهِ

لِجَمَالِهَا قَامَ الزَّمَانُ مُكَبَّرًا
بِفَصَاحَةِ التَّعْبِيرِ هَامَاتِ الدُّرَى
عَبَرَ السَّرِيعَ أَتَى يَوْمُ الْوَافِرَا
فِي الشُّعْرِ مِسْكٌ قَدْ يُخَالِطُ عُنْبَرَا
الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ مَشْدُودُ الْعُرَا
وَسَلِيلُ مَجْدٍ بِالْعَلَاءِ تَفَاخَرَا
أَتَرَابَهَا وَغَدَتْ مَكَانًا عَامِرَا
وَعَدَا الْيِرَاعُ لِعَدَّهَا مُتَقَاصِرَا
أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُودَرَا
وَأَعَادَ هَاطِلُهَا زَمَانًا غَابِرَا
نَعَمْ تَفِيضُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْهَرَا
وَبَنَانِهِ حِكْمٌ تَثِيرُ الشَّاعِرَا
لَرَأَيْتَ مَاءَ الْبَحْرِ خَالِطَ سُكَّرَا
لَا زَالَ نَجْمٌ عُلاكَ يَبْدُو زَاهِرَا
بَاقِلٌ مِنْ سَوْقِ الْقَرِيضِ مَاثِرَا!
وَأَتَتْ تَقُودُ إِلَى الصَّبَاحِ الْعَسْكَرَا
وَوَظَلِلَتْ تُصْلِحُ فِيهِ حَتَّى نَوْرَا!
قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الصَّحَائِفَ مَنَبَرَا
قَدَمٌ لِعَرْسِكَ عَزَّ أَنْ تَتَأَخَّرَا
قَلَمٌ يُجِيدُ الْوَصْفَ كُنْتُ مُقْصِرَا
وَحَلَا لَهُ التَّارِيخُ قَالَ مُسْطَرَا
أَمْ السُّرُورُ قَنَا وَزَارَ الْأَقْصَرَا

في تهنة محمود وهبي

في جمالٍ قد ضاع فيه بياني
أنتِ عودتني رقيق المعاني
ماس عجباً بكأسه وسقاني
وبسهم الجفون منه زماني
في مجالٍ قد راق فيه زماني
بدلالٍ من البذور التذاني
وقوامٍ يُزري بغصن البان
بات يشكو من الأسى ويعاني

رب ساعد على البيان لسانِي
مُبدع النثر والقريض أغثنِي
كيف أسلو هوى غزالٍ رشيق
أضرم الوجد في الفؤاد سعيراً
أهيف أغيد تملك لبي
يستحي البدر أن يراه ويأبى
فاق شمس الضحى بضوء جبين
يا نسيم الصبا ترفق بقلبي

* * *

من رحيق مرفوفة لابن حانٍ
كنضار منضدٍ بجمانٍ
واطرب السمع رحمةً بجناني
من رحيق تعتقت في القناني
لعبت بالعقول لعب القيان!
بين غناء روضة وأغاني
بعيون واللحظ منه براني
منه مدت إلى الكؤوس يدانٍ

ساقِي الرّاح هات بنت الدّنانِ
هاتِ تَبْراً علاهُ دُرّ حَبَابِ
عاطنِيها وَغنّ يا بدرُ أنْسي
وتفضّل على النّدامى بُسُورِ
رشفة الرّاح ما لها من مثيلِ
هاثِها يا نديم في الكأس تجلّي
وغزالٍ يَرْنُو إلى كلّ كأسٍ
نالَ مِنْهُ الرّحيقُ نشوةً صبّ

* * *

يا حُمَاةَ الْقَرِيضِ هَلْ مِنْ بَلِيغٍ
يَنْظُرُ الْبَدْرَ بَيْنَ بُرْجٍ وَبُرْجٍ
أَشْعَلَ الْجَمْرَ فِي فُؤَادِي لَمَّا
وَتَجَلَّتْ لِي الطَّبِيعَةُ تَكْسُو
مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَوَّلُ الْمَهْرَجَانِ
شَفَقُ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي أَلْوِ
لُونِهِ يَمْلَأُ الْعُيُونَ جَمَالًا
بَيْنَمَا كُنْتُ غَارِقًا فِي خَيَالِي
كَانَ زَهْرُ الرَّبَى وَطِيرُ الْأَرَاكِ
هَبَّتِ الرِّيحُ أَحْيَتِ الْقَلْبَ مِنِّي
رَفَّ نَحْوِي النِّسِيمُ أَحْسَنَ بُشْرَى
فَتَنَاشَدْتُ ذِكْرَ مَنْ رَقَّ طَبْعًا
وَتَرَنَّمْتُ عَاشَ (مَحْمُودٌ وَهَبِي)
جَاءَ وَادِي قِنَا وَكَانَ وَكِيلًا
بَاتَ فِيهِ حَلِيمٌ طَبْعٌ كَرِيمًا
نَاصِرًا لِلضَّعِيفِ خَيْرَ شَفِيقٍ
جَازِبًا نَحْوَهُ النِّفُوسَ بِفَضْلِ
كَوْكَبِ الْمَجْدِ نُورُهُ قَدْ تَجَلَّى
جَاءَ بَرْدًا عَلَى قِنَا وَسَلَامًا
شَادَ لِلْأَمْنِ حِصْنٌ مَجِيدٌ مَنِيعًا
وَتَجَلَّى عَلَى الْمَعَارِفِ فِيهَا
كَمْ دِيَارٍ لِلْعِلْمِ عَنْهَا تَخَلَّى
جَادَهَا الْغَيْثُ فَارْتَوَى الْغُودُ حَتَّى

يَنْظُمُ الدُّرَّ وَاصِفًا مَا أَعَانِي؟
هَكَذَا الْبَدْرُ ذَائِبُ الدَّوَرَانِ
غَابَ عَنِّي بِحُسْنِهِ الْفَتَانِ
سُنْدُسُ الْأَرْضِ حُلَّةُ الْأَرْجَوَانِ
يَا سَمَاءُ اكْتَسِي خُدُودَ الْغَوَانِ
ضَ وَيَضِي قُلُوبَ حُورِ الْجَنَانِ
وَيُثِيرُ السَّعِيرَ بِالْوَلَهَانِ
وَلَذِيذُ الْمَنَامِ قَدْ عَادَانِي
وَنَسِيمُ الصَّبَاحِ مِنْ نُدْمَانِي
أُنْعَشْتَنِي فَضَاعَفْتُ أَشْجَانِي
وَجَرَى لِلْسُّوَيْسِ يُهْدِشِي التَّهَانِي!
وَعَدَا حَائِرًا جَمِيلَ الْمَعَانِي
رَاقِي الْمَجْدِ مَا بَدَا الْفَرْقَدَانِ
فَامْتَطَى الْجَدُّ رَغْبَةَ الْعُمَرَانِ
مُعْلِي الْحَقِّ مُقْسِطَ الْمِيزَانِ
بِاسْمِ الثُّغْرِ صَادِقِ الْإِيمَانِ
وَحَنَانٍ يَدْعُو إِلَى الْإِذْعَانِ
فِي قِنَا فَازْدَهَتْ عَلَى الْبُلْدَانِ
عَاطَرَ الذِّكْرِ يَسْتَحِقُّ التَّهَانِي
زَادَهَا رَفْعَةً فَصِيحَ اللِّسَانِ
فَاسْتَنَارَتْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
هَاطِلُ الْغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأُمَانِي
عَمَّ مَاءُ الْحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ

* * *

أَصْبَحَ الْعِلْمُ شَاكِرًا سَعْيِي شَهْمٍ رَقَى الْمَجْدَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ

مَدَّ وادي قنّا إليه يَمِينًا
وَتَمَشَّتْ قنّا إليه وقالت:
لستُ أنسى عُلاك ما أَهْتَرَّ غُصْنُ
كُلِّ مَنْ فِي قنّا وَمَنْ فِي الضَّوْاحِي
إِنْ يَكُنْ عَزَّ أَمْرُ بُعْدِكَ عَنْهُمْ
فَصُغُودُ الْعُلاَ لِمِثْلِكَ يَدْعُو
أَيُّهَا الْمُؤَلَّعُونَ بِالشَّعْرِ جُودُوا
أَيُّهَا السَّاكِنُونَ فِي الْخَوْضِ بُشْرَى
أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَظِيمُ لِسَانِي

ثُمَّ أَبْدَى لَهُ مَزِيدَ امْتِنَانٍ
دُمُ بَنِيْلِ الْمُنَى عَزِيزِ الشَّانِ
بِنَسِيمٍ وَمَا بَدَأَ النَّيِّرَانِ
بَيْنَ نَائِي الْهَضَابِ وَالْوُدْيَانِ
إِذْ مَلَكَتِ الْقُلُوبَ بِالْإِحْسَانِ
كُلَّ قَلْبٍ لِأَنْ يَزُفَّ التَّهَانِي
كَيْفَ لَمْ يَدْعُكُمْ قَرِيبُ دَعَانِي؟
أَنْ بَدَرَ الْعُلاَ قَرِيبُ التَّدَانِي
لَمْ يَزَلْ قَاصِرًا عَنِ التَّبَيَّانِ

يَا رَعِي اللَّهُ يَوْمَ سَافَرْتَ وَهَبِي
حِينَ هَلَّ الْقِطَارُ كُنْتُ مُحَاطًا
يَرَأْسُ الْكَلِّ خَيْرُ شَهْمٍ مُدِيرِ
دُمُ خَلِيلِ الْعُلا «مَحَمَّدَ نَائِلِ»
يَا كَرِيمًا أَتَى يُودِّعُ وَهَبِي
حِينَ هَمَّ الْقِطَارُ مُدَّتْ أَيْادِي
وَتَمَشَّتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ قُلُوبُ
أَسْفَاتِ لِبْعُدِهِ رَاقِصَاتِ
عَرَّدَ الطَّيْرُ فَوْقَ رَأْسِ جُنُودِ
حِينَ طَارَ الْقِطَارُ يَحْمِلُ وَهَبِي
هَامَ (صَبْرِي) بِهِ فَأَنْشَدَ يَشْدُو
عَامَ وَهَبِي رُقْيَا قنّا أَرْخَتْهُ

مَنْ قنّا وَالْقُلُوبُ فِي خَفَقَانِ!
بَلْفَيْفِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْيَانِ
بَاتَ وَالسَّعْدُ طَوْعُ أَمْرِ الْبَنَانِ
يَا عَظِيمًا يَهَابُهُ الثَّقَلَانِ
عِشْ وَوَهَبِي فَأَنْتَمَا آيَتَانِ
لِوَدَاعِ أَجْرَى الدَّمُوعِ الْقَوَانِي
هَزَّهَا الْوَجْدُ فَاشْتَكَّتْ مَا تُعَانِي
بِاسْمَاتِ لِفَضْلِهِ الْمُزْدَانِ
أَطْرَبْتُنَا بِنَاعِمِ الْأَلْحَانِ
صَاحَ جَمْعُ الْأَحْبَابِ: سِرٌّ بِأَمَانِ!
رَبِّ سَاعِدْ عَلَى الْبَيَانِ لِسَانِي
أَنْتَ فَرَّدَ حَجَّتَ إِلَيْهِ الْأَمَانِي

وداع

أَلَا مَنْ لِي بِنَظْمِ كَاللَّالِي
وَمَنْ لِي أَنْ أَحْلِيَهُ بِشُكْرِ
وَأُهْدِي مِنْ مَحَاسِنِهِ عُقُودًا
رَجَالِ الْخَيْرِ أَشْرَافِ السَّجَايَا
فَمِنْكُمْ كُلُّ سَمَحٍ أَرْجِي
وَمِنْكُمْ كُلُّ مُحْتَرَمٍ شَرِيفٍ
تَجَمَّعْتُمْ فَأَلْفَتُمْ قُلُوبًا
وَهَذِي لَيْلَةٌ أَحْيَيْتُمُوهَا
شَرِيفِ الْغُنُصْرَيْنِ عَرِيقِ مَجْدٍ
تَزَاخَمَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ حَتَّى

أَقْلَدُ مِنْهُ أَجْيَادَ اللَّيَالِي
تُضِيُّ بِهِ فَرَائِدُهُ الْغَوَالِي
لَأَهْلِ الْفَضْلِ أَرْبَابِ النَّوَالِ
كَرَامِ الْعَصْرِ خُطَّابِ الْمَعَالِي
تَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالِ
كَرِيمِ فِي الْعَطَايَا وَالْخِصَالِ
وَبَرَهْنَتُمْ عَلَى حُسْنِ اتِّصَالِ
لِذِكْرِي مَنْ تَبَدَّى كَالْهَلَالِ
كَرِيمِ الرَّاحَتَيْنِ عَزِيزِ خَالِ
تَشَاغَلَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْغَزَالِ!

* * *

عَلَقْتُ بِهِ فَتَيَّمَنِي هَوَاهُ
دَخَلْتُ بِحُبِّهِ بُسْتَانَ وَجْدِي
تَغَرَّدُ وَالنَّسِيمُ جَرَى بَلِيلًا
تَلَاعَبُ بِالنَّفُوسِ ذَوَاتُ حُسْنِ
كَنَسُوءَةِ يُوسُفَ لَمَّا تَجَلَّى
وَقَدْ بَدَتْ الْكَوَاكِبُ مُسْفِرَاتٍ

وَهَمْتُ بِهِ فَأَنْعَشَنِي خِيَالِي
فَأَلْفَيْتُ الطُّيُورَ عَلَى الدَّوَالِي
يُحَرِّكُ خَصَرَ رَبَّاتِ الْجَمَالِ
كُحُورِ الْخُلْدِ تَرْمِي بِالنَّبَالِ
يُقَطِّعُنَ الْأَنَامِلَ بِالنِّصَالِ!
تُضِيُّ مِنْ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ

تَبَاعَدَ عَنْ رِيَاضِ الْقَوْمِ جَفَنِي
فَخَلْتُ الرُّوْضَ لِلتَّمَثُّيلِ دَارًا
وَفَاقَ سَنَاهُ نُورَ الْبَدْرِ لَمَّا
تَرَنَّمْ تَحْتَ غُصْنِ الْبَّانِ رِيْمٌ
وَأَوْمًا بِالْيَمِينِ إِلَيَّ يَرْجُو
تَمَائِلَ عِطْفُهُ وَاهْتَزَّ تَيْهًا
وَهَامَ بِمَهْمِهِ السَّحَرِ الْحَلَالِ
تُمَثِّلُ فِيهِ رَبَّاتُ الدَّلَالِ
تَجَلَّى حُسْنُهُ فَأَهَاجُ بِإِلِي
رَشِيْقُ الْقَدِّ فَتَانُ الْجَمَالِ
حَدِيثًا قُلْتُ: أَسْرِعْ بِالسُّوَالِ
وَأَجْرِي مَاءَ لَفْظٍ كَالزُّلَالِ

* * *

تَجَمَّعْنَا هُنَا لِوَدَاعِ شَهْمٍ
قَضَى فِي الْجَيْشِ أَعْوَامًا كَسَنَهُ
رَقَى بِالْجَيْشِ حَتَّى نَالَ مَجْدًا
كَأَنِّي قَدْ سَمِعْتُ شِفَاهُ قَالَتْ
بَبِيضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ الْعَوَالِي
وَأَفْدِي يَوْمَ أَقْتَحِمُ الْمَنَآيَا
يَرَى يَوْمَ الْوَعَى يَوْمَ الْوَصَالِ!
لِبَاسِ النِّصْرِ بِالْبَيْضِ الصَّقَالِ
يُذَكِّرُهُ بِسَاحَاتِ الْقِتَالِ
وَقَدْ وَثَبَ الرَّعَالُ عَلَى الرَّعَالِ
غَرَامِي لَا بِرَبَّاتِ الْجَمَالِ
بَأَهْلِي كُلِّهِمْ وَأَبِي وَمَالِي

* * *

أَتَى بَعْدَ الْجِيوشِ يُدِيرُ سِجْنًا
تَنْقُلَ بَيْنَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا
أَسْجَنَ (قَنَا) لَقَدْ نِلْتُ الْأَمَانِي
أَتَاكَ الشَّهْمُ أَصْلَحَ مِنْكَ شَأْنًا
وَبِتَّ بِفَضْلِهِ مَاوَى حَصِينًا
فَإِنْ تَكْ قَدْ سَمِعْتَ بِمَا تَأْتَى
فَأَحْيَا أَمْنَهُ طُولَ اللَّيَالِي
وَسَارَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
وَبِتَّ بِفَضْلِهِ فِي خَيْرِ حَالِ!
فَبِتَّ مُفَاجِرًا قَمَمَ الْجِبَالِ
وَكُنْتَ بِعَزْمِهِ أَقْوَى الثَّمَالِ
فَإِنَّكَ نَادِبٌ حُسْنُ الْخَوَالِي

* * *

سَيْرَ حُلِّ قَاصِدًا أَسْيُوطَ حَتَّى
فَوَدَّعَ فِيهِ إِنْسَانًا عَظِيمًا
يُفَاخِرَ سِجْنُهَا الشَّهْبَ الْعَوَالِي!
تَهَلَّلَ بِالْهِنَاءِ وَبِالْجَلَالِ

* * *

فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا مَنْ غَابَ عَنِّي
فَغَابَ لِبُعْدِهِ عَقْلِي وَبَالِي

ولكنني سُررتُ لأنَّ هذا سَبيلُ في ارتِقائكِ للمَعالي!
 وخُذْ مَعَكَ الْفُؤَادَ فَإِنْ هَذَا لِحَيْرِ هَدِيَةٍ عِنْدَ الرِّجَالِ!
 لأنَّا قد وَجَدْنَا فِيكَ شَهْمًا هَمَامًا لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي
 وسافرْ (صَفَوْتَ) الإِحْسَانَ أَنْتُمْ كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالٍ

* * *

أُمُقْتَبِلُ أَنَا أَمْ ذَا وداعُ وهل فَرِحَ أَنَا أَمْ غَابَ بالي
 إذا كان المَدِيرُ أَتَى حَدِيثًا فَمَالِي قد سَكَتُ عن المَقَالِ؟
 ألا أَهْلًا بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِي فَنِعَمَ الشَّهْمُ فِي أَبْهَى مَجَالِ
 ونعمَ الْفَرْدُ رَبُّ الْعَدْلِ مَنْ قَدْ أَضَاءَ قِنَا فحَيَّتُهُ الْأَهَالِي
 نَعَمْ قَدْ جَاءَهَا عَطْفًا عَلَيْهَا لِيُوصِلَهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ

في قطار

تَقُولُ لِصَبْرِي أَتَنْسَى الْهَوَى
وقد أَغْمَضَ الدهرُ عَيْنَ التَّجَافِي
فَقَبَّلْتُ شَعْرًا كَسُودِ اللَّيَالِي
ولما التَّقْتُ مُقْلَتَانَا بَكَيْنَا
ولما التَّقْتُ شَفَتَانَا ارْتَعَشْنَا
أَقْبَلُ خَدَّيْكَ طَوْرًا وَطَوْرًا
وَجِيدًا طَرِيًّا وَكُفًّا نَدِيًّا
وهل أَنْتَ تَذْكُرُ ذَاكَ الْهَنَاءَ؟
وغيَابَ الْعَوَازِلُ وَالرُّقَبَاءِ
وَوَجْهًا مُنِيرًا كَبَدْرِ السَّمَاءِ
سُرورًا فَيَا نِعَمَ هَذَا الْبُكَاءِ
لَأَنَّ الْمَحَبَّةَ كَالْكَهْرَبَاءِ!
عُيُونَ الْمَهَى وَجُفُونِ الظُّبَاءِ
وَوَجْهًا تَهَيَّمُ بِهِ الْأَتْقِيَاءِ

* * *

وَلَسْتُ لِأَذْكُرَ كُلَّ الْحَدِيثِ
وَأُخَذَكَ مِنِّي الْمَوَاقِيقَ أَنِّي
أَتَرْضَى بِمَوْتِ الْهَوَى لِفُؤَادِي
وَأَنْتَ الَّذِي عَذَّبَ الْقَلْبَ عَامًّا
عَلَيْكَ التَّجِيَّةُ يَا نَوْرَ عَيْنِي
تَحِيَّةَ مَنْ أَثْقَلَتْهُ الزَّرَايَا
أَتَنْسَى الْوَدَاعَ وَدَقَّاتِ قَلْبِي
وقد جِئْتَ تَبْكِي بِدَمْعِ غَزِيرٍ
وَدَمْعُكَ يَرُوي وَرُودَ الْخُدُودِ
وَحَيَّةَ قَلْبِي وَمَوْتَ الرَّجَاءِ
أُمِيتَ الْهَوَى وَأَقِيمَ الْإِحْيَاءِ
وَمَوْتُ فُؤَادِي بِذَاكَ الرِّضَاءِ؟
فَأَدْمَعَ عَيْنِي بِنُورِ الذِّكَاةِ
تَحِيَّةَ صَبِّ شَدِيدِ الْوَفَاءِ
وَحَمَلَهُ الْبُعْدُ كُلَّ الشَّقَاءِ
أَتَنْسَى هَوَى لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ؟
وَكُنْتَ تُنَاجِي إِلَهَ السَّمَاءِ
وَضَاعَفَ حُسْنُكَ وَرَدُّ الْحَيَاءِ

فَخَلْتُ مَلَكَ تَدْفَقُ لُطْفًا وَأَبْصَرْتُ بَدْرًا جَمِيلَ الرِّدَاءِ
 وَلَمْ تَخْشَ جَمْعًا يَمُوجُ كَبَحْرٍ وَأَيَّقَنْتَ أَنْ سَيَزُولُ الهِنَاءُ
 تَشَجَّعْتُ لَمَّا رَأَيْتُكَ تَبْكِي وَفَتَّتَ قَلْبِي أَلِيمُ النَّدَاءِ
 وَلَمَّا الْقَطَارُ بَدَا لَمْ تَعُدْ تُشَاهِدُ عَيْنِي بِهَيْجِ الضِّيَاءِ
 وَقَطَعَ قَلْبِي دُنُوُ الْفِرَاقِ وَأَظْلَمَ عَيْنِي نُزُولُ الْقَضَاءِ
 رَأَيْتُكَ تُسْرِعُ نَحْوَ الْقَطَارِ كَأَنَّكَ تَرْجُو دَوَامَ الْبَقَاءِ
 وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبَقَاءَ مُحَالًا وَأَيَّقَنْتَ أَنْ لَا يُفِيدَ الدَّوَاءِ
 وَضَعْتَ يَمِينَكَ فَرَقَ جَبِينِ تَبَارَكَ مَنْ خَصَّهُ بِالْبَهَاءِ
 وَقُلْتُ: حَبِيبِي أَتَنَزَّكُ قَلْبِي أَسِيرَ الْفِرَاقِ شَهِيدَ الْوَفَاءِ؟
 أَتَذْرِفُ مِنْ نَرْجِسِ الْعَيْنِ دَمْعًا؟ خَلِيقُ بَجْفَنِكَ سَفْكَ الدَّمَاءِ!

تقريظ

إِنَّ الْكِتَابَ إِذَا حَلَا وَأَزْدَانَا
يُهْدِي إِلَيْكَ فُكَاهَةً وَرِوَايَةً
تَخْلُو بِهِ فَتَرَى صَدِيقًا مَخْلَصًا
وَتَرَى بِهِ رَوْضًا تَمُجُّ غُصُونُهُ
وَلِئَن بَلَوْتَ مَذَارِكَ الْإِخْوَانِ مَا
تَتَرَاوَحُ الْأَسْفَارُ بَيْنَ مُحَدَّثٍ
وَمُخْبِرٍ عَنْ رِحْلَةٍ وَمَنْسُقٍ
وَمَنْظُمٍ رَوْضِ الْعُلُومِ وَبَاحِثٍ
بَيْنَا أُطَالِعُ فِي الْعُلُومِ وَبَحِثَهَا
إِذْ رَاقَ فِي نَظَرِي كِتَابٌ قَدْ حَوَى
قَامًا بِجَمْعِ أُصُولِهِ شَهْمَانٍ قَدْ
ذَا (أَحْمَدُ) وَأَخُوهُ نُودِي بِاسْمِهِ
لِلَّهِ دَرْهُمَا قَدْ اتَّفَقَا مَعًا
يَا بَاقَةَ مِنْ زَهْرِ رَوْضِهِمَا بَدَتْ
قَدْ لَقَبَاكَ لِحُسْنِ سَبْكِكَ مُرْشِدًا
كَمْ فِيكَ مِنْ حِكْمٍ أَتَتْنَا آيَةً
إِنَّ كُنْتُ بِكَرِّ بَنَاتِ أَفْكَارٍ فَلَا
أَنْعِمُ بِمَنْ وَضَعَ الْكِتَابَ وَمَنْ بِهِ

نَعْمَ السَّمِيرُ إِذَا أَرَدْتَ بَيَانًا
وَيَصُونُ سِرَّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَمَانًا
كَالْبَحْرِ يَحْوِي أَلَدَّ الْمَرْجَانَا
رِيًّا وَتَشْدُو طَيْرُهُ الْأَلْحَانَا
غَيْرَ الْكِتَابِ يُقَدِّمُ الْبَرْهَانَا
عَمَّا جَرَى لِلْأَقْدَمِينَ وَكَانَا
عَقْدَ الدَّرَارِي يُنْعِشُ الْأَبْدَانَا
عَنْ كُنْهِ لَفْظٍ حَيَّرَ الْأَذْهَانَا
ثَمَلًا بِخَمَرِ حَدِيثِهَا وَلَهَانَا
لِلْمُنْشِئِينَ بِلَاغَةً وَبَيَانَا
نَبَغًا فَجَاءَ يُقَوِّمُ الْعُرْفَانَا
اسْمًا وَعِلْمًا حِكْمَةً وَجَنَانَا
صِنَوَانِ حَوْلَهُمَا الصِّفَا قَدْ رَانَا
قَدْ حُزَّتْ إِعْجَابًا يَدُومُ زَمَانَا
لِلْمُنْشِئِينَ فَهَا زَمَانُكَ أَنَا
سَتُهَذَّبُ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانَا
عَجِبُ إِذَا رَبِحَ الْجَوَادُ رَهَانَا
دَارَ الْعُلُومِ تُحَدِّثُ الرُّكْبَانَا

ديوان إسماعيل صبري

أَهْلًا بِمُرْشِدِ أَحْمَدَ السَّفَرِ الَّذِي بِوَجُودِهِ رَوْضُ الْعُلُومِ ازْدَانَا
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ قَالَ مُورِّخًا نِعْمَاهُ سِفَرُ عَطَّرَ الْبُسْتَانَا

يا عظيمًا

لست أنسى نَدَاكَ قُرْبًا وَبُعْدًا
صَيَّرْتَنِي لَكَ الْمَكَارِمُ عَبْدًا
شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدَّى
هل مُرُورُ الْأَيَّامِ يَقْطَعُ وَدًّا
خَيْرَ شَهْمٍ لَمْ يَأَلُ لِلْخَيْرِ جُهْدًا
يا طَبِيبًا قَدْ حَوَّلَ الْمَرَّ شُهْدًا
رُبَّ كَأْسٍ تُعِيدُ لِلْعَيْشِ عَهْدًا
أَنْ أُجِيدَ الْقَرِيبُ وَصَفًا وَوَجْدًا
صاحبُ الْفَضْلِ وَهُوَ أَصْدَقُ وَعْدًا
فهي كَفٌّ مِنْ هَاطِلِ الْغَيْثِ أَنْدَى
وسواكُمْ لَا يَجْعَلُ الْعُمْرَ رَغْدًا
وَرَقِيَّ مَا اهْتَزَّ طَيْرٌ وَأَشْدَا

يا عظيمًا قَدْ نَالَ عِزًّا وَمَجْدًا
كلما قُلْتُ أَعْتَقَ الشُّكْرُ رَقِيَّ
فابْقِ عُمْرَ الزَّمَانِ كَيْمَا أُؤَدِّي
أَبْعَدَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا لَسْتُ أَذْرِي
أَمْ نَسِيتُمْ مَنْ لَا يَرَى فِي سِوَاكُمْ
أَنْ أَنْتَسِي بِبَابِكَ كَأْسًا
لَا تَضْنُوا عَلَى الْعَلِيلِ بِكَأْسٍ
عَلَّمْتَنِي طَلَاقَهُ الْوَجْهِ مِنْكُمْ
كَيْفَ لَا وَالَّذِي أَرْجَى نَدَاهُ
إِنْ كَفَّ الْمَعُونَةَ الْيَوْمَ قَصْدِي
عَيْلَ صَبْرِي وَضَاقَ رَحْبُ نَعِيمِي
لَا عَدِمْنَا وَجُودَكُمْ فِي نَعِيمٍ

فقيد الطيران

ما للضياء غداً ظلاماً أعكراً
بكت العيونُ له نجيعاً أحمر
لبست عليه جدادها أم القرى
حكم الزمانُ عليك أن تتقهقراً
خلع السقامُ عليك ثوباً أصفر
وإلى المعارفِ كنتُ بدرًا أزهراً
هلاً علمت بحال من عشق الكرى؟
لما رآك بلغت هامات الذرى
من فرط ما لعب البلى وتكسراً
أم ذاك في عيني حلمٌ صوراً
كنا الفداء لمن غدوا تحت النرى
وقف السهى يرنو لها متحيراً
وشراب جيشهم الحديد الأخضر
صعق الفؤاد لَهولها وتسعراً
أبكى ضريح المصطفى والمنبر
نحو الشام لكي تشاهد ما جرى
شهدت به الريح العصب غصقراً
شهمٌ يماثل في الجلال القيصر

ما للمنون سطت على أسد الشرى
خطب دهمى الأبطال في رحلاتها
رُزءُ تفتطرت القلوب لهول
يا شرقُ ما لك كلما رُمّت العلا
يا شرقُ مالك كلما آن الشفا
يا شرقُ كنت إلى المعالي كعبة
يا شرقُ مالك والكرى أعشقتُه؟
يا شرقُ أهداك الزمان حسامه
خلفتُه في غمده حتى أنبرى
ماذا دهاك وهل منامٌ ما أرى
يا دولة الأسد البواسل ليتنا
يا شائدين الملك بالهمم التي
يا من ترون دم العدو مدامة
صعب علينا كل يوم نكبة
خطب تلا خطباً فضاعف حزنه
فلو استطعت قذفت حبة مقلتي
خاض الفضاء سميذع في ملكه
قطع البحار وما ثناه عجاجها

وَعَلَا رَبًّا (لُبْنَانَ) فَوْقَ هَضَابِهَا
وَالْتَفَّتِ الْأَقْمَارُ تَسْطَعُ حَوْلَهُ
هَبَطَتْ سَفِينَتُهُ الشَّامِ فَشَاهَدَتْ
أَرْضَ حَبَاهَا اللَّهُ مِنْهُ رَعَايَةً
تَمْشِي الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ وَأَدِيمُهُ
هَتَفَتْ لِرُؤُوسِهِ الْقُلُوبُ تَقُولُ يَا
حَمَلْتِكَ أَكْنَافُ الرِّيحِ مُطِيعَةً
وَقَضَى قَصِيرَ الْوَقْتِ بَيْنَ رُبُوعِهَا
سَلَّ الْحِمَامُ عَلَى الْحِمَامِ حُسَامُهُ
بَكَتِ النُّسُورُ الْجَارِحَاتُ عَلَى الَّذِي
عَمَّ الْأَسَى وَالْحُزْنُ جَوْ صَفَائِنَا
مَا كَادَ يَنْضُبُ دَمْعُ أَوَّلِ حَادِثٍ
إِنَّا لَنَعْجَبُ مِنْكَ (نُورِي) كَيْفَ قَدْ
فَلَحَقْتَهُ وَصَدِيقَهُ مُتَبَسِّمًا
وَضَمَمْتَ جِسْمَهُمَا إِلَيْكَ وَحَوْلَكُمْ
وَسَكَنْتُمُو بَيْتًا تَقَادِمَ عَهْدُهُ
هَذَا صِلَاحُ الدِّينِ مَنْ غَزَوَاتُهُ
يَا أَيُّهَا الشَّهْدَاءُ هُنْتُتُمْ بِمَا
إِنَّا سَنَذْكُرُ عَهْدَ رِحْلَتِكُمْ فَقَدْ
يَا مُبْدِعَ الْأَكْوَانِ عَزَّزْ جَيْشَنَا

فَصَبَا شَدَا تِلْكَ الرُّبُوعِ وَأَسْكُرَا
كَالْخَاتَمِ الْمَاسِيِّ زَانَ الْخَنْصَرَا
بِالْبِشْرِ وَالتَّزْحَابِ عِيدًا أَكْبَرَا
سَاحَاتُهَا حَوَتْ الْمَكَانَ الْأَعْطَرَا
مِسْكٌ يُخَالِطُ فِي الْعَبِيقِ الْعَنْبَرَا
(فَتْحِي) لَقَدْ جَدَّدْتَ مَجْدًا غَابِرَا
كَرَّهَا كَمَا حَمَلْتَ أَخَاكَ الطَّائِرَا
حَتَّى أَنْقَضَى مَا كَانَ قَبْلُ مَقْدَرَا
فَهَوَى صَرِيْعًا مُرْغَمًا فَتَحَسَّرَا
عَرَضَتْ مَنِيتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
وَالدَّمَعُ فَاضَ مِنَ الْمَحَاجِرِ أَنْهَرَا
حَتَّى فُجِعْنَا فِي هُمَامٍ آخَرَا
لَا حِظَّ أَنْ أَخَاكَ زَامَ الْكُوثَرَا
فَرِحْنَا لِأَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ الْجَوْهَرَا
جَيْشُ السَّمَاءِ مُهَلَّلًا وَمُكَبَّرَا
نَجْدًا حَوَى مُلْكًا عَظِيمًا أَشْهَرَا
أَهْدَتْ إِلَى الْعَرَبِ الْكَرَامِ مَفَاجِرَا
نَلْتُمُ مِنَ الْفَرْدُوسِ فَوْزًا أَكْبَرَا
ضَمَمْتَ إِلَى التَّارِيخِ ذِكْرًا عَاطِرَا
وَأَحْفَظْ لَنَا تَاجَ الْقِيَادَةِ (أَنْوَرَا)

علي أبو الفتوح

كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُهَيِّمُنُ فَإِنْ
خَلَّفَ الشَّرْقَ بَاكِىَ الْأَجْفَانِ
بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
رَصَّعَتْهُ كَوَاكِبُ الْمِيزَانِ
مَاءَ دَمْعِ الْعُيُونِ أَحْمَرُ قَانِي
عَنْهُ مَا فِي الْحَشَا مِنَ النَّيِّرَانِ
كَعَوَالِي الرِّمَاحِ يَوْمَ الطَّعَانِ
مَا تَنَاهَى عَنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ
رَ فَبَاتَتْ تَمْوُجُ بِالْعُمُرَانِ
فَنَهَضْنَا بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
هَاطِلُ الْغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأَمَانِي
عَمَّ مَاءُ الْحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ
مَضَرَ تَخَشَى طَوَارِيَّ الْحَدَثَانِ
بَلْ ذَوَى غُصْنِهِ قُبَيْلَ الْإَوَانِ
ثُمَّ أَبْدَى لَهُ مَزِيدَ أَمْتِنَانِ
أَنْتَ قَلَّدْتَنِي عُقُودَ الْجُجْمَانِ
بِنَسِيمٍ وَمَا بَدَا النَّيِّرَانِ
أَنْ يُوَارِي جَلَالَهُ النُّورَانِي

خَلَّ عَنْكَ الْهَوَى وَخَلَّ الْأَمَانِي
وَأَنْثُرَ الدَّمْعَ حَوْلَ رَمْسٍ فَقِيدِ
خَلَّفَ الْعِلْمَ وَالْمَعَاهِدَ تَنْعِي
فِي سَبِيلِ الْعِلَا غَمَامٌ تَوَلَّى
كَيْفَ وَلَّى بَحْرُ الْعُلُومِ وَأَبْقَى
أَيْنَ بَدْرُ الْعِلَا الَّذِي قَدْ وَرِثْنَا
أَيْنَ رَبُّ الْأَقْلَامِ يَوْمَ نِدَاءِ
أَيْنَ مَنْ نَالَ فِي قَصِيرِ زَمَانِ
أَيْنَ مَنْ أَصْلَحَ الْإِدَارَةَ فِي مَضَى
أَيْنَ مَنْ قَامَ بِالْمَعَارِفِ فِينَا
كَمْ دِيَارَ لِلْعِلْمِ عَنْهَا تَخَلَّى
جَادَهَا الْغَيْثُ فَارْتَوَى الْغُصْنُ حَتَّى
أَيْنَ وَلَّى ذَاكَ الْهَنْتُونَ وَخَلَّى
فَاتَهَا وَالشَّبَابُ لَمَّا تَقَضَّى
مَدَّ رَوْضَ الْعُلُومِ مِنْهُ يَمِينَا
وَتَدَانَتْ إِلَيْهِ مِصْرُ وَقَالَتْ
لَسْتُ أَنْسَى نَدَاكَ مَا أَهْتَرَّ غُصْنُ
إِنَّ تُرْبِي حِيَالَ جِسْمِي أَدْنَى

فَأَسْكُنِ الْخُلْدَ حَيْثُ تَبَقَى عَزِيزًا
وَأَتْرِكِ الْأَرْضَ لَاهِيًا مِنْ عَلَيْهَا
إِيهِ يَا مِصْرُ قَدْ فَقَدْتَ عَظِيمًا
إِيهِ يَا شَعْبُ قَدْ نَبَا بِكَ دَهْرُ
فَأَمَأَلْتُ مِنْ عَرْشِ رَوْضِكَ غُصْنًا
بَاتَ جَمْعُ الزُّهُورِ يَنْعِيهِ حُزْنًا
أَيُّهَا الطَّالِبُونَ لِلْعِلْمِ جُودُوا
مَنْ تَوَانِي يَرَاعِهِ فَوْقَ طَرَسٍ
كَيْفَ لَا يَنْدُبُ النَّجِيبُ أَبَاهُ
حَوْلَ دُورِ التَّهْذِيبِ سَأَلْتُ دُمُوعَ
يَنْدُبُ الْكُلُّ حَظَّ مِصْرٍ وَيَشْكُو

بَيْنَ حُورِ الْجِنَانِ وَالْوُلْدَانِ
وَتَرْفَعُ عَنْ رُؤْيَا الثَّقَلَانِ
كَأَدِ يُعْلِيكَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
مِنْهُ مَدَّتْ إِلَى حَشَاكَ يَدَانِ
كَانَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْفَرْقَدَانِ
وَأَذَلَّهُمُ الدَّيْجُورُ بِالْأَغْصَانِ
كَيْفَ لَمْ يَرْعَكُمُ قَرِيضُ رَعَانِي
فَدُمُوعُ الْحَزِينِ تَأْبَى التَّوَانِي
كَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالْهَوَانِ
مَنْ جُفُونِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ
جَوْرُ دَهْرٍ يُسِيءُ لِلْإِحْسَانِ

* * *

كَلَّمَا شَبَّ مِنْ بَنِيهَا هُمَامٌ
أَسْرَعَ الدَّهْرُ نَحْوَهُ فَرَمَاهُ
يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي أَرْضِ مِصْرٍ
لَيْتَ كُنَّا يَوْمَ الرَّحِيلِ فِدَاءً
كَمْ لِيْمُنَاكَ مِنْ أَيَّامٍ عَلَيْنَا
غَابَتِ الرُّوحُ عَنْكَ لِلْعَرْشِ تَسْعَى
جَادَ مَثَوَاكَ يَا عَلِيٍّ غَمَامٌ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُشَيِّعُ مِنَّا
أَنْتَ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ مُقِيمٌ
كُلُّ قَلْبٍ لِفَقْدِكَ الْيَوْمَ يَبْكِي
وَأَشْكُرُ اللَّهَ قَدْ تَرَكْتَ رَجَالًا
وَتَعَطَّفَ عَلَى ذَوِيهِ بِصَبْرِ

مُخْلِصُ الْقَلْبِ صَادِقُ الْوُجْدَانِ
بِسَهَامِ الْمُخَاتِلِ الْخَوَانِ
لَيْسَ بِدَعَا إِذَا بَكَى الْهَرَمَانِ
يَا فَقِيدًا قَدْ فَازَ بِالرُّضْوَانِ
كَنْضَارٍ بَدَا لَنَا مِنْ جُمَانِ
تَتَهَادَى فَرَائِدُ الْإِيمَانِ
دَائِبُ الصَّوْبِ مُفْعَمٌ بِالْحَنَانِ
نَمْ هَنِيئًا فِي طَيِّبَاتِ الْجِنَانِ
وَفُؤَادِي عَلَيْكَ فِي النَّيْرَانِ!
أَسَفًا نَادِبًا صُرُوفَ الزَّمَانِ
مِنْكَ نَالُوا مُحَبَّةَ الْأَوْطَانِ
يَا قَدِيمَ الْوُجُودِ وَالْغُفْرَانِ

رثاء

لَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَدْ بَاتَ مَا تَمُّ
تَوَارَى يُخَضَّبُ وَرَدَ وَجَنَتِهِ الدَّمُّ
مَلَائِكُ وَالْأَطْيَارُ تَبْكِي تَرْحَمُ
نَهَارِ تَوَارَى ضَوْؤُهُ فَهُوَ مُظْلِمُ
نَرَاهُ شَجَاعًا يَلْتَقِيهِ وَيَبْسُمُ
وَقَلْبُ وَدِيعُ بِالتَّأَلُّفِ مُغْرَمُ
أَوِ الْبَحْرِ مَا كُنَّا لَذَا الْحَدِّ نَنْدَمُ
وَوَا أَلْمِي لَوْ كَانَ يُجِدِي التَّأَلُّمُ
وَقَدْ كَادَ عَنْهُ فِي دُجَى النَّقْعِ يُحْجِمُ
فَخَرَّ صَرِيحًا وَالْجِيَادُ تُحْمِمُ
قُلُوبُ لَهَوْلٍ مُصَابِهِ تَنْضَرَّمُ

دَهَانًا مُصَابٌ فَادِحُ الْخَطْبِ مُؤْلِمُ
مَصَابٌ عَظِيمٌ فِي عَزِيزِ شَبَابِهِ
فِيَأْيُهَا الْمَحْمُولُ فَوْقَ مَوَاكِبِ الـ
وَيَا ثَاوِيًا لِمَا نَعُوهُ لِوَاضِحِ أَلـ
وَيَا مَنْ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَرْسَلَ جَيْشَهُ
لِسَانُ تَعَوَّدَ أَنْ يَقُولَ صِرَاحَةً
عَزِيزُ إِذَا مَا حَلَّ بِالْبَدْرِ رُزُوءُ
فَوَاحَزَنِي لَوْ أَنَّ حُزْنِي يَزُدُّهُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالْقَوْسُ فَارَقَ سَهْمَهُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالسَّيْفُ كَانَ صَدِيقَهُ
ذَوَى غُصْنِهِ قَبْلَ الْأَوَانِ فَمَزَّقَتْ

* * *

فِيَأْيُهَا أَرَاهَا أَوْشَكْتَ تَتَهَدَّمُ
سَتُنْسَفُ فِي كَفِّ الرَّدَى وَتُحَطَّمُ
لِسَانِي بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْهُ أَعْلَمُ
خَوَافِرُ خَيْلِ النَّائِبَاتِ فَيُظْلِمُ
فَهْلُ أَعْمَدَتِ إِلَّا وَأَطْرَافُهَا دَمُ

خَلِيلِي طُوفًا بِالْمَدَائِنِ وَأَبْكِيَا
وَتِلْكَ الْجِبَالُ الْمُسْتَقَرَّاتُ حَوْلَهَا
وَإِنْ تَسْأَلَانِي عَنْ زَمَانِي فَإِنَّمَا
فَمَا الْيَوْمَ إِلَّا وَالْعَبَاجُ تُثِيرُهُ
وَمَا شَمْسُهُ إِلَّا سَيُوفُ يَسْلُهَا

تُغَيِّرُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ صُرُوفُهُ فَتَنْهَبُ مِنَّا مَنْ تَشَاءُ وَتَغْنَمُ

* * *

ويا قبرُ يا مَنْ لَا يَرَى الدَّمْعَ إِنْ جَرَى	عليه، وَلَا شَكْوَى المحبِّينَ يَفْهَمُ!
لَقَدْ بَتَّ أَعْلَا مَنْزِلَ جَادَهُ العُلَى	وَرَوَّاكَ غَيْثُ دَائِبِ الصَّوْبِ مُفْعَمُ
أَعْبَدَ المَجِيدِ العَيْشُ بَعْدَكَ عِلْقَمُ	أَجَلُ وَبَقَائِي فِي شَقَائِي تَوْهَمُ
فَلَوْ كَانَ سَفْكُ دَمِي يَقِيكَ مِنَ الرَّدَى	لَجِدْتُ بِرُوحِي إِذْ حَيَاتِي تُحَرِّمُ
فَنَمَّ آمَنَّا أَنْتَ الشَّجَاعُ وَأَنْتَ مَنْ	ذَهَبْتَ شَهِيدًا فِي الْجَنَانِ تَنَعَّمُ
تَنَاجِيكَ حُورُ العَيْنِ أَنْعَمَ بِضَيْفِنَا	عَفِيفُ شَرِيفٍ عَاطِرُ الذِّكْرِ يُكْرَمُ
فِيَا رَبُّ اأَلْهِمِ آلَهُ الصَّبْرِ وَأَرْعَهُ	وَأُسْكِنَهُ دَارَ الخُلْدِ فِيهَا فَيُرَحَّمُ

إلى زوجة راحلة

وعليه ترفرف الورقاء
كالبواكي والأدمع الأنداء
بُ وتبدو كأنها رُقَبَاءُ
هـ عليها من الضياءِ رداءُ
لَمْ تَصِفْ بَعْضَ حَسَنِهِ الشعراءُ
أَوْ بَدَأَ الشَّعْرُ فَالصبحُ مساءُ!
أَنَّ مَا فِي عُيُونِهَا كَهَرَبَاءُ
محرقاتٌ مِنْ دُونِهَا الرُّمضاءُ
صدرَ طَوْراً كأنَّها الخنساءُ
فترَوَى أعشابُهَا الخضراءُ
رَكَدَ المَاءُ وَأُسْتُكِنَ الهَوَاءُ
أَنْزَلَتْهُ عَلَى الضَّرِيحِ السماءُ
ذَهَبَ الْعِزُّ بَعْدَهَا والوفاءُ
أَرْتَجِيهِ وَلَيْسَ إِلَّا العزاءُ
دونه الْفَرْقَدَانِ والجوزاءُ
ولها جِلَّةُ الْوَرَى أَصفياءُ
زماناً لَكُنْتَ أَنْتَ الشَّقَاءُ
أَوْ صَدِيقٌ إِنْ حَقَّتْ الْأَصْدِقَاءُ

حول رمسٍ تظلُّهُ الأَوْفِيَاءُ
وغصونُ الاراكِ منحنيَاتُ
ونجومُ السماءِ تَحْجُبُهَا السَّحَابُ
وقفت غادةً سماويةً الوجـ
يَسْتَبِي النَّاظِرِينَ مِنْهَا جَمَالُ
إِنْ بَدَأَ الْوَجْهَ فَاَلْمَسَاءُ صَبَاحُ
يَحْسَبُ الْقَلْبُ حِينَ تَرْنُو بَعِينَ
ولَهَا مِنْ شَجُونِهَا زَفَرَاتُ
تلطم الْجِيدَ تارةً وتَدُقُ الـ
وتريقُ الدموعُ جَمراً عَلَى الأرضِ
وشَكَّتْ حَالُهَا الطَّبِيعَةُ حَتَّى
وَعَلَا ذَلِكَ الْمَكَانَ وَقَارُ
لَهْفِ قَلْبِي عَلَى شَرِيكَةِ عُمْرِي
لَيْسَ لِي بَعْدَ نَائِيهَا مِنْ حَبِيبِ
كُنْتَ لِي فِي الْوَرَى أَعَزَّ مَقَامِ
كُنْتَ لِلْغَيْدِ خَيْرَ مَنْ عَفَّ طُهْرًا
يَا زَمَانَ الشَّقَاءِ لَوْ عَاتَبَ اللَّهُ
لَا يُرَى فِي بَيْتِكَ وَافٍ بِعَهْدِ

ذاك يسعى في قلبه أرْقَمُ الْحَقِّ
 حَسَدُ زَائِدٌ وَخُبْتُ شَدِيدُ
 يتوارون في النزاهة والصد
 ويشيرون بالدواءِ عَلَى مَنْ
 بِكَ ضَاعَ الْجَمِيلُ واشتَهَرَ النُّكْ
 وَالْمُرَاءُونَ فِيكَ حَطَّهْمُ الْوُ
 وَإِذَا كَانَ مِنْكَ بَعْضُ كِرَامِ
 يا حياتي قَدْ عِيلَ بِعَدِكَ صَبْرِي
 أَبْتَغِي الْمَوْتَ وَهُوَ غَايَةُ مَا يُرْ
 أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالًا
 فُتِحَ الرَّمْسُ فِيهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ
 وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ صَوْتُ
 إِنَّ هَذِي هِيَ الْأَمَانَةُ ضُمَّتْ
 إِنَّ صَبْرِي حِيَالَ هَذَا يُنَادِي

بِدِ وَهَذَا تَهْزُهُ الْكِبْرِيَاءُ
 وَخِذَاعُ وَعَيْبَةُ وَرِيَاءُ
 قِ كَمَا يَسْتَرِ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ
 حَازَ فَضْلًا، كَأَنَّمَا الْفَضْلُ دَاءُ
 حُ كَثِيرًا وَعَمَّتِ الْبُلُوءُ
 دُ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
 (كَانَ أَهْلُ الْحَبِيبَةِ الْأَوْفِيَاءُ)
 وَدَهَنَتْنِي الْمَصَائِبُ الدِّهْمَاءُ
 جَى دَوَاءٌ وَلَيْسَ فِيهِ الدَّوَاءُ
 وَمَلَاكَ قَدْ احْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
 كَيْفَ يَا رَمْسُ مِنْكَ يَبْدُو الضِّيَاءُ؟
 رَجَّعَتْهُ الْجِبَالُ وَالْأَدْوَاءُ
 فِي ضَرِيحٍ بِهِ أَخُوهَا الْوَفَاءُ
 يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعِزَاءُ؟

فيدورا

فَتَمَايَلْتُ كَالْغُصْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا
مَا مَسَّهَا غَيْرُ النَّسَائِمِ وَالنَّدَى
فَتُرِكَ وَجْهَ الصُّبْحِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
كَالزَّهْرِ يَنْشَأُ زَاهِيًا بَيْنَ الرُّبَا
يَزْهُو عَلَيْهِ وَوَرْدُهُ الْغُصْنُ الْجَنَى
غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا مَتَى لَاحَ الضُّحَى
فِيهِ وَيَحْسَبُ رَسْمَهُ فِيهَا بَدَا
كَالشَّمْسِ قَدْ وَقَفَتْ عَلَى أَفْقِ الضِّيَا
حِينَ فَيَخْفُقُ مِثْلَمَا خَفَقَ اللَّوَا
وَفَتَّى عَلَى سَرَجِ الْجَوَادِ قَدْ أُسْتَوَى
وَلَوْ أَحِظُ نَجْلَاءَ تَزْرِي بِالظُّبَى
أَمْضَى وَأَفْتُكَ مَقْتَلًا مِمَّا أُنْتَضَى
كَالْبَدْرِ فِي زَهْرِ النُّجُومِ قَدْ أَنْجَلَى
وَدَنَا لَهَا مُسْتَسْقِيًا يَشْكُو الظَّمَا
تَرْنُو لِطَلْعَتِهِ كَمَا تَرْنُو الْمَهَى
خَمْرًا بِهَا قَلْبُ الْفَتَاةِ قَدْ انْكَوَى
مَمْلُوءَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ مِنَ الثَّنَا
بَدَلًا لِبَرْدِ شَرَابِهَا حَرَّ الْجَوَى

هَيْفَاءُ زَيْنَ حَدَّهَا وَرَدَّ الصَّبَى
حَسَنَاءُ طَاهِرَةً كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ
بِيضَاءُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَبِينِهَا
نَشَأَتْ وَحِيدَةً أَهْلَهَا فِي قَرْيَةٍ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْحَقْلِ وَالنَّبْتِ الَّذِي
وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ تَوَدَّعُهَا مَتَى
وَالْبَدْرُ تَنْظُرُهُ فَتَحْسَبُ رَسْمَهَا
وَقَفَتْ عَلَى بَابِ الْخُبَاءِ عَشِيَّةً
وَجَرَى النَّسِيمُ بِهَا يُلَاعِبُ شَعْرَهَا
وَإِذَا بِوَقْعِ حَوَافِرٍ فِي قُرْبِهَا
ذُو قَامَةٍ هَيْفَاءُ تَزْرِي بِالْقَنَا
وَقَدْ أُنْتَضَى سَيْفُ الْقِتَالِ وَلَحْظُهُ
وَعَلَى مَلَابِسِهِ الْحُلِيِّ لَوَامِعُ
وَأَفَى فَحِيًّا بِاسِمًا مُتَلَطِّفًا
فَمَضَتْ فَجَاعَتَهُ بِكَأْسٍ وَأَنْثَنَتْ
يَحْسُو الشَّرَابَ وَتَحْتَسِي مِنْ حُسْنِهِ
حَتَّى اكْتَفَى وَأَعَادَ كَأْسَ شَرَابِهِ
وَمَضَى فَوَدَّعَهَا وَأَوْدَعَ قَلْبَهَا

يدري الهوى حتى تملكه الهوى
 لليأس يوشك لا يضي بها الرجا
 ممن تملكها خيال قد سرى
 شمس الضحى تزهو على تلك الربا
 بهديّة تُهدى لربّات البها
 تُهدى لسيّدتي! وسلّم وأنثنى
 يكن الشراب ولم يكن هذا الجزا
 وهوى لذيّك الجميل وما درى
 لوم عليه فليس يدري ما جنى
 حتى عدت شبحاً أرق من الهوا
 تشكو الذي يبذو وتكتم ما أحتقى
 داء تكابده ولم يدروا الدوا
 وأسى وما يجدي التّحسّر والأسى
 وتقول لا أدري فذا حُكم القضا
 شمس الضحى تزهو على تلك الربا
 بهديّة تُهدى لربّات البها
 ورأت حبيب فؤادها منه أتى
 وفوى ولكن حين لا يجدي الوفا
 ويقول كيف أصابها سهم الردى
 وكسى أصفزار جبينها ورد الحيا
 سهماً أصاب القلب من عيني فتى
 حباً وكم من عاشق قبلي قضى
 مُهدّاته بيد يَصافحها الفتى
 وتكون رُوحى فارقت هذا الملا
 أنظر إلى المرأة تلقى من جنى!

دَخَلَ الهوى قلباً خلياً لم يكن
 فقصت دياجي ليلها في ظلمة
 يهفو النّعاس بجفنها فيردّه
 حتى إذا ذهب الظلام وأشرقت
 وأفى رسول من حبيب فؤادها
 ودنا وقال: هديّة من سيدي
 كانت جزاء للشراب وليت لم
 فلقد سب قلب الفتاة صبا
 كالقوس أطلق سهمه فجنى ولا
 ما زال يذكيها الهوى ويذيبها
 وهوت على مهد السقام علية
 حار الجميع بها فلم يدروا لها
 وأقام يندب وإدائها حسرة
 والظبي مخفية حقيقة دائها
 حتى إذا ذهب الظلام وأشرقت
 وأفى رسول من حبيب فؤادها
 سمعت بقرب الباب وقع حوافر
 وأفى ولكن بعد ما أنقطع الرجا
 وحنى عليها وهو يسأل جازعا
 فرنت إليه بمقلة فتانة
 وتنهدت أسفا وقالت إن بي
 هذا هو الداء الذي أقضي به
 فأجاب من هذا الفتى؟ فتناولت
 وربت وقالت عندما يبذو الضحى
 إن شئت تعرف من قضيت بحبه

المنصورة

وعن عزيز وعن صَبْرٍ وعن جَلَدٍ
وليلةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ
ونلتُّها منك عن وَعْدٍ يَدًا بِيَدٍ
كَلَّا وَلَا عَذْلُ أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدٍ
يَبْدُو وَيَخْفَى كَفَعَلَ الْقَلْبِ ذِي الْحَسَدِ
جِسْمٌ نَقِيٌّ بِنُورِ الْحُبِّ مُتَّقِدٍ
يَكَادُ يَفْضَحُنَا فِي دَارَةِ الْبَلَدِ
يُهْدِي لِي النَّارَ مِنْ صَفَيْنِ مِنْ بَرَدٍ
كَأَنَّهُ نَغَمَاتُ الطَّائِرِ الْغَرَدِ
ولو أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لَمْ نَجِدْ!
حَتَّى يُنَادِيهِ صَوْتُ: قِفْ وَلَا تَزِدْ
وَالطُّهْرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
يَشْتَأِقُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدٍ
حِينَ رَوَيْنَا بِهِ لَوْ دَامَ رِيَّ صَدِي
فَصَرْتُ أَرْضَى خِيَالًا مِنْكَ عَنْ بُعْدِ!

قُلْ لِلْغَرِيبَةِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ بَلَدٍ
هَلْ تَذْكُرِينَ لِيَالَيْنَا الَّتِي سَلَفَتْ
سَرَقَتْ فِيهَا مِنَ الْوَاشِينَ خَلَوْتَنَا
وَبِتُّ لَا رَيْبَةَ أَخْشَى بِوَادِرْهَا
وَالنُّورُ فِي مَعْزِلٍ عَنَّا لَهُ لَهَبٌ
وَأَنْتِ فِي ثَوْبِكَ النَّاقِي الْبَيَاضِ عَلَى
أَرَى عَلَيْهِ ضِيَاءَ الْبَدْرِ مُنْعَكِسًا
أَهْوَى إِلَى رَشْفِ ثَغْرِ فِيهِ مُنْتَظِمٌ
وَبَيْنَنَا غَزْلٌ رَقَّتْ مَوَارِدُهُ
شَكْوَى تُقَطِّعُهَا مَا بَيْنَنَا قُبْلُ
يَهْفُو الْفَوَازُ عَلَى آثَارِهَا طَرِبًا
صَوْتُ هُوَ الطُّهْرُ فِي لَفْظِ الْعَفَافِ بَدَا
حَتَّى رَجَعْتُ بِجِسْمٍ عَنْكَ مُبْتَعِدٍ
يَا مِنْهَلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكُوْنِهِ
مَا كُنْتُ أَرْضَى وَصَالًا مِنْكَ عَنْ كَثْبٍ

وردة

وَهَيَّهَاتَ مَا لِلْوَرْدِ حُسْنِكِ فِي الْوَدِّ
وَبُقْيَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ
وَوَرْدُكَ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنِ الْخَدِّ!
وَنَشْرُكَ رِيحَ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ وَالنَّدِّ
وَوَرْدُكَ لَمْ يَقْطِفْهُ إِلَّا أَنَا وَحْدِي
وَقَدْ كُ دَوْمًا بَيْنَنَا ضَافِي الْبُرْدِ
وَمَنْشَاكِ فِي قَلْبِي الَّذِي جَفَّ مِنْ وَجْدِي!
جَنَانِ رِيَاضِ الْخُلْدِ بِاسْمٍ مِنَ الْوَرْدِ

لِشَخْصِكَ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيِّ لَقَبُ الْوَرْدِ
تَفُوقَيْنَهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَنْظَرًا
فَلِلْوَرْدِ شَهْرٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يَنْقَضِي
وَلِلْوَرْدِ رِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَجُوزُهُ
وَيَقْطِفُ كُلُّ زَهْرَةِ الْوَرْدِ فِي الرَّبِيِّ
وَتَعْرِى قُدُودُ الْوَرْدِ فِي الْعَامِ مُدَّةً
وَتَنْشَا غُصُونُ الْوَرْدِ مَبْلُولَةَ الثَّرَى
فَسُبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَ شَخْصًا وَقَدْ حَوَى

ناظك

مَنْ لِعُصْنِ النَّقَا بِلَيْنِ قَوَامِكَ
مَنْ لِقَلْبِي بَأْنٍ يَعْيشُ سَعِيدًا
مَنْ لِدَرْ الْبَحَارِ يَخْرُجُ مِنْهَا
مَنْ لِهَذِي الْأَفْلَاقِ تَغْدُو سَرِيرًا
مَنْ لِرُزْمِ النُّجُومِ يُصْبِحُ مِنْهَا
مَنْ لِبَدْرِ الدُّجَى بِحُسْنِ مُحْيَا
أَوْ لِرُزْمِ الرُّبَى بِحُسْنِ ابْتِسَامِكَ
أَوْ يَذُوقَ الرَّدَى شَهِيَّ غَرَامِكَ
يَتَرَامِي نَثْرًا عَلَى أَقْدَامِكَ
وَدَرَارِيُّهَا وَسَادَ مَنَامِكَ
لَكَ قُرْطُ أَوْ جَلِيَّةٌ فَوْقَ هَامِكَ
كَ إِذَا مَا أَرَحْتَ عَفْوًا لِنَامِكَ

إليها

كم تَكْتُمِي عَنِّي هَوَاكِ وَأَكْتُمُ
فَكَفَى كَفَى هَذَا السَّكُوتُ لِأَنَّهُ
عَلَّمَ الْهَوَى أَمْسَى يُرْفَرُ حَوْلَنَا
لَا تَقْطَعِي عَهْدَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا
وتكلمتُ مَا بَيْنَنَا النَّظَرَاتُ
فِي الْحَبِّ قَدْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتُ
كُتِبَتْ لَنَا مِنْ فَوْقِهِ آيَاتُ
يَا غَادَةً سَكَبَتْ لَهَا الْعَبْرَاتُ

هي أشعر

أَحَبِيبَ قَلْبٍ تَنْظُرُ
أَمْ أَبْرَقَ الْعَلَمَيْنِ أَمْ
أَمْ رَاشَ قَلْبِكَ جُوذُرُ
أَمْ هَبَّ مِنْ مِصْرٍ صَبَا
أَمْ قَدْ ذَكَرْتَ سَهُولَهَا
وَالنَّيْلُ فِي أَحْشَائِهَا
وَالْجَوْ صَحْوٌ مُشْرِقُ
هِيَ وَشَيْ نَسَجَ نِيلُهَا
هِيَ جَنَّةٌ يُجْنَى الْعُلَا
أَنَا شَاعِرٌ فِي وَصْفِهَا
فَدُمُوعُ عَيْنِكَ تُمَطِّرُ؟
هَجَرَ الْحَبِيبَةِ تَذْكُرُ؟
أَحْوَى اللَّوَاحِظِ أَحْوَرُ
أَمْ طَارَ بَرَقُ أَشْقَرُ؟
وَهِيَ الْبَسَاطُ الْأَخْضَرُ؟
عَقْدٌ يَلُوحُ مُجَوَّهَرُ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مُمَطِّرُ
فِيهِ الطَّرَازُ الْأَحْمَرُ
فِيهَا وَيَجْرِي الْكَوْثَرُ
لَكِنَّمَا هِيَ أَشْعَرُ!

مطارحة

أتاني في قميص النُّوم يسعى
وقد لعبَ الشرابُ بوجنتيه
فقلتُ له لِمَ اسْتَحَسَنْتَ هذا
أَحْمَرَةً وَجْنَتِكَ كَسَتْكَ هذا
فقال الرَّاحُ أَهْدَتْنِي قميصًا
فَنُوبِي والمُدَامُ وَلَوْ خَدِّي
ملاكٌ لي يُلقَبُ بالحبیبِ
فَصَيَّرَ خَدَّهُ كَسَنَا اللَّهيبِ
لقد أَقْبَلْتَ في زِيٍّ عجيبِ
أَمْ أَنْتَ صَبَعْتَهُ بِدَمِ القلوبِ
كَلَوْنِ الشَّمْسِ في وقتِ المَغِيبِ
قريبٌ من قريبٍ من قريبٍ!

مدح

فَتَى كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
فَتَى كُلُّ مَا فِيهِ يَسُرُّ صَدِيقَهُ
سَحَابٌ إِذَا اسْتَمَطَّرْتَهُ كَانَ نَادِيًا
وَإِنْ كَانَ هَذَا مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

ثناء

عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا
فَلَهُ الْغَيْثُ مِقْرٌ بِالنَّدَى
مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسُ الْأَسَدُ
وَلَهُ اللَّيْثُ مِقْرٌ بِالْجَلْدِ

مديح

تَصَلَّى عَزَائِمُهُ فِي قَلْبِ حَاسِدِهِ نَارًا تَجْرُّ عَلَيْهِ زَائِدَ الْأَوْدِ
إِلَيْكَ أَرْفَعُ إِجْلَالِي وَتَهْنِئَتِي لَا زِلْتَ تَرْقَى الْمَعَالِي آخِرَ الْأَبَدِ

وصف الحبيبة

والذي زاد مُقْلَتَيْكَ أَقْتِدَارَا
يا غزالاً رَنَا وَغُصْنًا تَتَنَّى
كان دَمْعِي عَلَى هَوَاكِ لَجِينًا
لك جِيدٌ وَمُقْلَةٌ تَرَكَا النَّا
وَتَنَائِيَا أَخَذْتُ مِنْ رِيْقِهَا الْخَم
جَلِيَّةٌ لَا أُعِيرُهَا لِمُحِبٍّ
أَنْ (صَبْرِي) قَدْ آنَسَ الْيَوْمَ نَارَا
وَهَلَالًا بَدَا وَبَدْرًا أَنْارَا
فَأَحَالَتْهُ نَارُ قَلْبِي نُضَارَا
سُكَارِي وَمَا هُمُو بِسُكَارِي
رَ وَمِنْ لَوْنِهَا أَخَذْتُ الْخَمَارَا
لَا يَظُنُّ الْوُشَاةُ إِلَّا غَيَارِي

(القاهرة ١٨ يونيه ١٩١١)

غزل

بَدَتْ فِي رِداءِ الْحُسْنِ بِاسْمَةِ الثَّغْرِ
فَقَبِّلْتُهَا (تُرْكِيَّةً) حُلْوَةَ اللَّمَى
أَرَى الشَّمْسَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ مُنِيرَةً
سَقَتْنِي سُلَافَ الرِّاحِ مِنْ لَحْظَاتِهَا
مُرَنِّحَةً الْأَعْطَافِ مَحْلُولَةً الشَّعْرِ
وَعَوَّذْتُهَا بِالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالْفَجْرِ
وَإِنْ خَطَرْتُ ظَهْرًا أَرَى النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ!
فَصِرْتُ أُجَارِي حَدَّهَا نَشْوَةَ السُّكْرِ

تَدَاوَيْتُ مِنَ الْحَاضِرِهَا بِرُضَائِهَا كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ

(١٥ إبريل ١٩١٢)

عزيزة الروح

عَزِيْزَةُ الرُّوحِ جُودِي بِالْوَفَاءِ عَلَى قَلِيلِ صَبْرٍ كَسْتَهُ الذُّلَّ عَيْنَاكَ
أَوْ فَاتُرِكْنِي أُمْتُ وَاللَّهُ يَرْحُمَنِي فَرَحْمَةُ اللَّهِ تَأْتِي فَوْقَ رُحْمَاكَ!

(٥ يونيه ١٩١٢)

صبري

يَا رَبِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَضَاقَ بِالْحُبِّ صَدْرِي
وَأَشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي
مُضَاعَفُ فِي عَذَابِي وَلَيْسَ يَرْحَمُ صَبْرِي
إِنْ كَانَ تَاهَ دَلَالًا وَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي
أَنَا الَّذِي لِيْغْزَالٍ رَنَا فَأَشْغَلَ فِكْرِي

(قنا ١٩٢١)

لو كنتُ أَهْوَى سِوَاكَ ما كنتُ يَوْمًا أَرَاكَ
يا مُنِيَّتِي وَعِمَادِي ما لي حَبِيبٌ سِوَاكَ

* * *

عَبْدَ اللَّطِيفِ تَأَكَّدُ صَبْرِي غَدًا فِي أَشْتِيَاقِ!
مَعَذُّبٌ فِي هَوَاكُمُ يَرُومُ يَوْمَ التَّلَاقِ

* * *

يا خَيْرَ شَهْمٍ هُمَامِ صَبْرِي غَدًا فِي هُيَامِ
فَاعْطِفْ عَلَيْهِ لِيُشْفَى مِنْ صَائِبَاتِ السَّهَامِ

تطريز

وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَى الْمَسْكِينِ
كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى اقْتِضَاءِ دُيُونِي
حَتَّى تَكَلِّمَ فِي دُمُوعِ شَتْوُونِي!
كَادَ الْمَحَبُّ بِأَنْ يَقُولَ خَذُونِي!

زَكِّي جَمَالًا أَنْتَ فِيهِ غَنِيَّةٌ
يَا ظَلِيَّةَ أَلُوتِ دِيُونِي فِي الْهُوَى
نَادَيْتُ كَتَمَ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
بِاللَّهِ لَا تَخْفِي عِلَامَاتِ الْهُوَى

الشيخ فهمي الصيرفي

يَا صِيرْفِيْ فَمَنْكَ الْحُبُّ يَكْفِينِي
يَا كَعْبَتِي أَنْتَ بَدْرٌ بَاتَ يَهْدِينِي

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ شَغَفٍ
فَجُدْ بَعْلَمٍ وَلَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ

تهنئة

فَلَا زَالَ دَوْمًا لِلْمَسَرَّاتِ غَانِمًا
أَضَاءَ بِهَا الْأَفُقُ الَّذِي كَانَ مُظْلِمًا
أَرَانِي وَإِنْ أَبْدَعْتُ فِي الْوَصْفِ مُلْجَمًا

لَقَدْ سَرَّنِي فَوْزَ الْعَزِيزِ (مُحَمَّدٍ)
فَتَنَّى لَبَسْتُ مِنْهُ اللَّيَالِي قَلَائِدًا
أُهْنِّئُكُمْ مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَإِنِّي

متناثرات في الهجاء

(١)

جَهُولًا بَرَاهُ اللّهُ وَابْنُ جَهُولَةٍ أَرَى الْجَهْلَ طَبْعًا فِي أَبِيكَ وَفِيكَ
أَبُوكَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْجَهْلِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَهْدِ بَعْدَ أَبِيكَ!

(٢)

يَطُولُ بِقُرْبِكَ الْيَوْمُ الْقَصِيرُ وَيِرْحَلُ إِنْ مَرَرْتَ بِنَا السُّرُورِ
صَبَاحُكَ لِلْمُبَكَّرِ فَأَلُ سَوْءٍ وَوَجْهُكَ أَرْبَعَاءُ لَا تَدُورُ

(٣)

أَتَيْتُ أَسْأَلُ شَيْئًا لَا مَدَرَ لَهُ وَالتَّيْسُ مِنْ ظَنِّ أَنْ التَّيْسَ مَحْلُوبُ

رسالة

فِرَاقُهُ عَنْ صَفَائِي بَيْنَ خِلَائِي
وَحُبُّهُ قَدْ غَدَا (صَبْرِي) بِهِ هَانِي
قَرِيحُ جَفْنٍ أَسِيرٌ مُغْرَمٌ عَانِي
وَكَيْفَ عَنِي نَأَى أَوْ زَادَ أَحْزَانِي
يَا دَيْبُ مَهْلًا فَمُرُّ الصَّبْرِ أَضْنَانِي!
إِنِّي أَخَافُ غَدًا إِذْ رُبُّ يَنْسَانِي!
تَرَثَى لِحَالِي فَهَذَا النَّوْمُ جَافَانِي؟
يَا خَيْرَ مَنْ أُرْتَجِيهِ يَوْمَ سُلْوَانِي
وَالدَّمَعُ يَجْرِي غَزِيرًا مَلَأَ أَجْفَانِي
وَالدَّمَعُ مُسْتَرْسِلٌ يَا خَيْرَ إِخْوَانِي
يَا دَيْبُ فِي رَوْضِ أَنْسٍ بَيْنَ أَغْصَانِ
وَكُنْتُ أَرْجُو وَدَاعًا دَمْعُهُ دَانِي
قَهْرًا فَكَدَّرَ عَيْشِي ثُمَّ أَعْيَانِي
مَنْ الْفِرَاقِ وَأَنْتُمْ خَيْرٌ نُدْمَانِي

أَيَّنَ الْحَبِيبُ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْغَلُنِي
أَيَّنَ الْحَبِيبُ الَّذِي نَفْسِي لَهُ هِبَةٌ
أَيَّنَ الْحَبِيبُ الَّذِي (صَبْرِي) بِهِ دَنَفُ
أَيَّنَ الْحَبِيبُ الَّذِي عِنْدِي لَهُ شَغَفُ
أَيَّنَ الْحَبِيبُ (حُسَيْنُ) أَيَّنَ طَلَعَتْهُ
أَيَّنَ الْحَبِيبُ (حُسَيْنُ) أَيَّنَ بَهَجَتْهُ
عَنِّي نَأَيْتَ وَخَلَّيْتَ الدِّيَارَ إِلَّا
فَارَقْتُكُمْ وَبَوْدِي لَا أَفَارِقُكُمْ
فَارَقْتُمُو مِصْرَ تَصْبُو يَوْمَ أُوبِتُكُمْ
قُمْتُمْ عَلَى عَجَلٍ وَالْقَلْبُ فِي وَجَلٍ
صَبْرًا عَلَى أَلْفٍ قَدْ بَاتَ يَنْشُدُكُمْ
سَافَرْتُ فِي سَاعَةٍ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُهَا
لَكِنْ أَرَادَ زَمَانُ الظُّلَمِ يَمْنَعُنِي
يَا دَيْبُ سَافَرْتُمُو وَالْقَلْبُ فِي أَلَمٍ

عاشق

فَأَزْكِي جَمَالَ جَبِينِهَا النَّارَ فِي صَدْرِي
وَبِالسُّهُدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ
كَرَى مُقْلَتِي مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي
وَمَا خِلْتُ أَنَّ النَّوْنَ مِنْ أَحْرَفِ الْجَرِّ
يَنْظُمُ مَا أَمَلْتُ جُفُونِي مِنَ النَّثْرِ
كَمَا بَكَتِ الْخَنَسَاءُ قَبْلِي عَلَى صَخْرِ
عُيُونِ الْمَهَى بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجِسْرِ

وَنَزَّهْتُ فِكْرِي فِي بَدَائِعِ حُسْنِهَا
أَمَّا وَنَحِيلِ الْخَصْرِ إِنَّكَ بِالْبُكََا
مُعْنَى بَوَسْنَانَ اللَّوَاخِظِ سَارِقِ
يَجُرُّ بَنُونَ الصَّدْعِ قَلْبِي لِلْأَسَى
يُقَابِلُ دَمْعِي بِاسْمًا فَكَأَنَّمَا
وَمَا لِي لَا أَبْكِي عَلَى دُرِّ مَبْسَمِ
وَأَجْرِي عُيُونَ الدَّمْعِ فَائِضَةً عَلَى

للصباح

لا وأجفانك الأمراض الصباح ما درى مَنْ يَلُومُ هَطْلَ دموعي
يا مليحًا عيناها قبلُةً حسن لك شَعْرٌ وقامةٌ إنْ يكونا
لست أدري ماذا تقول اللواحي أن قلبي عليك دامي الجراح
سجدت دونها وجوه الملاح رايةً فهي رايةُ الأفراح!
بتُّ أبكي صباغةً للصباح وجبينٌ إذا ذكرتُ سناه

مصر

يا ساجي الطرف أو يا ساقِي الراح
فاترك ملامك في السُّكْرَيْنِ يا صاحي
حُمِّلْتَ وَزْرِي وَلَا كُفِّلْتَ إِصْلَاحِي
بحبة القلب أنشئ بيت أفراحي
ظبي يُفَدِّي بِأَمْوَالٍ وَأَرْوَاحِ
دارك ضرورة محتاجٍ وَمُجْتَاحِ
لقد لويت على عشقي بفضَّاحِ
عين الهوى عن قريح العين طمَّاحِ
فَأَنْعَمَ اللَّهُ إِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي!
أيام لم يمح أسطار الصبا مَاحِ
كأنه مدلجٌ يمشي بمصباحِ
يكاد يُمَسِّكُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
أعْيِي التذكر يشدو شدو إفصاحِ
هل باب حبي مغلوقة بمفتاح؟
بفائضٍ في بحور الشعر سباحِ
عنكم وها أنا أرويها لجَرَاحِي؟

سلبت عقلي بأَحْدَاقٍ وَأَقْدَاحِ
سكران من رشفة الساقِي ومقلتهِ
واطرح بحسبك أَشْبَاكَ الْغَرَامِ فما
دعني إذا صح نجمي في هوى قمري
بجوهر الكأس يجلو لي بها عرضاً
يا مُثْرِي الخدِّ بالمحمرِّ من ذهبِ
يا فاضحي في السهوى خالٌ بوجنته
ما أنس لا أنس لقيانا وقد غَفَلْتُ
قابلت شَعْرَكَ بعد الوجه مبتسماً
حيث الرضي في جبين الصبِّ مَكْتَنَّبُ
وحامل الكأس تحت الدَّجْنِ يُعْمِلُهَا
والرثم وإن لكأس الراح يمزجها
والآن كأس دموعي والتذكُّرُ أَنْ
يا عنبر الخال في ريحان سالفه
أغرَّ طامي بحور الشعر ناسبها
يا ليت شعري أهل في قصتي كلفُ

رثاء

لِشَمْسٍ ضُحَى عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا
مُعْنَدِمَةٍ أَكْوَى بِهَا إِنْ كُنَرْتُهَا
كَأَنِّي مِنْ عَيْنِي لِقَلْبِي نَقَلْتُهَا
وَمَا عَلِمُوا النُّعْمَى الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَمْسُ النَّهَارِ فَأُخْتُهَا
دَوَامَ الْأَسَى يَا لَيْتَنِي مَا عَرَفْتُهَا
وَتِلْكَ لَعَمْرِي رَاحَةٌ قَدْ نَكُرْتُهَا
عَلَيْكَ وَإِلَّا مُهْجَةٌ قَدْ غَسَلْتُهَا
وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْكَرَى فَرَفَعْتُهَا
كُؤُوسَ الْأَسَى وَالْحُزْنَ مَلَأَى فَقَلْتُهَا
وَلِلشَّيْمِ الْغُرِّ الَّتِي قَدْ عَهَدْتُهَا
إِذَا نَدَبْتَنِي فِي الثَّرَى مِنْ نَدَبْتُهَا
تَأَلَّفَ قَلْبِي لِلْغَرَامِ وَقَلْبُهَا
وَلَكِنْ بَرَعِمِي فِي التُّرَابِ دَفَنْتُهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرَ فَانِي خَيَالِهَا
يَعِزُّ عَلَيَّ (صَبْرِي) الْمُتَيْمِ صَمْتُهَا
سَوَى أَنَّنِي تَحْتَ الظَّلَامِ بَعَثْتُهَا
لَجِيدِكَ مِنْ دَمْعِي عُقُودُ نَظْمَتُهَا

أَقِيمُوا فُرُوضَ الْحُزْنِ فَالْوَقْتُ وَقَتُّهَا
وَلَا تَبْخُلُوا عَنِّي بِإِنْفَاقِ أَدْمَعِ
لِغَائِبَةِ عَنِّي وَفِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا
يَقُولُونَ كَمْ تُجْرِي (لِزَيْنَبَ) بَاكِيًا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَمْسُ مَحَاسِنِ
تَعَرَّفْنَاهَا دَهْرًا يَسِيرًا فَأَعْقَبْتُ
وَقَالَ أَنَسُ إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً
هَلِ الدَّمْعُ إِلَّا مُقْلَةٌ قَدْ أَذْبَنْتُهَا
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِكَ لِلدُّجَى
وَقَالَ زَمَانِي هَاكَ بَعْدَ تَنَعُّمِ
بِكَيْتِكَ لِلْحُسْنِ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ
كِلَانَا طَرِيحَ الْجِسْمِ بَالٍ فُلُو دَرْتُ
بِرُوحِي مَهَاةً ضَمَّهَا الرَّمْسُ بَعْدَمَا
حَبِيبَةُ قَلْبٍ كُنْتُ مَغْتَبِطًا بِهَا
وَأَنَسَ قَدْ كَانَ لِي لَيْنٌ عَطْفُهَا
أَنَادِي أَنْهَضِي وَالتَّرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
وَلَيْسَ أُمَامِي غَيْرَ دَمْعِي وَهَا أَنَا

قَضَيْتُ فما في العيشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ وكل ليالٍ بَعْدَ (زَيْنَبَ) يا لَهَا
سلامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الذي تَطَلَّبتُهَا من أَجْلِهِ وأَزْدَتْهَا

غزل (١)

يصول بأسياف الجفون ولا يدي
ولكنه يسطو بلحظ مهني
صاحُ العوالي مسندًا بعد مسند
فيا طولَ شجوي من مقيم ومقعد!
فطوَّله فرط العناق المردِّد
فصغْتُ له باللَّثم فصَّ زبرجد
عن الجوهري المنتقى والمبرد
فأوقعني حظي لأمردَ أمردٍ
لأنَّ ليس لي في حبه من مفنِّدٍ
عليه وأشكو للورى غلَّة الصدى
قُتِلْتُ برمحٍ منهما ومهنِّدٍ
خيالي خُلوقًا تحت محراب مسجد
معتقَّة تدعو لعيشٍ مُجدِّدٍ
(تجدُ خيرَ نار عندها خير موقد)
(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
(لخولة أطلال ببرقة ثمهد)
فلو أهرقتها الكأس لم تتبدد
تطاف علينا في إناءٍ مجسد

قفًا نَبُك من ساجي اللواظ أغيد
غزال يناجيني بلفظٍ معرَّبٍ
وقد روت عن لينه واعتداله
إذا قعدت أردافه قام عطْفُه
كلفت به من قبل ما طال قده
وعاينت من فيه العقيقي خاتمًا
وحدثني من ثغره ورضابه
وكنت حَذَرْتُ الخود حين تمرت
يخيِّل لي أنني له لست عاشقًا
ولولا الهوى ما بت بالدمع غارقًا
وألثُم عطفيه وجفنيه بَعْدَ ما
وأبصر فيما تحت صدغيه من سنا
ورب مُدام من يديه شربتها
إذا جبَّته تسعى إلى ضوء كأسه
تحدثك الأنفاس فيها عن اللَّما
فشم بارقًا قد خولتك ولا تشم
من اللَّاتي راقت في يمين مديرها
مصفرة من حيث تمَّ كيانه

فأحسِنُ بها من كفٍّ ساقٍ كأنَّه
إذا قهقهه الإبريق في فمه انثنى
كأن سنا الإبريق حولَ شرابه
كأن بقايا ما نَضَا مِنْ كُؤُسِهِ
كأن مليك الفُرَيْسِ صَوَّرَ نَفْسَهُ
سقى الغيثُ عني ذلك العيشَ إنه
وفرَّقَ إلا مُهَجَّتِي وحنانها
وبدراً سرى في طَيِّةِ السُّحْبِ مسرعاً
وقال التسلَّى بعدنا لجفونه
حبيبٌ قسمتُ الشعرَ ما بين حسنه
فلا غزلٌ إلا له في قصيدةٍ

غزال تجلّى في وشاحٍ مورِدٍ
يمثلُ غصناً ماسٍ تحت مُغَرِّدٍ
حبالُ شعاعِ الشمسِ تُفْتَلُ باليدِ
أساوِرُ تبرٍ في معاصمِ خَرَدٍ
على هامِهِ عمدًا فمن يدُنُ يسجدُ
تولى هنئَ الوَرْدِ غيرَ مصرَّدٍ
وجمَّعَ إلا مدمعي وتجلُّدي
فيا صاحبي دمعا لعلك مُنْجِدي
سهرتِ زماناً يا نواعسَ فارقدي!
فسبحان من وقاه شر الحواسد
ولا مدح إلا للحبيب (المخلد)

غزل (٢)

ما عذولي عليك غير حسودي
يدفع الوهم عَنْهُ بالتفنيدي
وفؤادي في النار ذات الوقود
قتلَ الدمعُ صاحبَ الأخدود
يا بديع السنا بحسنٍ جديد
لابتداء الهوى وللتوكيد
كاعتزاء العُلَى إلى محمود!

لا ورشف اللُّما ولثمِ الخدود
هائم في هواك مثلي ولكنْ
يا مليحًا (صبري) عليك تقضّي
لا تسل عن مسيل دمعي بِخَدِّي
كل يوم ترزع قلبًا خليًا
حبذا في سناك لأمّ غرامي
لك وجه يُعزّي له كلُّ حسنٍ

صدودك

إذا لم يكن من واحدٍ منهما بدُّ
على الغصن قال الغصن ما أنا والقَدُّ
وفي الجيد يا حسناء يستحسنُ العَقْدُ
ألا عيبُ سحرٍ لا يقوم بها الهندُ
على مثلها تحيي الصبابة والوجد
كيف بها لم تدر أنني أنا العبد كد
وقد زاد حتى ما لعذلكم حدُّ
ومن أنتم حتى يكون لكم عندُّ؟
ومالي، وما هذا التعسُّفُ والجَهْدُ
فأتلفها من قبل ما ثَبَتَ الرُّشْدُ
هو الغيثُ أو نور الأقاحي أو الشهدُ
خمول أو الراخُ الشَّمُولُ أو النهْدُ
وتلك الليالي لا يدوم لها عهد
غداة تفرَّقنا ولا لعلَّ الرعدُ
سناها وفي قلبي المعنى لها وَقْدُ
وهذا لعمرى جهدٌ من لا له جهدُ
فإنك ماءُ الوَرْدِ أنْ ذهب الورْدُ
أروحُ إلى وصلٍ (لزينب) أو أغدو

صدودك يا حسناء عني ولا البعدُ
بروحي من حسناء عطفُ إذا بدا
وجيدٌ قد استحسنت دمعي لنظمه
من التُّركِ إلا أن بين جُفونها
على مثلها يكوى العذولَ وإنما
(عزيز) على (صبري) المعنى دلالها
أَعْذَالَنَا مهلاً فقد بان حمقُكم
وقلتم قبيحٌ عندنا العشقُ بالفَتَى
سمحتُ بروحي للمهاة فما لكم
وثغرٌ يتيم الدرُّ سلَّمٌ مُهَجَّتِي
هو البَرْدُ الأشهى لَغْلَةٍ هائم
ومرشفه المنُّ الذي لا يشوبه
عهدت الليالي حلوةً بارتشافه
فلا ابتسمَ البرقُ المنير (جَبِينُهَا)
تولت شمس السعد عني ففي العلا
فيا قلبُ مهلاً في التقطع بعدهم
ويا دمع فض وخداً بذكر خُدودِها
رعى الله دهرًا كنت ألهو بحبها

كميتٌ وإلا من قوام المها نهد	جوادي من الكاساتِ في خمرة الهوى
وقد قُدِحَتْ للراح في خدّه زَنُدُ	وفي مُهَجَّتِي بدرُ الجمال مُوسَدُ
وما زال بالأكدار حولي له جُنْدُ	زمانٌ تَوَلَّى بالمَلِيحَةِ وانقضى
وشيمَةٌ (إسماعيل) أن يَصْدُقَ الوَعْدُ	فيا ليتني لم أبغِ عشقك (زينبُ)
كأيامِ حِلْمٍ قبل أن ضَمَّنِي المَهْدُ	ويا ليت يوماً مال غُصْنُكَ كان لي

سلام ...

حياةُ ابن آدم مهما تطوّل
فيولد صَبْحًا، وظهراً يَعمَل
وما العيشُ إلا مَنَامٌ قصيرٌ
فَتَقْوَى الإِلَهِ وَصُنْعَ الجميلِ
وأمرِ العلي لا مردُّ له
ليجر القضاء بأحكامه
دَهَنَتِني الليالي بأرزائها
خدمت المعارف عهدًا طويلا
مُجِدًّا نشيطًا سليمَ القُوَى
وبعد اجتهادي ثلاثين عامًا
ومَنْ كَلَّفَ النفس فوق الذي
لذلك كان لإرهاق عيني
حَبَا النورُ عن مُقلتي فانتَهت
سلامٌ على يانِعاتِ الربيعِ
سلامٌ على طلعةِ النيرينِ
سلامٌ على ما حَوَاهُ جمال
سلامٌ على نابِغاتِ الفنونِ
سلامٌ على خطراتِ النسيمِ

خيالًا تمرُّ كلمحِ البصرِ
وعصرًا يُورَى فيمسي أثَرُ
وما الدهرُ للناس إلا سِرٌّ
لَأَقْوَمَ زادٍ قبيل السفرِ
ومن دونه لا يفيد الحَذَرُ
ومن يستطعُ عِنَادَ القَدَرِ؟
فلازم جفني البُكَاءَ والسهرِ
أُمِينًا وَفِيًّا حميدَ الذكرِ
حَلِيفَ النجاحِ، حديدَ النظرِ
أحاطت حياتي غيومُ الكَدَرِ
تطيق احتمالًا سعى للخطرِ
من الحظ ما لم أكن أنتظرِ
حياةُ اجتهادي بِفَقْدِ البصرِ
سلام على باسماتِ الزَّهَرِ
سَنَا الشمس حسنا وضوءِ القمرِ
تحلّت به مُتَقَنَاتُ الصُّورِ
سلام على عبقريِّ الفكرِ
بِرَوْضِ العلومِ، وَجَنِي الثمرِ

لها في الثقافة ذكر عطر	سلامٌ على حالياتي اللواتي
كما ضاع مالي الذي أدخر!	لقد ضاع حقي الذي قدَّروه
ويرضيك أنت؟ ويرضي البشر؟	أُرضى الإله؟ ويرضي النبي؟

استنهاض

أَيُّهَا الشَّرْقُ تَيَقَّظْ
هاهو المجد يُنادي
أَيْنَ أَبْنَاءَ بِلَادِي
قَاوُمُوا الجَهِلَ وَهَبُّوا
وَاطْرُدُوا مَنْ بَاتَ يَسْعَى
كَلِّكُمْ عُرْبُ كِرَامٍ
آيَةُ اللّهِ تَجَلَّتْ
فَاعْمَلُوا لِلْمَجْدِ دَوْمًا
بَلِّغُوا مَصْرَ التَّهَانِي
فَهِىَ عَنَوَانُ الْأَمَانِي
وَهِيَ فِي الدُّنْيَا عُرُوسُ
أَهْلُهَا امْتَازُوا بِلَطْفِ
حَبِذَا النِّيلُ بِمَصْرِ
وَاهْجِرِ الْيَوْمَ الْهُجُوعَ
وَهُوَ يَبْكِي بِالدُّمُوعِ
أَيْنَ سَكَانَ الرُّبُوعِ
أَلِّسُوا الْعِلْمَ الدَّرُوعَ
نَحْوَ تَفْرِيقِ الْجُمُوعِ
كَلِّكُمْ يَا أَبَى الْخُضُوعِ
فَهِىَ فِي أَجْلِ سَطُوعِ
وَاتْرَكُوا ذُلَّ الْخُنُوعِ
بَعْدَ تَسْكَابِ الدَّمُوعِ
أَوْ كَشْمِيسٍ فِي الطَّلُوعِ
حَلِيَّتُهَا تِلْكَ الزَّرُوعِ
ذَكَرَهُمْ مَسْكُ يَضُوعِ
حَبِذَا هَذِي الرُّبُوعِ

تحية

أُحْيِيَّ احْتِرَامًا رِجَالَ الْأَدَبِ
وَكُلَّ مُجِدِّ إِلَيْهِ انْتَسَبِ
وَيَذْهَبُ عَنْهَا الْأَسَى وَالْتَعَبُ
وَتُعْطِيكَ نَشْوَةَ بِنْتِ الْعِنَبِ
نَجُومُ الْأَغَانِي سَمَاءَ الطَّرَبِ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ هَذَبَتْهَا الْعَرَبُ
وَنَالَتْ مِنَ الْفَوْزِ أَسْمَى الرُّتَبِ
وَكُلَّ الْأَمَانِي لَهَا قَدْ وَهَبِ
وَسِرُّ التَّقَدُّمِ مِنْهَا اقْتَرَبِ
تَبْرَهْنَ أَنَّ الْعِلَّا مُكْتَثَبِ
كِبَارِ النُّفُوسِ كِرَامِ الْحَسَبِ
فَخَارَ جَدُودِ أَتَوْا بِالْعَجَبِ
وَهَا هُوَ يَشْهَدُ فَنُّ الطَّرَبِ
وَتَحْيَا الْأَغَانِي وَيَحْيَا الْأَدَبِ

بِأَبْلَغِ لَفْظِ رَوْنُهُ الْعَرَبِ
يَرْحَبُ قَلْبِي بِفَنِّ الْأَغَانِي
تَطْيِبِ النُّفُوسَ بِفَضْلِ الْغِنَاءِ
تُنِيرِ الْعُقُولَ وَتُحْيِي الْقُلُوبَ
بَنَى الْفَرْسُ مَجْدًا أَضَاءَتْ بِهِ
وَأَخْرَجَتْ الدَّرَّ مِنْ كُنْزِهَا
وَلِلْمَتْرَكِ فَخْرٌ بِمَا أَجْهَدَتْ
أَذَاعَ لَهَا الْفَنُّ أَسْرَارَهُ
وَأَثَمَرُ فِي مَصْرِ رَوْضِ الْفَنُونِ
وَهَا قَدْ تَجَلَّتْ لَنَا هِمَّةُ
هَنْيئًا لِمَصْرِ بِأَبْطَالِهَا
رِجَالَ دَعَاهُمْ لِحُبِّ الْمَعَالِي
بِكُلِّ الْفَنُونِ سَمَوْا وَارْتَقَوْا
إِلَى الْمَجْدِ يَا مَصْرُ فِي عَزَّةِ

تكریم

إلى اكتشاف كنوز العلم والأدب
ونلت بالجد منها غاية الأرب
قامت تحييك فيها زهرة الطرب
وما بخلت بما أنفقت من ذهب
لكشف سر كنوز الفرس والعرب
ولحظة عنك بدر الفن لم يغيب
جميل صبرك فيه آية العجب
سر التقدم معصوماً من الریب
وذا زكاؤك باد غير محتجب
في العلم كانت تُسامي أرفع الشهب
يداك في عالم الأنغام والطرب
وانفع بفنك فيها كل مُنْسِب
تضيء بين رجال الفضل والأدب

دعاك حُبُّكَ للعُلياءِ والرُتبِ
أجهدت نفسك بحثاً عن جواهرها
حتى وصلت بساتين الفنون وقد
عشقت فن الأغاني واتجهت له
كان اختيارك للفن الجميل هدى
قضيت عشر سنين في دراسته
وفي اغترابك كم قاسيت من ألم
ثبات عزمك (يا حَفَنِي) أتاح لنا
هذا اجتهادك قد جلت موارده
جددت في الغرب للمصري منزلة
أكسبت مصر فخاراً نعم ما وضعت
فاقبل تحيتها واعمل لرفعيتها
لا زلت للوطن المحبوب نجم هدى

مصر

مصر العزیزة تاهتْ فیکِ أَشْجَانِی
قم فوق أهرامها واصدحْ بما نظرت
یا درة فی جبین الدَّهْرِ لامعةٌ
آثار مجدک لا زال الشبابُ بها
یا مصر تیهی فربأتُ القُصورَ بَنَتْ
ما زال قَدْرُکَ یسعی المادحون له

زدنی هیامًا بها یا طائرَ البَآنِ
عیناک من ساحرٍ منها وفتَّانِ
یا کعبةَ العلمِ للقاصي وللدَّانِی
فی عُنُقُوانٍ ورِیعانٍ وسلطانِ
لخالداتِ المعالی خَیرَ بُنیانِ
بالمبدعاتِ، بألبابِ، وأذانِ

الجزء الثالث

غزل الأغاني

ستريس

عذراء منف

غَذِّي الْقُلُوبَ وَرَجِّعِي الْأَلْحَانَ
رَنَاتُ صَوْتِكَ تَبْعُثُ الْأَشْجَانَ
مَغْنِي الْأَوَائِلِ فَارْفَعِي الْبُنْيَانَ
صَدَحَ الْهَزَارُ فَجَدِّدِي الْأَزْمَانَ
فَرَحَى تُحَيِّ الْفَنِّ وَالْوُجْدَانَ
قَلْبًا أَسِيرًا حَائِرًا وَلِهَانًا
وَكَأَنَّ خَفَقَ فُؤَادِهِ مَا كَانَا
وَبَدَا السُّرُورُ فَبَدَدَ الْأَحْزَانَ
صِيبًا وَأَخْجَلَ قَدُكَ الْأَغْصَانَ
عَنْ سِحْرِ مَعْنَى أَذْهَلَ الْأَذْهَانَ
أُمُّ اللُّغَاتِ فَصَاحَةً وَبَيَانًا
وَتُبَدَّلُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ أَمَانًا
عِزُّ الْحِجَابِ صِيَانَةٌ وَجَنَانًا
دَنِفٌ تَشَبَّبَ سَاهِرًا نَشْوَانًا
يَسْبِي الْبُدُورَ وَيَفْتِنُ الْإِنْسَانَ
وَإِذَا غَفَتَ تَسْتَنْجِدُ الْأَجْفَانَا

يَا مَنْ عَوَاطِفُهَا تَفِيضُ حَنَانًا
يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِيِّ حَنِينُهُ
شَيَّدَتْ صَرْحًا لِلزَّمَانِ مُقَدَّسًا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الْأَغَانِي عِنْدَمَا
جَذَبَتْ عَوَاطِفُكَ الْقُلُوبَ فَأَقْبَلَتْ
فَإِذَا شَدَوْتَ صَرَفْتَ عَنْ أَلَمِ الْهَوَى
وَمَنَعْتَ عَنْ مُضْنَى الْغَرَامِ عَذَابَهُ
وَإِذَا بَسَمْتَ بَعَثْتَ أَحْلَامَ الْمَنَى
وَإِذَا خَطَرْتَ مَلَأْتَ أَنْفَاسَ الصَّبَا
وَإِذَا نَظَرْتَ تَكَشَّفَتْ لُغَةُ الْهَوَى
لُغَةً تَفْهَمَتِ الْعَوَاطِفُ سِرَّهَا
شَفَتَاكَ يُحْيِي الْمَيِّتَ دُرُّ حَدِيثِهَا
عِصْمَاءُ حَصَنَتِهَا الْعَفَافَ وَزَادَهَا
حُسْنٌ تَمَنَّعَ عَنْ مَطَامِعِ عَاشِقٍ
خَدُّ تَقَبَّلَهُ النَّسَائِمُ وَخَدَّهَا
سَهَرَتْ سَيُوفُ اللَّحْظِ تَحْرُسُ وَرَدَّهُ

ومقبَّلْ عَذْبُ شَهِيٍّ وَرُدُّهُ
وَجْهَهُ حَبَاهُ الْحُسْنُ أَجْمَلَ صُورَةٍ
يَا مُنْتَهَى الْأَمَالِ قَلْبِي لَمْ يَعُدْ
وَالدَّمْعُ لَمْ يَتْرُكْ جُفُونِي لَحْظَةً
فَالْأَمَّ وَجْدِي وَالسُّهَادُ وَلَوْعَتِي
هَذَا فُؤَادِي بِعْتُهُ لِكَ رَاضِيًا
فَإِذَا مَنَحَتْ لَهُ الْحَيَاةَ فَإِنِّي
تَخَذَ الْوُصُولَ الْمُسْتَحِيلَ مَكَانًا
جَعَلَتْهُ بَدْرًا سَاحِرًا فَتَانًا
مَنْ سُقِمِهِ يَتَحَمَّلُ الْكِتْمَانًا
لَيْلِي نَهَارِي بَاكِيًا حَيْرَانًا
وَالْأَمَّ أَلْقَى فِي هَوَاكَ هَوَانًا
وَصَلَا حَكَمَتِ عَلَيْهِ أَمْ هَجَرَانًا
صَبٌّ وَإِلَّا فَاْمُنْجِي الْغُفْرَانًا

هو القدر!

ولم تَدْرَ أَنَّ القلبَ لم يستطعْ صبراً
تُشَاغِلُهُ النَّجْوَى وَتَحْرِقُهُ الذِّكْرَى
وَسُهِدِي وَأَلَامِي وَمُهِجَتِي الْحَيْرَى
وَسَرَّعَانَ مَا صَارَتْ حَلَاوَتُهُ مُرّاً
ويا ليت عيني لم تَذُقْ للهوى خمراً
إذا شاء من يَعِصِي لأحكامِهِ أمراً
وَعَانَيْتُ وَجَدًا حَيَّرَ القلبَ والفكرا
ويرفضُ دَمْعُ الْعَيْنِ أَنْ يَكْتُمَ السَّرّاً
بلوغَ الْمُنَى فالْعُسْرُ لَنْ يَغْلِبَ الْيُسْرَا
أُمِينًا وَرَبِّي يَعْلَمُ السَّرَّ وَالْجَهْرَا

تَمَنَّتْ جُفُونِي أَنْ تَرَى النَّوْمَ لَحْظَةً
وكيف ينامُ الْجَفْنُ والفكرُ سَاهِرٌ
إلى الله أَشْكَو حُرْقَتِي وَصَبَابَتِي
ظَنَنْتُ دوامَ الْحُبِّ حُلُوءًا كَمَا بَدَا
فيا ليت قلبي خالف الْعَيْنَ فِي الْمُنَى
هو الْقَدَرُ الْجَارِي عَلَى مُهْجِ الْوَرَى
تَحَمَّلْتُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ احْتِمَالُهُ
أَحَاوَلْتُ أَنْ أُخْفِيَ لِهَيْبِ مَحَبَّتِي
فيا قلبُ لَا تَجَزَّعْ ويا نفسُ أَمْلِي
سَابِقِي وَفِيًّا حَافِظَ الْعَهْدِ صَادِقًا

العاشق

إذا لم يُرَجَّ شَفَاءُ الْعِلَلِ
وَأَيُّ عَلِيلٍ كَمَضْنَى الْهَوَى
حَلِيفَ السُّهَادِ بَعِيدَ الْمُنَى
تَعَدَّى السَّقَامُ عَلَى جِسْمِهِ
تَمَرُّ اللَّيَالِي وَطَيْفُ الْكَرَى
فِيَا لِلْهَوَى كَمْ أَذَلَّ الْأُسُودَ
بَقَاءُ الْوَفَى عَلَى عَهْدِهِ
فَإِنْ فَازَ عَاشَ سَعِيدَ الْحَيَاةِ
تَمَنَّى الْعَلِيلُ دُنُوَ الْأَجَلِ
جَرِيحَ الْفَوَادِ صَرِيحَ الْمُقَلِّ
قَرِيحَ الْجُفُونِ ضَعِيفَ الْحِيلِ
وَفَوْقَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ احْتِمَلُ
عَنِ الْجَفْنِ عَمْدًا نَأَى وَارْتَحَلُ
وَأَخْضَعَ لِلْحُبِّ قَلْبَ الْبَطْلِ
أَمِينًا يُنِيلُ بِلَوْغِ الْأَمَلِ
وَإِنْ لَمْ يُؤَفَّقْ شَهِيدًا رَحَلُ!

عيون و عيون

زادتِ الْحُسْنَ والدلالَ اقتدارا
صَيَّرَ الناظرينَ حَيْرَى سُكَارَى
مَنْ عَسَاهُ يُعَانِدُ الْأَقْدَارا
مُهْجُ العاشقينَ جَرَحَى حَيَارَى
طائشُ العقلِ قد تَعَدَّى وِجارا
وانبرى في الْحَشَا ظُلُومًا أَغَارا
ضاق صدري ولم أجد لي اصطبارا
من لَهيبِ الهوى يسيل نُضَارا
والليالي تُجَدِّدُ الْأَفْكارا
أَضْرَمَ النَّأْيُ بينَ جَنْبَيْهِ نارا

قُوَّةُ السَّحْرِ في عيونِ العذارى
وأضافت إلى الجمالِ جلالاً
وإذا تَمَّ في المشيئةِ أمرٌ
يا سَهَامَ الْجُفُونِ كُفِّي فهذي
نَالِنِي من نِبالِ لَحْظِكَ سهم
صَالَ في مُهْجَتِي فَمَزَّقَ قلبي
ورماني في لَوْعَةِ الْوَجْدِ حتى
كان دمعِي يجري لُجَيْنًا فَأَضْحَى
حَالَفَ الشُّهُدُ مُقْلَتِي طولَ ليلي
يا نعيمَ الْوِصَالِ رِفْقًا بِصَبِّ

حيرة

بِرَبِّكَ مَا الَّذِي أَقْصَاكَ عَنِّي
نَوَاحِكِ حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِيهِ
شَدَوَتْ فَمَالَتْ الْأَغْصَانُ عُجْبًا
وَجَدَّدَتْ الْحَيَاةَ إِلَى فَوَادِي
حَنِينِكَ صَيَّرَ الدُّنْيَا خِيَالًا
سَلَى الْأَقْمَارَ عَنْ دَقَّاتِ قَلْبِي
نَجْمُ اللَّيْلِ تَعَجَّبُ مِنْ سَهَادِي
يُسَاهِرُنِي النَّوَى فَيَزِيدُ وَجْدِي
سَقَامِي لَوْعَتِي دَمْعِي أَنْيُنِي
سَأَحْفَظُ يَا حَيَاةَ الرُّوحِ عَهْدِي
وَمَا تَبَغَّيْنِ مِنْ هَذَا التَّجَنِّي؟
بُكَاءُ يَا حَمَامَةً أَمْ تَغَنِّي؟
وَيُعْجِبُنِي مِنَ الْغُصْنِ التَّتَنِّي
وَقَلْبُ الصَّبِّ يُحْيِيهِ التَّمَنِّي
وَمَكَّنَ شَارِدَاتِ الْفِكْرِ مِنِّي
وَعَنْ نَوْمِي وَكَيْفَ جَفَاهُ جَفَنِي
وَتَعْلَمُ صَادِقَ الْأَخْبَارِ عَنِّي
وَيَحْرِقُنِي الْجَوَى فَتَجُودُ عَيْنِي
تُهْدِمُ قَسْوَةً مَا كُنْتُ أَبْنِي
لَأَنِّي قَدْ وَهَبْتُكَ حُسْنَ ظَنِّي

لواعج

لَمَّا تَقَرَّبَ مِنْكَ الْحُسْنُ بِالنَّسَبِ
سِرَّ الْجَمَالِ وَتَاجَ الطُّهْرِ وَالْأَدَبِ
لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ تُبْدِي آيَةَ الْعَجَبِ
مَنْ بَاتَ قَلْبِي لِنَجْوَاهَا عَلَى اللَّهَبِ
خِيَالُ ذَكَرِكَ عَنْ عَيْنِي لَمْ يَغِبِ
بِمُرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ اللَّحْظِ مُلْتَهَبِ
يُذْرِي الْغَرَامَ وَلَمْ يَأْنَسْ إِلَى الرَّيْبِ
فَالْقَلْبُ فِي الْحَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي اللَّعِبِ
وَالْحُبُّ يَفْتِكُ فَتَكَ النَّارِ بِالْحَطَبِ
لَوَاعِجُ عَرَّضَتْ قَلْبِي إِلَى الْعَطَبِ
عَسَايَ بِالصَّبْرِ أَلْقَى غَايَةَ الْأَرْبِ

قَدْ أَوْدَعَ الْحُبُّ لَحْظِيكَ ابْنَةَ الْعِنَبِ
وَنَاولَتْكَ كَنُوزُ السَّحْرِ مُعْجَبَةً
تَسْتَرُّ الْبَدْرُ خَلْفَ السُّحُبِ مِنْ حَجَلٍ
بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ الصَّبْحِ أَيْنَ أَرَى
يَا لَيْلَةً لَسْتُ أَنْسَى مَا رَأَيْتُ بِهَا
وَيَا مَلَكَ رِمَانِي قَوْسُ حَاجِبِهِ
أَصَابَ قَلْبًا بَرِيئًا لَمْ يَكُنْ أَبَدًا
قَدْ شَاغَلَ الْحُسْنُ عَيْنِي وَاسْتَبَاحَ دَمِي
سَطَا هَوَاكَ عَلَى جِسْمِي فَأَتْلَفَهُ
سُهِدِي أَنِينِي دُمُوعِي لَوَعْتِي سَقَمِي
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ لَا أَضِيعُهُ

إليها

سِرْ إِلَيْهَا وَصِفْ لَهَا مَا أُعَانِي
وَقِفَ الْبَدْرُ وَقَفَّةَ الْحَيْرَانِ
أَنْتَ كَالسُّحْرِ فِي عُيُونِ الْجِسَانِ
فِي شَبَاكِ الْهَوَى وَوَعْدِ الْأَمَانِي
كَمْ مُجِبٍّ غدا صَرِيحِ الْغَوَانِي
غَادَةً سَهْمُ جَفْنِهَا قَدْ رَمَانِي
بِدَلَالٍ مِنَ الْبُذُورِ التَّدَانِي
بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
مَنْ نَسِيَمِ الْحَيَاةِ فِي وَجْدَانِي
مَنْ ثِيَابِ الضَّنَى نُحُولًا كَسَانِي
لَمْ تُرَوِّعْهُ زَفَرُهُ النَّيِّرَانِ
أَوْ مِمَاتِي حَيْثُ الْوَفَاءُ دَعَانِي

يَا نَسِيمًا حَمَلْتَ طَيِّبَ الْأَغَانِي
عَجِبَ الرُّوضُ وَاخْتَفَى الطَّيْرُ لَمَّا
يَا حَنِينًا مَلَكَتَ سَمْعِي وَقَلْبِي
كُنْتُ أَغْشَى الْغَرَامَ حَتَّى رَمَتْنِي
إِنَّ لِلْغَيْدِ فِي الْغَرَامِ دَلَالًا
أَتَلَفْتُ مُهْجَتِي وَأَذَمْتُ فُؤَادِي
يَحْجَلُ الْبَدْرُ أَنْ يَرَاهَا وَتَأْبَى
أَيْنَ أَلْقَى يَا دَهْرُ مِنْ غَادَرْتَنِي
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْكُنُوزِ وَأَحْلَى
إِنَّ طَوْلَ النَّوَى أَعَدَّ لِجِسْمِي
أَشْعَلِي النَّارَ مَا اسْتَطَعْتَ فَقَلْبِي
أَنَا رَاضٍ بِمَا أَرَدْتَ حَيَاتِي

وهبتك قلبي

وما نالني منها من البُعد والهجر
فؤادي لذكراها يبيت على الجمر
من السحب أحلى ما يسيل من القطر
وحق الهوى ما بات غيرك في فكري
وسيل دموعي من لهيب الجوى يجري
وهل غير أناتي بجوف الدجى تسري
سوى ساريات النجم أو طلعة البدر
تبدى كبد التّم في ليلة القدر
بما فيهما من فاتكات الهوى العذري!
وشاهد حبي عالم السر والجهر
ومن غيرها يا حبّ عوني على الدهر
ولو أنّ في طول النوى ضيعة العمر

لمن أشتكي يا ليلُ باسمه الثغر
ليالي الهنا ولت سراعاً وخلقت
سقى الله أيام الهناء التي خلّت
إليك اشتياقي ربة الحُسن إنني
تطول الليالي والسهاد مُلازمي
سلي الليل هل جفني يرى النوم لحظة
وهل أسهر الليل الطويل مُسامراً
رعى الحُسن ثغراً في مُحياك باسمًا
وأهدى الجمال السحر عينيك مُعجبًا
وهبتك قلبي عند أول نظرة
سأحفظ في قلبي عهد محبتي
وأصبر مهما أتلّف الصبر مُهجتي

راقبوها

لا يُذِيعَ النَّسِيمُ سِرَّ هَوَاهَا
قسوةً حينَ أُسْرِفُوا فِي أَذَاهَا
وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَرَادُوا صَفَاهَا
سَاهِرَاتٍ تَعُوقُهَا عَنْ هَنَاهَا
وَأَهَاجُوا بَيْنَ الضُّلُوعِ جَوَاهَا
نُورُ أَمَالِهَا وَطَيْفُ مُنَاهَا
فَبَكَاهَا رَغَمَ التَّشْفِي عِدَاهَا
بعدَ أنْ أَحْرَقَ اللَّهَيْبُ حَشَاهَا
وَتَقَاسَى الْعَذَابَ مَهْمَا ضَنَاهَا
وَالِهَ الصَّبْرُ زَادَهَا وَعَزَاهَا
كُلُّ مَا عَزَّ فِي سَبِيلِ وَفَاهَا
أَمَّا الصَّبْرُ خَيْرٌ وَرِدِّ سَقَاهَا
أَبَدَ الدَّهْرِ لَا يَضِيعُ شَذَاهَا
طَاهِرَاتٍ قَدْ أَخْلَصَتْ فِي هَوَاهَا

رَاقِبُوهَا خَوْفَ التَّأْوِهِ حَتَّى
وَأَرَاقُوا دَمَ الْمَحَاجِرِ مِنْهَا
وَأَعَدُّوا لِصَفْوِهَا كُلِّ كَيْدٍ
وَأَقَامُوا مِنَ الْعُيُونِ شُهُودًا
عَذَّبُوا قَلْبَهَا الْكَلِيمَ الْمُعْنَى
فَارَقَ النَّوْمُ جَفْنَهَا وَتَوَارَى
وَتَعَدَّى السَّقَامُ ظِلْمًا عَلَيْهَا
نَالَ مِنْهَا الضَّنَى فَصَارَتْ خِيَالًا
أَقْسَمَتْ أَنْ تَصُونَ لِلْحُبِّ عَهْدًا
بَاتَ طَيْفُ الْكَرَى مَنَاهَا وَأَضْحَى
مَثَلَتْ آيَةَ الْوَفَاءِ فَضَحَتْ
عَلِمَتْ أَطْهَرَ الْقُلُوبِ غَرَامًا
زَهْرَةُ الْحَبِّ أَشْرَفُ الزَّهْرِ نَبْتًا
هَكَذَا يَرْفَعُ الْغَرَامُ نَفُوسًا

سحر الجمال

لما تملك في القلوبِ هواك
وهوت مواضيها على قتلاك
بدم القلوب تورداً خذاك
ما شئت كل العاشقين فداك
وبفاتن الحسن البديع حباك
هجر المنام جفونه لنواك
إن الجمال لملكه ولاك
صباً يجود بنفسه ليراك
نارٌ تجدد دائماً ذكراك
سلوى على الدنيا بغير رضاك

تأهت بسحر جمالها عيناك
لعبت بميدان الغرام سيوفها
ردي عن المهج السيوف فقد جرى
يا ربة الوجه الجميل تدللي
قسماً بمن جعل القلوب لك الفدا
أنت الرجاء لعين صب ساهر
يا من على الدنيا تتيه بحسنها
لا تمنعي عني لقاءك وارحمي
وجدي وما بالقلب من ألم النوى
جودي على أوفى محب ما له

شكوى

إلى الحُبِّ أَشْكُو حَبِيبًا هَجَرَ
ليالي هنائي عَجِيبٌ لَهَا
تَطِيلُ اللَّيَالِي صُرُوفُ النَّوَى
عيونٌ تَكَامِلُ فِيهَا الْجَمَالُ
تُدَاعِبُ بِالسَّحْرِ مُضْنَى الْهَوَى
يَمُرُ فَيَنْعَشُ وَرْدَ الصَّبَى
تَرَامِي الْغَرَامُ عَلَى مُهْجَتِي
فَأُودِعَ قَلْبِي لَهَيْبِ الْجَوَى
سَلِيَ اللَّيْلَ عَنْ لَوْعَتِي إِنَّهُ
عَشَقْتُكَ لَمَّا دَعَانِي الْعَفَافُ
تَعَالَى أَنْظِرِي كَيْفَ كَادَ الْهَوَى
فؤادي يَرْضَى بِمَا تَحْكُمِينَ
وعلم جفني ألبكا والسهر
تمرُّ سَرَّاعًا كَلِمَحِ الْبَصَرِ
وَتَمْنَعُ عَنِّي ضِيَاءَ الْقَمَرِ
تَبَارَكَ مَنْ زَانَهَا بِالْحَوَزِ
فَتَكْشِفُ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَتَرَ
عَلَى وَجْنَتَيْكَ نَسِيمَ السَّحَرِ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْهُ شَدِيدَ الْحَذَرِ
وَمَنْ يَسْتَطِيعُ عِنَادَ الْقَدَرِ؟
أَمِينُ فَيُرَوِّي صَحِيحَ الْخَبَرِ
وَفَرَطُ الْجَمَالِ وَسِحْرُ النَّظَرِ
لَأَوْفَى مُحِبِّ أَمِينِ صَبَرِ
ولو أن ما بي يذِيبُ الْحَجَرَ

يا عيوننا

يا عيوننا تملأ الدنيا غزل
لست أنسى نظرة قد أودعت
صوبت عيناك سهمًا نزعه
لك وجهه جلّ من صورّه
يا جمالا كل أقمار السما
نار حبي أبعدت عني الكرى
أسهر الليل حزينًا حائرًا
مذمعي، شهدي، أنيني، لوعي
والذي أعطاك لحظًا ساحرًا
لو كنوز الأرض كانت بدلًا
فاذكري صباً وفيًا هائمًا

إن سرّ الحبّ في سحر المقل
في صميم القلب نيران الأمل
من فؤادي لم تُفد فيه الحيل
فُتِنَ الحسنُ به لما اكتمل
غيرةً منه تولّاهما الخجل
أسقمتني، مكنت مني العلل
لست أدري في غرامي ما العمل
كلما طال النوى أخشى الملل
وجمالًا صار للحسن المثل
من محيّاك لما اخترتُ البدل
واعلمي أن سبَق السيفُ العذل

إليك وفائي

فهل ينكرُ الليلُ الأمينُ أنيني؟
ونيرانُ أحشائي وَسِيلُ جُفوني
وقد مكنت مني السقامُ شجوني
من الطيبِ زادت في هواكِ جنوني
بطلعته نورًا ملأت عيوني
أصاب هوى قلبٍ عليكِ أمين
ومن حرٍّ آهاتِ الغرامِ يقيني
هوانٌ لقلبِ العاشقِ المَفْتُونِ
تبوحُ بسرٍّ في الفؤادِ مصونِ
وتاهت بأبراج الخيالِ ظُنوني
فؤادًا بما يُرضيكِ غيرَ ضنينِ
قضته يدُ الأقدارِ فَوْقَ جَبيني

إذا أنكر الحُسْنُ البَدِيعُ حنيني
سلي ساريات الليل عن سُهدِ مُقلتي
وما حلَّ في قلبي من الوجد والجوى
خطرَ فحمَلَتِ النسائمُ نفحةً
وأسفرتِ عن وجهٍ تكامل حسنه
وأرسلتِ سهمًا من لحاظك فاتكًا
سعيرٌ سرى في مهجتي فأذابها
ظننت الهوى سهلًا ولم أدِرْ أَنَّهُ
تكتَّمْتُ حُبِّي غيرَ أَنَّ مَدَامَعي
تعلم جفني السُّهْدَ من روعة النوى
كساني ثيابَ السقمِ عهدكِ فارحمني
إليك وفائي إنني صابرٌ لما

حرب!

أشعل النارَ فيه وجدُّ غرامي
ما بقلبي من صائبات السهامِ
أنت شغلي في يَقْظَتِي ومنامي
شاهداتٌ بلوعتي وسَقامي
وكستني ثوبَ الضنى آلامي
من زفير الجوى وسَطُو الهَيَامِ
أيقظته من نومه أحلامي
كل شيء يهون حتى حِمَامِي
أنت قَصْدِي وغَايَتِي ومَرَامِي

بين قلبي وسحر عَيْنَيْكَ حَرْبُ
فأرفعي السيفَ يا جفونُ وكفِي
يا جمالاً تملك القلبَ مِنِّي
يا رجاءَ العيونِ إنَّ دموعي
ضاع نومي وحاربتني هُمُومِي
إن جسمي يكادُ يُخْفِي نحولاً
أسهر الليلَ سابحاً في خيالِ
أرتضي المُرَّ في هواك وعندي
فاذكريني وخفِّفي نارَ وجدي

القلب القاسي

والعين في روض المحاسن تَنعَمُ
ما بال قلبك قاسياً لا يرحم
وسيوف لحظك في دمي تتحكَّمُ
قلبي أسيرٌ في هواك مُتَيِّمُ
شفتاك يا هبة السَّما تتبسَّمُ
إن العيونِ بسحرها تتكلَّمُ
والدمع غاضٌ وفاضٌ من عيني الدمُ
والسقم أعلن ماله أتكتمُ
يا منتهى أُملي لِمَن أتظلمُ؟

القلب من نار الهوى يتألم
كل الحسان قلوبهن رحيمةٌ
عينك ساحرتي وحسنك فاتني
يا من أرى الدنيا بقربك جنَّتني
لم أنس أول نظرةٍ كانت لها
من سحر جفنك قد تعلَّمتُ الهوى
ما حيلتي والجفنُ حالفهُ البُكا
قد راعني سهدٌ وأتلفَ مهجتي
إن كنتُ لا أشكو إليك صبابتي

أَيْنَ الْعُهُودِ

يا لَيْلَةً بَعْدَهَا عَيْنَايَ لَمْ تَنَمْ
لو دَامَ لَكُنْهَ وَيْلَاهُ لَمْ يَدُمْ
فَبَاتَ مِنْ جُرْحِهِ فِي ثَوْرَةِ الْأَلَمِ
فَالْقَلْبُ فِي حُرْقَةٍ وَالْجَسْمُ فِي سَقَمٍ
دُمُوعُ عَيْنِي غَدَتْ مَمْزُوجَةً بِدَمٍ
لَا بُدَّ يَوْمًا تُعَانِي زَفْرَةَ النَّدَمِ
لو طَالَ هَجْرِي لِأَفْضَتْ بِي إِلَى حَكَمٍ
وَحَقٌّ مِنْ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بِالْقَلَمِ

أَيْنَ اللَّيَالِي اللّوَاتِي سَبَبَتْ سَقَمِي
مَرَّتْ كَطَيْفٍ خِيَالٍ كَانَ يُسْعِدُنِي
يا نَظْرَةً أَرْسَلْتَ سَهْمًا إِلَى كِبِدِي
سَرَى الْهَوَى كُلْهَيْبِ النَّارِ فِي جَسَدِي
سُهِدِي حَنِينِي عَذَابِي لَوْعَتِي لَهْفِي
يا رَبَّةَ الْحَسَنِ إِنْ لَمْ تَرْحَمِي سَقَمِي
أَيْنَ الْعُهُودُ اللّوَاتِي عَلَّلْتَ أَمْلِي
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ مَهْمَا طَالَ بِي أَمْدِي

جفون

يا جفوناً أشكو إليها الغراماً
أصبح القلب للجفون أسيراً
يا مهةً تجمع الحسن فيها
كم لعينيك من مواقف سحر
لك لحظٌ وطلعةٌ وقوأمٌ
كل بذر يتم في الشهر يوماً
نارٌ حبي ولوعتي ودموعي
إرحمني إن شئت أو عذبيني
أضرمي النار إن أردت عذابي

جرح القلب فاستردّي السهاماً
يشتكي الوجد والأسى والهياماً
وحباها الجمال منه ابتساماً
علّمت صامت العيون الكلاماً
ودلال أنسى الجفون المناماً
ومحيك في التمام دواماً!
أورثت مهجتي الضنا والسقاماً
أقسم القلب أن يصون الغراماً
أو فقلبي يا نار كوني سلاماً!

دولة الحسن

يبدو الجمالُ الَّذي بالروح أَفْديهِ
تَسْطُو على قلبٍ وَلَهانَ فَنُدْمِيهِ
قلبي فبات وجمرُ الحبِّ يَكْؤِيهِ
جواهرَ الحُسْنِ في ثوبٍ من التِّيه
وللصباة سرٌّ لست أَبْديهِ
ومدمع العين قد جفت مآقيه
حتي أرى الصبح يحيني تَدَانِيهِ
أحلى رضا شادنٍ قلبي يَنَاجِيهِ
لكنما دمع عيني كيف أَخْفِيهِ؟

في دَوْلَةِ الحُسْنِ بين اللَّحْظِ والتَّيِّهِ
إنَّ الجمالَ سِلاحُ الغانياتِ به
يا نظرةً أُرسلت نارَ الغرامِ إلى
بالله مرحمةً يا خير من جمعتُ
لا تسألي عن غرامي فهو لي حَزَنُ
أبيت ليلي حزينَ القلبِ مكتئبًا
ألْأزم السَّهْدَ طول الليل في أرقٍ
ما أجمل الصبر في ذلِّ الغَرامِ وما
حاولت إخفاء حبي عن عوازلها

معلّتي

هنيئًا لعينٍ لحظةً منك لا تَخْلُو
وكلُّ عذابٍ في غرامك لى يحلو
وسلّمتُ الأغصانُ وانتعش الظلُّ
وقدُّك ما بين الغصون له العدلُ
ويكذب من قد قال إنَّ الهوى سهلُ
وعن طول شهدي يسأل النجم والليل
فبينهما في كل هَجَرٍ لنا وصلُ
بأنَّ سهامَ الحبِّ ليس لها عقلُ
سهامًا بها مات المحبون من قبلُ
ومهما انسلَى جسمي فحبُّك لا أسلو

معلّتي من ليس لي غيرها شُغلُ
ألم يكف ما عانيتُ من ألم الجوى
خطرِ فحيَّتكَ الورودُ تبسُّمًا
وحسنك فتانٌ ولحظُك قاتلُ
جرى الحبُّ يزجي في دمي نارَ وجدها
فهذى دموعي شاهدات بلوعتي
كأن سهادي بات يعشَقُ ناظري
وما كنت أدري قبل فتكِ جفونها
وكم أرسل السحرُ الذي في لحاظها
تملّك مني الوجدُ حتى أذابني

متى اللقاء

وَشَكَّتْ مِنْ الدَّمْعِ الْهَتُونِ عُيُونِي
حَتَّى جَرَى يَشْكُو الْغَرَامَ أُنَيْنِي
فَتَرَاكَمْتُ حَوْلِي هُمُومٌ شُجُونِي
بِاللَّهِ بَلُّغٌ لَوَعَتِي وَحَنِينِي
وَإِذْكَرُ أَلِيمَ مَوَاجِعِي وَابْكِينِي
فَعَسَى حَنَانُ فُؤَادِهَا يَشْفِينِي
وَدَمِي وَرُوحِي وَالْكَرَى هَنِّينِي
عَنْ نَاضِرِي فَمَتَى الْلِقَاءُ؟ عِدِينِي!
سَأُصَوِّنُ عَهْدِي فِي الْهَوَى وَيَمِينِي

تَعَبْتُ مِنَ السُّهْدِ الطَوِيلِ جُفُونِي
وَاشْتَدَّ مَا بِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى
وَأَحَاطَنِي جَيْشُ الدُّجَى بِسُكُونِهِ
يَا لَيْلُ أَنْتَ عَرَفْتَ سِرَّ صَبَابَتِي
صَفْ مَا أَعَانِي فِي سَكُونِكَ مِنْ أَسَى
وَإِشْرَحْ أَمِينًا لِلْحَبِيبَةِ حَالَتِي
يَا مَنْ وَهَبْتُكَ عَنْ رِضَاءٍ مَهْجَتِي
لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْفَاءَ طَيْفِكَ لِحِظَةً
قَسَمًا بِمَنْ جَعَلَ النُّفُوسَ لِكَ الْفِدَا

فدى لك روجي

نَهَيْمُ بِأَيَّامِ لَنَا وَلِيَالِ
أَشُدُّ إِلَى وَادِي الْخُلُودِ رَحَالِي
وَجَارَ عَلَى قَلْبِي وَأَشْغَلَ بِأَلِي
وَكَمْ شَتَّتَ الْهَجْرُ الطَّوِيلُ خِيَالِي
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَتِي وَمَلَالِي
لَوَاعِجُهُ مِنِّي تَغْيِيرُ حَالِي
وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا رَاعَنِي وَجَرَى لِي
غَرَامِي تَقْدِيسُ بَغْيَرِ وَصَالِ
فَدَا لَكَ رَوْحِي وَالْفَوْادُ وَمَالِي

تَعَالَيْ فَقَدْ آنَ الْوَدَاعُ تَعَالَيْ
أُمْدُ يَمِينِي لِلْوَدَاعِ وَبَعْدَهَا
سَطَا حُبُّكَ الْقَاسِي فَأَتَلَفَ مُهْجَتِي
سَلَى اللَّيْلَ عَنْ دَقَاتِ قَلْبِي وَحُرْقَتِي
أَسَاهَرِ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَدَمَعِي
ظَنَنْتُ الْهَوَى سَهْلًا فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ
تَحَمَّلْتُ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْجَوَى
وَهَبْتُكَ قَلْبِي فَاذْكُرِي عَهْدَ حُبِّنَا
أَوْدَعُ فِيكَ الطُّهْرَ يَا غَايَةَ الْمُنَى

جوابها

عَلِقْتُ بِأَهْدَابِ الْخِيَالِ الْمُشَرَّدِ
عِیُونَ سُهِیلٍ فِي الدَّجَى وَعِطَارِدِ
عَلَى نُورِهَا الْهَادِي أَرْوَحَ وَأَغْتَدِي
جَمَالاً فَأَبْدِي رَهْبَةً الْمَتَعَبِدِ
عَقُودَ اللَّئَالِي تَزْدَهِي حَوْلَ فَرْقَدِ
رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ وَمُهَنْدِ
حَسَامٍ سَطَا مِنْ فَاتِكِ الطَّرْفِ أَغْيَدِ
أَرَدُّ طَوَلَ اللَّيْلِ مُرّاً تَنْهَدِي
وَمَا نَالَنِي مِنْ وَجْدِهَا الْمَتَوَقِّدِ
تَقُولُ: فَلَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ!
عَنِ النَّطْقِ حَتَّى لَا تَبُوحَ فَأَهْتَدِي
عَلَى قَلْبِي الْمُضْنِي الْعَلِيلِ الْمَهْدِ
سَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحَبِّ فَاصْبِرِ إِلَى الْغَدِ!

إِذَا رَاعَنِي لَيْلِي بِجَفْنٍ مُسَهَّدِ
وَبَتْ وَحُرَّاسِ الْكَوَاكِبِ سَلَوْتِي
وَعَنِي أَحْتَفَى طَيْفُ أَلْتِي كُنْتُ دَائِمًا
كَحَبْلَةٍ طَرَفٍ أَخْجَلَ الْبَدَرَ وَجْهَهَا
إِذَا مَا بَدَتْ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ مَثَّلْتُ
هِيَ الدَّرَّةُ الْعِصْمَاءُ مَنْ نَظَرَتْ لَهُ
سَبِي حَسْنُهَا قَلْبِي وَمَزَّقَ مُهَجَّتِي
فَأَصْبَحْتُ وَلِهَانًا جَرِيحًا مَعْدَبًا
شَكُوتُ لَهَا مَا شَفَّنِي مِنْ غَرَامِهَا
فَلَمْ تَتَكَلَّمْ بَلْ أَشَارَتْ كَأَنَّهَا
كَأَنَّ مَلَكَ الْحُسْنِ أَوْقَفَ ثَغَرَهَا
وَلَكِنَّ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَةَ أَشْفَقْتُ
فَقَالَتْ وَآيَاتُ الرِّضَاءِ تَبَسَّمَتْ

ملكت الفؤاد

وَيُضْنِيهِ التَّمَادِي فِي جَفَاكِ
ضِيَاءُ الْبَدْرِ أَخْجَلُهُ ضِيَاكِ
تَزَاحَمَتِ الْقُلُوبُ عَلَى هَوَاكِ
عَلَى الْعُشَّاقِ مَحْبُوكِ الشُّبَاكِ
كَأَنَّ الْمُنْعِشَاتِ عَشَقْنَ فَاكِ
تَمَنَّتْ كُلُّ عَيْنٍ أَنْ تَرَكَ
يَجُوسُ النَّارَ حُبًّا فِي رِضَاكِ
يُعَذِّبُ جِسْمَهُ الْمُضْنَى نَوَاكِ
لَأَسْلُوَ أَوْ أَمِيلَ إِلَى سِوَاكِ
وَكُلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا فِدَاكِ!

فؤادُ الصَّبِّ يُحْيِيهِ لِقَاكِ
تَعَجَّبَ فِي السَّمَاءِ النُّجْمُ لَمَّا
وَمَا جَرَدْتُ سَيْفَ اللَّحْظِ حَتَّى
عَيُونُكَ فَاتِكَاتُ السُّحْرِ تَرْمِي
تَقْبَلُكِ النِّسَاءُ كُلَّ صَبْحٍ
وَلَمَّا فَاقَ حُسْنُكَ كُلَّ حُسْنٍ
مَلَكْتَ الْقَلْبَ حَتَّى صَارَ عَبْدًا
عَشَقْتُكَ فَارْحَمِي صَبًّا وَفِيًّا
وَحَقَّقْ لَوْ مَلَكْتُ الْأَرْضَ طُرًّا
فَوَالْحَبِّ الْمَقْدَسُ لَسْتُ رَاضٍ

عن عادة

فهو سهم الحظ في كف القدر!
عن جمال الغيد فتان النظر
من شراك اللحظ أو أسر الحور
في سماء الغيب من سحب الكدر
واشتياقاً منه حيّاها القمر
تيمّنتني، شاغلت مني الفكر
بين حور العين في جوّ السمّر
كوميض البرق أو لمح البصر
روّعتني، علمت جفني السهر
قلب صبّ من جوى الحب استنمر
يا رجاء العين أوفى من صبر

إن سطا الحب فلا يغني الحذر
كنت في حصن منيع أختفي
أتقي شرّ الغواني أمناً
لست أدري سرّ ما قدر لي
عادة قد أعجب الدهر بها
أرسلت من مقلتيها نظرة
خلت منها أنني أرقى السما
ليلة الأنس سريعاً تنقضي
نار حبي حوّلت دمع دماً
مزق الهجر فؤادي فارحمني
واحفظي عهد غرامي إنني

سؤال

فُؤَادِي أَمْ جَفْنُهَا المَعْتَدِي؟
نَأَى النَوْمُ عن جَفْنِهِ المُسَهَّدُ
كَأَنِّي مِنْهَا على مَوْعِدِ
لَعَلِّي إلى بُرْجِهَا أَهْتَدِي
نَفَودٌ على فِكْرِي الشَّارِدِ
لِقَلْبٍ يَنَارُ الجَوَى مُوقِدِ
وَأَبْدَعُ في غَصْنِكَ المَائِدِ
بَعِينِيكَ يَا فِتْنَةَ العَابِدِ
نَسِيمُ الصَّبَا فوقَ خَدِّ نَدِي
وَمَنْ مِنْ أَلِيمِ الجَوَى مُنْجِدِي؟
بِمَا خَطَّه الدَّهْرُ لي في غَدِ
مَدَدْتُ إِلَيْهَا أَمِينًا يَدِي

نُجُومَ السَّمَاءِ عَلَيْنَا أَشْهَدِي
تَطُولُ اللَّيَالِي على عَاشِقِ
أَسَاهِرُ شَوْقِي هَيَامًا بِهَا
يَطُوفُ خِيَالِي بُرُوجَ السَّمَاءِ
يُشَاغِلُ عَيْنِي طَيْفٌ لَهُ
أَعْدٌ مِنَ السَّقَمِ ثَوْبَ الضَّنَى
كَسَا الحَسَنُ وَجْهَكَ ثَوْبَ الجَمَالِ
وَقَدْ أَوْدَعَ السَّحَرُ أَسْرَارَهُ
يَقْبَلُ وَرَدَ الصَّبَى بِاسْمًا
سَطَّتْ نَارُ حُبِّي عَلَى مُهْجَتِي
أَخَوْضُ غَمَارِ الهَوَى رَاضِيًا
سَاحَفْظُ لِلْحُبِّ أَوْفَى عَهْدِي

وفاء

فمع الرِّيحِ قد بَعَثْتُ سَلَامِي
تَمْنَحُ الصَّفْوَ وَالْهَنَاءَ أَيَّامِي
إِنْ قَلْبِي مَمَزَّقٌ بِالسَّهَامِ!
صَوَّرْتُهُ لِنَاضِرِي أَوْهَامِي
فَرَطُ شَوْقِي لَهُ أَضَاعَ مَنَامِي
وَسَهَادِي وَلَوْعَتِي وَهِيَامِي
وَأُنِينِي يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
يَا فَوَّادِي مَتَى يَحِينُ ابْتِسَامِي
يَا رَجَائِي وَحَقَّقِي أَحْلَامِي
وَإِذَا مِتُّ سَوْفَ يَحْيَا غَرَامِي

سَابِقَ الرِّيحِ نَحْوَهَا يَا غَرَامِي
وَتَذَلُّ لَهَا عَسَاهَا حَنَانًا
نَارَ حَبِّي تَرْفَقُنِي بِفَوَّادِي
أَسْهَرُ اللَّيْلِ رَاصِدًا بُرْجَ نَجْمِ
عَلَّنِي أَهْتَدِي إِلَى نَوْرِ طَيْفٍ
مَا سَمِيرِي غَيْرَ الدُّمُوعِ وَوَجْدِي
إِنْ كَرْبِي يَكَادُ يَحْرِقُ صَدْرِي
«لَسْتُ أَذْرِي وَلَا الْمَنْجَمُ يَذْرِي»
أَتْلَفُ الْهَجْرَ مُهْجَتِي فَارْحَمِينِي
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَا أُغَيِّرُ عَهْدِي

هو الحب!

مهما هَجَرْتَ وطالَ عهدُ جفاكِ
رفع النُّهى لِعوالمِ الأَفلاكِ
في وجنتَيْكِ ولحظكِ الفَتاكِ
واستودِعتِ سرَّ الهوى شفتاكِ
لما تورَّد بالصَّبى خَدَاكِ
وعذابُهُ ظلمًا بنارِ هواكِ
أدري الهوى وهوانُهُ لولاكِ
روحي وجسمي والفؤادُ فداكِ

قَلْبِي ورَبِّكِ لا يَحِبُّ سِوَاكِ
إن الغرامَ إذا تملَّكَ مهجَّةُ
يا من تجمَّعت المحاسنُ كلها
عيناكِ بالسَّحرِ العَجيبِ تَكَلَّلتِ
وضع الغرامُ على جبينكِ قُبْلَةً
صعبٌ على قلبي التوجُّعُ والأسى
فإلى متى هذا الصُّدود ولم أكنْ
إني سأحفظُ ما حَيَّيتُ محبَّتِي

رجاء

وَحَمَلْتَنِي مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ رَضْوَى
سَهَامِكَ غَيْرَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَّخِذْ مَأْوَى
وَأَوْدَعْتَهُ وَجَدًا دَعَاهُ إِلَى الشَّكْوَى
وَشَكَاوَاهُ تَجْرِي فِي الظَّلَامِ مَعَ النُّجْوَى
يَسَاهُرْنِي شَوْقِي إِلَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى
وَلَمَّا أَجِدُ غَيْرَ الدُّمُوعِ لَهُ سَلْوَى
فَلِي مِنْ مَعَانِي حُسْنِكَ السَّبَبُ الْأَقْوَى

شَغَلْتَ فُؤَادِي بِالصَّبَابَةِ وَالنُّجْوَى
فِيَا لَكَ مِنْ حُبِّ تَعَدَّيْتَ ظَالِمًا
حَمَلْتَ عَلَى قَلْبِي فَأَضْرَمْتَهُ جَوَى
يَشْقُ هَدَوَاءَ اللَّيْلِ مَرُّ أَنْيْنِهِ
أَبَيْتُ اللَّيَالِي طَائِرَ اللَّبِّ حَائِرًا
فِيَا بِهَجَةِ الدُّنْيَا هَوَاكَ أَذَابَنِي
فَلَا تَتْرَكْنِي لِلْغَرَامِ فَرِيْسَةً

يوم الوداع

وَمَنَعْتَ عَن عَيْنِي طِيبَ رُقَادِي
وَتَرَكْتَهَا تَكْوِي صَمِيمَ فُؤَادِي
وَسَلَبْتَ مِن غَايَتِي وَمُرَادِي
سَلَمْتُ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ قِيَادِي
هَطَّالُ دَمْعِي شَاهِدُ وَسْهَادِي
وَلَكُمُ شَكْوَتُ إِلَيْكَ مُرَّ بَعَادِي
يَا لَيْلُ يَصْفُو قَلْبُهَا لَوْدَادِي..
فَلَعَلَّهَا تَرَوِي غَلِيلَ الصَّادِي
يَا دَهْرُ سَيْفَ عَدَاوَتِي وَعِنَادِي
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّ فُؤَادِي

يَوْمَ الْوَدَاعِ لَقَدْ أَضَعْتَ رَشَادِي
أَشْعَلْتَ نَارَ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
مَكَّنْتَ مِن قَلْبِي التَّأَوَهُ وَالضَّنَى
لَمَّا خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى
يَا لَيْلُ كَمْ قَاسَيْتُ فِيكَ مَوَاجِعًا
يَا لَيْلُ إِنَّكَ عَالِمٌ بِصَبَابَتِي
حَمْلُ نَسِيمِكَ حَرَّ أَشْوَاقِي عَسَى
وَأُشْرِحَ لَهَا وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي
مَا لِي أَرَاكَ لَغَيْرِ ذَنْبٍ شَاهِرًا
مَهْمَا اعْتَدَيْتَ فَإِنَّ حَبِي صَادِقُ

لمن أشتكي؟

فَيَا لَيْتَنِي مَا ذُقْتُ طَعْمَ هَوَاكِ
وَلَمْ يَدِرْ آلَامَ الْجَوَى لَوْلَاكِ
وَلَمْ تَرْحَمِي أَنَاثَ قَلْبٍ شَاكِ
وَمَنْ مُنْقِذِي مِمَّا جَنْتُ عَيْنَاكِ
وَمَا نَالَنِي مِنْ لَحْظِكَ الْفَتَّاكِ
وَمَا لَمْ تُذْغِ أَسْرَارَهُ شَفَتَاكِ
جَعَلْتُ فَوَادِي وَالْحَيَاةَ فِدَاكِ
يُبْرِهْنُ أَنِّي لَا أُحِبُّ سِوَاكِ
نَعِيمٌ لِقَلْبِي فِي سَبِيلِ رِضَاكِ
وَحَقُّ الْهَوَى الْعَذْرَى لَا أَنْسَاكِ
وَإِنْ كُنْتُ رَاحِمَةً فَسَوْفَ أَرَاكِ

أَضَاعَ رِشَادِي يَا مُنَايَ جَفَاكِ
وَهَبْتُكَ قَلْبًا كَانَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى
فَمَكُنْتُ مِنْهُ الْوَجْدَ يَكُوي صَمِيمَهُ
رَمَتْنِي الْعُيُونُ السَّاجِرَاتُ بِسَهْمِهَا
لَمَنْ أَشْتَكِي سُهْدِي وَوَجْدِي وَلَوْعَتِي
تَبَيَّنْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَا رَمَتْ كَتَمُهُ
وَلَمَّا بَدَا صُبْحُ الْيَقِينِ لِنَظَرِي
يُسَاهِرُنِي شَوْقِي إِلَيْكَ وَمَدْمَعِي
أَرَى الْمَرُّ يَحُلُو وَالْعَذَابَ كَأَنَّهُ
إِلَيْكَ وَفَائِي رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنِّي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا

قسم!

ولا تعودتْ دَمَعَ الْمُغْرَمِ الباكي
سبحانَ من ببديعِ الحُسْنِ حلَّك
أَقْسَى جفاكِ وما أَبْهَى محيَّكِ
فما أَمَّرَك في قلبي وأَحْلَاكِ!
لأنَّها لثَمْتُ لما سَرَتْ فاكِ
عنا العيونُ وعَيْنُ الصَّبِّ ترعَاكِ
أَحَسَّ قلبي بأنَّ البدرَ يهواكِ!
أنواره يا ضيائي حينَ يَلْقَاكِ
سألتها رحمةً بالمغْرَمِ الشاكي
ذلَّ الغرامِ ونارَ الحبِّ يا باكي!
: عاهدتُ ربِّي أني لستُ أنْسَاكِ

والله ما ذقتُ طَعْمَ الحبِّ لولاكِ
يا ظبيَّةً فتكتِ بالقلبِ مقلَّتُها
صُوني جمالكِ رفقا بالعبادِ فما
أَنْتِ الهناءُ لقلبي والشَّقَاءُ له
هبتِ نسيمُ الصبا تَجْري معطرَّةً
فذكرتني ليالينا وقد غَفَلْتُ
لما التقينا وكان البدرُ ثالِثَنَا
لو لم يكن حُسْنُكَ الأعلى لما خَجَلْتُ
نبالُ لِحْظِكَ لما مَزَّقَتْ كبدي
قالتِ تعذَّبُ بحبي كي تشاطِرْني
أجبتها ودموعِ الصديقِ شاهِدَتِي

استسلام

من يُعِيرُ الغُصُونَ لَيْنَ قَوَامِكَ
من لِبَدْرِ الدُّجَى بِأَنْوَارِ وَجْهِهِ
أَعْجَبَ الحَسَنُ إِذْ جَمَعْتَ الغَوَالِي
كوكِبُ أَوْقَفَ العَيُونَ حِيَارِي
رائِعَاتُ فِي رَوْضِ حَسَنِ بَدِيعِ
فَتَكَ اللِّحْظُ بِالْقُلُوبِ وَبَاتَتْ
يَا شَقَاءَ الْقُلُوبِ إِنْ فُؤَادِي
لَمْ يَفَارِقْ خِيَالُ طَيْفِكَ عَيْنِي
وجَمَالَ الزُّهُورِ حُلُوْ أَبْتَسَامِكَ
كُلْ عُشَّاقَهُ ضَحَايَا غَرَامِكَ
مِنْ كَنْوَزِ الْجَمَالِ تَحْتَ لِثَامِكَ
تَائِهَاتٍ فِيمَا بَدَا مِنْ تَمَامِكَ
مَشْهَرٍ لِلدِّفَاعِ حَدَّ حَسَامِكَ
مُهْجُ الْعَاشِقِينَ صَرَعَى سَهَامِكَ
يَرْتَضِي السَّقَمَ خَاضِعًا لاحتِكَامِكَ
مَذْ غَدَا الْقَلْبِ وَهُوَ عَيْنُ مَقَامِكَ

لقاء خيال

والسُّهْدُ أَتَلَفَ مُهْجَتِي وَعُيُونِي
فكَأَنَّهَا فِي لَوْلُؤٍ مَكْنُونِ
وَرَجَوْتُ أَنْ تَنْسِيَ الدَّمْعَ جَفُونِي
فَوُشْتُ بِمَكْنُونِ الْغَرَامِ شَوْوُنِي
وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَى الْمَسْكِينِ
فِي لَيْلَةٍ مَنَعَ الْمَنَامَ أَنْيُنِي
يَسْرِي بِسَرٍّ فِي الْفَوَادِ دَفِينِ
وَدَنَا حَنَانُكَ رَاحِمًا لِحَنِينِي!
أَبَدًا يَدُومُ لَوَالِهِ مَحْزُونِ
إِلَّا لِأَنِّي وَاثِقٌ بِيَمِينِي

دَمْعِي أَهَاجَ صَبَابَتِي وَشُجُونِي
يَا دُرَّةَ خُلِقَ الْجَمَالُ لِوَجْهِهَا
حَاولْتُ أَنْ أُخْفِيَ جَوَائِي وَلَوْعَتِي
لَكِنِّي مَا أَسْتَطَعْتُ كَتْمَانَ الْهَوَى
زَكِّي جَمَالًا حُزَّتْ فِيهِ تَمَامُهُ
لَمْ أَنْسَ حِينَ شَكُوتُ آلَامَ الْهَوَى
وَجَرَى النِّسِيمُ إِلَيْكَ فِي غَسَقِ الدَّجَى
أَقْبَلْتُ فِي ثَوْبِ الْعَفَافِ مَصُونَةً
مَا كَانَ أَشْهَى ذَا اللَّقَاءِ وَلَيْتَهُ
قَسَمًا بِحَبْكِ مَا حَلَفْتُ عَلَى الْهَوَى

هبيني لحظة

وَجَفْنِي دَائِمًا بِالذَّمْعِ بَاكِ
وَقَلْبِي فَوْقَ جَمْرٍ مِنْ جَوَاكِ
مَتِي أَلْقَاكَ أَوْ أُنِّي أَرَاكَ؟
وَرُوحِي يَا مَعْلَلْتِي فِدَاكَ
فَمَا أَقْوَى وَأَقْسَى نَاضِرَاكَ
لِخَالِي الْقَلْبِ مَحْبُوكِ الشُّبَاكِ
وَقَادَتْنِي الشُّبَاكِ إِلَى هَوَاكِ
أُنَاجِي لَوْعَتِي وَأَسَى نَوَاكِ
فَأَمْلَأُ نَوْرَ عَيْنِي مِنْ سَنَاكِ
تَأَجَّجَ فِي ضُلُوعِي مِنْ جَفَاكِ
حَيَاتِي فِي غَرَامِكَ أَوْ هَلَكَاتِي
خِيَالًا لَا يَفَارِقُهُ ضِيَاكِ
وَيَكْفِينِي مِنَ الدُّنْيَا رِضَاكِ

فُؤَادِي فِي عَذَابٍ مِنْ هَوَاكِ
فَعِينِي فِي رِيَاضِ الْحَسَنِ تَهْمِي
فِيَا ذَاتَ الرَّشَاقَةِ وَالتَّثْنِي
جَمَالِكَ سَاحِرِي وَهَوَاكِ وَجَدِي
رَنُوتِ بِلَحْظِكَ السَّحَرِيِّ تِيهَا
عَشَقْتُكَ مَذُ رَأَيْتُ الْجَفْنَ يَزْمِي
فَصَادَتْنِي الْجَفُونُ بِنَبْلِ لَحْظِ
أَبَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمِ
عَسَى أَلْقَى خِيَالَكَ فِيهِ يَبْدُو
هَبِينِي لَحْظَةً تُطْفِي سَعِيرًا
وَيَا نَوْرَ الْمُنَى سَيَّانٍ عِنْدِي
فَجَسْمِي قَدْ غَدَا مِنْ فَرْطِ حُبِّي
شَكُوتُ إِلَيْكَ هَجْرِي فَارْحَمِينِي

سلي الليل

ودقات قلبي وألجوى ومواجعي
ومَن غير ليلى إن تنهَّدت سامعي
بقلبٍ لسلطان المحبَّة خاضعٍ
فأسهرت جفني راصداً نجم طالعي
يردُّ كرى صبٍّ من البعد والع
فحتَّى متى يا هجر ألقاك مانعي؟
تُبْرهن أني في ألهى غير خادع
إخال أجتهادي في المنى غير نافع
إلا رحمةً بالعاشق المتوجِّع

سلي اللَّيْلَ عن سُهدي وَوَجْدِي وَمَدْمَعِي
سكون الليالي شاهدٌ بصبابتي
يلازمني سُهدي وقد فَتَكَ الهوى
رمتني العُيُونُ الفاتِنَاتُ بسحرها
لعلي أرى في طلعة النجم طيفها
يزيد أشتياقي كلما طال هجرها
دموعي وسهدي والنحول ولوعتي
تعدى عليَّ الدهرُ حتَّى كأنني
فيا من أرى في القُرْبِ منك سعادتي

سأصون العهد

تبكي على قلبٍ صريعٍ
أناؤه منعتُ هُجُوعِي
وأردت أن يخفى ولوعي
بسرائر القلب الوديعِ
وكم احتملت أذى خُضُوعِي
أبكي على زاهي ربيعي
وما لكربي من شفيعِ
وَكَوَى بِلَوْعَتِهِ ضُلُوعِي
فالصبرُ في حِصْنٍ منيعِ
يا ربَّه الحُسنِ البديعِ

عيناي من حرِّ الجوى
يا لوعة القلب الذي
حاولت كُتْمَ صبابتي
لكنَّ دَمْعِي قد وَشَى
قاسيتُ آلامَ الهوى
أقضي الليالي ساهراً
حولي تزاхمت الهمومُ
حُبِّي سَقَى قَلْبِي الضَّنَى
مهما يُحَارِبُنِي النَّوَى
سأصون عهد محبَّتِي

عهد

وَأُدْمَى مَدْمَعِي قَاسَى غَرَامِي
فَبَاتَ يَتْنُ مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ
مُحَيًّا صَوْرَتَهُ يَدُ التَّمَامِ
نَسَائِمُ حُمَلَتْ نَجْوَى هُيَامِي
مَعَانِي الْحَسَنِ حُلُوَ الْإِبْتِسَامِ
وَكُنْتُ أَمَامَهَا أَخْشَى انْهَزَامِي
بِقَلْبٍ مِنْ سِهَامِ الْجَفْنِ دَامِ
يَرُوقُ الصَّمْتُ فِيهِ عَنِ الْكَلَامِ
وَجِسْمًا هَدَمَتْهُ يَدُ السَّقَامِ
إِذَا طَالَ النَّوَى سَاقَتْ حَمَامِي
مِنَ الْأَيَّامِ أَوْ قَاسَى الْمَلَامِ
يَجِدُ ذَكَرَهُ دَوْمًا سَلَامِي

رويدك قد جَفَا جَفْنِي مَنَامِي
تَعَدَّى نَاطِرَاكَ عَلَى فُؤَادِي
جَمَالِكَ تَاهَتْ الْأَفْكَارُ فِيهِ
تَصَبَّحَ وَرَدَ خَدَّيْكَ الْهُوَادِي
تَقَبَّلْ مِنْكَ ثَغْرًا أَوْدَعْتَهُ
لِحَاطُكَ بِالْفَوَاتِكِ هَاجَمَتْنِي
وَلَكِنِّي تَحَمَّلْتُ الْمَوَاضِي
كَشَفْتَ بِلَحْظِكَ السُّحْرِيَّ سِرًّا
عَشَقْتُكَ فَارْحَمِي قَلْبًا جَرِيحًا
نَحُولِي وَالسَّهَادُ وَنَارُ وَجْدِي
وَفَائِي لَا تَغْيِرْهُ الْعَوَادِي
وَعَهْدِي فِي الْمَحَبَةِ سَوْفَ يَبْقَى

كم تحملت

يا نسيم الصَّبَا وَبَلِّغْ سَلَامِي
وَتَلَطَّفْ إِذَا شَرَحْتَ غِرَامِي
من أَلِيمِ الْجَوَى وَفَتَكَ السَّهَامِ
سَارِيَاتِ تَشَقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
صِفْ سُهَادِي وَمَدْمَعِي وَسُقَامِي
فَاضْ دَمْعِي لَهُ وَعِزْ مَنَامِي
صَوَّرْتُهُ مِنَ الضَّنَى أَوْهَامِي
أُنْقَذِينِي مِنْ رُوعَةِ الْأَحْلَامِ
فَاذْكُرِي مَا حَيَّيْتَ عَهْدَ غِرَامِي

سِرْ بِوَجْدِي وَلَوْعَتِي وَهَيَامِي
وَتَهَادَى إِذَا بَلَغْتَ حِمَاهَا
أَنْتَ تَذْرِي بِمَا يِعَانِيهِ قَلْبِي
يَا رَسُولًا أَوْدَعْتَ سِرَّ فَوَادِي
يَا أَمِينِي عَلَى رَسَائِلِ حُبِّي
كَمْ تَحَمَّلْتُ فِي هَوَاكِ هَوَانًا
أَلْبَسَ الْهَجْرُ مُهْجَتِي ثَوْبَ سَقَمٍ
فَاعْطِفِي رَحْمَةً وَجُودِي حَنَانًا
سَوْفَ أَبْقَى عَلَى وَفَائِي أَمِينًا

الحقيقة

سلطانُ من فَتَنَتْنِي فَوْقَ سُلْطَانِي
رَاشَتْ سِهَامَ جَفُونٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا
لَحَظَ الْحَبِيبَةَ رَاقِبَ مَهْجَتِي كَرَمًا
لِلَّهِ فَرَطُ جَمَالٍ بَاتَ يَشْغُلُنِي
يَا مَنْ تَكَامَلُ فِيهَا الْحَسَنُ أَجْمَعُ
جَمَالُ وَجْهِكَ لَا يَنْجَابُ عَنْ نَظْرِي
بَسَامُ تُغْرِكُ مَطْبُوعٌ عَلَى كَبْدِي
يَا لَيْلَةً لَدَّ لِي كَأْسُ الْغَرَامِ بِهَا
مَضَتْ سَرِيعًا وَذَكَرَاهَا تَحْمِلُنِي
كَأَنَّ وَعْدَكَ حُلْمٌ زَارَنِي وَمَضَى

إِنْ شَاءَ عَذَّبَنِي أَوْ شَاءَ هَنَّانِي
وَصَوَّبَتْهَا إِلَى قَلْبِي وَوَجَدَانِي
مَتَى رِضَاكَ يُوَاسِينِي وَيُرْعَانِي
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلِلْأَحْزَانِ خَلَّانِي
الْوَجْدَ أَرْقَنِي وَالنَّوْمَ عَادَانِي
وَوَرْدَ خَدَيْكَ مَمْزُوجَ بَنِيرَانِ
وَلَيْلُ شَعْرِكَ تَهْمِي فِيهِ أَجْفَانِي
حَتَّى تَخِيلْتَ أَنَّ الدَّهْرَ صَافَانِي
ذَلَّ الْغَرَامِ وَمُرُّ الْبَعْدِ أَبْكَانِي
كَانَتْ حَقِيقَتُهُ وَجْدِي وَأَحْزَانِي

لولا الهوى

وقد أَشْهَرْتُ بِاللَّحْظِ سَيْفًا مُهَنَّدًا
فَأَصْبَحَ جِسْمِي بِالْغَرَامِ مَهْدَدًا
رَأْتُ فِي رِيَاضِ الْحَسَنِ خَدًّا مَوْرَدًا
تَأَجَّجَ نَارًا فِي الْهَوَى وَتَصَعَّدَا
فَأَصْبَحَ جَفْنِي فِي الْغَرَامِ مُسَهَّدَا
فَأَوْقَعَنِي قَلْبِي بِأَهْيَفِ أَغْيَدَا
وَقَدْ كُنْتُ خُلُوعًا قَبْلَهُ مَتَبَاعِدَا
إِذَا أَشْرَقَتْ أَبْصَرْتُ غُضُنًا تَأَوَّدَا
صَحَاخُ الْعَوَالِي بِالْجَمَالِ تَفَرَّدَا
وَنَفْسِي تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهَا الْفِدَا
أَبَيْتُ اللَّيَالِي سَاهِرًا مُتَوَقِّدَا
نُحُولًا وَخَلَّانِي خَيَالًا مُجَرَّدَا
أَقَمْتُ لَهَا فِي جَذْوَةِ الْقَلْبِ مَرْصَدَا
إِلَى طَلْعَةِ كَانَتْ لِحُبِّي مَشْهَدَا
لِعَهْدِ زَمَانِ الْحُبِّ حِصْنًا مَشِيدَا

بَدَتْ قَمْرًا بِالْفَاتِكِينَ تَقَلَّدَا
وَقَدْ أَغْمَدْتُ فِي حَيَةِ الْقَلْبِ سَيْفَهَا
وَلَمْ تَذَرْ عَيْنِي مَا بِقَلْبِي لَأَنْهَا
فَشَاغَلَهَا وَرَدُّ الْخُدُودِ عَنِ الَّذِي
كَلَفْتُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
وَكُنْتُ حَذَرْتُ الْغَيْدَ حِينَ تَمَرَّدَتْ
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا بَتُّ بِالْذَمِّ غَارِقًا
لِعُوبٍ لَهَا مِنْ بَاهِرِ الْحَسَنِ طَلْعَةٌ
وَقَدْ رَوْتُ عَنْ لَيْنِهِ وَاعْتَدَالِهِ
لَهَا أَقْسَمْتُ عَيْنَايَ لَا تَتْرَكَ الْبَكََا
تَجُودُ جَفُونِي بِالْذَمِّ وَهِيَ أَنَا
تَعْدَى عَلَى جِسْمِي الضَّنَى فَأَذَابَهُ
فِيَا لَيْلَةَ مَرَّتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَوْفَقُ سَاعَةً
تَرُدُّ إِلَيَّ رُوحِي الْحَيَاةَ فَأَبْتَنِي

إليها

يا مَنْ أَضَعْتُ بِحُبِّهَا أَيَّامِي
يا مَنْ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ قَدْ خِلْتُهَا
فَتَكْتُ سَهَامُ جَفُونِهَا بِحِشَاشَتِي
لَعَبْتُ بِقَلْبٍ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْهَوَى
يا دُرَّةً بَخَلَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا
لَمْ أَنْسَ حِينَ شَكُوتِ مِرْ صَبَابَتِي
وَاشْتَدَّ وَجْدِي مِنْ تَبَارِيحِ الْجَوَى
كَفَكَفَتِ بِالْكَفِّ الْجَمِيلَةِ أَدْمَعِي
عَقَدْتَ يَمِينُكَ عَهْدَ حُبِّ بَيْنِنَا
وَأَفْتَرَّ ثَغْرُكَ عَنْ حَدِيثِ خِلْتُهُ
صُنْ فِي فُؤَادِكَ مَا تَبَادَلْ بَيْنِنَا
الْغَيْدُ تَخْدَعُ وَالْغَوَانِي طَبَعُهَا
يَا لَيْتَنِي مَا اجْتَرَزْتَ تِيَارَ الْهَوَى

مَنْنِي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
مَلَكًا تَهَادَى فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
فَتَكَ الْأَسُودَ الصَّيْدِ بِالْأَرَامِ
هَامَتْ بِهِ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
يَا بَدْرَ حُسْنٍ حَازَ كُلَّ تَمَامِ
مَا كَانَ مِنْ وَجْدٍ أَطَارَ مَنَامِي
وَمَدَامَعِي فَاضَتْ وَزَادَ هُيَامِي
وَبِنَظْرَةِ أَطْفَافِ نَارِ غَرَامِي
وَبَدَا الرِّضَا مِنْ ثَغْرِكَ الْبَسَامِ
سِحْرًا تَسْرَبُ فِي دَمِي وَعِظَامِي
وَاحْفَظْ عَهْدَ مَحَبَّتِي وَزَمَامِي
تَبْنِي الْعَهْدَ عَلَى رُبَا الْأَوْهَامِ
يَوْمًا وَلَمْ أَخْدَعْ بِعَذْبِ كَلَامِ

ليلة

وفؤادي الذي وفى على الجمر مَوْجَعُ
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَوْ حَقَّقَ اللَّهُ مِثْلَهَا
تَكَامَلَ فِيهَا الصَّفْوُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
خَلَوْنَا وَدَارَتْ بَيْنَنَا نَشْوَةُ الْهَوَى
أَذَاعَتْ دُمُوعِي مَا تُكِنُّ سِرَائِرِي
رَحَى الْحَرْبِ قَامَتْ بَيْنَ قَلْبِي وَجَفْنِهَا
أَرَى الْقَلْبَ مَهْمَا نَالَ حَكْمًا وَجُرْأَةً
تَجَلَّتْ لَعِينُهَا الْجَمِيلَةَ لَوَعْتِي
فَقَالَتْ وَيْمَانَاهَا تَكْفِكَفَ مَدْمَعِي
تَبَيَّنْتَ مِنْ عَيْنِكَ صِدْقَ مَحَبَّتِي
فَلَمْ أَخْشَ حِرَاسًا عَلَيَّ يَوَاقِظًا
عَلَيَّ يَمِينِ اللَّهِ أَنِّي عَلَى الْوَفَا
فَقُلْتُ لَهَا وَالِدَمْعُ مِلءٌ مُحَاجِرِي
سَاحِفُظْ عَهْدِي مَا حَيِيْتُ وَإِنْ أُمْتُ
وعيناي في رَوْضٍ من الحسن تَرْتَعُ
بَلَغْتَ الْمُنَى وَأَمِنْتُ مَا أَتَوَّقُعُ
ونور الرِّضَا من كوكبِ الْحُسْنِ يَسْطَعُ
وقد كُنْتُ أَشْكُو هَجْرَهَا وَهِيَ تَسْمَعُ
وَأَعْلَنَ سُقْمِي هَوْلَ مَا كُنْتُ أَجْرَعُ
وَدَلُّ الْغَوَانِي فِي رَحَى الْحَرْبِ يَخْدَعُ
ذليلاً لسلطان المحبة يَخْضَعُ
وَأَنْ فؤادي في الهوى يَتَقَطَّعُ
شهيْدُ الهوى العذري لا يَتَوَجَّعُ
وَأَنْكَ إِنْ أَخْلَصْتَ لَا تَتَزَعَزَعُ
وجئتك لا ألوي ولا أْتَفْزَعُ
وَأَنْ لَيْسَ لِي فِي حُبِّ غَيْرِكَ مَطْمَعُ
وصدري من حَرِّ الْجَوَى يَتَصَدَّعُ
سيبقى غرامي عاطراً يتضوع

فؤادي الذي وفى على الجمر مَوْجَعُ
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَوْ حَقَّقَ اللَّهُ مِثْلَهَا
تَكَامَلَ فِيهَا الصَّفْوُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
خَلَوْنَا وَدَارَتْ بَيْنَنَا نَشْوَةُ الْهَوَى
أَذَاعَتْ دُمُوعِي مَا تُكِنُّ سِرَائِرِي
رَحَى الْحَرْبِ قَامَتْ بَيْنَ قَلْبِي وَجَفْنِهَا
أَرَى الْقَلْبَ مَهْمَا نَالَ حَكْمًا وَجُرْأَةً
تَجَلَّتْ لَعِينُهَا الْجَمِيلَةَ لَوَعْتِي
فَقَالَتْ وَيْمَانَاهَا تَكْفِكَفَ مَدْمَعِي
تَبَيَّنْتَ مِنْ عَيْنِكَ صِدْقَ مَحَبَّتِي
فَلَمْ أَخْشَ حِرَاسًا عَلَيَّ يَوَاقِظًا
عَلَيَّ يَمِينِ اللَّهِ أَنِّي عَلَى الْوَفَا
فَقُلْتُ لَهَا وَالِدَمْعُ مِلءٌ مُحَاجِرِي
سَاحِفُظْ عَهْدِي مَا حَيِيْتُ وَإِنْ أُمْتُ

لَحْظَ الْعَيُونِ

شَاكِي السِّلَاحِ عَلَى الْمُحِبِّ الْأَعْزَلِ!
ذَا رَحْمَةٍ بِصَرِيحِ جَفْنٍ أَكْحَلَ
وَصَبَابَةً أَبْكِي بَدْمَعٍ مُرْسَلِ
تَاهَ الْجَمَالُ بِحُسْنِهَا الْمُتَكَامِلِ
وَسَطَا عَلَى جِسْمِي الضَّعِيفِ النَّاجِلِ
وَالدَّمْعُ جَفَّ وَبَاتَ يَشْمَتُ عَاذِلِي
عَيْنِي وَلَيْسَ سِوَى خِيَالِكَ شَاغِلِي
عَهْدِي وَعَنْ نَجْوَايَ لَمْ أَتَحَوَّلِ
كَأْسُ الْمَنِيَةِ فِيهِ عَذْبُ الْمَنَهْلِ
فَتَدَلَّلِي مَا شِئْتِ أَنْ تَدَلَّلِي!

لَحْظَ الْعَيُونِ حَمَلَتْ حَمَلَةً عَاهِلِ
مَزَّقَتْ قَلْبِي بِالسَّهَامِ وَلَمْ تَكُنْ
إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى
يَا مَنْ لَهَا بَيْنَ الْكَوَاعِبِ طَلْعَةٌ
مَنْعَ الْهَوَى نَوْمِي وَأَتْلَفَ مُهْجَتِي
مَا حِيلَتِي لَوْ طَالَ بِي صَرْفُ النُّوَى
وَاللَّهِ طَيْفُكَ لَا يَفَارِقُ لِحْظَةً
قَسَمًا بِحُبِّكَ إِنَّنِي بَاقٍ عَلَى
أَجْتَاكِ صَعْبَ هَوَاكِ مَهْمَا رَاعَنِي
إِنِّي أَقْدُسُ بِالْوَفَاءِ مُحِبَّتِي

ربة الحسن

أَضْرَمَ الْوَجْدُ نَارَهُ فِي فُؤَادِي
هَامَ قَلْبِي لِسِحْرِ عَيْنِكَ لَمَّا
مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْجِرَاحِ اللُّوَاتِي
إِنْ وَرَدَ الصَّبَى تَبَسَّمَ عُجْبًا
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَعَطَّرَ طَيْبًا
رَبَّةَ الْحُسْنِ خَفَّفِي نَارَ وَجْدِي
نَسْهَرُ اللَّيْلِ فِي رَجَاءٍ وَيَأْسٍ
فَالْأَمَّ الْجَفَا وَهَجْرُكَ أَدْنَى
صَارَ جِسْمِي مِنَ السَّقَامِ خِيَالًا

وَأَلِيمُ الْجَوَى أَضَاعَ رَشَادِي
سَكَنَ الْحُسْنُ مِنْهُمَا فِي السَّوَادِ
كُلَّ يَوْمٍ أَلَمُهُمَا فِي ازْدِيَادِ
فَوْقَ خَدِّكَ فِتْنَةً لِلْعِبَادِ
مِنْ رِيَاحِينَ غُصْنِكَ الْمَيَّادِ
وَارْحَمِينِي مِنْ مَذْمَعِي وَسُهَايِ
بَيْنَ حُلُوِّ اللَّقَا وَمُرِّ الْبَعَادِ
مِنْ يَدِ السَّقَمِ مَهْجَتِي وَفُؤَادِي
طَارَدَتْهُ شِمَاتَةُ الْحُسَّادِ

حبيبة القلب

عِدَايَ فِيكَ وَكَمْ عَادَيْتَ أَحْلَامِي
وَشَوْقُ قُرْبِكَ ضَاعَتْ فِيهِ أَيَّامِي
صَمِيمَ قَلْبِي وَأَدَمْتُ دَمْعِي الْهَامِي
تَذَوُّدُ عَنْ مُسْفِرٍ مِنْهَا وَبَسَامِ
وَعَدْتُ أَشْكُو لِلَّيْلِ نَارَ الْآلَمِي
يَا لَيْلُ بَلِّغْ سَهَادِي فِيكَ لُؤَامِي
وَالدَّمَعُ أَكْبَرُ وَاشْ بِي وَنَمَّامِ
فِي مُهْجَتِي لَوْعَةً يَا قَسْوَةَ الرَامِي!
مَنْ فَرَطَ مَا أَسْرَفَتْ فِي الْوَجْدِ أَوْهَامِي
حَتَّى حَدَّثَتْ بِي لَوَادِي الْيَأْسِ أَحْلَامِي
يَدُ النُّحُولِ وَقَلْبِي جُرْحُهُ دَامِ

حَبِيبَةُ الْقَلْبِ كَمْ حَالَمْتُ فِي لَهْفٍ
أَلِيمٍ بُعْدِكَ هَاجَتَنِي لَوَاعِجُهُ
رَمَتْ حَشَايَ سِهَامٌ مِنْكَ فَاخْتَرَقَتْ
يَا مِنْ تَصُولِ سَيُوفٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا
أَوْدَعْتُ فِي الصُّبْحِ نَوْمِي عِنْدَ نَاطِظِهَا
أَسَامِرُ النَّجْمِ طَوَلَ اللَّيْلِ مِنْ شَغَفٍ
أَفْدِيِ الَّتِي كُنْتُ عَنْهَا كَاتِمًا شَجَنِي
سَهْمٌ رَمَتْهُ بِقَلْبِي نَظْرَةً تَرَكْتُ
قَدْ حَالَفَ السُّهُدُ جَفَنِي فَاَنْضَنَى جَسَدِي
مَا زَالِ يَسْبِقُنِي فِي قَرَبِهَا أَمَلِي
وَأَصْبَحَ الْجِسْمُ طَيْفًا لَا تَفَارِقُهُ

مناجاة

يا ليلُ فِيكِ مواجِعِي وشُجُونِي	يا ليلُ عَلَّمْتَ البكاءَ عيُونِي
يا ليلُ فِيكِ لواعجِي وتَنهَّدِي	يا ليلُ نومي خَاصَمَتُهُ جفُونِي
ينسابُ دمعي في سكونك يا دُجَى	ويطوف في جَوْفِ الظلام أنِينِي
يأبِها الليلي الطويلُ تَزاحَمَتُ	حولي الهمومُ وغَاصَ بَحْرُ شؤُونِي
قُلْ للحبيبةِ رَحمةً بَمتيمٍ	فَتَكَ الغَرامُ بقلبه المَفتونِ
ما حيلتي في سُهْدِ جفني والجَوَى	وأنينِ قلبي والبكا وحَنِينِي
قسما بِرابطَةِ المَحَبَّةِ بيننا	إني سأحفظُ بالوفاءِ يَمِينِي

يا حياتي

أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جَفَوْنِي سُهَادِي
بَاتَ قَلْبِي مِنَ الْغَرَامِ يِعَانِي
يَا جَمَالًا تَكَامَلَ الْحُسْنُ فِيهِ
هَذِهِ أَدْمُعِي تَفِيضُ لِأُنِّي
يَا حَيَاتِي دَاوِي بَعْطَفَكَ قَلْبِي
أَحْتَسِي الصَّبْرَ فِي هَوَاكَ وَأَرْضِي
لَسْتُ أَدْرِي مَا حِيلَتِي ضَاقَ صَدْرِي
فَانصِيفِي مِنْ غَدَا لِبُعْدِكَ طَيْفًا
وَكَوَى الْهَجْرُ وَالصَّدُودُ فَوَادِي
لَوْعَةَ الْوَجْدِ وَالضَّنَى وَالْبَعَادِ
كَيْفَ أَسْلَوْا وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادِي
كُلَّ يَوْمٍ أَرَى الْهَوَى فِي ازْدِيَادِ
أَنْتِ وَاللَّهِ غَايَتِي وَمُرَادِي
أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ وَالْمُرُّ زَادِي
مَنْ أَلِيمَ الْجَوَى وَضَاعَ رَشَادِي
وَارْحَمِي قَلْبَ حَافِظٍ لِلْوَدَادِ

قسما بثغر ...

يَوْمًا وَلَمْ تَهْنَأْ بِطَيْبِ رُقَادِ
وَصَدَى أَنْيْنِكَ ضَائِعٌ فِي وَادِ
نَارٌ أَحَاطَ لَهَيْبُهَا بِفَوَادِي
حَتَّى تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَقِيَادِي
هَلْ غَابَ عَنْ تِلْكَ الْعَيُونِ مُرَادِي
وَمُقَبَّلٌ يَشْفِي غَلِيلَ الصَّادِي
فِي نَازِرِيكَ وَغَصْنِكَ الْمِيَّادِ
وَبِسْحَرٍ لَحْظٌ قَدْ أَضَاعَ رَشَادِي
نَسَمَاتُهُنَّ رَوَائِحُ وَغَوَادِي
وَسَطَّتْ عَلَيْهِ عِدَاوَةُ الْحَسَادِ
صَبُّ قَدْ اسْتَعَذَبَتْ فِيكَ سَهَادِي

يَا جَفْنُ إِنَّكَ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى
فَعَلَامَ يَشْكُو هَجْرَهُ وَبِعَادَهُ
جُدْ بِالْبَكَاءِ عَسَى بِدَمْعِكَ تَنْطَفِي
حُبُّ تَرْبَى فِي دَمِي فَسَرَى بِهِ
يَا مَنْ تُجِيدُ عَيُونُهَا لُغَةَ الْهَوَى
لَكَ نَظْرَةٌ فَتَنَ الْجَمَالَ بِسِحْرِهَا
إِنَّ الْمَحَاسِنَ أَبْدَعَتْ تَصْوِيرَهَا
قَسَمًا بِثَغْرِ السِّيُوفِ مُمْنَعٍ
مَا مَسَّ خَدَّكَ غَيْرُ أَنْفَاسِ الصَّبَا
أَنَا مَغْرَمٌ فَتَكَ النُّحُولُ بِجَسْمِهِ
إِنْ تَمْنَعِي عَنِي اللَّقَاءَ فَإِنِّي

إلى قلب

يا قلبُ أنتَ وناظِري
عَيْنَايَ تمنعُكَ الهدو
عطفاً عليّ فإنّني
إنّ الغرامَ سَطَا على
يا منتهى أَملي لَقَدْ
إِنِّي عَشِقْتُكَ فامْنَعِي
أَخْشَى إذا طال النّوى
مَهْمَا تَكْتَمْتُ الهوى
ما بينَ دَمْعِي والجوى
أَجِدُ الحياةَ رخيصةً
لم أدِرْ أَيُّكما افْتَرَى
ءَ وَأَنْتَ تمنعُها الكرى
لم أَسْتَطِيعُ أنْ أصْبِرَا
قلبي وفي رُوحِي سَرَى
حَكَمَ الهوى إنْ أسْهَرَا
عَنِّي العذابَ الأكْبَرَا
لا أَسْتَطِيعُ تَصَبُّرَا
فالدَّمْعُ لَنْ يَتَسَتَّرَا
أُمْسِي وَأَصْبَحُ حائِرَا
لو كانَ وَضْلُكَ يُشْتَرَى

غيرت حالي

يا بديع الجمالِ غَيَّرْتَ حالي
لستُ أنسى تلكَ العيونَ وقلبي
أنتَ يا حُبُّ كم تركتَ نفوسًا
وقلوبًا أودَّعتَ فيها سعيًا
أيُّ ذنبٍ جنيتُ يا حُبُّ لَمَّا
يا ملاكًا سبَى الجِسانَ بِلَحْظِ
كم تَعَذَّبْتُ في هواكِ وكانتِ
أَسْقَمَ البُعْدُ والتَّجَنِّي فُؤادي
إنني خاضعٌ لحكمك فاهْجُرْ
أين يا بدرُ صافياتِ الليالي؟
مَرَّقَتْهُ لِحَاظُهَا بالنُّبالِ
حائراتٍ في شارداتِ الخيالِ
أبدَ الدهرِ ناره في اشتعالِ
زدتني لوعةً وأشغلتَ بالي
أودَّعَ الحُسْنَ فيه بنتَ الدوالي
مؤلماتُ العذابِ فَوْقَ احْتِمالي
وكساني ثوبَ النُحولِ ملالي
أو فحَقِّقْ يا بدرُ لي آمالي!

لقاء

فقد وافَتْ أغاريدُ الحبيبِ
أَسْرُ من الهناءِ إلى القلوبِ
وأخْفَقَ في مُلاحَقَتِي رقيبِي
على أهدابهِ خوفَ المغيبِ
يُمَثِّلُ يقظَةَ الرئمِ الهرُوبِ
بِضَمِّ الوردِ في غُصْنِ رطيبِ
جمالَ تَلَفَّتِ الطَّبْيِ اللَّعُوبِ
سَطَّتْ أَسَدًا على قلبِ الحبيبِ
نقي الذيلِ من كلِّ العيوبِ
لقد أصبحت في زي عجبِ
كلون السحبِ في وقت الغروبِ
لِبُعْدِكَ كان جِسْمِي في شحوبِ
تَزَايَدَ في تَسْعُرهِ لهيبِي
لأنَّ الوَجْهَ مرآةُ القلوبِ!
وَصُنْ عَهْدِي وَقُلْ يا نفسُ طيبِي
بمقلَّةِ شادنِ كلفِ طروبِ
إذا كان التَّجَنِّي من نصيبِي
ويا نارَ الصَّبابةِ مَنْ مُجِيبِي؟

نجومَ الليلِ مهلاً لا تغيبِي
يُبَشِّرُ باللقاءِ وأَيُّ بُشْرَى
تَرَانِي بَيْنَ مُنْسَدِلِ الدَّوَالِي
سَأَلْتُ الريحَ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا
فوافيتُ الحبيبةَ في جَنانِ
تميلُ على الأزاهرِ وَهِيَ تلهو
وفاقت في الرشاقةِ والتَّثْنِي
بَدَتْ قَمَرًا فكانت نورَ عَيْنِي
وجاءت وهي تخطر في قميصِ
فقلت لها وقد تاهت دلالا
فثوبك والورودِ ووجنتاك
فمالَتْ ثُمَّ قالت وَهِيَ نَشَوَى
فلَمَّا ضَمَنَّا وَقْتُ التَّلَاقِي
بَدَا وَجْهِي يعبرُ عن غرامي
وهبتُك مهجتي فاحِرِضْ عليها
ومرَّتْ كالغزالةِ وَهِيَ ترنو
فما أَقْسَى الغرامِ على فؤادي
ويا قاسي النوى رِفْقًا بقلبي

ديوان إسماعيل صبري

سَأَصْبِرُ حَافِظًا لِلْحَبِّ عَهْدًا وَأَرْضَى حَكَمَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ

نداءات عاشق

سيولُ أذْمَعِهَا ممزوجةٌ بِدَمٍ
فَبَاتَ من وجده في رَوْعَةِ الأَلَمِ
لم أنْسَهَا لا وما بِالْعَهْدِ من قَدَمٍ
مُدَّ جِئْتُ أَسْعَى على العَيْنَيْنِ وَالْقَدَمِ
يُهْدِي الدَوَاءَ لِقَلْبِي من لَمَّاكَ فَمِي
بِاللَّهِ مَرْحَمَةً يا رَبَّةَ النِّعَمِ
فَأُشْرَقَ الوجه منه في دُجَى الظُّلَمِ
مَنْ قَدْ يَرَى يَقْظَاتِ العَيْنِ كَالْحُلُمِ
وَحَلَفْتُني أَلَيْفَ الشُّهْدِ وَالسَّقَمِ
حَتَّى ذَكَرْتُ هَوَى أَيَامِنَا الْقُدَمِ
ذُقِ الهَوَى فَإِنْ اسْطَعْتَ المَلَامَ لَمْ
وفي بَوَاطِينَنَا بَعْدَ عن التُّهَمِ
وَالطُّهْرِ ما بَيْنَ هَيَّابٍ وَمُبْتَسِمِ
وَتَقْطِفِ اللُّوْلُو السَّيَالَ بِالْعَنَمِ
فَقَبَّلْتُني بِبَسَامٍ فَمَا لِفَمٍ
أَحْلَى من الشُّهْدِ أحيانِي من العَدَمِ
أَجَبْتُهَا رَغَمَ حَفَاقٍ وَمُنْسَجِمِ
وإنْ بَخَلْتَ تَقَاضِينَا إلى حَكَمِ

ما بالُ عَيْنِي لم تَغْمُضْ ولم تَنَمْ
يا غَادَةَ مَلَكْتُ قَلْبِي محاسِنُهَا
رُدِّي عَلَيَّ لِيَالِيَّ التي سَلَفَتْ
كم بَاتَ بَارِقُ ذاك الثَّغْرِ يَبْسُمُ لِي
يا رَشْفَةً هِيَ رَاحِي في الغَرَامِ بها
ويا جَمَالاً يُوَاسِينِي بَطْلُوعَتِهِ
ويا جَبِينًا ضِيَاءُ الصُّبْحِ لاح بِهِ
يا رَبَّةَ الحَسَنِ جَوْدِي بالوفاء على
أَيْنَ العَهْدُ اللُّوَاتِي عُلِّلْتُ أَمْلِي
ما سَأَلَمَتْنَا اللَّيَالِي في مَحَبَّتِنَا
يا لائِي لا تَلْمَنِي قَبْلَ تَجْرِبَةٍ
لما خَلُونَا وقد رَابَتْ ظُواهرُنَا
وبَيْنَنَا عِقَّةٌ بَاتَتْ تُرَاقِبُنَا
ترنو إلَيَّ بَعَيْنِ الظُّبِّيِّ واجفَةً
وَدَعَتْهَا ودموعي جَفَّ مَوْرِدُهَا
فَذُقْتُ ماءَ حَيَاةٍ من مُقْبَلِهَا
قالت تَذَكَّرْ عهودِي وانتظرْ فَرَجًا
دَيْنُكَ عَلَيَّ سَاحِيَا إنْ وفيتْ بِهِ

خبرها

فِي هَوَاهَا وَبَلَّغَا مَا أُعَانِي
وُسْهَادِي وَمَدْمَعِي وَحَنَانِي
وَأُشْرَحَا حَالَتِي لَهَا وَابْكِيَانِي
يَا نَسِيمَ الصَّبَا وَطَيْفَ الْأَمَانِي
كَادَ يَقْضِي عَلَيَّ دُلَّ الْغَوَانِي
خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
أَوْدَعَ الْقَلْبَ زَفْرَةَ النَّيِّرَانِ
مُتْرَعَاتٍ بِالسُّقْمِ وَالْأُحْزَانِ
وَتَحْيَّرْتُ فِي قُلُوبِ الْحِسَانِ
وَعِدِينِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي

خَبَّرَاهَا بِلَوْعَتِي وَهَوَانِي
وَأَذْكُرَا مَا شَهِدْتُمَا مِنْ غَرَامِي
وَأَقِيمَا لَهَا بُرَاهِينَ حُبِّي
عَاهِدَاهَا عَلَى يَمِينِ وَفَائِي
أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ تَعَدَّيْتُ حَتَّى
كُنْتُ قَبْلَ الْغَرَامِ فِي صَفْوِ عَيْشِي
فَرَمَانِي نَبْلُ الْجُفُونِ بِسَهْمِ
وَسَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ كُؤُوسًا
كَمْ تَحَمَلْتُ فَوْقَ مَا كُنْتُ أَقْوَى
فَاتَرَكِي التَّيَّةَ لِحِظَةٍ يَا حَيَاتِي

قصة لقاء

عن مقلتي فقلبي بات في خطرٍ
ولم يَفِدْ فيه ما أجهدتُ مِنْ حَذِرٍ
كأنه فَرَقْدُ يَسْمُو له بَصَرِي
بالْحُسْنِ آيَاتُهُ فِي وَجْهِكَ النَّصْرِ
ولَوْلُ الثَّغْرِ منظومٌ من الدررِ
يَسْبِي العُيُونُ وَيَدْعُو القَلْبَ لِلْسَمْرِ
تدوم يا ليلةً قد سَبَبَتْ سَهْرِي
تَحْتَ الدَّوَالِي وَبَيْنَ السَّحَرِ وَالْحَوْرِ
عنا الرواصدُ إِلَّا مُقْلَةً القَمَرِ
وراح عنا شَدِيدُ الخوفِ والحَذَرِ
يَدُ الطَّهَارَةِ فِي وَشِي مِنَ الزَّهْرِ
وللفؤادِ كُؤُوسَ المَنْهَلِ العَطِرِ
أَرَقُّ فِي لَفْظِهِ مِنْ نَسَمَةِ السَّحَرِ
طيفُ العفافِ بِنُصْحٍ غيرِ مُنْتَظَرِ
واقْنَعْ بِحَظِّكَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
مَنْي لِمَنْ فَتَنَتْنِي كَفُّ مُعْتَذِرِ
إني على العهدِ حتَّى رحمةُ القَدَرِ
عن الكلامِ وشَوْقِي جَدُّ مُسْتَعِرِ

داري العيونَ اللواتي حيرتَ نَظْرِي
فَتَّاكَ لَحْظُكَ سَهْمٌ قد فَرَى كِبْدِي
يا طلعةَ البدرِ نورَ الحُسْنِ مِنْكَ بَدَا
صاغَ الجمالَ جَبِينًا مِنْكَ فَازْدَهَرَتْ
فَرَوْضُ وَجْهِكَ بِالْأَزْهَارِ مُبْتَسِمٌ
وَحُسْنٌ قَدْكَ فَتَانٌ لِنَاظِرِهِ
أين الليالي اللواتي كُنْتَ أَحْسَبُهَا
لما اجتمعنا وَزَهْرُ الرِّوَضِ أَنْعَشَنَا
غابَ الحواسِدُ والعُدَّالُ وَأَنْصَرَفَتْ
وقد خَلُونَا وَجُوُّ الحَبِّ رَاقَ لَنَا
وبيننا دارَ كَأْسِ الحَبِّ تَمْلُؤُهَا
يُهْدِي إِلَى العَيْنِ أَنْوَارَ المُنَى أَمَلًا
تبادلَتْ شَفَتَانَا بَيْنَنَا غَزَلًا
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ بِي وَجَدُ الهَيْامِ بَدَا
لَا تَقْرَبَنَّ حَبِيبًا قد خَلُوتَ بِهِ
فارتاحَ قلبي لِنُصْحِ الطُّهْرِ وَأَنْبَسَطَتْ
دَنَا الْوَدَاعُ فَلَا تَنْسِي مَحَبَّتَنَا
وَدَعَتْهَا وَدُمُوعُ الْعَيْنِ مَانِعَتِي

قالت ودرُّ اللآلى فوق وَجَنَّتِهَا
ما لي سواكَ حبيبٌ قد تملكَنِي
فكنْ على البُعْدِ رَمْزًا للوفاء عَسَى
دَقَّاتِ قلبي الهَوِينَا كي أَشَاطِرَهَا
رَنَتْ إِلَيَّ وَوَرَدُ الخدِّ أَمْطَرَهُ
وخلَّفَتَنِي عليلاً أَسْتَغِيثُ بِهَا
حَتَّى غَدَوْتُ خيالاً لا يُفَارِقُنِي

جَفَّتْ دُمُوعِي فَلَا تَعْزِمُ عَلَى السَّفَرِ
غرامُهُ في دمي يجري مِنَ الصَّغَرِ
يُقَرِّبُ اللهَ جَمَعَ الشَّمْلِ وَاصْطَبِرِ
مُرَّ الْوَدَاعِ وَيَا طَيْفَ النُّوَى اسْتَتِرِ
سَيْلُ المَدَامِعِ وَانْسَابَتْ عَلَى الْأَثَرِ
من نارِ قلبي ودمعِ العَيْنِ وَالسَّهَرِ
طَيْفُ الحَبِيبَةِ حَتَّى يَنْجَلِيَ قَمَرِي

عنها

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْجَمَالَ وَصَوَّرَا
فَتَمَايَلَتْ غَصْنًا رَطِيبًا نَاضِرًا
عِذْرَاءَ ذَابَتْ دُونَهَا مُهَجُّ الْوَرَى
وَجَرَى فَحَفَّ بِفَرْعِهَا فَتَعَطَّرَا
فَتَرِكَ فِي الظُّلُمَاءِ بَدْرًا مُسْفِرَا
لَعِبًا تَبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
أَمَّةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا
أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لَحْظًا سَاحِرَا
شَرَكَ الْغَرَامَ وَأَبْعَدَتْ طَيْفَ الْكَرَى
غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا إِذَا الصُّبْحُ انْبَرَى
وَكَانَ حُسْنُ الْبَدْرِ فِيهَا صُورَا
فَوْقَ الْجَبِينِ يَصَافِحُ الْإِسْكَندَرَا
فِيمَا أَرَى وَكَانَ حُلْمًا مَا أَرَى
فَأَصَابَهُ مَا كَانَ قَبْلُ مُقَدَّرَا
يَذِرِي الْهَوَى حَتَّى انْكَوَى وَتَسْعَرَا
جَسْمِي وَعَلَّمَ مَقْلَتِي أَنْ تَسْهَرَا
مِمَّنْ تَمْلِكُنِي خِيَالٍ قَدْ سَرَى
وَعَدَوْتُ طَيْفًا هَائِمًا مُتَحَيِّرَا

فَتَنَّتْ عُيُونَ النَّاضِرِينَ بِحُسْنِهَا
هَيْفَاءُ زَيْنَ خَدَّهَا وَرَدُّ الصَّبَى
حَسَنَاءُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمًا
بِيضَاءُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَبِينِهَا
تَرْنُو لَوَاحِظَهَا فَتَلْعَبُ بِالنَّهَى
عِصْمَاءُ كُلِّ جَمِيلَةٍ أَضَحَّتْ لَهَا
نَظَرْتُ إِلَى الْعُلَيَاءِ مِنْهَا مُقْلَةً
وَعَلَّتْ عَلَيَّ عَرِشَ الْجَمَالِ وَأَرْسَلَتْ
وَالشَّمْسُ بِاسْمَةٍ تُودِّعُهَا مَتَى
رَسَمْتُ بَوَجْهِ الْبَدْرِ صُورَةَ وَجْهِهَا
نَظَرْتُ إِلَيَّ فَخِلْتُ كِسْرَى بِاسْمًا
فَوَقَفْتُ مُرْتَجِفَ الْجَوَانِحِ حَائِرَا
حَتَّى رَمَتْ قَلْبِي سَهَامَ لِحَاضِهَا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا بَرِيئًا لَمْ يَكُنْ
أَجْرَى الْغَرَامُ مَدَامِعِي وَسَطًا عَلَى
يَحْلُو الْمَنَامُ لِنَاضِرِي فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا مَا السُّقْمُ أَتْلَفَ مُهْجَتِي

أَيَقْنْتُ حَقًّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى فِي حُكْمِهِ دَوْمًا ظُلُومًا جَائِرًا
لَا بَدَّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ بِحُكْمِهِ وَعَلَى الْمُعَذِّبِ بِالْهَوَى أَنْ يَصْبِرَا

متى يكون التداني؟

ضَاعَ نَوْمِي وَشَاغَلْتَنِي الْأَمَانِي
وَعُيُونِي قَرِيرَةَ الْأَجْفَانِ
وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ هُمْ نُدْمَانِي
سُنْدُسُ الْأَرْضِ حِلَّةُ الْأَرْجَوَانِ
ضِىٌّ وَيَسْبِي قُلُوبَ حُورِ الْجِنَانِ
كَنْضَارٍ مُنْضَدٍ بِالْجَمَانِ
سُنَّةُ الدَّهْرِ صَافِيَاتِ الزَّمَانِ
وَهَنَائِي وَسَبَبَتْ أَحْزَانِي
وَانْقِيَادِي لِسِحْرِهَا الْفَتَانِ
لِفَوَادِي وَزَفَرَةِ النَّيِّرَانِ
وَأُنَيْنٍ وَلَوْعَةٍ وَهَوَانِ
وَتَشَاغَلْتُ عَنْ جَمَالِ الْحَسَانِ
فِي شِرَاكِ الْهَوَى وَدَلَّ الْعَوَانِي
وَدُمُوعِي قَدْ قَرَحَتْ أَجْفَانِي
وَاللَّيَالِي مَثِيرَةُ الْأَشْجَانِ
شَرَّدَتْهُ لَوَاعِجُ الْوَلَهَانِ
كَأَدَ قَلْبِي يَذُوبُ مِمَّا أَعَانِي
وَنَعِيمِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي؟

لَسْتُ أَذْرِي مَا حِيلْتِي يَا زَمَانِي
كَانَ قَلْبِي مِنَ الصَّبَابَةِ خُلُوعًا
كَانَ زَهْرُ الرُّبَا وَصَفُو اللَّيَالِي
كَمْ تَشَبَّهْتُ وَالْغَزَالَةَ تَكْسُو
شَفَقُ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرَّوِّ
لَوْنُهُ يَمْلَأُ الْعَيُونَ جَمَالًا
رَاحَةُ الْعَيْشِ لَا تَدُومُ وَتَأْتِي
نَظْرَةُ أَطْفَأَتْ سِرَاجَ نَعِيمِي
لَسْتُ أَنْسَى سُلْطَانَهَا فِي عُيُونِي
وِسَهَامَ الْهَوَى الَّتِي صَوَّبَتْهَا
أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي عَذَابٍ وَوَجِدِ
كَمْ تَحَجَّبْتُ عَنْ عَيُونِ الْعَذَارَى
غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ طَيَّرَ قَلْبِي
فَأَلْفْتُ السُّهَادَ مِنْ حَرٍّ وَجِدِي
يَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي سَكُونٍ رَهِيْبٍ
طَائِرُ اللَّبِّ سَابِحًا فِي خِيَالِ
يَا جَمَالًا سَلَبْتَ عَقْلِي وَقَلْبِي
يَا رَجَائِي مِنَ الْوُجُودِ وَقُصْدِي

رفقا بحالي

يا سقيم الجفون أشغلت بالي
يا مهةً تكامل الحسنُ فيها
لك لحظٌ حرَّاسُهُ سَاهِرَاتُ
كلُّ مَنْ نَالَ مِنْ لِحَاظِكَ سَهْمًا
يا جمالاً وهبته كلَّ قلبي
وجْهُكَ البدرُ قد تساطعَ حُسْنًا
نَرَجِسُ الْعَيْنِ فَوْقَ وَرْدِ خُدُودِ
لا أزالُ الوَفَى في عهدِ حُبِّي
هذه مهجتي تذوبُ غرامًا
ليتَ شِعْري متي تعودُ الليالي؟
فتبارت لها قلوبُ الرِّجَالِ
رامياتُ عُشَّاقِهَا بالنِّبَالِ
باتَ يشكو صريعَ هذا الدَّلَالِ
أنا عبدٌ لِفَرْطِ هذا الجمالِ
حَوْلَ أنوارِهِ تميلُ الدَّوَالِي
وعقيقُ مُرَصَّعٍ باللَّالِي
فاذْكُرِي إذْ ملأتِ كأسَ الدَّوَالِي
يا طبيبِ القلوبِ رفقا بحالي!

أغنية حب

سحابٌ على وادٍ من النَّارِ يُمَطِّرُ
وَأُودَعَنِي مَا كُنْتُ أَخْشَى وَأَحْذَرُ
يهون لديها كلُّ صَعْبٍ وَيَصْغُرُ
لَزَادَ عَلَيْهَا قِيَمَةً حِينَ يَظْهَرُ
وَقَلْبِي لِمَنْ فِي غَيْرِهَا لَا أَفْكَرُ
أَخَافُ إِذَا طَالَ النَّوَى كَيْفَ أَصْبِرُ
ويشتدُّ كَرْبِي وَالْجَوَى حِينَ أَشْهَرُ
ومها انْسَلَى جِسْمِي فَلَا أَتَغَيَّرُ
جَرِيحُ سَهَامٍ وَإِلَهُ الْقَلْبِ حَائِرُ
ويفعل ربِّي ما يشاءُ وَيَأْمُرُ

تَسِيلُ عَلَى خَدِّي دُمُوعِي كَأَنَّهَا
سَمِيرُ غِرَامِي وَلَدَ النَّارِ فِي دَمِي
دَعَتْنِي إِلَى قَاسِي هَوَاكِ ابْتِسَامَةً
جَمَالُ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَوْ قُدِّرَتْ بِهِ
جَفَا النَّوْمُ جَفَنِي حِينَ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي
أَبَيْتُ حَزِينًا سَاهَرَ الْجَفْنِ حَائِرًا
يزيدُ غِرَامِي لَوْعَةً كُلَّ لَيْلَةٍ
تَطُولُ اللَّيَالِي كُلَّمَا طَالَ هَجْرُهَا
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْنَى الْمَعْدَبُ فِي الْهَوَى
سَأَصْبِرُ لَا أَشْكُو إِلَيْكَ صَبَابَتِي

حقيقة الحب

إِرْحَمْ فؤادي فالعذابُ حرامٌ
قالت وقد رَفَعَتْ سُيُوفَ جُفُونِهَا
لا تحسبنَّ الحُبَّ أَمْرًا هَيِّنًا
وسأستزيدُك أنَّ في معنى الهوى
فَهُوَ البَيَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً
وَهُوَ اللِّسَانُ لِمَنْ تَعَذَّرَ نَطْقُهُ
وهو البِسالَةُ والطهارةُ والنَّدَى
ويَعْلَمُ العَيْنُ الكلامَ وَنِعْمَهَا
ويَهيمُ بالنَفْسِ البريئةِ سابِحا
وَهُوَ الَّذِي شَغَلَ العَوَازِلَ أَمْرُهُ
واصْبِرْ عَسَى تصفو لك الأيامُ
مني على عَهْدِ الغَرَامِ سلامُ
فَهُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الأَعْلَامُ
سِرًّا تَضَيِّقُ لِفَهْمِهِ الأحلامُ
ولمن يخاطرُ في الدُّجَى الإِقْدَامُ
ولمن تَأَهَّبَ للدِّفَاعِ حُسَامُ
وهو الأَسَى والكَرْبُ والآلَامُ
لِغَةِ يُفْضَلُ فَهْمَهَا مَنْ هَامُوا
في عَالَمِ أَحْلَامِهِ الأوهامُ
وإذا تَمَكَّنَ حَارَتِ الأفْهَامُ

الضحك الباكي

تَبَاعَدَنَ عَنَّا كُنْتَ أَبْكِي وَتَضَحُكُ
وَلَمْ تَرَ مِثْلِي مَيِّتًا يَتَحَرَّكُ
وَلَا حَ لَهَا فِي رَفْعَةِ النِّجْمِ مَسْلَكُ
بِمَجْهَةِ أَبْطَالِ الضِّيَاغِمِ تَفْتَكُ
إِذَا مَا تَبَدَّتْ حُسْنُهَا يَتَمَلَّكُ
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَةِ الْوَجْدِ يُسْفِكُ؟
: خَشِيتُ إِذَا جَادَتِ عَيُونِي تَهْلِكُ
لِيَهْدَأَ قَلْبٌ عَاشِقٌ مُتَوَعِّكُ
بِهَا كُلُّ قَلْبٍ مُغْرَمٍ يَتَبَارَكُ
عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ عَازِلٍ يَتَشَكَّكُ
مِنَ الرَّجْسِ حَاشَانَا نَمِيلُ وَنُشْرِكُ
وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَيْسَ لِلنَّفْسِ يَمْلِكُ

وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَالْعَوَازِلُ وَالنُّوَى
فَلَمْ أَرْ رَوْضًا ضَاحِكًا مِثْلَ وَجْهِهَا
بِنَفْسِي مِنْ مَلَكْتُ زِمَامٍ صَبَابَتِي
كَعَابٍ لَهَا فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ نَظَرَةٌ
قَوَامٌ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ وَطَلْعَةٌ
أَسْأَلُهَا: هَلْ تَضْحَكِينَ وَمَدْمَعِي
فَقَالَتْ وَقَدْ مَالَتْ بِهَا نَشْوَةُ الصَّبِيِّ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُهْدِيَ ابْتِسَامِي تَحِيَّةً
وَفَضَلْتُ أَنْ أَلْقَاكِ بِالطَّلْعَةِ الَّتِي
فَقُلْتُ: تَعَالِي نَسْتَرِيقْ خُلُوةَ الْهَوَى
وَقُمْنَا وَقَامَ الطُّهْرُ يَحْرُسُ دَيْلَنَا
هِيَ الْعِفَّةُ الْعِصْمَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

تغريدة

ما من خَلَاقِي أَنْ أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ
وَضَمَّكَ الْحُسْنُ ضَمَّ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ
وَضَاعَ مِنْ وَلَهِي فِي حَبِّهَا رَشْدِي
وَلَيْلَةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ؟
دَوَامِهِ غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يُرِدْ
وَنَلْتُ غَايَةَ آمَالِي يَدًا بِيَدٍ
وَحُلُّو تَغْرِكَ عَنِّي غَيْرُ مُبْتَعِدٍ
أَسْلَمْتُ لِلَّهِ أَمْرِي فِي مَصِيرِ غَدِي
وَبِتْ لَا عَذْلًا أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدٍ
لَا شَكَّ فِيهِ رِضَاءُ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عَوَالِمِ الرُّوحِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَسَدِ
وَأَوْدَعَ الْجَفْنَ مَا أَوْهَى بِهِ جَلْدِي
فَأَشْعَلَ النَّارَ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي!
أَزَاهَرُ الرُّوْضَ فِي أَثَوَابِهَا الْجُدِّ
تَرْنُو إِلَيْهِ نَجْوَى اللَّيْلِ مِنْ صَعْدِ
حَصْنِ الْعَقِيقَيْنِ عَنْ صَفَيْنِ مِنْ بَرْدِ
كَأَنَّهَا نَغَمَاتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
عَنْ أَلْسِنِ الْعَذْلِ أَوْ عَنْ أَعْيُنِ الْحَسَدِ

يَا مَنْ سَطَا سَيْفُهَا الْمَاضِي عَلَى كَبْدِي
أَعَارَكَ السَّحَرُ مَا أُولِيهِ مِنْ رَهَبٍ
يَا دُرَّةَ سَحَرَتْ عَيْنِي مُحَاسِنُهَا
أَتَذَكِّرِينَ اللَّيَالِي السَّالِفَاتِ لَنَا
مَرَّتْ كَطِيفٍ مَنَامٍ كَمْ صَبَوْتُ إِلَى
شَرِبْتُ فِيهَا كُؤُوسَ الْحُبِّ صَافِيَةً
فَنَانٌ وَجْهَكَ هَنَّتْنِي مُحَاسِنُهُ
مَلَأْتُ عَيْنِي بِالْحُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَدْ
خَلَوْتُ رَغَمَ الْعُيُونِ الرَّاصِدَاتِ لَنَا
تَهَمُّ نَفْسِي فِيمَا فِيهِ لَذَّتْهَا
طَهَارَةُ الْحُبِّ تَسْمُو بِالنَّفُوسِ إِلَى
أَهْدَى الْجَمَالِ إِلَى عَيْنِكَ بَهْجَتُهُ
وَزَادَ حُسْنِكَ نَوْرَ الْبَدْرِ حِينَ بَدَا
تَبَسَّمَ الْوَرْدُ فِي حَدِّكَ فَاَنْتَعَشَتْ
وَكَانَ طِيفُ الْمُنَى بِالْبَشْرِ مُبْتَسِمًا
تَنَاشَرُ الدُّرُّ وَاجْتَاذَتْ غَوَالِيَهُ
دَارَتْ أَحَادِيثُ شَوْقٍ بَيْنَنَا فَسَرَتْ
سِحْرُ تَمَلَّكَ قَلْبِي فَاَنْشَغَلْتُ بِهِ

سِرُّ سَرَى فِي دِمَائِي فَأَنْصَرَفْتُ بِهِ
عَيْنَاكَ قَدْ كَاشَفَتْ قَلْبِي بِغَايَتِهَا
نَاجَيْتُ حَتَّى لَمَحْتُ اللَّحْظَ حَنٍّ إِلَى
نَجْوَى يُسَعِّرُهَا مَا بَيْنَنَا غَزَلٌ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْحُبَّ يَفْتِكُ بِي
حَنِينٌ قَلْبِكَ لِلشَّكْوَى أَبَاحَ دَمِي
يَشْكُو الْفَوَادُ عَلَى آثَارِهَا لَهْفًا
يَقُولُ لِلْقَلْبِ: إِنَّ الْحُبَّ أَشْرَفُهُ
صَوْتُ هُوَ الطُّهُرُ فِي نَوْرِ الْعَفَافِ بَدَا
سَلَامَةُ النَّفْسِ مِنْ رَجَسٍ يُدْنِسُهَا
وَاللَّهُوُ كَالشَّهْدِ حَلَوٌ فِي مَذَاقَتِهِ
أَرَى بَوَاجِهَكَ بَدْرًا جَلَّ صَانِعُهُ
أَقْصَيْتُ نَفْسِي عَنْ وَرْدٍ ظَمَنْتُ بِهِ
وَأِنْ نَأَيْتُ بِجِسْمِي عَنْ جَنَاحٍ فَقَدْ
وَشَتْ دُمُوعِي بِحُبِّ كُنْتُ أَكْثَمُهُ
مَا أَعْجَبَ الْحُبَّ يَدْعُونِي إِلَى تَلْفِي
يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ كُونِي لِلْوَفَا مَثَلًا

عَنْ عَالَمِ الْأَرْضِ أَوْ عَنْ مَطْمَعِ الْجَسَدِ!
وَوَرْدُكَ الْعَذْبُ لَمْ يَبْخُلْ بِرِيٍّ صَدِي
نَجَوَايَ فِيهِ حَنِينَ الْحُلْمِ وَالرَّشْدِ
وَلَوْ أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لَمْ نَجِدْ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنِّي وَمُتَّقِدٍ
وَرَوْعَةَ الْمَوْتِ أَدْنَى مِنْ فَمٍ لِيَدٍ
حَتَّى يَنَادِيهِ صَوْتُ: قِفْ وَلَا تَزِدْ!
مَا جَرَّدَ النَّفْسَ مِنْ طُهِرٍ عَنِ الرَّغْدِ
وَالطُّهُرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
كَنْزٌ يَدُومُ لِمَنْ وَقَى إِلَى الْأَبَدِ
وَأَيُّ سُمْ ثَوِي فِي ذَلِكَ الشَّهْدِ
لَوْ حَلَّ بِالْأَفْقِ لَمْ يُظْلِمَ عَلَى أَحَدٍ!
حِينَئِذٍ وَكَمْ حَارِبْتَنِي النَّفْسُ مِنْ كَمَدٍ
تَرَكْتُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدٍ
وَكَلَّمَا رُمْتُ إِخْفَاءَ الْهَوَى تَزِدْ
فَأَرْتَضِي لَوْعَةً قَدْ مَزَّقَتْ كَبِدِي
فَالْقَلْبُ آمَالُهُ دَوْمًا لِقَاءَ غَدٍ!

دلال

فياليتني بعدُ ويا ليتها وَجَدُ
أُفَكِّرُ أَنَّ القلبَ يُحْرِقُهُ الصَّدُّ
وَطَبْعُ الغواني لا يدومُ لها عَهْدُ
ولو خَبَّأَتْهُ بين أنيابها الأسدُ
وكم ذابَ من إغرائها الحَجَرُ الصَّلْدُ
وإن رَضِيتَ لم يُقْصَ عن قلبها الحَقْدُ
من الوالهِ الساعي إلى حَتْفِهِ الشُّهْدُ
صَرِيحُ الغواني فالمنيَّةُ والكَيْدُ
مهاةُ سباني في محاسنِها القَدْ
وإن لَعِبْتَ في الماءِ خالطه الشُّهْدُ
تغورُ زهورُ الرُّوضِ وأبْتَسَمَ الورْدُ
وزاد وميضُ البرقِ واشتَبَكَ الرَّعْدُ
فتاهت بعينيَّها وقد خَجَلَ الحَدُّ
إذا هي وَفَّتْ ثم طابَ لها العَهْدُ
وسرعان ما جازَتْ وغيَّرها البُعْدُ
يزيد على مَرِّ الزمانِ ويَشْتَدُّ
عذابُ، كؤُوسُ الموتِ في فَمِهِ شَهْدُ
لذلك قامت بالتهاني لي الأسدُ

لقد هاجني وَجَدُ بمن زارها بَعْدُ
وَهَبْتُ الهوى قلبي البرئَ ولم أَكُنْ
وأودَعْتُهُ من خالَفَتْ شَرْعَةَ الهوى
مُحالٌ تَوْفِي عَهْدَها وتَصونُهُ
تزول الجبالُ الراسياتُ لمكرها
فإن حَقَدْتَ لم يَبْقَ في قلبها رِضا
وإن عَشِقتَ كانت أَشَدَّ صابِئةً
كذلك أخلاقُ القيانِ فلا تَكُنْ
لقد فَتَنْتَ لُبِّي وقلبي وناظري
إذا خَطَرْتَ في الرُّوضِ أَيْنَعَ زهرُهُ
وإن بَسَمْتَ رَقَّ النسيمُ ونَوَّرْتَ
وإن عَبَسْتَ أَجْرَى السَّحابِ دموعه
شَكَّوتُ لها حَبِّي ومَرَّ صبابتي
فعاهدتُها أَنِّي أدومُ على الوفا
وقد تَمَّ عَهْدُ الحبِّ بيني وبينها
على أَنَّ حُبًّا أَشْغَلَ القلبَ في الصَّبِي
ألا قاتل اللهُ الغرامَ فإنَّه
بَعُدْتُ عن الغيدِ الغواني تعفُّفاً

بالله رفقا

يا أُخْتَ أَقْمَارِ السَّمَاءِ مُحَاسِنًا
يا دُرَّةَ عَشَقِ الزَّمَانِ جَمَالَهَا
عَيْنَاكَ سَاحِرَةُ الْجَفُونِ تَسْلُطُ
إِنْ تَمْنَعِي نَبْلَ الْجَفُونِ فَقَدْ سَطَا
كَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ مَلَكَتْ قِيَادَهَا
يا نَظْرَةَ تَرَكْتُ بِقَلْبِي جَمْرَةً
هَذَا غَرَامُكَ قَدْ تَسَعَّرَ وَجْدُهُ
كَمْ كَايَدْتُ كِبْدِي لِبُعْدِكَ لَوْعَةً
بِاللَّهِ رَفَقًا أُخْتَ أَقْمَارِ السَّمَاءِ

وَشَقِيقَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ سَلَامُ
جَادَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِكَ الْأَيَّامُ
مِنْهَا عَلَى مُهَجِ الرِّجَالِ سَهَامُ
مَنْ حَاجِبُكَ عَلَى الْقُلُوبِ حُسَامُ
عَقَدْتُ عَهْدَ غَرَامِهَا الْأَوْهَامُ
مِنْهَا تَأَجَّجَ فِي الْفَوَادِ غَرَامُ
فِي مُهْجَةٍ فَتَكَتْ بِهَا الْأَلَامُ
وَجَفَا جَفَوْنِي فِي هَوَاكِ مَنَامُ
تَعْذِيبُ قَلْبِي فِي هَوَاكِ حَرَامُ

كيف أصنع؟

أَسْأَلُ غُيُوثًا مِنْ جَفُونِي تَهْمَعُ
وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
بِأَمْثَالِهَا لَمْ يَحْظَ كِسْرَى وَتُبَّعُ
وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذُلُّ وَيَخْضَعُ
غَرَامُكَ حَيٌّ لَيْسَ فِيهِ تَصْنَعُ
وَجِئْتُكَ أَشْكُو مَا الْأَقْيَ وَأَجْرَعُ
وَكَمْ مِنْ فَوَادٍ شَفَّهَ الْحُبُّ يُخْدَعُ
وَهَذَا فَوَادِي مِنْ فَوَادِكَ يَسْمَعُ
وَقَلْبِي مِنْ وَجْدِ الْجَوَى يَتَقَطَّعُ
فَصَارَ دَمِي يَجْرِي بِمَا كُنْتُ أَرْضَعُ!
يُسَعِّرُهَا هَجْرٌ طَوِيلٌ مُرَوِّعُ
وَمَا قَرَّحَ الْجَفْنَ الْمُعَذَّبَ مَدْمَعُ
يَطَارِدُ عَنِي النَّوْمُ كَرْبِي وَيَمْنَعُ
جَبِينُ الضُّحَى مِنْ نَوْرِهِ أَتَشَجَّعُ
لَهُ كُلُّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ يَتَقَطَّعُ
بِقَلْبِي فَأَمْسِي حَائِرًا يَتَنَزَّعُ
وَمَا لِي سَوَى سَقَمِي وَدَمْعِي مُشْفَعُ
نُحُولًا وَنَفْسِي أَوْشَكْتُ تَتَشَعُّعُ

بَدَا لِي بَرْقٌ مِنْ ثَنَائِكَ يَلْمَعُ
فَأَصْبَحَ قَلْبِي فَوْقَ جَمْرٍ مِنَ الْهَوَى
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَمْ يَشْهَدْ الدَّهْرُ صَفْوَهَا
وِدَارْتُ كَوْوَسَ الْحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِنَا نَشْوَةُ الْهَوَى
أَتَيْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ بِلَوْحٍ عَوَازِلِي
تَذَكَّرْ عَهْدِي وَاحْتَرِمْ شِرْعَةَ الْهَوَى
فَهَذِي يَمِينِي تُوثِقُ الْعَهْدَ بَيْنَنَا
فَقُلْتُ لَهَا وَالِدْمَعُ مِلءٌ مُحَاجِرِي
رَضَعْتُ لِبَانِ الْحُبِّ مِنْذُ طِفُولَتِي
سَرَى الْحُبُّ يُزْجِي فِي دِمَائِي حَرَارَةً
وَلَوْلَا النَّوَى مَا خَالَفَ السُّهُدُ نَاطِرِي
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
يُسَافِرُ جَفْنِي النُّجْمَ حَتَّى إِذَا بَدَا
كَسَانِي عَذَابُ الْبُعْدِ ثَوْبًا مِنَ الضَّنَى
طَوَالَ اللَّيَالِي مَكَّنْتُ عِلَّةَ الْهَوَى
كَفَانِي عَذَابًا مَا أُعَانِي مِنَ الْأَسَى
فَجَسَمِي مِمَّا شَفَّهَ كَادَ يَخْتَفِي

ولو لم يكن صوتي لأنكرتُ أنني
فديتكِ مهما قد نأى عنكِ ناظري
وكم وَشَتِ الْعُدَّالُ بيني وبينها
أنا العاشقُ الْمُضْنَى الْمُقِيمُ على الهوى
عقدت يميني بالوفاءِ وها أنا
إذا ما التقينا واقفُ أَتَوَجَّعُ
فَطَيْفُكَ حولي ما خَلا منه موضعُ
فقلتُ دعوني إنني لستُ أَسْمَعُ
فلا تطلبوا ما لا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ
غَدَوْتُ خيالاً يا هوى كيف أصنعُ؟

فاتنتي ارحمي

بالسيف أقسم لحظها
لا بُدَّ مِنْ حَرْبِ الْهَوَى
لَمَعَتْ سِهَامُ جُفُونِهَا
وانقَضَ فَاتِكُ سَيْفِهَا
يسطو على مُهَجِ لَهَا
يَدَمِ الْقُلُوبِ تَخَضَّبَتْ
طعنات حَذِّكَ أَخضَعْتُ
لك صَوْلَةً قَدْ حَكَّمْتُ
يا لحظ.. أَلَامُ الْهَوَى
فَتَكَ الْغَرَامُ بِمَهْجَتِي
بالله فَاتِنْتِي أَرْحَمِي
السُّهُدُ لَزَمَ جَفَنَهُ

لما تَأَهَّبَ لِلْقِتَالِ
بَيْنِي وَأَفْنَدَةَ الرِّجَالِ
لَمَّا تَحَرَّكَ النَّبَالُ
كَاللَّيْثِ يَقْتَحِمُ الرِّعَالُ
بِبَرِّيقٍ لِمَعْتِهِ اتَّصَالَ
يَا سَيْفُ مَتْنِكَ وَالنِّصَالُ
أَقْسَى الْقُلُوبِ إِلَى الدَّلَالِ
فِي مَهْجَةِ الْأَسَدِ الْغَزَالِ
لَمْ تُبْقِ لِلْقَلْبِ احْتِمَالُ
وَالْبُعْدُ صَيَّرَنِي خِيَالُ
صَبًّا تَمَلَّكَهُ الْجَمَالُ
وَالْوَجْدُ زَادَ بِهِ اشْتِعَالُ

إلى رقيب!

فَحُسْنُ الْحِظِّ أَصْبَحَ مِنْ نَصِيبي!
وتظلمني بِالصَّاقِ الْعُيُوبِ
مرادَكَ صِرْتُ فِي أَقْسَى الْكَرُوبِ
لَأَنَّ اللَّهَ عَلَامُ الْغُيُوبِ
بَعِيدُ الشَّكِّ عَنْ كُلِّ الذُّنُوبِ
وَفَوْقَكَ حَلَقْتُ عَيْنَ الرَّقِيبِ
وَحَازِرُ وَقْفَةِ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ
تَجِيبُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ عَصِيْبِ
فَإِنَّ اللَّهَ سَتَارُ الْعُيُوبِ
وِظْلَمًا قَدْ حَمَلْتَ عَلَى الْحَبِيبِ
مَزُودَةً بِالسِّنَةِ الْخُطُوبِ
عَمَدَتْ إِلَى مُنَاوَاةِ الْكُذُوبِ
وَمَا فَكَّرْتُ فِي بَطْشِ الْحَسِيبِ
وَلَمْ تَكُ بِالْمَهْدَبِ وَاللَّبِيبِ
وَقَادَتْ مُقْلَتِيكَ إِلَى النَحِيبِ
وَأَنَّ الْبَغْيَ يَغْلِبُ فِي الْحُرُوبِ
وَقَدْ غَفَلْتُ عِيُونَكَ يَارْقِيبِي
تُسَعِّرُهَا مَنَاجَاةَ الْحَبِيبِ

هَبَاءٌ ضَاعَ كَيْدُكَ يَا رَقِيبِي
تَنَاصِبْنِي الْعِدَاءَ بِغَيْرِ ذَنْبِ
وَلَمَّا لَمْ تَنْلُ بِالْبَغْيِ مِنِّي
أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْجَابَ كَرْبِي
عَلِمْتَ بِأَنَّ حُبِّي حُبُّ طُهْرٍ
فَخَالَفْتَ الضَّمِيرَ بِسُوءِ قَضِي
فَخَفَّفَ مَا اسْتَطَعْتَ أَذَاكَ عَنِّي
سَتُسْأَلُ فِي غَدٍ عَنْ كُلِّ هَذَا
فَدَعْ عَنْكَ الْوَشَايَةَ وَاجْتَنِبْهَا
تَوَعَّدْتَ الْحَبِيبَةَ بِانْتِقَامِ
فَأَرَصَدْتَ الْعِیُونَ بِكُلِّ فَخٍ
وَلَمَّا لَمْ تَنْلُ مَا كُنْتَ تَبْغِي
فَلْفَقْتَ الْأَكَاذِيبَ اخْتِلَاقًا
وَكَمْ حَاوَلْتَ فِتْنَتَنَا خِدَاعًا
وَخَانَتَكَ الْمَكَائِدُ سَاخِرَاتِ
فَمُتْ كَمَدًا لِأَنَّكَ شَرٌّ بَاغٍ
خَلُوتُ مَعَ الْحَبِيبَةِ فِي صَفَاءِ
وَدَارَتْ بَيْنَنَا زَفَرَاتُ وَجْدِ

أَرْقُّ مِنَ النَّسَائِمِ لِلْقُلُوبِ	وَقَدْ نَقَلَ الْغَرَامُ لَنَا حَدِيثًا
يَدُومُ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى الْمَشِيبِ	قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهَا حَنَانٌ
تُقَدِّمُهُ إِلَى صَدْرِ رَحِيبِ	يَلْذُّ لَهَا الْعَذَابُ وَكُلُّ صَعْبٍ
وَدَمْعُ الْعَيْنِ فِي وَجْدٍ رَهِيبِ	وَوَدَّعَنِي الْحَبِيبُ وَنَارُ قَلْبِي
بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِي وَقْتٍ قَرِيبِ	فِيَالَيْتَ الزَّمَانَ يَمُنُّ يَوْمًا

أنت بدر

أَنْتِ بَيْنَ الْغَيْدِ بَدْرٌ قَدْ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ
لَكَ فِي عَيْنِكَ سِحْرٌ يَجْعَلُ الدُّنْيَا خِيَالِ

* * *

يَا جَفَوْنَا قَلَدَتْهَا قُوَّةُ السَّحْرِ السَّهَامِ
وَلِحَاطًا أَوْدَعَتْهَا آيَةُ الْحُسْنِ الْغَرَامِ

* * *

يَا مَهَاتِي إِنَّ قَلْبِي ذَابَ مِنْ طَوْلِ الْبَعَادِ
قَدْ كَوَتْهُ نَارُ حُبِّي فَاخْتَفَى طَيْفُ الرِّقَادِ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يَا مَلَائِكِي مَا خَلَا حُبِّي يَهُونُ
إِنْ حَظِي مِنْ هَوَاكَ كَيْفَمَا شِئْتَ يَكُونُ

* * *

إِنْ عَفَوْتَ عَنْ غَرَامِي فَارْقَتْ جِسْمِي السَّقَامِ
أَوْ تَعَمَّدْتَ مَلَامِي فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامِ

يا ليل

مَكَّنْتُ من قلبي الهوى ووقعتُ في أسْرِ العيونِ
بالنارِ يكويني الجوى بالنَّبلِ ترميني الجفونُ

* * *

يا ليلُ فيك تَوَجُّعِي سُهْدِي تحيط به الهمومُ
يا ليلُ دَامِي أَدْمُعِي تَرَثِي لحالته النجومُ

* * *

يَا مَنْ تَمَلَّكَ حُسْنُهَا قلبي فأودَعَهُ الغرامُ
وسطت مواضي لَحْظَهَا عمداً فأبعدتِ المنامُ

* * *

جسمي سَرَى فيه الهوى والسقم صَيَّرَنِي خيالُ
لا تمنعني عني الدوا يا من تبناها الجمالُ

دمعي يخفف كربى

إِنْ تَنكَرِي سُوءَ حَالِي
سَلِي طَوَالَ اللَّيَالِي
شَبَّ الْغَرَامُ بِقَلْبِي
حَاولْتُ كَتْمَانَ حُبِّي
يَا لَيْلُ إِنْ سَقَامِي
مَا حِيلَتِي فِي هُمَامِي
يَا لَيْلُ فَيْكَ نَحِيبِي
يَا لَيْلُ أَأَنْ طَبِيبِي
دَمْعِي يَخْفَفُ كَرْبِي
كَمْ عَذَبَ الْحُبُّ قَلْبِي
سَهْدِي وَوَجْدِي وَحَزْنِي
لَا شَكَّ تَذَهَبُ عَنِّي
أَوْ تَجْهَلِي مَا جَرَى لِي
مَا لِلْسُّهَادِ وَمَالِي
وَالْوَجْدُ فَوْقَ احْتِمَالِي
فَأَعْلَنَ الدَّمْعُ حَالِي
لَمْ تُبْقِ غَيْرَ خِيَالِي
يَا سَهْدُ أَخْشَى مَلَالِي
وَمَدَمَعِي وَاشْتَغَالِي
يُعِدُّ كَأْسَ الدَّوَالِي
يَا جَفْنُ جُدَّ بِالْبَكَاءِ لِي
وَأَشْغَلَ الْبُعْدُ بَالِي
وَمَا أَعَدَّ الْهَوَى لِي
إِذَا رِضَاكَ بَدَا لِي

تمنيت شهدك

لو كنت تذكر عهدك
يا من لك الحُسن وَحَدُّكَ
تَعَجَّبَ الْوَرْدُ لَمَّا
والحسن تاه دلالا
يا جفنُ شاكي سلاحي
أشكو إليك جراحي
لو كنت تدري سهادي
ما كان مُرُّكَ زادي
يا حبُّ عَذَّبْتَ قلبي
لم أذر ما هو ذنبي
رُحْمَاكَ إِن فؤادي
رضاك كل مرادي
ما خفتُ والله صدَّكَ
لا خَيْرَ في العيش بعدُ
كشفت في الروض حَدَّكَ
وأكبر الغُصْنُ قَدَّكَ
أعدَّ للحرب جندك
فالقلبُ أصبح عَبْدُكَ
أو ذاق جفنك سهدك
وقد تمنيت شهدك
بالنارِ أَضْرَمْتَ وجدك
كأنني كنتُ قَصْدُكَ
ما زال يذكرُ عَهْدُكَ
فَوْفَ للصبِّ وعدك

لقاء على كأس

فالكأس من فضة والراح من ذهب
عيني فتاهت بها من شدة العجب
والخمر تذهب ما في النفس من ريب
تهتز أعطافها من نشوة الطرب
وتمنع القلب باليسرى عن الهرب
أسرع لقد آن وقت اللهو واللعب
وأطلقته بلا ذنب ولا سبب
ومن فؤادي لتلك العين النجب
قوأي مما تولى القلب من وصب
ترأف بقلب بنار الوجد ملتهب
وأن دمع جفوني غير منسكب
فكيف لو نظرت قلبي على اللهب
حشاي فعل دبيب النار بالحطب
نجوس صدرا تبتى آية العجب
قد شغلته الاللى فهي في لعب
وقد تفاخر فيها الحسن بالنسب
لما دهى القلب والعينين من كرب
ووسوس الظن أن الكأس لم تطب

إليك أم التداوي وأبنة العنب
قالت وقد أسفرت عن طلعة سحر
وصير الراح خديها موردة
تبسمت ودنت والكأس في يدها
تقدم الكأس باليمنى مدلهة
هذا الدواء الذي رد اللقاء لنا
وصوبت سهم عينيها إلى كبدي
فقامت الحرب من عيني لوجنتها
كافحت حتي بدا لي الضعف وانهممت
وقعت في أسرها دامي الجراح ولم
ظننت بأن فؤادي لم يكن دنفًا
لو لاحظت أدمعي تجري دما لبكت
بيننا لواعج هذا الحب تفعل في
كانت أنامل يسراها بدت عنما
تداعب الدر والياقوت لاهية
والكأس ما زالت اليمنى تقدمها
لما تباطأ ثغري عن تناولها
أحس قلب التي أهوى بمشغلتي

فحاولتُ أَنْ تَرُدَّ الكَأْسَ مُسْرِعَةً
فَانْقَضَ كَفِّي عَلَى أَعْنَامِهَا رَغْبًا
يَا غَادَةً فَتَكُنْتُ بِالْقَلْبِ نَظَرْتُهَا
أَتَجْهَلِينَ بَأَنَّ الْخَمَرَ مَعْصِيَةٌ
تَرَوْحُ بِاللُّبِّ حَتَّى رُبِمَا ارْتَكَبْتُ
قَالَتْ وَوَرَدُ الْحَيَا قَدْ زَانَ وَجَنَّتْهَا
أَلَا تَرَى أَنَهَا لِلرُّوحِ مَنَعِشَةٌ
بِعِزْمِهَا اجْتَزَتْ تَيَارَ الْغَرَامِ وَلَمْ
تَمَكُنِ السُّهُدُ مِنْ عَيْنِي فَأَرْقَهَا
فَقَادَنِي وَجَدُ قَلْبِي غَيْرَ وَاجِفَةٍ
شَاغَلْتُهَا وَرَفَعْتُ الْكَأْسَ مِنْ يَدِهَا
لَمْ أَسْتَطِعْ كَتَمَ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ
حَبِيبَةِ الْقَلْبِ جَدَدَتِ الْحَيَاةَ إِلَى
هَذَا غَرَامِي يَذْكِي النَّارَ فِي جَسَدِي
صَبَرْتُ حِينًا عَلَى وَجْدٍ كَلِفْتُ بِهِ
حَتَّى قَضَى اللَّهُ أَنْ أَحْظَى بِقُرْبِكَ يَا
أَنْتِ الَّتِي مَلَكْتُ قَلْبِي بِعِفَّتِهَا
هَذَا هُوَ الطُّهْرُ قَدْ حَيَّاكَ مُبْتَسِمًا
إِنْ الْعَفَافُ جَمَالٌ لَا يَزُولُ وَقَدْ
لَا تَشْرَبِي الْخَمَرَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَاتْنَتِي
يَا لَائِمِي فِي هَوَى ذَاتِ الْعَفَافِ كَفَى
وَإِنْ دَنَا مِنْكَ صَوْتُ النُّصْحِ فَاصْغِ لَهُ

لَكُنْنِي لَمْ أُمَكِّنْهَا مِنَ الطَّلَبِ
وَالنَّسْرِ ضَمَّ جَنَاحِيهِ مِنَ الرَّهْبِ
كَيْفَ اصْطَبَارِي وَقَدْ صَرْنَا عَلَى كُتُبِ
وَكَمْ سَمِعْنَا بِهَا فِي مَجْلِسِ الطَّرِبِ
حَسَاتُهَا مَا هَوَى بِالطَّهْرِ وَالْأَدَبِ
إِنْ الشَّرَابَ يَوَاسِي قَلْبَ مَكْتَتِبِ
تَرُدُّ طَيْفَ الْأَسَى عَنْ فِكْرِ مُضْطَرِبِ
أَحْفَلُ بِوُقُوعِ سَهَامِ الظَّنِّ وَالرَّيْبِ
وَقَدْ تَعَدَى عَلَى قَلْبِي فَوَاحِرَبِي
إِلَى اقْتِفَاءِ خِيَالٍ جَدَّ فِي طَلْبِي
صَفْرَاءَ رَصَعَهَا عِقْدٌ مِنَ الْحَبِّ
فَإِنْ غَدَا خَافِقًا لَا بُدَّ مِنْ سَبَبِ
مَنْ كَادَ هَجْرُكَ يَدِينِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
وَالنُّومُ عَنْ مُقْلَتِي قَدْ جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَنْتِ مَشْغُولَةٌ بِاللَّهِوِ وَاللَّعِبِ
مَلِيكَةَ الْحُسْنِ عَنْ أُمِّ لَهَا وَأَبِ
فَإِنْ بَعَدْتَ فَمَا فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ
تَاجُ الطَّهَارَةِ عَزَّ الْيَوْمَ كَالذَّهَبِ!
يَغِيبُ كُلُّ جَمَالٍ وَهُوَ لَمْ يَغِبِ
وَعَاهِدِينِي بَأَنَّ نَبْقِي عَلَى كُتُبِ
هُوْنٌ عَلَيْكَ وَخَفَّفُ ثَوْرَةَ الْغَضَبِ
وَاعْمَلْ لِرَفْعَةِ شَأْنِ الطُّهْرِ وَالْأَدَبِ

الجزء الرابع

أوبريت وأناشيد مدرسية

حنين الأرواح

تاريخ السلم الموسيقي

(محاورة بين يوبال بن قابيل بن آدم عليه السلام مخترع الآلات الوترية والسلم الموسيقي (قبل الطوفان) وبين الحكيم اليوناني مخترع السلم الموسيقي (بعد الطوفان) — هذه القطعة التاريخية خيالية، وهي خاتمة رواية (حنين الأرواح) التي وضعها المؤلف).

أوبرا

تُحَضِّرُ رُوحَ يُوْبَالٍ أَنْغَامُ مُوسِيقِيَّةٍ مُشْجِيَّةٍ مِنْ آلَاتٍ وَتَرِيَّةٍ صُنِعَتْ بَعْدَ الطُوفَانِ. فَتَدْخُلُ الرُّوحُ مُسْتَفْسِرَةً عَنْ صَانِعِ تِلْكَ الْآلَاتِ وَعَنْ وَاضِعِ السُّلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّ الطُوفَانَ مَحَا أَثَارَ هَذَا الْفَنِّ وَانْدَثَرَتْ آلَاتُهُ.

يوبال:

هَلْ يَقِينُ لَيْتَ شِعْرِي	مَا أَرَاهُ أَمْ خَيَالٌ؟
مُنْذُ كَانَ الْفُلْكَ يَجْرِي	بَيْنَ مَوْجِ كَالْجِبَالِ
لَمْ أَعُدْ يَا قَوْمُ أَذْرِي	أَنَّ لِلدُّنْيَا اتِّصَالَ

كَانَ جِسْمِي فِي أَمَانٍ تَحْتَ أَبْرَاجِ الْعُلَا
لَمْ يُغَيِّرْهُ الزَّمَانُ لَا وَلَا كَفُّ الْبِلَى

إِنَّ تَارِيخِي الْمَجِيدُ كَانَ مِرَاةَ الْعَجَبِ
كُنْتُ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ عَاشِقًا فَنَّ الطَّرَبِ
الْعُودُ وَالْقَانُونُ وَالنَّايُ الْحَنُونُ
تِلْكَ آلَاتُ النَّعَمِ
بَاعِثَاتُ الشَّجَنِ مُذْهِبَاتُ الْحَزَنِ
كَمْ أَضَاعَتْ مِنَ أَلَمٍ
إِنَّهَا صُنْعُ يَدِي مُنْذُ أَلْفِ السِّنِينَ

يَا قَوْمَ قَدْ أَبْعَدَ الطُّوفَانُ مَا اخْتَرَعْتُ مَوَاهِبِي ثُمَّ أَفْنَى مَا يَدِي صَنَعْتُ
فَكَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَا بَلَّيْتُ آثَارَهَا فِي بُطُونِ الْأَرْضِ وَأُنْدَثَرْتُ
مَنْ ذَا الَّذِي أَخْرَجَ الْعِلْمَ الْعَجِيبَ لَكُمْ وَمَنْ يَدَاهُ أَصُولُ الْفَنِّ قَدْ وَضَعْتُ؟

(يدخل الحكيم مبتكر السلم الموسيقي)

الحكيم:

أَنَا الَّذِي وَضَعَ النَّعْمَ وَأَعَادَهُ بَعْدَ الْعَدَمِ
كَوْنُهُ مِنْ سُلَمٍ بِأَدَقِّ تَنْسِيقِ رُسَمٍ

يوبال:

كَيْفَ ابْتَكَّرْتَ أَسَاسَهُ وَنَشَرْتَهُ بَيْنَ الْأُمَمِ؟

الحكيم:

لَقَدْ رَأَيْتُ خَيَالًا قد جَاءَنِي فِي مَنَامِي
يَقُولُ هَيَّا فَبَايِرْ إِلَى اسْتِمَاعِ كَلَامِي
فِي شَاطِئِ الْبَحْرِ كُنْزٌ مِنْ الْمَوَاهِبِ سَامِي
إِذَا حَصَلَتْ عَلَيْهِ بَلَغْتَ أَقْصَى الْمَرَامِ

يوبال:

وَهَلْ أَجَبْتَ نِدَاهُ؟

الحكيم:

سَاقَتْ إِلَيَّ الْهُوَادِي إِلَيْكَ مَا قَدْ بَدَا لِي
قَدْ كَانَ طَرَقًا وَلَكِنْ مِنْ الْفَضَاءِ رَنِينًا
مَشَى الْهُوَيْنَا لِسَمْعِي مُلِئْتُ مِنْهُ حَنِينًا
دَقَّائُهُ قَدْ أُسْرَتْ وَكَانَ سَمْعِي أَمِينًا
أُودَعَتْهُ فِي فَوَادِي إِلَيَّ سِرًّا دَفِينًا
وَكَانَ كُنْزًا ثَمِينًا وَكَانَ كُنْزًا ثَمِينًا

يوبال:

ماذا سمعت أجبني ملأت رأسي ظنونا؟

الحكيم:

سَمِعْتُ تَنْ تَنْ أَرْبَعًا صَوْتًا بِهِ قَلْبِي افْتَنَ
دَقَّاتُ مِطْرَقَةٍ وَسِنْدَا نَ تَسَاوَتْ فِي الزَّمَنِ
قَدْ مِلْتُ مِنْهَا طَرَبًا وَضَاعَفَتْ عِنْدِي الْفِطْنَ
فَسَاوَرْتَنِي فِكْرَةً وَالْحِظْ بِالْوَقْتِ ارْتَهَنَ

يوبال:

قد زِدْتَنِي شَوْقًا إِلَى مَا نِلْتُ مِنْ ذِكْرِ حَسَنٍ

الحكيم:

لما انصرفت إلى الطَّرَبِ	وَسَمَوْتُ فِي جَوْ الْأَدَبِ
وجهت ثاقِبَ فِكْرَتِي	والنصر يرفع مَنْ غَلَبَ
فصنعت أعجبَ آلَةٍ	مُقْيَاسِ صَوْتِ لِلطَّرَبِ
ثَبْتُ سَبْعَ صَفَائِحَ	فِي قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ
رَتَّبْتُهَا فِي وَضْعِهَا	لِيَكُونَ مُحْفُوظَ النَّسَبِ
أطوالها المتباينة	لِنَجَاحِهَا كَانَتْ سَبَبَ
ضبطت مقاييس النِّعَمِ	وبذاك تَمَّ لِي الْأَرَبِ

يوبال:

قد جِئْتُ حَقًّا بِالْعَجَبِ وخدمت عُشَّاقَ الطَّرَبِ

الحكيم:

نور الهداية قد أثار طريقي	والحظ والتوفيق كان رفيقي
إني ابتُكِرْتُ مِنَ الْمَعَادِنِ آلَةٍ	سَمِّيْتُهَا بِالسُّلَمِ الْمَوْسِيقِيِّ!

يوبال:

إني ليسعدني النجاح وحسبها أَنْ تَوَجَّهْتُ بِالْفَوْزِ وَالتَّوْفِيقِ

الحكيم:

تَمَشَّتْ إِلَيْهَا قُلُوبُ الشُّعُوبِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِفَضْلِ الْعَجَمِ

حنين الأرواح

لقد أبدع الفُرس تصويرها فحازت رضاء جميع الأمم
وهذبها العرب من بعدهم بدر المعاني ونور الحكم

يوبال:

حديثك أنعش مني الفؤاد فزدني سرورًا بتلك الهمم

الحكيم:

سمت وارتقت وعلا نجمها وثغر التهاني لها قد بسم
بما نالها من يد الفاتحين كبار النفوس كرام الشيم
تجلت على الترك روح الأغاني فأوحت إليها بسر النعم
وكانت تفيض هبات الملوك على النابغين جزيل النعم
وقد أعجز الفن في وصفه فصيح اللسان، وأعيا القلم

الموسيقى والعيل

كأن الطبَّ أَعْيَاهُ اغْتِلَالِي
فغادرني أجوبُ ظلامَ يَأْسٍ
بحثُ عن الدواءِ فَعِيلَ صَبْرِي
سرت نحوي النسائمُ حاملاتِ
أغاريدًا وأنغامًا وشَدُوا
هلمُّوا أطربُوا سمعي وغنُّوا

وما أَلْقَاهُ من فَرَطِ الهُزَالِ
وَأَسْبَحَ بين أُمُوجِ الخَيَالِ
وضاعف ما أَعَانِيهِ ملالي
دواءٌ غيرت نجواه حالي
تمشت في دمي فارتاحَ بالي
فمن أَلْحَانِكُمْ تصفُّو الليالي

القطع الغنائية بقلم شجرة الدر

القطعة الأولى

يا طيورَ الرُّوضِ غنِّ واملئي الدنيا سرورُ
وابْدُ يا حُلُوَ التثَنِّي بين منثورِ الزُّهُورِ

* * *

جددي صفوَ الليالي يا عيونًا ساحراتُ
وانظمي دُرَّ اللَّالي يا ثغورًا باسماتُ

* * *

يا ملاكِ الحبِّ يا سرَّ الحياة يا سميرَ القلبِ في نجوى مُناه
أنتَ طيفُ الحظِّ ترمي بالمُنَى في ظلامِ اليأسِ أو نورِ النجاة

القطعة الثانية

أيُّها البلبِلُ غرِّدْ فوقَ ميايسِ الغُصُونِ
أطربِ السَّمْعَ وجدِّدْ صوتَكَ المُشجِّ الحُنُونِ

* * *

في أغاريد الهنا والغزل

وَأَنَاشِيدِ الْمُئَنَى وَالْأَمَلِ

قد صفا وقتُ الأغاني مُذْ بَدَتْ شمسُ الجَمالِ
وازدهي عيدُ التَّهاني في عُلَا ذاتِ الجَلالِ

درّةُ عصماءَ حلّت في سَمَا بُرْجِ السَّعودِ
هيبةُ الملكِ تجلّت حينَ حَيَّاهَا الوجودِ

صُنْ حماها في هنا المُلْكِ الأَمينِ
وَأَنزِلْهَا مُشْتَهَاهَا يَا إِلَهَ العالمينِ

أيامِ سعدكِ أَقْبَلْتُ يا رَبَّةَ الحُسْنِ البَدِيعِ
وشموسِ مُلْكِكِ أَشْرَقَتْ فاستقبلي المجدَ الرفيعِ

هيا إلى ذُرَا العُلا يا دُرَّةَ النِّيلِ الفريدِ
وعطّري مجدَ الألى يا زهرةَ الوادي السَّعيدِ

القطعة الثالثة

أَغِيدُ رَنَا أَهيفَ الْقَنَا ماسَ وَأُنثَنِي
في حلى الهنا

فاتن الدلال ساحر النظر

القطع الغنائية بقلم شجرة الدر

هَزَّهُ السُرور منعش الزهور كوكب القصور
مخجل البدور

رائع الجمال وجهه القمر

ظبية اللوى شفني الهوى قد عزّ الدّوا
والقلب انكوى

بالسّحر الحلال من طول السّهر

روغ يا سقام واقس يا سهام واهجر يا منام
ما احدى الغرام!

لو تمّ الوصال في صفو السمر!

تيهي وانعمي قد تمّ المنى طيبي واغنمي
أيام الهنا

يا ذات الجلال قد شاء القدر!

صحوة العلم ونشوة المال

الثري:

أَيُّهَا الْبَلْبَلُ هَيَّا غَنِّ لِي إِنَّ خَيْرَ الْعَيْشِ سَاعَاتُ الْهَنَاءِ

الموسيقي:

جَدِّدِي يَا نَفْسُ آمَالَ الْمُنَى وَأَنْفِ عَنِ عَيْنِي يَا طَيْفُ الْعَنَا
هَا هُوَ النِّشْوَانُ مِنِّْي قَدْ دَنَا فَاَنْتَصِرْ يَا فَنٍّ وَأَحْكَمْ بَيْنَنَا

الثري:

مَنْذُ حِينَ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَرَى أَهْلَ الطَّرَبِ

الموسيقي:

أَنْتَ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ أَنْتَ فِي أَسْمَى الرُّتَبِ
أَمْطَرْتَ سَحْبُ الْغِنَى فَوْقَ كَفَيْكَ الذَّهَبِ
تُطَرِّبُ النَّفْسَ وَتَلْهُو تَحْتَسِي بِنْتَ الْعِنَبِ
أَيَّ شَيْءٍ تَبْتَغِي حَيٍّ وَأَشْكُرُ مَنْ وَهَبِ

الثري:

بالمالِ كان غرامي وقد بلغتُ مُرادِي
فالיוםُ أصبحَ عِنْدِي لا يَسْتَمِيلُ فُؤادِي

الموسيقي:

كُلُّ حَكَمٍ في الوجود سابِقُ فيه القَدَرُ
من دنا منه السَّعْودُ لم يَذُقْ طَعْمَ الكَدَرِ

الثري:

دَعُ خيالات الحياة وَاعْتَنِمْ وقتَ السَّمرِ

الموسيقي:

كيف يَنْسَى القلبُ آه إن في الذكرى العِبرُ

الثري:

إني لأعجبُ أن تشتكِي وفيكَ تكاملُ فنِّ الطربِ
حُبَّتِكَ المواهبُ أَسْرارَها ومِنكَ تَقَرَّبَ أَهْلُ الأَدَبِ

الموسيقي:

تَدَفَّقَ حولِي بَحْرُ الفنون وأمطرُ فوقِي سحابُ النِّغَمِ
ومن عجبٍ أنني كلما نبغتُ أرى البؤسَ في احتكم

الثري:

غريبٌ على مِسْمَعِي ما تقول لأنَّ حديثَكَ شيءٌ عَجَبُ

الموسيقي:

بألذي أعطاك قل لي كيف يَنسَى الأغنياءُ
أن في الأموالِ حقًا من حقوق الفقراء؟

الثري:

دع أحاديث الثراء نحنُ في فنِّ الغناء!

الموسيقي:

لا يَبِينُ الحقُّ إلا حين ينجابُ الغطاء

الثري:

عشتُ في جوِّ السُرورِ بينَ آلاتِ الطَّرَبِ
أجتنى أشهى الزهور من بساتينِ الأدبِ

الموسيقي:

متَّعتَ سمعكَ بالنَّغمِ ورتعتَ في الرِّزْقِ الجَزِيلِ
قل لي بحقِّك ما ألذي قدَّمتَ للفنِّ الجميلِ؟

الثري:

أرى فؤادي يحنو إلى سماعِ الأغاني
أسعى إليها طروبًا كأنَّ وحيًا دعاني

الموسيقي:

لعلَّ كفك أَسَدَتْ للفنِّ بعضَ الأمانِي؟!

الثري:

إِنَّ بَسْطَ الكَفِّ طَبَعَ من طِبَاعِ المُسْرِفِينَ
يَعْقُبُ التَّبْذِيرَ فَقْرٌ بئسَ حَالُ النَّادِمِينَ

الموسيقي:

إِنَّ بذلَ المالِ جودٌ نعم أجرُ المُحْسِنِينَ

الثري:

لم أَجِدْ يوماً بمالي خِفْتُ من ذُلِّ الهوانِ
كنتُ أَخْشَى سوءَ حالي لو بدا غدرُ الزَّمانِ

الموسيقي:

اكتسبَ بالمالِ أجراً ليس للدُّنيا أَمَانُ

الثري:

نلتَ من سحرِ المَعَانِي سرّاً أعماقَ القُلُوبِ

الموسيقي:

يا نصيرَ الفنِّ هيا جُدْ كما جَادَ الكرامُ
لو منعتَ البرَّ عنا فعلى الدُّنيا السلامُ

الثري:

كَلَّفَتْ نَفْسَكَ نُصْحِي حَتَّى أَنْزَلْتُ طَرِيقِي
إِنِّي سَأَبْذُلُ مَالِي لِلْعِلْمِ وَالْمُوسِيقَى

مجد مصر

(١)

إِنَّ تَجْدِيدَ الْأَغَانِي فِي عُلَا الشَّعْبِ الْمَجِيدِ
مَذْ بَدَتْ شَمْسُ الْأَمَانِي فَوْقَ مَجْدٍ لَا يَبِيدُ

* * *

جَدِّدِي يَا مِصْرُ عَهْدًا كَانَ مِنْ أَبْهَى الْعُصُورِ
خَلَدَتْ عَلَيْهِ زَكَرًا لَمْ تُغَيِّرْهُ الدَّهَوَرُ

* * *

فِيهِ جَاءَتْ خَارِقَاتُ هُنَّ آيَاتُ الْفِطَنِ
أَسْفَرَتْ عَنْ مُدْهِشَاتِ بَهَرَتْ عَيْنَ الزَّمَنِ

* * *

كُنْتَ لِلْعُمْرَانِ كَنْزًا سَرَّهُ الْعِلْمُ الْعَجِيبُ
وَلِمَجْدِ الشَّرْقِ عِزًّا ذَكَرَهُ دَوْمًا يَطِيبُ

(٢)

يا مصر أَرْضُكَ تَبْرُ واديكَ مَهْدُ العِظَاتِ
يجري بِسَهْلِكَ نَهْرُ عَذْبُ فسيحِ فَرَاتِ

* * *

يا نيلُ مجراك تَسْرِي منه لمصر الحياة
ما دام ماؤك يجري فمصرُ دوماً فتاه

(٣)

يا حمام النيل غَنِّ مطرباً حُلُوَ النشيد
راق للغُصْنِ التثني في رَبِّ الوادي السعيد

* * *

أيها الشعبُ المُفَدَّى أنتِ مصباحُ الشعوب
نَلَتْ في التاريخِ مجداً منه تهتَزُّ القلوب

صوت الضمير

آن تبكيْتُ الضمير حينما حلَّ النَّدَمُ
وانجلى ليلُ السرور مُدُّ بَدَا صَبْحُ الألمِ

* * *

اعتبر يا ذا الجُحود إن في الذكرى العِبْرُ
كلُّ شَيْءٍ في الوجود تحت أحكام القَدَرِ

* * *

ليس للدنيا أمان فهي مرآة العَجَبِ
إن من طَبَعَ الزمان ساعة الصَّفْو الغَضَبِ

* * *

صحوةُ العمر خيالٌ بِاسْمٍ فيه الأملِ
لو دنا منه الزوال لم تُفِدْ فيه الحِيلِ

* * *

إنما الطيشُ هَوَانٌ ساقَهُ سُوءُ الأدبِ
فاحذروا كَيْدَ الحِسانِ واهجروا بِنْتَ العِنَبِ

* * *

انظروا آلام صَبِّ عاش في اللَّهْوِ سنين
واسمعوا أَنَاتِ قلب رَاعَهُ فَرَطُ الأنين

* * *

حيث ضيعت الشباب كن مدى العُمْرِ حزين
عش ذليلاً في عذاب إن للذكرى حنين

أناشيد مدرسية

(١)

إلى العِلا	إلى العِلا
بَلَّغُوا مِصْرَ الْمُرَادِ	يا شِبابَ النِّيلِ هَيَّا
وَارْفَعُوا مَجْدَ الْبِلَادِ	فاصْعَدُوا مَتَنَ الثُّرَيَّا
خَلِّدُوا الْمَاضِيَ الْعَجِيبَ	مِصْرُ يا مَهْدَ الْأَوَّالِي
فَوْقَ وَاْدِيكَ الْخَصِيبِ	شَيْدِي صَرْحَ الْمَعَالِي
فِي نِشَاطِ طَائِعِينَ	نَحْنُ لِلْعَلَيَاءِ نَسْعَى
كُلُّ أَوَّابٍ أَمِينُ	وَالْإِلَهُ الْحَيُّ يَرْعَى
لِلنُّهْيِ نُورَ الْيَقِينِ	مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ أَسْدَى
لِلْمُنَى الْفَتْحَ الْمُبِينِ	نَالِ تَوْفِيقًا وَأَهْدَى
مِصْرُ يا ذَاتَ الْجَلَالِ	مِصْرُ يا كَنْزَ الْغَوَالِي
وَارْفَعِي شَأْنَ الْهَلَالِ	جَدِّدِي عَهْدَ الْأَوَّالِي
أَنْتِ آمَالُ الْقُلُوبِ	أَيُّهَا الْوَادِي الْمُفْدَى
حَازَ إِعْجَابَ الشُّعُوبِ	قَدْ وَرَثْنَا عَنْكَ مَجْدًا
يا مِصَابِيحَ الْحَيَاةِ	هَذِّبُوا النَّشْءَ تَسْوِدُوا
تَغَنَّمُوا عَفْوَ الْإِلَهِ	وَانْشُرُوا الْعِلْمَ وَجُودُوا
فِي عُلَا الْوَطَنِ الْكَرِيمِ	إِنَّ بَذَلَ الرُّوحِ يَحْلُو
ذِرْوَةَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ	مَنْ أَرَادَ الْمَجْدَ يَغْلُو

مِصْرُ يَا كُلَّ الْأَمَانِي مِصْرُ يَا وَاِدِي الْكِرَامِ
حَقَّقِي عَيْدَ التَّهَانِي يَوْمَ نَحْطِي بِالْمُرَامِ

(٢)

إِلَى الْعُلَا هَيَا إِلَى رَبِّ الْعُلَا
شَيْبَةَ الشَّعْبِ الْمَجِيدِ وَعِطْرِي ذَكَرِي الْأَلَى
يَا زَهْرَةَ الْوَاِدِي السَّعِيدِ يَا مِصْرُ يَا أُمُّ الْقُرَى
يَا رَبَّةَ الْمَجْدِ الْعَظِيمِ لَا زَلَّتْ عَالِيَةَ الذُّرَا
مَهْدَ الْحَضَارَةِ وَالنَّعِيمِ إِنَّ الْمَعَارِفَ لَوْ سَمَتْ
أَحْيَتْ مَوَاهِبَهَا الْقُلُوبَ وَقَتَ الْبِلَادِ وَأَوْدَعَتْ
سِرَّ التَّقْدُمِ فِي الشُّعُوبِ بِالْعِلْمِ تَنْقَادُ الْمُنَى
طَوْعًا وَيَنْجَابُ الظَّلَامُ هَبْنَا الثَّقَافَةَ رَبَّنَا
حَتَّى نَرَى نُورَ السَّلَامِ يَا مِصْرُ يَا ذَاتَ السَّنَا
يَا كَعْبَةَ الْعِلْمِ الْعَجِيبِ تَفْدِي حِمَاكِ قُلُوبُنَا
وَشَبَابُنَا حَتَّى الْمَشِيبِ هَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
شَادُوا الصُّرُوحَ الْخَالِدَاتِ آثَارُهُمْ رَمَزُ الْعُلَا
شَهِدَتْ لَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ قُمْنَا لِتَثْقِيفِ النُّهَى
وَالْعِلْمِ مَطْلَبُهُ جِهَادُ لِلنَّفْسِ فِي تَهْذِيبِهَا
شَأْنُ لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ رَبِّ الْمَشَارِقِ إِنَّنَا
نَسْعَى إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ حَقَّقْ لَنَا أَمَانَنَا
وَأَمْنَحْ أَمَانِينَا النَّجَاحِ أَهْلَ الثَّقَافَةِ وَالْهُدَى
أَنْتُمْ مَصَابِيحُ الْحَيَاةِ لِلْعِلْمِ دُومُوا سِرْمَدَا
تُرْعَاكُمْ عَيْنُ الْإِلَهِ مِصْرَ الْفَرِيدَةِ جَدِّدِي
عَهْدَ السِّيَادَةِ وَالْجَلَالِ حَيِّ بَنِيكَ وَرَدِّدِي
ذَكَرِي انتِصَارَاتِ الْهَلَالِ

نشيد مدرسة خليل أغا

هَيَّا إِلَى طَلَبِ الْعِلَّا
سُدْنَا عَلَى كُلِّ أَلَمَّا
يَا رَبَّنَا هَيَّئْ لَنَا
كُنْ عَوْنَنَا وَارْأفْ بَنَا
هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا
حَتَّى تَتِمَّ لَنَا أَلْمَنَى
الْعِلْمُ نَبْرَاسُ بِهِ
مَنْ سَارَ فِي أَضْوَائِهِ
يَا مَصْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
يَا مَنْ لَهَا عَجَبُ الْوَرَى
هَآ نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
قُمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعِلَّا
خَيْرُ الْمَعَاهِدِ (دَارُنَا)
ظَفِرَتْ بِغَايَاتِ الْمُنَى
أَعْلَامُهَا أَسَدَوْا يَدَا
وَبِفَضْلِ نَهَضَتِهِمْ غَدَا
مَنْحُوا الثَّقَافَةَ حَقَّهَا
صَقَلُوا بِعِلْمِهِمُ النُّهَى

فِي نَهْضَةِ الْفَوْزِ الْمُبِينِ
حَمْدًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
مَنْ أَمَرَنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
يَا مَنْ عَلَيْهِ الْإِعْتِمَادِ
نَسْعَى إِلَى نَشْرِ السَّلَامِ
فِي ظِلِّ آبَاءِ كَرَامِ
نَسْمُو إِلَى أَوْجِ الْفَلَاحِ
يَحْظَى دَوَامًا بِالنَّجَاحِ
يَا رَبَّةَ الْوَادِي السَّعِيدِ
آثَارُ مَجْدِكَ لَا تَبِيدُ
خَضَعْتَ لِبَاسِهِمُ الْأُسُودُ
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجِدُودُ
أُولَى الْمَدَارِسِ فِي السَّبَاقِ
وَتَعَاهَدَا أَلَّا فِرَاقِ
لِلْعِلْمِ حَقٌّ لَهَا الثَّنَاءُ
سَيَرُ الْجَمِيعِ إِلَى ارْتِقَاءِ
وَسَعَوْا إِلَى نُورِ الْيَقِينِ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

يَا مَنْ رَفَعْتُمْ شَأْنَنَا	أَنْتُمْ لَنَا رُسُلُ السَّلَامِ
أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا	لَكُمْ الْفِدَاءُ عَلَى الدَّوَامِ
يَا صَفْوَةَ الْأَشْبَالِ قَدْ	شَمَلْتَكُمْ نَعِمُ إِلَهِ
حَيُّوا الْمُؤَدَّبَ وَأَشْكُرُوا	كَيْ تَغْنَمُوا صَفْوَةَ الْحَيَاةِ

نشيد مدرسة محمد علي

يا نشء للمجد هيا
إلى مناط الثريا
شادوا صرح المعالي
تشدو بما للأوالي
لمصر في الدهر مجد
باق ولو طال عهد
بالعلم تحيا الأمانى
يا مصر عيد التهاني
إننا نقوم الليالى
نرجو سماء المعالي
يا مصر تربك تبر
يجري بسهلك نهز
يا ملهم الرشيد إننا
ثقف نهانا وزدنا
خير المعاهد دامت
أعلام رشيد قامت
يا قادة النصح نلتهم
ثقفتمونا فكنتم

قد لاح نجم السعد
إلى مكان الجدود
فوق الربا شاهدات
في مصر من ذكريات
مخلد لا يغيب
رمز الجلال المهيب
بالعلم تسمو الشعوب
يوم أثلاف القلوب
في هممة وأجتهد
سعيًا لمجد البلاد
وأديك مهد العظا
عذب زلال فرات
نرجو الهدى والفلاح
علما وهيبا النجاح
أنوارك الساطعات
نحو العلا خافقات
بالعلم أسمى مقام
رسل الهدى والسلام

نشيد مدرسة عابدين

إِلَى الْعُلَا	إِلَى الْعُلَا
وَأَهْتَفُوا يَحْيَا الشَّبَابُ	سَارِعُوا نَحْوَ الْعُلَا
خَلِّدُوا الذِّكْرَ الْمُهَابُ	جَدِّدُوا مَجْدَ الْأُلَى
نحن أَشْبَالُ الْأُسُودُ	مصرُ يا كُلَّ الْمُنى
فوقَ وَاْدِيكَ شُهودُ	هَذِهِ أَهْرَامُنَا
كُلُّ آمَالِ الشُّعُوبِ	أَنْتِ يَا أُمَّ الْقُرَى
مُدَّ تَمَلَّكَتِ الْقُلُوبُ	نَلَيْتِ إِعْجَابَ الْوَرَى
وَأَتْنَا الْفَتْحَ الْمُبِينُ	هَبْ لَنَا مِنْكَ الْهُدَى
يا إِلَهَ الْعَالَمِينَ	نحنُ لِلنَّيْلِ الْفَدَا
فَوْقَهُ غَيْثُ الْحَيَاةِ	روضُنَا السَّامِي هَمَى
دَاعِي الْعَلِيَا دَعَاهُ	زَهْرُهُ لَمَّا نَمَا
سِرُّ إِصْلَاحِ الْبِلَادِ	إِنَّ تَهْذِيبَ النُّهَى
آنَ لِلنَّشْرِ الْجِهَادِ	مُدَّ تَجَلَّتْ شَمْسُهَا
فِي بَسَاتِينِ الْخُلُودِ	إِنَّمَا الْعِلْمُ الْحَيَاةُ
مَنْ لَهُ كُتِبَ السُّعُودُ	خَيْرُ مَا وَهَبَ إِلَهَ
بِالْكُنُوزِ الْغَالِيَا	مَهْدَنَا الْفَيَاضُ جُدَّ
عَزَمَ نَهَضَتَنَا ثَبَاتُ	صُنْ شَبِيبَتَنَا وَرَدَّ
بِالشَّبَابِ النَّاشِئِينَ	قَادَةَ الْعِلْمِ اصْعَدُوا

ديوان إسماعيل صبري

لِلْمَعَالِي جَاهِدُوا نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

نشيد مدرسة القربية

إِلَى الْعُلا
لِكُلِّ مُجِدِّ سَعَى لِلنَّجَاحِ
حَنَانًا طَرِيقَ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ
وَهِيَّءَ لَنَا مِنْكَ صِدْقَ الْيَقِينِ
فَجِدْ بِالرِّضَاءِ عَلَى النَّاشِئِينَ
وَيَبْعَثْ فِي النَّفْسِ رُوحَ الْكَمَالِ
كَسَتْهَا الثَّقَافَةُ ثَوْبَ الْجَلَالِ
قَرِيبُ التَّدَانِي لِعَزْمِ الشَّبَابِ
أَذْلُوا الْأَسْوَدَ وَسَاقُوا السَّحَابِ
وَفَوْقَ الْهَضَابِ لَهُمْ مُعْجَزَاتُ
رَوَاسِي رَغَمِ الْبِلَى خَالِدَاتُ
دَوَامًا مِنَ الْمَهْدِ حَتَّى الْمَشِيبِ
سَرَّاجُ هُدَى نُورِهِ لَا يَغِيبُ
وَأَنْمَرَ فِي النَّفْسِ غَرَسَ الْعُلُومِ
تُبَارِكُ أَقْمَارُنَا وَالنُّجُومِ
بِدَوْرِ الْهَدَايَةِ رُسُلَ الْحَيَاةِ
صَعَابُ الْأَمَانِي بِفَضْلِ الْإِلَهِ
وَهَذَّبْتُمُونَا فَحُقَّ الثَّنَاءُ

إِلَى الْعُلا
تَرَوْقُ الْمَعَالِي وَتَصْفُو الْمُنَى
فِيَا مُلْهِمَ الرُّشْدِ هَيَّءْ لَنَا
إِلَى الْعِلْمِ نَسْعَى فَكُنْ عَوْنَنَا
لَكَ الْأَمْرُ وَحَدِّكَ يَا رَبَّنَا
سُمُّ الْمَوَاهِبِ يُحْيِي النَّهْيَ
مَتَى تَمَّ لِلنَّفْسِ تَهْذِيبُهَا
إِلَى الْمَجْدِ سِيرُوا فَصَرِّحُوا الْعُلَا
هَلُّمُوا فَلَبُّوا نِدَاءَ الْأَلَى
لَهُمْ فِي بُطُونِ الثَّرَى آيَةٌ
لَأَثَارِهِمْ فِي الْوَرَى مَنَعَةٌ
تُقَدِّيكِ يَا مِصْرُ أَرْوَاحَنَا
فِيَا رَبَّةَ الْمَجْدِ كُونِي لَنَا
زَهْوَرُ الْمُنَى فِي النَّهْيِ نَوَّرَتْ
وَشَمْسُ الْعُلَا فَوْقَنَا أَشْرَقَتْ
رِجَالُ الثَّقَافَةِ أَعْلَامُنَا
صَقَلْتُمْ نُهَانَا فَلَانَتْ لَنَا
وَأَرْشَدْتُمُونَا فَنِلْنَا الْمُنَى

ديوان إسماعيل صبري

فَدُومُوا لِرَفْعَةِ أَوْطَانِنَا وَفَوْزُوا كِرَامًا بِخَيْرِ الْجَزَاءِ

نشيد مدرسة الشيخ صالح

إِلَى الْعُلَا يَا مَعَهْدَ التَّعْلِيمِ قَدْ
أُولَاكَ بِالنَّعَمِ إِلَه فُزْ وَأَنْتَصِرْ وَأَغْنَمْ وَسُدْ
وَأَشْكُرْ مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ الْعِلْمُ نَبْرَاسُ الْهَدَى
يَدْعُوا إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ يُهْدِي الْبَسَالَةَ وَالنَّدَى
لِمَنْ أَعْتَلَى صَرْحَ النِّجَاحِ يَا مَصْرُ عَهْدُ شَبَابِنَا
وَقَفْ عَلَى الْعِلْمِ الْمُنِيرِ حَتَّى تَتِمَّ لَنَا الْمُنَى
فَالِى عُلا الْوُطَنِ الْمَسِيرِ يَا مَصْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
يَا رَبَّةَ الْوَادِي الْكَرِيمِ لِعَلَّاكَ خَاصَمْنَا الْكَرَى
سَعِيًّا إِلَى الشَّرَفِ الْعَظِيمِ هَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
آثَارُهُمْ رَمَزُ الْخُلُودِ قُمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعُلَا
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجُدُودُ مَصْرُ الْعَزِيزَةِ رَحْبِي
بِبَنِيكَ أَشْبَالِ الْأَسُودِ حَيِّي شَبَابَكَ وَأَطْلُبِي
عَلِيَاءَ مَجْدِكَ أَنْ تَعُودَ أَنْتِ السَّعَادَةُ وَالْمُنَى
تَرَعَاكِ عَيْنٌ لَا تَنَامُ أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا
رَهْنُ الْجِهَادِ عَلَى الدَّوَامِ كُنْ عَوْنَنَا يَا رَبَّنَا
وَأَكْتُبْ لَنَا الْقَوْرَ الْمُبِينِ هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا
نَسْعَى إِلَى نُورِ الْيَقِينِ

نشيد مدرسة مصر الجديدة

رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا
هَبْ لَنَا التَّوْفِيقَ دَوْمًا
وَأَمَلًا الْأَمَالَ عَزْمًا
صَنْ لَنَا الْآبَاءَ عِزًّا
وَأَجْعَلِ الطَّاعَةَ زَادًا
إِنَّ كُنْزَ الْعِلْمِ بَحْرٌ
لِلْعُلَا سَيْفٌ وَبَدْرٌ
اطْلُبُوا الْعِلْمَ دَوَامًا
مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ يَحْظَى
يَا كِرَامَ النَّشْءِ هَيَّا
وَارْفَعُوا فَوْقَ الثُّرَيَّا
بَلِّتْ يَا مِصْرُ الْمَعَالِي
فَاذْكُرِي عَهْدَ الْأُولَى
أَيُّهَا الْوُطَنُ الْمَفْدَى
عَزَّ مَنْ أَوْلَاكَ مَجْدًا
مِصْرُ يَا كُلَّ الْمُنَى
جَدِيدِي الْمَجْدَ لَنَا

أَنْتَ خَيْرُ الرَّاجِمِينَ
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
وَاهِدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
يَا بَصِيرًا بِالْعِبَادِ
إِنَّهُمْ رَمَزُ الْحَنَانِ
لِلْفُؤَادِ وَلِللِّسَانِ
لَا يُهْدِدُهُ النِّقَادِ
نَشْرُهُ يُخَيِّ الْبِلَادِ
فَهُوَ مِصْبَاحُ الْفَلَاحِ
بِالْأَمَانِي وَالنَّجَاحِ
صَافِحُوا نَجْمَ السُّعُودِ
مَجْدَ آثَارِ الْجُدُودِ
مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
وَارْفَعِي شَأْنَ الْبَنِينَ
قَدْ وَهَبْنَاكَ الْحَيَاةَ
وَلَيْدَمُ فَضْلُ الْإِلَهِ
نَحْنُ أَشْبَالُ الْأُسُودِ
فَوْقَ أَبْرَاجِ السُّعُودِ

بَيْنَ جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ	إِنَّا لِلْعِلْمِ نَسْعَى
كُلُّ مَنْ رَامَ الْجِهَادَ	وَعُيُونُ اللَّهِ تَرَعَى
مَعَهُدُ الْعِلْمِ الْمُنِيرِ	مَهْدُنَا مِصْرُ الْجَدِيدَةِ
فَضْلُهَا فِينَا كَبِيرُ	دَارُ تَهْذِيبِ مَجِيدَةِ
مِلْؤُهَا نُورُ الْيَقِينِ	قَدْ حَوَتْ أَتَقَى قُلُوبِ
فِي رِجَالِ عَامِلِينَ	رُوحُ آدَابٍ وَعِلْمِ
لِلْهُدَى رُسُلُ السَّلَامِ	يَا رِجَالَ الْعِلْمِ أَنْتُمْ
أَحْسَنَ اللَّهُ الْخِتَامِ	يَرْجِعُ الْفَضْلُ إِلَيْكُمْ
أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ	رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ	كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا

الجزء الخامس

ربية الكوخ

مسرحية مترجمة عن تشارفس جارفيس

أسهم الشاعر في الحركة الفنية في عصره بتأليف وترجمة بعض المسرحيات، وقد اخترنا هذه المسرحية المترجمة إلى اللغة الفصحى لتكون دليلاً على العمل الفني الذي كان يقدمه.

الفصل الأول

المنظر الأول

[غرفة بكوخ المطحنة بإحدى قرى برنستابل على نهر التو]

(مائدة حولها ثلاثة مقاعد. ليرا جالسة وفي يدها كتاب. تضعه)

ليرا: ما أهنأ هذه الحياة. وما أسعدنى بين هذين الشيخين الجليين: والد كرس حياته لتهديب ابنته التى انقطع من أجلها عن العالم، وخادم أمين ما ترك لحظة من ثمين وقته إلا نفحها فيها بغوالى نصائحه. فليباركهما الله كما سهرنا على نعيمى. (تقف) أماه! أماه! أين أنت الآن؟ كيف تتركينى فى الربيع الأول من زهرة شبابى؟ يا ترى أين أجذك يا من أسأل الله لك الرحمة؟ أمي! أو ما علمت أن ابنتك تحن إليك كما لو كانت بين ذراعيك. إلهي؟ أين أجدها؟

آدون تشستر (يدخل): تجدينها فى شخصي يا عزيزتي. أنا أمك وأبوك، يا زهرة الربيع. فهل تشكين أُلما؟

ليرا (تطوق أباها بذراعيها): كلا يا أبتى. إنما أراني أحن كثيراً إليها. وما خلوت بنفسى لحظة إلا رأيت خيالها الطاهر يبسم لى عن ثغر لعبت به يد البلى. وكثيراً ما شعرت بيمينها تمسح على شعري، كأنها تسألني الصبر على فراقها. فأشعر إذ ذاك براحة. وما هي إلا هنيهة حتى أفيق من خيالي، فأندب سوء حظي.

تشستر (يسقط على الكرسي): يا لها من ذكرى مؤلة. ليرا! (يمسح شعرها) تناسي تلك الشواغل. واطردي تلك الخيالات.

جرفث (يدخل): ها قد أحضرت الحطب يا مولاي. فهل من حاجة قبل أن أبدأ في تجهيز الطعام.

تشستر: نعم. (ينظر إلى ليرا) نسيت نظارتي بجانب الكتاب الذي كنت أطلع فيه على المائدة. فهل لك أن تحضرها يا ليرا (ليرا تخرج).

جرفث! ما أصعب الدين. الدين هم بالليل ومذلة بالنهار.

جرفث: هون عليك سيدي. فربما ارتفعت الأسهم التي لك في الشركة، فتنظم لنا أسباب الحياة.

تشستر: هذا كل ما بقى لي من أمل. **جرفث**! إنني أريد الجريدة. فاذهب إلى پترال وسل جريلى أن تعطيكها، وبلغها تحيتي. (لنفسه) عسى أن يكون فيها تفريج كربتي.

جرفث: سأذهب حالا.

ليرا (تدخل): ها هي النظارة يا أبت.

تشستر: شكراً لك يا ابنتي (يقبلها ثم يقف) هيا بنا إلى الحديقة يا عزيزتي. (إلى **جرفث**) إني منتظر.

ليرا (تبقى ويخرج **تشستر**): إلى أين يا **جرفث**؟

جرفث: إلى پترال.

ليرا: ولماذا؟

جرفث: لأحضر شيئاً لأبيك، يا عزيزتي.

ليرا: دعني أذهب بذلك، فأنت تعب كما يلوح لي..

جرفث: لا يا مس ليرا. فأنا لا أزال أشعر بقوة شبابي تتضاعف. ذلك لأنني أوقفتها على رعايتك.

ليرا: أنت تثق بحبي إياك. ولو كان في وسعي أن أقوم بكل شئون المنزل ما توقفت عن ذلك لحظة.

جرفث: شكراً لعواطفك.

ليرا: وتعلم أيضًا أن سعادتي في ركوبى القارب. فلماذا تمنعنى عن الذهاب إلى
پترال حيث أعبّر النهر، فأتسلى.

جرفث: ولكن ...

ليرا (تطوقه بذراعيها): لا تعاند من أحبّتك.

جرفث: بارك الله فيك يا عزيزتى. سأذهب حالا لأعد لك القارب. (يخرج).

تشستر (يدخل وفي يده كتاب): هل ذهب جرفث يا عزيزتى؟

ليرا: نعم. ذهب ليعد لي القارب يا أبتاه.

تشستر: لك أنت، ولماذا؟

ليرا: لأنى سأذهب بنفسى لإحضار حاجتك من پترال.

تشستر: وهل تعلمينها؟

ليرا: لا. وهل عندي علم الغيب؟

تشستر (بوداعة): وكيف تحضرين ما لا تعرفين؟

ليرا: سأسأل جرفث متى ركبت القارب.

تشستر: ولم اخترت الذهاب بنفسك ومنعت جرفث؟

ليرا: لأنه تعب جدًا يا أبى. وأحب أن أساعده ليستريح قليلا.

تشستر: وهل يسعدك أن تخدميني يا ليра؟

ليرا: هذا كل مناي يا أبى. هل تثق بخدمتي بعد ذلك؟

تشستر: حسنًا يا ليرا. إنى أريد الجريدة، فقد كانت مسز جريلى تعيرني إياها

كلما أردت.

ليرا (تبتسم): نعم. (تشستر يجلس ويقرأ).

أتسمح لي أن ارتدي معطفي وقبعتي؟

تشستر: لك ما أردت (تخرج). ما أشد حبي إياها إنها لا تعرف شيئًا عن الدين.

حسنًا فلتذهب.

ليرا (تدخل بالقبعة والمعطف على يدها): ها أنا ذي.

تشستر: إليّ كي أقبلك (يقبلها. تخرج. لنفسه) إن ذكرى الماضى تؤلم الشيخ.

ثروة زالت، وزوجة طاهرة ماتت. يال هول كل ذلك! أو لم تكفني تلك المصائب، حتى

أرزح تحت عبء لم أتعوده من قبل! الدين! الدين! ما أصعب احتمال هذه الكلمة! بل

ما أشد وقعها على سمعي! رحماك يا إلهي! (يدخل جرفث) هل ذهبت ليرا؟

جرفث: نعم.

تشستر: وهل علمت شيئاً عن سبب إحضاري الجريدة؟

جرفث: كلا. إنها لا تعلم عن العالم سوى شيئين.

تشستر: وما هما؟

جرفث: أولهما أنك أبوها. وثانيهما أنني خادمها الأمين.

تشستر: ما أسعدها، وما أشقاني!

جرفث: هون عليك يا سيدي.

تشستر: لتكون مشيئة الله إمض، أنت إلى عملك. وسأحضر إلى غرفة المائدة بعد أن

تعود ليرا.

(يخرج جرفث. تشستر يعود إلى القراءة. بعد قليل ينظر في ساعته).

تشستر: عجباً لقد انقضت ساعتان ولم تحضر ليرا. كيف تأخرت إلى هذا الحد والمسافة لا تحتاج إلى أكثر من نصف ساعة. (يقف ويسير نحو الباب) جرفث! جرفث!

جرفث (يدخل): بماذا يأمر مولاي؟

تشستر: لقد تأخرت ليرا. أليس كذلك؟

جرفث: لعل مسز جرپلى ...

تشستر: دعتها لتناول الغداء؟

جرفث: ولم لا؟

تشستر: ليس ذلك من عادتها. وقلبي يحدثني بأن هناك سبباً آخر.

جرفث: لا أظن. فأنا أعرف قلب الطائر الذي أربيه.

تشستر: لقد داخلني الشك في تأخرها. إذهب أنت إلى عملك. وسأستريح قليلاً في

مخدعي حتى تحضر. (يخرج).

لورد أمتاريدج (يدخل مبلل الثياب وليرا معه تمسح الماء عنه بمنديلها، وفي يسراها

الجريدة): أظنني لم أفهم قوانين هذه اللعبة الغريبة.

ليرا: أية لعبة تعني؟

داين: لا أعني شيئاً وأسأل الله أن تكوني سالمة من كل أذى.
ليرا: نعم. إنى سالمة. ولكن ما الذي حملك أنت على الاستحمام بملابسك؟
داين: استحمام! (بدهشة) إنك سليمة النية يا حسناء.
ليرا (بوداعة): لست أفهم معنى ما تقصد.
داين (يعصر كُم قميصه): إنك تعرفين ما يجول بخاطري، يا سيدتي. لقد ظهر لي أنك لم تكوني في خطر، ولكنك كنت تستغيثين.
ليرا: أنا؟ أوافق أنت مما تقول؟ إنني كنت أغرد لأداعب طيور الماء ... أهذه في عرفك إستغاثة؟
داين: تغردين، (بعجب) ما أشد وهمي!. لقد حسبتك تغرقين ... لذلك بادرت إلى إنقاذك بأن قذفت بنفسي في الماء قبل أن أفكر في خلع ملابسي.
ليرا: لقد أخطأ ظنك يا سيدي.
داين: مصادفة عجيبة.
ليرا (مبتسمة): أما أنا فكنت أظنك تغرق ... ولذا أسرعت لنجدتك بقاربي. وكنت أنت تحسبني أغرق فقذفت بنفسك لإنقاذي. فكلانا فعل الواجب عليه.
داين: لقد أصبحت مديناً لك بحياتي يا سيدتي.
ليرا (بنظرة شفقة وحنو): إنه ليسعدني أن أراك دائماً. إن بيتنا هو هذا الكوخ الصغير. أما أنا فأعيش بين شيخين: والد كريم، وخادم أمين..
تشستر (يدخل): لماذا تأخرت يا ليرا، وأين الجريدة؟ (دون أن يلتفت إلى اللورد).
ليرا: لقد أحضرتها يا أبي (مشيرة إلى داين). وقد أوشك أن يغرق.
تشستر (يتناول الجريدة.. إلى داين): أراك مبتل الثياب.
داين: نعم يا سيدي. ولولا ابتك لكنت الآن من سكان جوف السمك.
تشستر (بدون اكتراث): أتحب أن تجفف ثيابك عندنا؟ (يتردد اللورد بين الشيخ وليرا ولا يتكلم).
ليرا (لداين): لماذا لا تقبل دعوة أبي؟
داين: قبلت دعوتك يا سيدي.

تشستر: تفضل فاجلس. (يجلسون).
داين: أقدم لك نفسي. أنا من أسرة أرمتايدج، واسمي داين.
تشستر: وأنا من عائلة تشستر، واسمي أدون، وهذه ابنتي ليرا، وهذا منزلي.
داين: إنني أعرف بعض أفراد هذه الأسرة الكريمة.
تشستر (بلهجة حزن): أما أنا. فلم أرى أحداً منهم منذ سنين، وكأني آلم من ذكر الماضي (إلى اللورد) إنني سعيد بزيارتك.
ليرا: وأنا أيضاً أشارك أبي في هذه السعادة.
داين: شكرا، يا سيدي. وأنت يا منقذة حياتي.
تشستر: من أين أنت قادم، يا مستر داين؟
داين: من لندن للترويح عن النفس، ولقد صدق من قال: إن السفر قطعة من العذاب..

تشستر: وأين كان السفر؟
داين: إنني قضيت أكبر شطر من حياتي في السياحة: فجبت فيافي أيسلنده وسهول روسيا، وغابات الهند وسيلان وجزائر الهند الشرقية والهند الغربية. وأواسط افريقية، وهضاب الكونغو والكمرون والحبشة، ومنابع النيل، والنيجر والمزون، والمسيبي وسانت لورنس؛ تلك المناظر التي تأخذ بمجامع القلوب، وكذلك زرت أعظم مدن أمريكا، وأستراليا حبا في الوقوف على أخلاق الناس وشغفا بمناظر الطبيعة، ورغبة في الصيد والتسلية.

تشستر (يتفرس فيه بعد أن يصلح نظارته): وهل كنت تستطيع الوفاء بنفقات هذه السياحات الطويلة؟

داين: هذا سهل جدا، لأن والدي يدفع ما أحتاج إليه بسخاء.
تشستر (بإعجاب): إنه على ما يظهر واسع الثروة. وهل كنت سعيدا في سياحتك الأخيرة.

داين: بدون شك.
تشستر: وهل أنفقت زمنا طويلا في رحلتك الأخيرة يا مستر داين؟

داين: نعم يا سيدي، لقد قضيت فيها ثلاث سنين متواليات.

ليرا: وكيف كنت تصبر على فراق أبويك؟

داين: ليس لي غير والد شيخ، لا يترك القلم طرفة عين، وهو الذي حُبب إلي السفر رغبة في تهذيب أخلاقي، ونمو معلوماتي، كي أتمكن من احتلال مركزه في المستقبل.

ليرا (بحزن): وأمك، هل فارتكت صغيرا كما فارتقتني أمي؟

داين: نعم، تركتني في المهدي.

ليرا: إنها... (يقاطعها الشيخ ليغير الموضوع).

تشستر: ومتى عدت من هذه الرحلة يا ضيفنا العزيز؟

داين: منذ شهر.

تشستر: هل رأيت الصين، يامستر داين؟

داين: كلا، لقد كان في نيتي أن أقضي شطرا من حياتي في الصين، واليابان، غير أن صديقا لي دعاني وأنا في كلكتا إلى سنغافورة احتفالا بعيد ميلاده فلبيت الدعوة. وكان الجو في سنغافورة حار جدا، ومع أن البلدة آية في الإبداع والرونق لم أتمكن من المكث بها سوى ثلاثة أيام، ولما عذمت على العودة إلى برنامجي الأول، من زيارة بكين، ويوكوهاما، وطوكيو، حُبب إلي صديقي تغيير هذا البرنامج، والإستعاضة عنه بزيارة منحدرات نياجرا في أميركا. ورأيت أن أوافقه إذا شاركني فيها فكان أنيسي في تلك الرحلة الطويلة. وما مالت الشمس للمغيب إلا وكنا على ظهر الباخرة.

ليرا: واعجبا! إنني لم أسمع مثل هذا الحديث من قبل.

تشستر: وهل رأيت أن صديقك كان محقا في وصفه، أم أنه أسرف في المبالغة.

داين: إن ما رأيته من جلال النظر كان أضعاف ما وصفه لي صديقي: رأيت الجبال هناك يعلوها الجليد الناصع البياض ورأيت، الينابيع ينحدر ماؤها من ارتفاعات هائلة، وشاهدت ماءها المتدفق وكأنه صيغ من سبائك الذهب، وقد تناثرت حولها قصور عشاق المناظر الجميلة.

تشستر: أنت شاهدت، إذا، أجمل مناظر العالم.

داين: تقريبا..

ليرا (لداين): أما أنا فلم أر غير هذا المكان، يا سيدي؛ ولم أعرف مخلوقا آخر غير أبي وجرفث ومسر جربلي جارتنا.
داين: ومن هو جرفث؟
ليرا: هو خادمنا الأمين.
تشستر: هل تسمح لي يا مستر دايين أن أذهب إلى مخدعي لقضاء بعض العمل؟
(يقف).

داين (يقف وتقف ليلا): كما تريد يا سيدي.
تشستر: شكرا لك (يخرج).
داين (ينظر إلى ليلا بإعجاب): أرى كوخكم هذا أشبه شيء بصومعة ناسك. لقد انفرد بالجمال في هذه البقعة المنعزلة. مس ليلا! أتعيشين هكذا وحدك؟ إنها لعيشة جافة. ألا تشعرين بذلك؟
ليرا: لم أفكر في ذلك قط. فقد ألفت هذه الحياة منذ طفولتي.
داين: أليس لكم أصدقاء؟
ليرا: ما أظن أن لنا صديقا. أراك تستغرب كلامي، فهل هو غريب حقا؟
داين: لا داعي للغرابة، فيما أظن. ولكن أسعيدة أنت بهذه الحياة المملة؟
ليلا (ببساطة): لم لا أكون سعيدة؟ وكيف تصف هذه الحياة بالملل؟ أنت كثير الأصدقاء؟

داين: إني كثير الأصدقاء. ذلك لأن أبي كثير الإختلاط بالناس. ألم تسمعي عن آستار منستر؟
ليرا: لم يرد على سمعي هذا الإسم قط. وهل تسكن أنت وأبوك بيتا واحدا؟
داين: أبي يسكن ستار منستر، أما أنا فدائم التنقل. إنه في عمل مستمر، وأنا في فراغ دائم.

ليرا: وهل هو راض عن ذلك؟
داين: كلا.. إننا في نزاع دائم: هو يريد أن أكون معه في مجلس النواب، أو على الأقل أن أخلفه فيه.

ليرا: ولماذا ترفض ذلك المركز العظيم الذي تتمناه النفوس؟
داين: لأنني لست من رجاله.
ليرا: وكيف اتفق ذلك وأنت في نضارة الشباب؟
داين: أميل بطبعي إلى الراحة والسكون. ولا أعشق في هذا العالم سوى (يتوقف)

...

ليرا: سوى ماذا؟ ما بالك تفكر؟
داين: سوى الرحلات والمناظر الجميلة.
ليرا: ولكن ألا تفضل ذلك المركز السامي على تلك الأمانى التي لا تلبث أن تزول؟
داين: ربما فكرت في ذلك فيما بعد.
ليرا: يظهر لي أن أباك من أركان هذا المجلس العظيم.
داين: كان عضوا في البرلمان قبل أن ينتقل إلى مجلس اللوردات.
ليرا: نعم، فهمت. فهو إذن لورد.
داين (يحنى رأسه): نعم. هو لورد آرل ستار منستر. ألم تطعي على شيء من أخباره؟ ذلك لأنه لا تخلو صحيفة في لندن من ذكر اسمه.
ليرا: لسوء حظي أنني لم أتعود مطالعة الصحف. لكن لماذا يذكرون اسمه دائما؟
داين: لأنه من الوزراء، ومركزه يقتزن بجميع الحوادث العظيمة. (يصمت) عفوا يا مس ليра، فقد أتعبتك بهذا الحديث الممل.
ليرا (باحترام): لا مستر داين. ولكن عفوا لجرأتى. بماذا يجب ان أدعوك منذ الآن؟
نعم، لقد اهديت. لورد داين. (تنحني).
داين (يبتسم): أنا لا أود أن أسمع من هاتين الشفتين الجميلتين سوى داين فقط.
ليرا (بخجل): لك ما تشاء.
داين: هل تعلمت شيئا من الموسيقى؟
ليرا (باستغراب): وكيف أعرفها، وأنا بين شيخين لا يتكلمان إلا عند اللزوم؟
داين: مسكينة أنت يا ليرا. والتصوير؟ وصيد السمك؟
ليرا: لا هذا ولا ذاك. وهل تصيد النساء السمك؟

داين: إنه من ألد متعهن. ولو كانت هناك قسبة لعلمتك الصيد في ساعة واحدة. فقد علمت ابنة عم لي (يتوقف) فنبغت فيه، ولكنها لم تستمر.
ليرا: لأنها ملت الصيد، أم ألهاها شيء آخر عنه؟
داين: لا، بل خطر لها أن الصيد خطيئة. إذ بسببه يقع الظلم على الحيوان المسكين.

ليرا: وكيف خطر لها ذلك؟
داين: في العالم أناس كثيرون لا يأكلون ولا يشربون ولا يتحركون قبل أن يتساءلوا عما إذا كان في ذلك خطيئة. وثيودوسيا ... (يتوقف).
ليرا (تقاطعها): ثيودوسيا! ما أغرب هذا الاسم. لا شك أنه اسم ابنة عمك.
داين: نعم (يدخل تشستر).
تشستر: أرجو أن تعفون جرأتي لدخولي عليكما بغير استئذان.
داين (يقف): إن ذلك يضاعف سرورنا.
ليرا: إن سعادتي في أن أراك يا أبي. ألا توافقني على ذلك يا مستر داين؟
داين: وهل في ذلك شك؟
تشستر: إنا نعتبرك صديقنا من اليوم. فلا تحرمنا من زيارتك كلما سنحت لك الفرص. وأنا على يقين من أنك ستجد في كوخنا وما حوله من مناظر الطبيعة خير تسلية لك. أليس كذلك يا ليرا؟
ليرا: هذا يحتاج إلى برهان. وأنا أضم صوتي إلى صوت أبي، عسى صوتانا يجدان إلى قلبك سبيلا.

داين: إن لساني ليعجز عن وصف شكري لعواطفكما. وإنني أهني نفسي بهذه الصداقة وأسأل الله أن تكون سبب هنائي (ينظر إلى ليرا) وتأكدي يا مس ليرا أنني لا أنسى ما لك علي من جميل. وإنني أعدك ألا أترك فرصة تسمح لي بزيارتكما دون انتهازها (يقف) لقد مضى النهار، وأخاف أن يداهمني الليل. والطريق وعمر. فأستودعكما الله.
تشستر (يقف): ألا يمكن أن تقضي معنا هنا هذا المساء؟
ليرا (باستعطاف): نعم، ألا يمكن؟

داين: كان يسرني ذلك جدا، لو لم أكن مضطرا أن أصل برنستابل الليلة لدواع مهمة، ويمكنني ان أراكما في صبيحة الغد.

تشستر: حسنا.

ليرا: أصحيح هذا؟ أيمكن أن أسعد بزيارتك غدا؟

داين: سأبذل قصارى جهدي. (يضافهما) إلى الغد. وما الغد ببعيد.

تشستر: إلى الملتقى يا مستر دايين، إنى على أهبة استقبالك غدا. (إلى ليلا) أنا ذاهب إلى غرفتي، وبعد أن تودعي ضيفنا العزيز ... (يخرج تشستر).

داين (يمسك يدها بيديه): أتظنين أن في صيد السمك خطيئة، كما تتوهم أترابك؟ ليلا: وما اخطيئة في ذلك؟

داين: إذا سأعود غدا لأعلمك الصيد، إلى الملتقى (يخرج).

ليرا: رعتك عين العناية. (لنفسها) ما أجمله! وما أرق حديثه وأعذبه! إنه لورد غني شريف، نعم إنه الابن الأكبر لأيرل استار منستر، وكفاه ذلك فخرا. (تتنهد) أما أنا، أنا ابنة الشيخ تشستر، ربيبة الكوخ. آه. أين هذا الكوخ الحقيق من ذلك القصر الكبير؟ ولكن (بشمم) مالي وهذه الأحلام التي تسبح بي في عالم الخيال؟ كيف للأرض أن تساوي القمر في رفعتة؟ كفاني سعادة أن أهبط من سماء منزلته العالية، وقبل أن يتدانى فيصادقني.. (تصمت) ثيودوسيا، ثيودوسيا. من هي. آه، إنها ابنة عمه، إنها صاحبة قصر وخدم، غنية ونبيلة. إنهما متناسبان وميكافئان ثروة وجاها. ويلاه! ماذا أصابني! أحسد نعمة أسداها الله إلى غيري؟ إن هذا هو عين الحماقة. ما أضعف قلب النساء! يجب أن ننتظر الغد ... (تقف) وما الغد ببعيد. (تمشي إلى الباب وتخرج).

(تطفأ الأنوار. يتغير المنظر بغاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بفندق برنستابل. جاك خادم الفندق يرتبها. الوقت ليلا)

جاك: ما أشد هوس هذا السيد! إن انتسابه إلى أسرة ارمتايدج لفلتة من فلتات الطبيعة! (يضحك) شاعرا! (يضحك) شاعر مختل الشعور! لا يعي ما يكتب ولا يفهم معنى ما يقول، يسطو على قصائد جونز وبرونتج فيسرق ما يروق له منها وما أسرع ما يغير الغرض ثم ينسب ذلك الجهل إلى نفسه. (يضحك) ومن أقبح ما سمعت أنه يغني! (يضحك ثم يجلس) مسكين شاب، قوي غني غير أنه مرتبك العقل، ضعيف الإرادة، بليد الذاكرة. والأدهى من ذلك أنه جبان، سلبه الجبن كل علائم الشرف.. وهو فوق هذا وذاك رسام و ... (يضحك) يدعي انه فنان يصور حقائق الأشكال. والحقيقة أنه يقلب المرئيات كما تفعل عدسة الآلة الراسمة.. (يضحك) فينقش بذلك صورا لا يفقه ما ترمي إليه إلا هو وحده. (يضحك) ولكن مالي وجهله؟ الدينار هو هدي. فما دام يحب الألقاب، ويعشق الظهور الكاذب، فسأملأ منه جيوبي ذهبا، وليس له إلا أن أقول: حضر السيد تشاندس. تفضل يا مولاي. الجميلة سألت عن اللورد. ما أجمل هذه الصورة! ما أبدع هذا الخيال! ما أطرب هذا اللحن! ما أمتن هذا النظم! إني أسمع وقع أقدام، فمن الزائر يا ترى؟ لعله هو المعتوه. (يجري إلى الباب).

داين أرمتايدج (يدخل داين ومعه أدوات الصيد): أنت هنا يا جاك؟
جاك (ينحني): في خدمة مولاي.

داين: حسنا، خذ هذا إلى غرفتي الخاصة، وأعد المائدة.

جاك (يأخذ الأدوات): هل سيدي اللورد ضيفنا الليلة؟

داين: نعم. (يجلس، يخرج جاك. داين لنفسه) لقد وعدتها بأن أعود في الغد، وما أشد سرورها بذلك. مسكينة، ما أضيعها في ذلك المكان المنفرد! إنها تعيش كراهبة. تصبح وتمسي بين شيخين يمثلان الفناء بأجلى معانيه. فما أقسى الدهر، وما أعجب أطواره. يجب أن ترى لندن. يجب أن ترى السعادة وترفل في لباس النعمة والهناء.

تشاندس (يدخل وفي يده ورقة وقلم): آه. ابن العم. هل أنت هنا يا لورد؟

داين (بازدراء): أي شيطان حملك إلى هذا المكان؟

تشاندس: شيطان! (يضحك) والله، يابن العم، إن من يسمعك الآن يحسبك غير

راض عن قدومي.

داين: أو في ذلك شك! ألم تعهد في الصراحة؟

تشاندس: إذن فأنت لاتمزح؟

داين: ومن أدراك أنني أمزح مع المتهوس؟

تشاندس: أمتهوس أنا؟

داين: هذا ما لا يختلف فيه اثنان.

تشاندس (بحدة وهو يجلس): هذه بلاد حرة يا عزيزي، وهذا فندق عام. فما معنى احتقارك لي ونحن متساويان في الضيافة؟ بل يلوح لي أنني أكثر منك مالا.

داين: أنت يلوح لك كل شيء؛ لأن مكروب الخيلاء الذي يملأ فراغ رأسك، وإن كان بطيء العمل، إلا أنه دائم الحركة.

تشاندس: أنا أعتقد أنك تمزح. ولولا ذلك ...

داين (يقاطعه): لهاجت عواطفك (يضحك) أليس كذلك؟

تشاندس: دعنا من الجدل، فنحن يجب أن نكون أصدقاء، لأننا من عائلة عريقة ومن دم واحد فلا داعي إلى التفضيل.

داين: إن هذا لغريب، لقد تركتك في لندن أمس، فما معنى قدومك برنستابل اليوم؟

تشاندس: أتجول باحثاً عن الجمال.

داين (بهزاء): الجمال! ما أخف عقلك! وأية جميلة تعشقك؟

تشاندس: حقا إنك لا تعرف قدري يا ابن العم. ألم تسمع بقصائدي التي يتغنى الناس بها في جميع المنتديات؟ إن بعض الفاتنات الجميلات شهدن لي منذ شهر بأنني فقت مشاهير الشعراء.

داين (يضحك): إنك واهم..

تشاندس: أراك تتهكم، ذلك لأنك لم تتعلم الشعر، وإذا سمعته، فكيف يتأتى لك أن تصل إلى المعنى الذي يرمي إليه الشاعر؟ وإن وصلت إلى قشور المعاني، فهناك بون شاسع بين ما تفهمه أنت وما تنتشع به نحن الشعراء.

داين: شعراء! (يضحك) إنك لشديد التمسك بالفن.

تشاندس: لتترك الشعر لمن يفقه معناه، وما قولك في فن التصوير؟ أأست الآن من أمهر المصورين؟ والموسيقى؟ ألم أبلغ في الموسيقى منزلة لم يبلغها إنسان؟ صرح بأفكارك! تكلم!

داين (بتهكم): أهنتك بهذا النبوغ. وأسأل الله ألا يجعل شعرك وألحانك وتصويرك سببا في سقوط هذه الفنون الجميلة.

تشاندس: الفنون الجميلة! (ببله) ما أحسن هذا الوصف، وما أقدر على حسن التعبير! إنك تنجح، إذا علمتك الشعر يا عزيزتي.

داين: كفى، يامعتوه. أتحسب أنك الآن محاط بلفيف من خفيفات العقول اللواتي يحسبن كل كلمة تقولها منزلة.

تشاندس (بسرور): كل كلمة أقولها منزلة. بارك الله فيك يا عزيزي. لقد أنعشتني بهذا الوصف الجميل.

داين (بحدة وغضب): أترك السفسطة يا أحمق، وأخبرني لماذا حضرت إلى هذا الفندق.

تشاندس: حضرت صباح اليوم لأرى مناظر الطبيعة حول ضفاف التو. ولقد شاهدت الغروب ونظمت فيه قصيدة، يا لها من قصيدة ترقص الطير لها في كبد السماء! أأحب أن أسمعك إياها! (يحاول القراءة) اسمع يا لورد.

داين: ما أنحس هذه الليلة، وما ألعن هذه المصادفة!

تشاندس (يطوي الورقة بغضب): إنك شديد التمسك بخرافاتك يا عزيزي داين. ولئن سألتني بعد ذلك أو توسلت إلي أن أسمعك شيئا فسأرفض بتاتا ضاربا بتوسلاتك عرض الحائط! أفهمت الآن يا لورد؟

داين: لا بأس عليك (يضحك).. أنا أعرف أنك عند نفسك نابغة في كل شيء..
تشاندس: ولماذا تهينني، وأنت تعلم أن نبوغي هذا هو الذي جعلني كثير الكلام؟
داين: هون عليك.

تشاندس (بسرور): شكرا لك إنني أحبك وأحترمك، يا لورد.

داين: دعنا من هذا، وأخبرني متى حضرت من لندن.

تشاندس: أمس، في القطار الأخير — وقد مررت بكاسل تروز.

داين: حسنا، أتعلم ماذا حدث لي ليلة أمس؟

تشاندس: لا أعلم شيئا.

داين (بغضب): دخل على خادمي ولفرد، وأخبرني أن امرأة تريد أن تراني.

تشاندس: امرأة! إنك لا شك لم تقابلها. فالمرأة الشريفة لا تزور الأشراف في

مخادعهم ليلا.

داين: بل قابلتها رغم ذلك. فإذا بها فاتنة خلافة المحاسن، وهي فوق ذلك في

مقتبل الشباب.

تشاندس: سامحك الله يا عزيزي. وماذا يقول الناس عنك إذا ظهر الأمر؟ إن

خادمك ولفرد..

داين (يقاطعه): لا. إنني أثق بخادمي.

تشاندس: هذا صحيح. وماذا كانت ترجو هذه الحسنة من مقابلتك على إنفراد؟

داين: حالما أبصرتني تقهقرت مذعورة. وعندما قمت لأقدم لها مقعدا تستريح

عليه، جعلت ترسل إلى أشعة محرقة من نظرها الملتهب وكأن وجهها قد غيرته المفاجأة.

فبينما هي عندمية اللون، إذ بالصفرة تضرب على وجهها نقابا تنكمش للونه القلوب.

ولما خرجت من الشك إلى اليقين اضطربت إضطرابا شديدا هائلا مريعا، ثم وضعت

يديها على وجهها لتستر الخجل الذي تولاهها، وهي تقول بصوت خافت ضعيف. أخطأت

يا سيدي فاعف عني لجرأتي، ودعني أنصرف. ثم تمتمت قائلة: إنه ليس هو. وكأنها

كانت تنتظر أمري لها بالإنصراف. بيد أنني عوضا من أن أستسلم للدهشة، فهمت أن

لها أمرا خطيرا، فدفعني الفضول إلى الإستمرار، عسى أن أقف على آلام تلك العذراء

المسكينة. وأظنك لا تجهل نواذر الفتيات التعيسات اللواتي يلعب بهن طيش الشباب.

تشاندس: مسكينة تلك المنكودة وهل كانت حكايتها مؤثرة؟

داين: ومدهشة

تشاندس: وأية صدفة عجيبة قادتها إليك؟

داين: إسمع. سأتم لك الحديث قلت لك إنها خجلت وأرادت الإنصراف. غير أنني

منعتها، مدفوعا بعامل الشوق إلى معرفة مصابها، عساي أن أجد سبيلا لم يد المساعدة

إليها. فامتقع لونها ونظرت إلي نظرة كاد يجمد لها الدم في عروقي، وأنت أنين الملسوع

قائلة، والدمع يملأ محاجرهما: إن شابا سطا على طهارتها ولكنه أخفي عنها اسمه،

وبعد أن وعدها بالزواج أخلف وعده وجد في الهرب.

تشاندس: يا إله السماء إنه لدنى سافل.

داين: نعم. دنى سافل: وستدهشك جدا معرفته.

تشاندس: معرفته؟ أو أعرف أنا مثل هذا الوحش السفاك!

داين: لاتتعجل. فهو صديقك الذي لا ينفصل عنك طرفة عين، وأكثر بلاغة من هذا الذي يرافقتك كظلك فلا يفاركك حتى في مخدع نومك.

تشاندس: لا يفارقني حتى في مخدع نومي؟ أظنك واهم يا لورد. إذ أنه ليس لي صديق له عندي هذه الميزة.

داين: لقد خانتك ملكة الشعر هذه المرة ياأحمق. (لنفسه) ليس لهذا المعتوه الذكاء الكافي وآسفاه!

تشاندس: خانتني ملكة الشعر؟ إن هذه ألغاز لا أفهمها.

داين: لا تفهمها؟ شيء عجيب!

تشاندس: يظهر أنني لم أعر كلماتك تمام الإصغاء. لذلك فاتني فهمها.

داين: ما دمت ضعيف الذاكرة، بليد الفكرة، سأفصح لك عن الأمر بكلمات أجلي.. إسمع: إن ذلك النذل السافل ترك عند الفتاة المسكينة منديلا مطرزا باسم عائلته.

تشاندس: يا له من أحمق. ولكن ما الذي قادها إليك؟ أبلغها أنك أحد القضاة فأتتك هالعة لتنتصر لها؟

داين: لقد قادها إلي تشابه الاسم، أفهمت؟

تشاندس: أو كان هذا الوحش يدعى داين؟

داين: خسئت أيها النذل! (يقف) أرمتايدج يا جبان. اسم عائلتي الشريفة. إنك أهنتها بدناءتك.

تشاندس (بخوف): وهل قالت تلك المحتالة أن السالب لشرفها هو أنا؟

داين: أيجسر لسانك على الإنكار، وقد وصفتك من قمة رأسك إلى أخمص قدمك، ولم تترك برهاناً أقوى من دموعها؟

تشاندس (يثب من مكانه): ماذا تقول؟ أنا! ووصفتني أيضاً!

داين: مكانك يا أحمق، ولا تزد على فضاة الجرم دناءة الكذب. فأنا أعرفك كما أعرف نفسي أيها القديس المتنكر.

تشاندس (بحدة): إنك تهينني يا لورد. ومن يدريك أن لهذا الموضوع شأنًا آخر؟
داين: إن مثل هذه الحوادث لا تخلو من المبالغة. ولكنني أرى هذه الحادثة خالية من المبالغات. (يقف) أنا داين أرمتايدج وريث أسرة أرمتايدج أتكلم الآن بالإنابة عن رأس هذه الأسرة: لورد أرل أستار منستر آمرك بما يأتي: يجب أن تجعل لهذه الفتاة قدرا شهريا تتقاضاه منك.. من خزينتك الخاصة، ما دمت في عالم الأحياء.. بذلك وحده يمكن أن تصلح ما أفسدت، فتشتري شرف عائلتك بالمال.

تشاندس (يرتجف): ولكن.

داين (بغضب): لا أريد أن أسمع شيئا غير القبول.

تشاندس: هدى من روعك، يا لورد، ولكن.

داين (يضرب الأرض بقدمه): لا تتردد، وإلا..

تشاندس: وإلا ماذا؟

داين (يهجم عليه): وإلا قذفت بك من هذه النافذة. أجب: أتعقل أم ترفض؟ لا بد من أحد الأمرين.

تشاندس (بخضوع): قبلت.

داين (مشيرا بأصبعه إلى الباب): اخرج (يخرج تشاندس متثاقلا) إلى الشيطان!

الفصل الثاني

المنظر الأول

(طريق النهر. نور ضئيل. باكورة الصباح)

تشاندس (يدخل من طريق وروبرت رودن من الطريق المضاد): من الذي أرى؟
رودن؟ أنت هنا يا روبرت، وفي مثل هذه الساعة؟
روبرت: لورد تشاندس أرميتايدج في برنستابل؟
تشاندس: صدفة غريبة، ماذا تفعل هنا يا روبرت؟ ألم تزل من رجال الكنيسة؟
روبرت: لقد تركت الهياكل من زمن بعيد.
تشاندس: إذن، ماذا تصنع الآن؟
روبرت: أصنع؟ (باستغراب) حقا إنك لشاعر ايها الصديق. هل تحتاج حالتي إلى ترجمان؟

تشاندس: اني لم أقابلك منذ عهد طويل. لذلك لا أعلم عنك شيئا.
روبرت: وفيم كانت تهكم مقابلتي، وجيوبك مفعمة بالذهب؟
تشاندس: دعنا من هذا، واشرح لي حالك الان، وماذا تصنع؟
روبرت: قضيت زمنا طويلا أجوب النهار وأقطع الليل باحثا عما أسد به الرمق. وكثيرا ما كنت أقضيهما على الطوى فأعود وقد أنهكني التعب إلى بيتي الحقيق. (يتأوه)
فأفترش بساط التعاسة. ولما ضقت ذرعا بحالي، وكبر علي ان أحتمل هذا الشقاء، رجوت صديقا كنت أتوسم فيه الخير أن يمد لي يد المساعدة بأن يجد لي عملا أيا كان.

تشاندس: وماذا قدم لك ذلك الصديق؟
روبرت: أجهد نفسه حتى وجد لي وظيفة صغيرة.
تشاندس: وأي وظيفة وجد لك؟
روبرت: معلم صبيان في مكتب صغير هنا.
تشاندس: لا تقطع الأمل، فربما كانت هذه المقابلة فاتحة السعادة.
روبرت: سعادة! انك سليم النية يا عزيزي! ألا يمكن أن تجد لي عملا عندك، وأنت واسع الثروة؟
تشاندس: سأفكر في موضوعك؛ ومتى وجدت عملا يليق بك، بعثت في طلبك.
روبرت: أشكرك يا صديقي. والآن هل تسمح أن تقرضني قطعة ذهبية. وإني أذكر أن لك عندي قطعتين من عهد المدرسة. (يضحك) لست إخالك تعتذر عن إقراضي.
تشاندس: كفى. (يضع يده في جيبه) تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن! إني في غاية الخجل يا روبرت!
روبرت: أيعتذر الغني الكبير السيد تشاندس وريث أسرة ارميتايدج العظيمة عن إقراض قطعة ذهبية.
تشاندس: إنها الصدفة، يا روبرت. فليس معي الان سوى تحويل كبير سأصرفه متى عدت إلى مصرف برنستابل. وأقسم لك بشرفي أن أمر بمنزلك فأعطيك أضعاف ما طلبت.
روبرت: إني منتظر، فلا تنسى يا صاحب التحاويل. أنظر تحت تلك الربوة تجد بناء أبيض. هذا هو المكتب. أما منزلي فلا يبعد عنه كثيرا.
تشاندس: فهمت أنك زاهب إلى المكتب الآن؟
روبرت: نعم. وأراني تأخرت قليلا. وأنت أيها السيد ماذا جاء بك إلى أرض غير أهلة بالسكان، وعهدي بك ميالا إلى الملاهية والظهور؟
تشاندس: قمت من لندن إلى برنستابل، وفارقتها بعد منتصف الليل قاصدا تلك الربوة الجميلة.
روبرت: من لندن إلى تلك الربوة (يضحك) حقا إنك لمدهش. إن من يسمعك الآن يتصور أن هذه الربوة إحدى هياكل الرمان.

الفصل الثاني

تشاندس: إنني أعشق المناظر الهادئة الجميلة.

روبرت: إن وقتي لا يسمح لي بأكثر من هذا. وأظنني تأخرت، فألى اللقاء.
(يضافه) لاتنسى وعدك!

تشاندس: لا تخف سأوفيه! (يضافه. يخرجان كل من طريق. الصباح يزداد نورا. وتدخل ليرا من الطريق الذي خرج منه تشاندس بالقبعة وعلى كتفها رداء أسود).
ليرا (لنفسها): كأن إله النوم يأبى أن يمس جفني بأنامله اللطيفة، وكأن سلطان الكرى قد كبر عليه أن يرفق بضعفي. فأرقت طول ليلتي. وما سبب لي ذلك سوى وعده لى. ها هو الصبح قد انبلج. فهل هو موف وعده، أم عاقه النسيان. (تصمت؟ تسمع وقع أقدام فتفرك يديها فرحا) ما أسعدني، لقد حضر!

داين (يدخل من الطريق الذي دخل منه تشاندس وخرج منه روبرت وبيده قصبة الصيد وسله بها طعام):. صدفه جميلة! أأنت على علم بساعة وصولي؟
ليرا: لقد أمحي إلى أنك ستبكر. وها قد صدق الوحي.
داين: ما أظهر قلبك!

ليرا (ببساطة): ما هذا الذي تحمله في يدك؟
داين: إجلسي. (ينزع الرداء عنها ويجلسان) هذه قصبة الصيد.
ليرا: إنها جميلة.

داين: وزادها جمالا أن مستها هذه اليد (يمسك بيدها).
ليرا: وكيف يتسنى لهذه القصبة أن تصيد؟
داين (يتنهد): أنعمي النظر. هذه قصبة الصيد، وهذه العلبة بها الطعام.
ليرا: الطعام؟ وما معنى هذه الكلمة الغريبة؟
داين: الغذاء الذي يوضع في الخطاف الحديدي ليبتلعه السمك.
ليرا: وعلى ماذا تحتوي هذه السلة؟

داين: خوف اشتداد الجوع، رأيت أن أحضر غذاء خفيفا.
ليرا: حسنا فعلت، يا لورد.
داين: دعينا من الألقاب الآن. وها أنا ذا سأبدأ بشرح الدرس. فهل أنت على استعداد؟

ليرا: إني كلي آذان صاغية.

داين: إن من كانت لها هاتان العينان الساحرتان، وهذا الوجه الصبوح، وهذه الوداعة النادرة لجديرة بأن تمثل أورانيا لدى قدماء اليونان. وهاتور لدى قدماء المصريين!

ليرا: ما هذه الأسماء الغريبة؟ أهذه من درس الصيد أم فاتحة لدروسه؟
داين (يتنهد): لا دخل لهذه الأسماء بصيد السمك، لأنها من دروس صيد القلوب!
ليرا (ببساطة): أالصيد القلوب دروس؟
داين: نعم. وستدرسينها متى خفق هذا القلب (مشيرا بيسراه إلى فؤادها).
ليرا: إني لا أفهم هذه اللغة.

داين: ستفهمينها من تلقاء نفسك بدون معلم وبغير درس. إنما لكل شيء أوان.
ليرا: وكيف أتعلم درسا لم أتلقنه عن أستاذ؟
داين: إن الهوى أستاذ قوي الإرادة.

ليرا: الهوى؟ لم أفهم هذا أيضا. إني أنشق الهوى كل لحظة، ومتى أردت.
داين: هذا صحيح، (بسرور) إنك تنشقين الهواء. أما الهوى فشيء آخر (يتنهد).
ليرا: إنك أحرجت مركزي، وجعلتني أعتقد أنني بليدة، ضعيفة الفهم.
داين: أن جهلك بهذه اللغة لأكبر برهان على أنك أشرف ملك في هذا العالم. والآن سنبدأ درس الصيد. ومتى تواتت دروسه. تعلمت من خلالها ما تشوقت إليه الآن.
ليرا: لقد زدتنى شوقا إلى الصيد.

داين (يمسك يدها وفيها القصة): هكذا تبدئين الصيد. (يرمي الخيط).
ليرا: ولماذا تقذف بهذا الخيط؟ وما هي هذه العقدة التي أراها في وسطه؟ (ترفع القصة) إني أرى فيها قطعة من الغاب الخفيف.
داين (يمسك العقدة بيمينه ويضغط بيسراه على معصمها): أعيريني كل سمعك الآن حينما تجلسين استعدادا للصيد، إبدئي بوضع الطعم في هذا الخطاف على هذه الطريقة. (يضع الطعم).

ليرا: وما فائدة هذا الخطاف الحاد؟

داين: إن السمكة لجهلها تزدرد الخطاف الملبس بالطعم ظنا منها أنه قطعة غذاء واحدة.

ليرا: مسكينة، أنت، ايتها السمكة!

داين: فما تلبث تشعر بأن الذي ازدردته إنما هو قطعة من الحديد حادة الطرفين، فتسرع في إخراجها ولكن يستحيل عليها ذلك فتحاول الهرب غورا في الماء، فيعوقها الخيط عن الهرب، ويكون الخطاف بهذه الحركة قد تمكن من أحشائها فمزقها شر ممزق.

ليرا: يا للفضاعة! هذه هي الخطيئة بعينها. فما أقسى الإنسان!

داين: هذا ما كنت أخشاه.

ليرا (بألم): إني لا أرى سعادة في الصيد.. لقد بدأ يخيل لي أن هذا الوحش الذي يسمونه الإنسان إنما خلق ليكون هولا وبلاء على فصيلة الحيوان.

داين: ولماذا؟

ليرا: ألم تقل إن في الصيد تسلية ولهوا؟

داين: ومن ينكر ذلك؟

ليرا: أنا. إذ كيف يخطر لقلب، مهما كان شعوره، أن يسر بهذا المنظر المريع، (بخوف) بينما تكون السمكة المسكينة تذوب ألما من أحشائها التي تنقطع في يد جلادها الخطاف؟ إني ضعيفة القلب، فلا تعجب مني، لأن هذا فوق مستطاعي.

داين (يتنهد): حمدا لله، لقد بدأت تتعلمين لغة القلوب (يمس قلبها).

ليرا: مازلت لا أفهم شيئا من هذه الرموز.

داين: ستفهمينها فيما بعد، ولنعد إلى تتمة الدرس، قلنا إنك تضعين الطعم أولا ثم ترمين الخيط في الماء، فيتدلى لى منه ما بعد العقدة، وتسبح العقدة على وجه الماء، تروح وتجيئ طوع إرادته. ما بالك تتنهدين؟

ليرا (تضع يسراها على فؤادها): لا شيء، إني سعيدة جدا بحسن تعبيرك.

داين: وأنا أكاد أطير فرحا بهذه البشرية.

ليرا: وبعد أن تطوف العقدة على وجه الماء؟

داين: لا تلبث أن تهتز كأن يدا مرتجفة تجتذب الخيط إلى جوف الماء، وتتوالى هذه الحركة حتى تغوص العقدة دفعة واحدة، إذ ذاك تسرعين بإجتذاب الخيط، وبنعشك أن تخرجي بيدك الخطاف من جوف السمكة.

ليرا (بدهشة): أنا؟ إنني أعتقد أن هذه وحشية، فكيف أقربها؟
داين: لقد أعدت على ذكرى ثيو... (يسكت فجأة).

ليرا: نعم. ثيودوسيا. (تتنهد فيرتفع صدرها وتمسح العرق من جبينها).
داين: يظهر أن جميع الفاتنات ضعيفات القلوب، رقيقات العواطف، يعتقدن أن الصيد خطيئة.

ليرا: ربما كان ذلك.

داين: ولكني أقول إن هؤلاء فقط هن طيبات القلوب. (يلقي القصبه) ألا تشعرين بالجوع؟

ليرا: أنا؟ لا أظن أنني أحتاج إلى شيء ما دمت معي.
داين: شكرًا لهذه العواطف. (يتناول السلة) لا بأس من تناول شيء خفيف.
(يفتحها ويخرج لقيمات بالجبن). تنازلي بقبول هذه مني.
ليرا (بحياء): شكرًا يالورد.

داين: دعيني من يا لورد هذه الآن، فإنني في خلوة لذيدة تشمئز من هذا اللقب.
معي قليل من الشراب، أسمحين بشيء منه؟
ليرا: أنا لا أشرب غير الماء.

داين: والخمر؟

ليرا: يشربها أبي وجرفث، أما أنا فما تعودتها قط.

داين: إنها تحلو في مثل هذه الساعة.

ليرا: ولكنني لا أحسبها.

داين: ستحسبها من يدي، أترفضين؟

ليرا (بخجل): كلا، ولو كان سمًا.

داين (يخرج زجاجة خمر وكأسًا واحدة): عوفيت يا عزيزتي، إنني أفخر الآن بصداقتك، وأكاد أحسد نفسي عليها. إنني أخجل أن أقدم لكي خمر ستار منستر في مثل هذه الكأس الحقيمة. (يملاء ويناولها).

ليرا (تشرب): إنها لذيذة جدًا. (تناوله الكأس) أتشرب أنت في هذه الكأس أيضًا؟
داين (يتنهد): كان يمكنني أن أحضر كأسين. غير أنني تعمدت إحضار كأس واحدة.

ليرا: ولم ذلك؟
داين: إن هذه الكأس قبل أن تمس شفيتك الجميلتين كانت لاتساوي شيئًا. أما الآن فهي تقدر بالملايين.

ليرا (تحني وجهها استحياء): وكيف ذلك؟
داين: أترك الحكم لقلبك، فهو أعدل شاهد وأصدق حكم.
ليرا (تضع يدها على قلبها وتنظر إلى الأرض): لقد بدأت أفهم لغة القلوب. إنك مخلص، ياسيدي اللورد..

داين (يشرب الكأس): شكرًا لك يا إلهة الجمال. إنني لا أحب الألقاب في مجلس أنس كهذا. ليرا: اسمحي لي أن أسقيك كأسًا بيدي. (يملأ الكأس) ها هي ذي. (يضع الكأس على شفيتها ويسراه تطوق عنقها) إشربي..

ليرا (تأخذ قطرة صغيرة فتهتز): كفاني الآن، فإنني لم أعودها.

داين: بالله عليك لا ترفضي. (يدني الكأس من فمها).

ليرا (باستعطاف): ياسيدي، (تمد يدها إلى الكأس) سأشرب.

داين: بيدي لا بيدك.

ليرا (بخجل): أملك (تشرب) كفى إنني لا أستطيع أكثر من ذلك.

داين (يلتصق بها): لأجلي. آه لو تعلمين (واضعًا يده على خدها).

ليرا (بخضوع): بحقك لا تحملني ما لا أطيق.

داين (يشرب مابقي في الكأس): لا بأس. فمن الذي يستطيع أن يصل إلى ما وصلت إليه؟ أراني أسعد مخلوق الآن.

ليرا: إنك تتكلم بلساني يا داين. ولكن بماذا أشعر؟ (تتأفف) أشعر أن الهواء بدأ يتغير، فأين معطفي؟ (تقف ويقف اللورد).

داين: هاهو يا ملاكي. (يمسك بالمعطف).

ليرا: عفواً، ياسيدي.

داين: بيدي يجب أن ترتديه.

ليرا: هذا فوق الواجب يا سيدي. وهل يتنازل اللورد بأن يضع الرداء بيده الكريمة على كتفي؟

داين: اللورد في القصور، أما هنا فأنا عبد.

ليرا: إن مقامك عظيم (ترخي يدها لتسحب الرداء) إنك أجهدت نفسك وأخجلتني (وهو يحاول أن يلبسها إياه).

داين (يطوق عنقها من الخلف ويقبض بأنامله على شفتيها ويدني فمها من فمه): آه ما ألد الهوى، وما أقسى الغرام! (يقبلها قبلة حارة).

ليرا (تنتفض وتدفعه عنها باحتقار): إليك عني. (تقف كالصنم شاخصة إليه).

داين (بخضوع): عفواً! معذرة! ليра، ليра، مالك لاتجيبين؟ (يدنو منها فتبتعد) إني أحبك. ما كان يجب أن أعترف لك بغرامي الآن، وفي مثل هذه الساعة. ولكنه الحب. لم أقو على ضبط نفسي. (يدنو فتبتعد) أتخافين مني؟ إني أفضل أن أموت على أن أخيفك. آه لو تعلمين! ليرا عفواً. لقد أذنبت، فاغفري. ليرا. الرحمة! إنها نزعة الشيطان وطيش الشباب، فعفواً أيها الهيكل اللطيف.

ليرا (واجمة وصدرها يرتفع وهي تنكمش في معطفها): لا عفوء.. ولا مغفرة. الوداع يا لورد! (تنحني) لا أمل في أن تراني بعد الآن. (تعدو مذعورة، تخرج من الطريق التي دخلت منها).

(يسدل الستار لتغيير المنظر بأسرع ما يمكن)

المنظر الثاني

(غرفة بكوخ المطحنة، وبها جرفت جالساً يطالع).

ليرا (تدخل وترتمي على مقعد): ما أتعس حظي، ياليت أُمي لم تلدني! آه.

جرفت (يهرع إليها): ماذا أصابك يا زهرة الربيع؟ ويلاه! بالله لا تخفي عني شيئاً.

ليرا: لاشيء، بيد أنني قطعت مسافة طويلة على القدم. ولما كنت لم أعود ذلك فقد أنهكني التعب.

جرفت: إنك بكرت شوقاً إلى تعلم صيد السمك فأين تركت المعلم؟ ولماذا لم يصحبك في العودة؟

ليرا (باضطراب): لقد ذهب.

جرفت: ولم الاضطراب؟ أحدث ما يزعجك؟

ليرا: كلا لم يحدث شيء (تتنهد) لقد ذهب ولن يعود أبداً.

جرفت: لا بد أن يكون في الأمر شيء. فهل لحقتك منه إهانة؟

ليرا: أظننه وضيعاً حتي يقدم على إهانتني؟

جرفت: : قرأت في وجهه الشرف والأمانة. ذلك ما جعلني أسمح لك بالخلوة معه. ولكنني لم أفكر في طيش الشباب. ليرا! إبنتي! إذا كانت قد بدرت لك بادرة سوء، فبماذا يعتذر خادمك الشيخ إلى ضميمه إذا لم يرد الإهانة إلى صاحبها ناراً محرقة؟ ليرا (بشهامة) إني وإن كنت أدب على العصا، فإني لا زلت أمام عدوك شاباً قوي الساعدين..

ليرا: هدئي روعك. واعلم أنه قضى آخر لحظة من وقته الثمين بكل أمانة وشرف.

جرفت: ولماذا انصرف على عجل؟

ليرا: خاف أن يتخلف عن موعد الباخرة.

جرفت: باخرة! أيفارق لندن؟

ليرا (تتنهد): نعم، إلى اليابان. وقد أرسل أمتعته أول أمس، وسيلحق بها اليوم. (يسمعان صرخة شديدة من الخارج. تقف) إني أسمع استغاثة. أنصت. إنه يطلب المعونة.

جرفت (يهرع إلى الباب): استريحي أنت، وسألبي نداء المستغيث.

تشاندرس (يدخل متوكأ على الباب): آه، أظن أن ساقني انكسرت.

جرفث: يحمله (إلى مقعد) دعني أر.
تشاندس: لا تمسني. فالألم شديد. آه.
ليرا: مسكين! (بشفقة) اعتن به يا جرفث.
تشاندس: شكراً لك يا سيدتي. (إلى جرفث) أرجوك أن تسعفني بجراح ماهر. آه!
جرفث (يفحص الساق): الأمر بسيط لا يحتاج إلى الجراح الماهر. إن قدمك
مصدوعة فقط.
يشاندس: قدمي؟ (يتوجع) ساقى كلها يارجل. إني أكاد أموت ألماً — ويلاه إني
سقطت من هذه الرنوة الشامخة.
جرفث: ومن قال لك أن تقف على ربوة رملية ينهار رملها تحت أقل ثقل؟
تشاندس: من قال لي؟ آه، سل الذي خلق هذه المناظر الجميلة، لتكون خلوة
للشاعر.
جرفث: عفواً ياسيدي، فالمقام لا يدعو إلى فلسفة. إنك تحتاج إلى عناية.
تشاندس: آه (لنفسه).. كل الناس لا يفهمون.. أسعفني بربط ساقى. (يتوجع)
أرجوك.
جرفث: انتظر قليلاً (يخرج).
ليرا: هدى من روعك، فستستريح حالا. (لنفسها) مسكين.
جرفث (يدخل ومعه اربطة من الشاش): ها قد احضرت لك ما يلزم.
تشاندس: اسرع، بالله عليك.. آه!
جرفث (يبداً بالربط وتساعده ليلا): لا تخف. لا تتألم.
تشاندس: اواه لا تضغط.. كن رحيماً.. آه بالله عليك.
ليرا: تجلد ياسيدي، فسيزول الألم.
جرفث: انتهى.
تشاندس: آه إني في غاية الألم.
ليرا: إنك رجل فيجب أن تتحمل الألم مهما كان.
تشاندس (بغرام): إنك ملك هبط من جنات الخلد.

دون تشستر (يدخل): ماذا أرى؟ من هذا؟ أين معلم الصيد؟ (يقف مبهورًا).
ليرا (تتنهد): أتسأل عنه يا أبي؟
تشستر: نعم أين هو؟ ومن هذا الذي يتألم؟
ليرا: رحل إلى اليابان — وهذا كان يستغيث فأغثناه.
تشستر: إلى اليابان؟ حسنًا. (بعد قليل) وهذا، ماذا أصابه؟
تشاندس: لقد كسرت ساقى ياسيدي.. آه!
تشستر: لعلك أحسن حالا الآن.
تشاندس: نعم أشعر ببعض الراحة. (يتوجع).
تشستر (يجلس): من أنت! وما سبب هذا الحادث؟
تشاندس: أنا جوفري بارل (يغير اسمه)، مولع بالنظم والموسيقى والتصوير،
وولعي بهذه الفنون الجميلة سبب لي ما حدث.
تشستر: وكيف اتفق ذلك؟
تشاندس: شوقًا لمراقبة شروق الغزالة، وحبًا في نظم قطعة فنية، حضرت من
لندن، وعلوت ربوة رملية. وبينما أنا سابح في بحر الخيال. زلت قدمي، وانهارت الرمال،
فهويت. آه!
تشستر (يضحك): إذن فأنت تجيد النظم، يا مستر بارل.
تشاندس: نعم. والموسيقى والتصوير. آه!
تشستر: يظهر أنك بلغت غاية هذه الفنون.
تشاندس: ألم تقرأ شيئًا من نظمي؟ ألن تسمع مقطوعة من ألحاني؟ (يتألم) ألم
يقع نظرك على صورة من رسمي؟
تشستر: كلا. لم أر، ولم أسمع.
تشاندس: آه لقد فاتك الحظ الأوفر. ولكنني ألتمس لك العذر. ذلك لأنك في عالم
آخر غير عالمنا.
تشستر: إني أحمد الله الذي أقصاني عن عالمكم (يقف) كن مستريحًا فإنني لا
أحب أن أزيدك ألمًا.

تشاندس: أرجو سيدي أن يسمح للمس ليرا بالبقاء هنا لمساعدة هذا السيد (مشيرًا إلى جرفث).

تشستر (يمشي إلى الباب)، (إلى ليرا): اتسمحين بالبقاء ياعزيزتي لتسلية ضيفنا غير المنتظم الحواس؟

ليرا: ومتى تسمح لي أن أفارقه؟

تشستر: متى سئمت هذيانه. جرفث! جهز الغرفة الشرقية وانقله إليها متى طلب الراحة (يخرج).

ليرا: حسنًا، سأفعل.

تشاندس: شكرًا لك يا سيدي، وأنت يا سيدتي.

جرفث: سأقوم بهذا يا مولاي.

ليرا (تجلس وتطالع في كتاب): ياترى أين هو الآن؟ (بصوت منخفض) وهل ذهب إلى غير عودة؟ (تتوجع).

تشاندس (لنفسه): إنها تتألم. (إلى جرفث) هل تسمح لي بشربة ماء!

(جرفث يقوم. يخرج)

تشاندس (يلتفت إلى ليرا): سيدتي، هل يؤلك وجودي؟

ليرا: وكيف تتصور ذلك؟ إنه ليسعدني أن أراك بكامل صحتك وعقلك.

تشاندس: بكامل عقلي؟ شكرًا لك يا حسناء. إن جمالك أنساني ما أنا فيه من الألم، وهام بي إلى العالم السماوي، ويروق لي أن أنظم الآن (يبحث عن مفكرته وقلمه) إنني فقدت مفكرتي.

ليرا (تضحك): الحمد لله.

تشاندس: أتحمدن الله على فقد مفكرتي، وقد خسرت بفقدتها كل شيء؟

ليرا (بسخرية): إن وجود مفكرتك الآن يضاعف آلامك، فخير لك أن تفقدتها.

تشاندس: إنك لا تحبين لي الخير، فما سبب ذلك؟

ليرا: إنك سابح في بحر خيالك.

الفصل الثاني

تشاندس: أتوهم كل شيء. (يتوجع) دعينا من هذا، واخبريني. هل تشعرين
بوحشة في هذا الكهف المنعزل؟

جرفث (يدخل بالماء ويسمع السؤال الأخير): تفضل يا حضرة الفيلسوف،
وسأجيبك أنا على هذا السؤال.

تشاندس (يرتجف): جوزيت خيرًا. (يتأوه).

جرفث (يسترد الكأس ويجلس): كيف تشعر المس ليرا بوحشة، وهي بين شيخين
أوقفا البقية الباقية من حياتهما على حراستها وحمايتها وبذلا قصارى جهدهما في دفع
الأذى عنها؟

تشاندس: نعم، فهمت، فاعف عني.

جرفث: لا بأس عليك. فما دعاك إلى هذا إلا ميلك الشديد إلى حب الاستطلاع، شأن
الشاعر.

تشاندس: هذا صحيح، وإني لتعجبني منك هذه الشهامة.

جرفث: هاهي مولاتي زهرة الربيع تقوم بحاجتك حتي أعود. (يخرج وفي يده
الكأس).

تشاندس (لنفسه): زهرة البيع ما أبهج هذا الإسم! إنه لينطبق عليها تمامًا
(لليرا) إنل تشبهين عصفورًا في قفص يازهرة الربيع باعتزالك العالم المتمدين والحياة
الصحيحة. (يلتفت خائفًا من جرفث).

ليرا (غارقة في بحر الفكر): ياترى أين أنت الآن؟ (غير ملتفتة اليه).

تشاندس: أراك منشغلة عن كلامي، وكأنك تسبحين في عالم غير هذا العالم،
ياسيديتي.

ليرا: أنتظن أن مخلوقًا يخلو من الهم؟

تشاندس: أنا خال من كل هم وحياتي لا يشوبها كدر ولم أعرف القلق (يتوجع)
ولكن لا، إنك صادقة أيتها الحسنة. إني بدأت أشعر أن قلبي يدق. فلي الشرف أن أقدم
نفسي فداء لك إذا احتاج الأمر.

ليرا: شكرًا ياسيدي. إني لا أحتاج إلى مساعدة إنسان. هل تحب أن تذهب إلى
المخدع الذى أعدناه لك لتستريح؟

تشاندس (يتأوه): وما الداعي للعجلة، وسعادتني في أن أكون معك؟

ليرا: لم أفهم معنى ما ترمي إليه.

تشاندس: أنت ايتها الروح اللطيفة، لم تخلقي لتعيشي هنا، بل حيث يتجلى

ضوءك بين من يعرفون معنى النور.

ليرا (تتأفف): كفى ياسيدي. (تقف).

تشاندس (يحاول الوقوف فتساعده إلى غرفته): إنك لأظهر ملك وقع عليه نظري

حتى الآن. آه (يتوكل على ذراعها) ليرا!

ليرا: : شكرًا. (تساعده حتى يخرجان. ثم تعود فترتمي على المقعد). آه؟ يا الهي

إنه ذهب غاضبًا. لم أكن أعرف قبل الآن ما الهوى. أواه! إنه يحرق الفؤاد (تتوجع).

ما أقساك أيها الإنسان الظالم لنفسه. أيها الحبيب الذي لا أعلم عن مستقره شيئًا.

ترى أين أجدك؟ هل يزورك طيفي، كما لا يفارقني خيالك؟ وهل لا زلت على عهدي

أم ضربت صفحًا عن غرامي؟ علمتني كيف أندب سوء حظي، وعلمت مقلتي انهمال

العبرات (تقف) دابن! دابن! وهل بقلبك الآن ذلك اللهب الذي يتأجج نارًا في جسدي،

أم تناسيت تلك التي تتعذب لبعذك، وتذوب شوقًا إليك؟ يا إله السماء! يا أشد ما أنا

فيه! يا لهول ما أقاسي من أجله! (تضع يدها على جبينها) ثيودوسيا، أين الرحمة

ياربة الغني والجاه؟ أين السماحة والحلم يا أميرة قصر تود زيارته الملايين. (تبكي)

يقول إنك طيبة القلب، محبة للخير، ولوعة بالاحسان. فهل تسمحين لي بمن أحب؟

ألم تشفقي على زهرة كادت تلعب بها يد الفناء؟ (تسكت قليلا). كلا لن يكون ذلك

أبدًا. الأجلي، أنا الفتاة الحقيرة التعسة، تترك من خلقت من أجله؟ اني أكون ظالمة بهذا

الحكم. ومن الحسد أن أرفع نظري إلى مقامكما الأسمى. فما أنا إلا ألعوبة في يد الدهر

وأضحوكة في فم التعاسة. إنني حقيرة وفقيرة، فمن الجنون أن أطلب المستحيل. إذن

فلتطمئن، أيها اللورد. وليتوكل إله السماء. (تسقط على الكرسي).

تشستر (يدخل): ليرا! ليرا! ابنتي ماذا أصابك؟

ليرا (تقف مرتجفة): سلمت يا أبي. لا شيء. إنني أحتاج إلى الراحة قليلا.

تشستر: هاتي ذراعك يا ابنتي. (يأخذ ذراعها).

(ليرا تمشي متوكلّة على ذراع أبيها حتى الباب. تخرج ويبقى تشستر)

تشستر: في حراسة الله (ينادي جرفث) جرفث! (يدخل جرفث) هل أعددت لي الشاي، وهل انتهى عمل المنزل؟

جرفث: الشاي ينتظر أمركم. أما أعمال المنزل فلم تتم بعد.

تشستر: اذهب فاحضر لي الشاي، واستمر في عملك (يخرج. جرفث لنفسه) آه يا إلهي، مالي أرى المصائب لا تكاد تتركني لحظة، ما أشد ألمي، وما أعظم خوفي. ما عساه أن يكون! إنني لا أكاد أذكر ليفي حتى يقشعر جسمي بمجرد ذكره. ويكاد الدم يقف في عروقي.

جرفث (يدخل باضطراب): المستر دجارفن ينتظر أمركم.

تشستر (يقف مذعورًا): دجارفن. ماذا عساه يطلب مني؟ ولم يزورني في مثل هذه الساعة؟ (إلى جرفث) هل يحمل أوراقًا؟

جرفث: نعم. إن حقيبته مفعمة بالأوراق.

تشستر: يمكنك أن تنكر وجودي، أو أن تعتذر عن عدم إمكاني مقابلته؟

جرفث: أما إنكار وجودك، يا مولاي، فمستحيل؛ ذلك لأنك لم تعودني الكذب. وأما اختلاقي سببًا للاعتذار فممكن.

تشستر (بكبرياء): جرفث! لا هذا ولا ذاك، دعه يدخل، فقد قضيت ذلك العمر الطويل ولم أجبن أمام أشد الحوادث خطورة.

جرفث: تجلد يا مولاي (يخرج).

تشستر (لنفسه): دقت ساعة الحساب. يا الهي، أسألك المعونة.

دجارفن (يدخل ويتبعه جرفث): عفواً يا مستر تشستر، ومعدرة لدخولي عليك في مثل هذه الساعة المتأخرة (رافعاً قبعته بشماله ومصافحاً تشستر بيمينه).

تشستر (يصافحه): أهلا بك يا صديقي دجارفن العزيز. هذا بيت صديقك، فيمكنك أن تلجأ متى شئت وبغير استئذان. تفضل. (يجلسان).

دجارفن: أشكر يا عزيزي تشستر.

تشستر (إلى جرفث): اذهب إلى عملك، يا جرفث (يخرج جرفث) هل من خدمة يا

عزيزي؟

دجارفن: نعم، ما دعاني لزيارتك الآن إلا وجوب دفع المال.
تشستر (بدهشة): المال! وأي مال تعني يا عزيزي؟
دجارفن: كان يجب أن تعلم أن ذلك سيقع يومًا فتستعد لمقاومته.
تشستر: لم يخطر ذلك ببالي.
دجارفن: أجل فهذا شأن السادة أمثالك. أما رجال الأعمال فهم دائمًا على استعداد.
تشستر: وكيف ذلك يا سيدي؟
دجارفن: إنني أراك غير يقظ يا سيدي.
تشستر: لم أفهم بعد ما ترمي إليه. فأفصح لي عن المسألة.
دجارفن: منذ سبع سنين استدنت مبلغ خمسمائة جنيه من ليفي المرابي.
تشستر: هذا صحيح. وبعد؟
دجارفن: لو كنت تحسب لمستقبل ابنتك حسابًا، لما اقترضت خمسمائة بنس من هذا الرجل.

تشستر (بدهشة): إنني لم أعلم عنه شيئًا. فماذا جرى؟
دجارفن: لا تأسف، فقد فات الأوان. أنت استدنت المبلغ ولكن أتعلم كم دفعت في فوائده؟ إنك بلا شك تجهل ذلك. لا تندم فقد أصابك السهم. (يضحك) إنك دفعت ستين في المائة على أدق حساب.

تشستر: إذن فهو يستبيح شرب الدماء.
دجارفن: وعلى الأخص دماء من لا يقرءون العواقب. ومع هذا فليفيلا يفكر أبدًا في الدين، لأنه يجدد العقد كلما جاء يوم الاستحقاق. وذلك لأنه يثق في قدرتك على الدفع. ولسوء الحظ لقد انتقل هذا السند إلى وفاء لدين كان لي عند ليفي.
تشستر (بارتياح): إذا أنا مدين بالمال لك أنت الآن، لا إلى صاحب الستين في المائة؟

دجارفن: نعم، من قال لك إنني لا أطالبك بالأرباح؟
تشستر: إذا لا بأس من تأجيل الدفع، فإني قادر على دفع الربح.
دجارفن: يسؤني جدًا أنني مضطر إلى رفض طلبك لأنني في شديد الحاجة إلى المال حتى لا تتوقف أعمالي. وفوق ذلك فإني أريده حاليًا.

الفصل الثاني

تشستر: مستر دجارفن، تريده حالا؟
دجارفن: نعم، اذا قلت أريده، فالمعنى أنني أريده الآن.
تشستر: وإذا كنت لا أملكه الآن؟ ما العمل اذا؟
دجارفن: وما ذنبي أنا، وقد دفعت قيمة السند نقدًا؟
تشستر: ثق أنني لو كنت أملك المال لكفيتك مؤونة طلبه. ولو كان عندي ما يساويه ما توقفت لحظة.

دجارفن (ينظر في الغرفة): يظهر أن مسألتني أدعى للأسف من مسألتك، لأنني أرى جميع أثاث هذا الكوخ وثمانه لا يفني بنصف ما أطلب (يتلفت) الأثاث قديم ولست أرى فيه شيئاً له قيمة، فهل عندك حلي يا مستر تشستر؟
تشستر (بانزعاج): عندي حلي؟ إذا أنت تريد أن تبيع أثاثي وأمتعتي وتخرجني من بيتي؟

دجارفن: المضطر يركب الصعب. أتحسب أنني أتخلى عن حقي؟ إنك لا بد أن يكون لك أصدقاء.

تشستر: لا صديق لي وا أسفاه! ليس لي في كل هذا العالم غير ابنتي. ابنتي الوحيدة المسكينة. إنني لا أظنك يا مستر دجارفن تقسو لدرجة طردنا من عشنا الهادئ المطمئن، (يتأوه).

دجارفن: إنني حزين لأجلك من كل قلبي.
تشستر: كان لي مال ولكني ابتعت به أسهُماً من شركة الترام الأجنبية، مؤملاً أن أربح ما أسد منه ديني، وهأنذا أترقب الفرصة.
دجارفن: أن هذا لمضحك. أتشتري بكل مالك أسهُماً، وأنت لاتعلم عن هذه الشركة شيئاً؟ إن أسهم هذه الشركة آخذة في الهبوط السريع.
تشستر: نعم، وا أسفاه. فقد طالعت هذا النبا في صحيفة لندن، ولكن ربما تكون قد صعدت بعد ذلك.

دجارفن: إذن سأمهلك أسبوعين. وتأكد أنني لا أسمح بعدها بيوم واحد.
تشستر: إنني أشكر كريم عواطفك.

دجارفن: على هذا أتفقنا. ويلوح لي أنك قبلت. (يقف ويرفع قبعته). إلى اللقاء. (ويخرج).

تشستر: (يقف فيشييعه إلى الباب. لنفسه): لقد دنا الأجل، فلا قوة إلا بالله. إلهي، أين أجد المال؟ أه! كيف تكون حياتي إذا طردت من بيتي. مسكينة أنت يا ابنتي، لقد جنيت عليك.

جرفث: (يدخل): خفض عليك، يا مولاي، ولا تيأس.

تشستر: جرفث. إذا انقضت المدة التي أعارني إياها الزائر ولم أوف الدين، طردت وابنتي من هذا البيت، فواحسرتاه على خاتمتي، ووا أسفاه على شيخوختي!
جرفث: لا تعجل بالحكم يا مولاي. وكم أعطاك من الزمن؟

تشستر: أسبوعين فقط. فإن لم أوف ديني، أصبح هو المالك المتصرف في بيتي وما فيه (يبكي يقف) ساعدني إلى مخدعي، فأني أشعر بإنحطاط قواي، وكأن زورة دجارفن لي كانت نذير الهلاك. (يتوكأ على ذراع جرفث).

جرفث: مولاي، مالي أرى اليأس بالغاً منك غايته؟ إنني قطعت معك شوطاً كبيراً من عمرك المملوء بالمصاعب، فلم أكن أشعر باهتزازك أمام كوارث لا تعد هذه بجانبها شيئاً.

تشستر: لقد مات الأمل وقضي الأمر. فلا راحة إلا بالموت، ولكن ليرا (يبكي) إنني خلقت لأكون حزنً عليها. ليرا! أعف عني يا ابنتي، ولا تلعنيني. أملت لك السعادة، فضاع أمني، وحبط مسعاي. ابنتي لم يكن هذا بخاطري، ولكن هي مشيئة الله فتجلدي يا ابنتي، واعتصمي بالصبر، وإسألي الله لي الرحمة. (إلى جرفث) جرفث! احتفظ بهذه الجوهرة، انها كبدي، فاسهر على حراستها. (يسقط مغشياً عليه).

جرفث: (ينظر إلى السماء): رحمتك، يا إله السماء.

الفصل الثالث

(غرفة الكوخ السابقة.. تشستر يجلس بادی المرض على كرسي كبير، وجرفت بجواره)

تشستر: اليوم موعد الجريدة يا جرفت.. فهل ذهبت ليرا لاستحضارها؟
جرفت: نعم، ذهبت. هل أحضر لك كأس الدواء؟
تشستر: لا. إنتظر حتي تحضر ليرا.
ليرا (تدخل ومعها الجريدة): أبت، (تطوقه بذراعيها) كيف أنت الآن؟
تشستر: أحمد الله يا حبيبتي (يقبلها).
ليرا: هاهي الجريدة، يا أبتاه.
(تشستر يتناول الجريدة بلهفة ويقرأ)

جرفت (يقوم): إني ذاهب لتجهيز الطعام (يخرج).
تشستر (يصرخ فتقع الجريدة من يده، ويرتمي على المقعد): ويلاه ضاع الأمل (يتحشرج صدره).
ليرا (تستغيث وتقف كالمجنونة): المعونة. آه، يا أبت. ماذا أصابك؟ (تركم).. ماذا دهاك؟ (تبكي) إلهي! (تجري إلى الباب) جرفت! جرفت!
تشاندس (يدخل وهو لا يحسن المشي وينحني على تشستر): لا تخافي يا مس ليرا.
لا تضطربي الأمر بسيط. علي بقليل من الماء (تخرج، لنفسه) السر في هذه الجريدة (يدفعها برجله تحت المقعد).

ليرا (تدخل ومعها الماء): ها هو الماء يا مستر بارل (باضطراب) ماذا دهاه؟
(تنحني على أبيها) هل اختبرت نبضه؟
تشاندس: آه، رحماك يا أبي.
جرفث (يدخل منزعجاً): مولاي! ماذا جرى يا مستر بارل؟ ويلاه (ينحني على سيدة).

تشاندس: لا شيء هدى من روعك. إنه في إغماء وسيبقى بعد قليل.
جرفث (يضع بأذنه على قلبه): مولاي! مولاي! (يبكي).
تشستر (يتحرك): آه! بماذا أشعر؟
ليرا (بفرح إلى جرفث): إنه يتكلم (تقبل أباه) وافرحته!
تشستر (يمد ذراعيه لابنته ويتأوه): آه، ابنتي المسكينة.
ليرا: ماذا أصابك يا أبت. ماذا جرى؟
تشستر: آه يا ليرا. لقد قضي الأمر، (إلى تشاندس) أشكرك ياسيدي لحسن عنايتك.
تشاندس: عافاك الله يا سيدي. لا شكر على واجب. (إلى جرفث) يجب أن تنقله إلى مخدعه ولتسرع باستدعاء الطبيب (يحملة جرفث وتساعده ليرا ويخرجان) إني لاحق بكما متى أصلحت رباط ساقي (لنفسه) يجب أن أعرف سر هذه الجريدة (يأخذ الجريدة بتلف) ها هو السر. (يقرأ) شركة ترام بانجويلا ليمتد. إن.. إن أسهم هذه الشركة سقطت إلى الصفر. (يقطع الجزء المكتوب ويخفيه في ملبسه). الآن ظفرت بليرا.. فيجب أن أقوم بتمثيل دوري بمهارة (ينادي) جرفث. جرفث (يدخل جرفث).
جرفث (بألم): لا يزال في اغفاء شديد.

تشاندس: إذا أسرع باستحضار أقرب طبيب. (يخرج جرفث مسرعاً).
تشاندس (لنفسه): يجب أن أفاجئها بالخطر الذي يتهدد أباه، وأفهمها أنني الوحيد الذي يستطيع دفع هذا الخطر عنها وعن أبيها، وأعدها بدفع الدين إلى دجارفن يوم الأجل المضروب. وإن ذاك أكشف لها عن رغبتني في الإقتران بها. نعم. إنه من السهل جداً على فتاة مهددة كلياً أن تقبلني زوجاً لها، متى رأت أنني افتديت شرف أبيها بالمال (يجلس) ما أسعد حظي! هذا ما كنت أمني نفسي به! سأدفع مبلغ الخمسمائة جنيه لقضاء لبانتي من هذه الغادة الهيفاء، ثم أطلق ساقِي للريح، فأذهب حيث لا تعلم عني شيئاً.

جرفت (يدخل): لقد حضر الطبيب، وهو يعود مولاي الآن. فهل لك أن ترافقه يا مستر بارل.

تشاندس: حسنًا، هيا بنا. (يخرجان).

ليرا (تدخل): لماذا منعني المستر بارل من حضور ما يقرره الطبيب؟ بل لماذا سألني أن أنتظره في ردهة الاستقبال؟ إلهي، ما غرضه، ولم أعود الانفراد به؟ (تجلس) إني أقرأ في وجهه الميل إليّ، وأشعر في نفسي النفور منه. يخيل لي أن هذا الشيطان إنما يضمّر لي الشر. ولكنني مع هذا سأنتظره لأعلم منه سر هذه المقابلة.

تشاندس (يدخل): عفوًا يا مس ليرا، فإني سألتك الخلوة بضع دقائق لأمر ذي بال.

ليرا (بلهفة): ماذا قال الطبيب عن أبي؟

تشاندس: أعيريني سمعك يا سيدتي، أتعلمين ما قاله لي الطبيب عنك؟

ليرا: عني أنا؟

تشاندس: نعم، إنه عندما رآك أشفق عليك من السهر والإهتمام بأمر المريض، وقال إنك تنهكين قواك، إذا واصلت السهر.

ليرا (بأسف): المريض! أنسيت أنه أبي؟ إني ممثلة قوة وشبابًا، فما معنى ذلك؟

تشاندس: إن مرض أبيك لا يعد شيئًا أمام هول المصيبة.

ليرا: المصيبة، وأية مصيبة تعني؟

تشاندس: إنه سر كان يجب أن أكتمه عنك.

ليرا: أراني أقوى على احتمال أشد المصائب، فلا تأخذك الشفقة بي.

تشاندس: إنها عثرة لسان يا مس ليرا، وما كنت أود أن أبوح لك بشيء.

ليرا: لِمَ يا سيدي؟ إنني ابنته وليس له في الدنيا سواي.

تشاندس: إني سمعت بعض الحديث بالصدفة.

ليرا (بتوجع): وما هو هذا الحديث؟ لا تردد بالله عليك.

تشاندس: كلا لا أجسر أن أبوح لك بشيء.

ليرا: رحماك!

تشاندس: هوني عليك يا ليرا، واجلسي بجانبى كي أشرح لك الموضوع.
ليرا (تجلس): عجل.

تشاندس: إنها مسألة مالية، فهدئي من روعك. (يجلس). لقد اكتشفت من محادثة طويلة دارت بين أبيك ورجل مالي أن أباك اقترض مبلغًا كبيرًا منذ سبع سنين، وكأنه نسي الدين لطول عهده.

ليرا: دين! (باندهاش) أأبي يستدين؟ إنى لا أظنه فقيرًا.
تشاندس: لم أكن أعلم عن أسرار أبيك شيئًا، وكنت أظنه واسع الثروة، لذلك أخذتني الدهشة عندما رأيته يبكي أمام المرابي.
ليرا: أأبي! (باندهاش).

تشاندس: والذى ضاعف دهشتي أن المبلغ زهيد جدًا وهو خمسمائة جنيه فقط.
ليرا (بذهول): خمسمائة جنيه، إنى لا أصدق ذلك. فأأبي غني.
تشاندس (يضحك): غني؟ وما الذى أخره عن الدفع؟
ليرا (تبكي): وارضمتاه!

تشاندس: لا تعجبي من هذا. لم يكن أبوك أول غني زالت عنه ثروته.
ليرا: هل ما تقوله صحيح؟
تشاندس: نعم. إن الضربة لشديدة. وإنه ليذمي فؤادى أن يطرد هذا الشيخ الجليل من بيته.

ليرا (تصرخ): إلهى هذا فوق ما أحتمل. (تسقط).
تشاندس (يحملها بين ذراعيه ويجلسها): ليرا! ليرا! الخطب جلل، والمصيبة عظيمة. ولكن أجيلي نظرك فيما حولك، عساك تجددين صديقًا ينقذك.
ليرا: آه، إنى عذيمة الأصدقاء (تفكر) ولكن لا. ويلاه إنه بعيد (تبكي) بعيد جدًا حيث لا أعلم عن مستقره شيئًا.

تشاندس: بصوت خافت (لنفسه) ويلاه، ألهى صديق؟
ليرا (تفكر): لا تفكر فيما أهذى به. آه. وآسفاه!
تشاندس: وهل نسيت أن لك صديقًا يتمنى لك أية خدمة؟

ليرا (تقف): أين هو؟

تشاندس: تفرسي فيّ ملياً. ألا يمكن أن تسمح لي بمصادقتي؟ مري تجديني عبداً.
ليرا: وهل تتنازل بمصادقتنا، وقد علمت أننا فقراء؟ (تتنهد).

تشاندس: وهل هذا يحتاج إلى شك، أيتها العذراء الشريفة؟ أعتقد أن الفقر عار؟ ضعي يمينك فوق صدري تعلمي لمن يخفق الآن.

ليرا (باستغراب): أنحن في موقف غرام؟

تشاندس (بخداع): إنه الحب. ليرا. إني أعبد هذا المحيا النضر. أتشكّين في حبي؟
أعيريني سمعك، واستحضري الرحمة من أعماق قلبك الطاهر، يتجلّى لك صدقي. ليرا!
إن كلمة واحدة منك تنقذ أباك.

ليرا: أأنت تدفع الدين عن أبي، إذا قبلت حبك وصداقتك؟ (تتنهد).

تشاندس: هذا لا ريب فيه.

ليرا: ولماذا تحتل بلاءً وقع على غيرك؟

تشاندس: إنه الحب الذي يدفعني إلى ذلك. هل تشكين في حبي، يا مس ليرا، وأنا
أنتفض وجداً بين يديك الآن؟ (بخداع) ليرا.. تصوري أباك وما هو فيه، واذكري مصيره
بعد أيام. وقارني بعد عزك اليوم وتعاستك غداً وثقي أنني أدفع عنك الكارث فأستحق
على ذلك الحب منك.

ليرا: لم أفهم مرادك من الحب.

تشاندس: لم تفهمي مرادي؟ ان هذا لعجيب. أقدم نفسي فداء لشرف أبيك، ولا
أستحق منك كلمة شكر؟

ليرا: أماردك مني أن أشكرك؟

تشاندس: ذلك على الأقل.

ليرا: إذا كان هذا غرضك، فأني أقدم لك عني وعن أبي وافر الشكر اعترافاً لك
بالجميل، وأقبل صداقتك.

تشاندس: إني أقبل منك هذا. أيتها الفاتنة، وأستزيدك رحمة بي وشفقة علي.

ليرا: إذا أنت تريد أكثر من الشكر والصداقة؟

تشاندس: نعم. يا ليرا أني أتمني أن أقدم حياتي ومالي فداء لك وأبيك.
ليرا: إن شريف عواطفك تضطرنني أن أقبل أكثر مما ذكرت.
تشاندس: عديني أن تكوني زوجتي، وأنا أنقذ أباك من خطر الدين (بتوسل).
ليرا (تهم، وتسحب يدها من بين يديه): ذلك لن يكون، أقام العالم أم قعد؟!
تشاندس: ليرا.. ماذا أسمع؟ أترفضين يد من قدّم إليك ماله وحياته، أيتها العذراء؟ (يقف) أزيحي قليلا هذا الغطاء عن عينيك، ينكشف لك عن هول المستقبل وسوء المنقلب. وإذ ذاك تعلمين أنني إنما أردت بك خيرا. واحكمي بعد ذلك بما تشائين.
ليرا (تقاطعها): كفى، كفى.
تشاندس: إن كلمة واحدة من فمك الطاهر تبعث رسول الرحمة إلى أهلك المسكين.
ليرا ... إن السعادة بين شفقتك. تكلمي. مالي أرى جبينك يتصبب عرقا؟ ألحققتك مني إهانة؟
ليرا: كلا (مرتجفة).
تشاندس: ليرا! إنني أنتظر أحد أمرين، القبول أو الرفض.
ليرا (تتنهد): يا إلهي، إنك أخرجتني. (تبكي) مستر بارل، أنقذ أبي وأنا أقبل ما تريد (وتسقط على المقعد واضعة يدها على جبينها).
تشاندس (لنفسه): وافرحته! (إلى ليرا) إنني سأقوم حالا بوفاء الدين.
ليرا: شكرا لك. (يتأوه).
تشاندس: إنك الآن تحسنين إليّ وإلى أبيك. (يقترّب منها) ما أوفاك في عيني الآن!
ليرا (تبعده بلطف): تمهل. هكذا أرادت مشيئة الله. إبق هنا حتى أخطر أبي وجرفت بذلك، وما إخالهما يرفضان.
تشاندس (برعب): لا تفعلي هذا يا ليرا، إذ يجب أن تخفي ذلك عنهما.
ليرا (بتعجب): لا أفعل؟ أوجب أن أخفي ذلك؟ (بدهشة) إنه من الشهامة إعلان الزواج فهل هنالك سر؟
تشاندس (بخبث): نعم، أعيرني سمعك. إن ثروتي العظيمة تحت إشراف أحد أفراد أسرتي. وإذا أعلن زوجي هذا الآن كان سببا في ضياع تلك الثروة الكبيرة؛ ونحن في حاجة إلى المال، لأنك كما تعلمين فقيرة.

ليرا (بذهول): زواجي يقضي على ثروتك بالضياع؟
تشاندس: ليس زواجك فقط، بل كل زواج بغير شرط الوصية.
ليرا: أتشتري الوصية زواجًا خاصًا؟
تشاندس: بلى، ولكن إلى أجل محدود ينصرم بعد سنة. وحينئذ أكون حرًا مطلق
التصرف.

ليرا: إذا نؤجل زواجنا حتى تحصل على ثروتك.
تشاندس (بخوف): والدين؟ أنسيت أن أجله قد حل؟
ليرا: ولم لا تقوم بالسداد ويكفيك مني العهد؟
تشاندس: ومن يضمن لي ذلك، والعذارى قلوبهن هواء؟
ليرا: كأنك تطعن في أمانتي.
تشاندس (بغضب): إذا أنت ترفضين، والرفض يفضي بأبيك إلى الهلاك. فهل
تختارين له التعاسة والشقاء؟ أنت لا تعلمين الخطر المحدق بكم. إنكم بعد ثلاثة أيام
ستطردون جميعًا من هذا الكوخ والمزرعة ويسلب منكم قهراً جميع ما تملكون.
ليرا (تبكي): آه يا إلهي وارحمته!
تشاندس: لا تجزعي يا ليра، فقد وفق الله لك منقذاً يحبك من كل قلبه.
ليرا: ليكن ما أَراده الله.

جرفت (يدخل): لقد طال انفرادكما، فهل لذلك من سبب؟
ليرا (باضطراب): وأبي، كيف هو الآن؟
جرفت (بامتعاض): أبوك! أظن لم يعد يهتمك أمره. وإلا لما تأخرت عنه وهو
يناديك في غيبوبته، فلا يجاوبه غير صدى صوته (إلى تشاندس) أبهذا تدعوك المروءة
يا مستر بارل؟

ليرا (برجفة): يدعوني أبي فلا يجدني؟ (تجري إلى الباب وتخرج).
جرفت: فيم كنتما تتباحثان؟
تشاندس: كنا نتكلم في أمر العناية بالمريض.
جرفت (بسخرية): المريض بين يدي رحمة الله، وهو في حاجة إلى الدواء، وسأذهب
لاستحضاره من بترال. فكن حارس المنزل حتى أعود.

تشاندس: ألنت في حاجة إلى مساعدة مالية؟

جرفت (بازدراء): ومن قال لك أننا فقراء؟ (يخرج مسرعاً).

تشاندس (لنفسه): لقد تم مرادي، وحالفني التوفيق، بأن صرفت التحويل. سأشتري تلك الغادة بمبلغ خمسمائة دينار. وإنه بلا شك ثمن بخث. إنني نسيت الكاهن. وأين أجد كاهناً يقبل أن يعقد لي عليها؟ وماذا يكون جوابي إذا علم أنني اختلسها؟ (حيرة) وإذا تم العقد، فهل يتيسر لي الهرب؟ ولو علم داين بذلك فكيف يكون موقفني أمامه؟

جرفت (يدخل): مستر بارل، إنني لم أكد أبتعد عن المنزل حتى اعترضني رجل وسألني عنك.

تشاندس (برجفة): عني أنا؟ وبماذا أجبتة؟ وهل ذكر لك اسمه؟

جرفت: نعم، علمت أن اسمه روبرت رودن.

تشاندس (بدهشة): روبرت رودن؟ وكيف علم هذا الرجل إنني هنا وبماذا أسماني؟

جرفت (بتعجب): بماذا أسماك؟ وهل لك اسم غير دوجرفري بارل؟

تشاندس: كلا.

جرفت: إنه وصفك دون أن يسميك.

تشاندس (باطمئنان): كيف وصفني؟ وما ملخص هذا الوصف؟

جرفت: سألني عما إذا كنت من سكان هذه الناحية، وعما إذا كنت أعرف العائلة التي تسكن هذا الكوخ، فأجبتة بقولي أنا من سكان هذا الكوخ. فعلى من تسأل؟ فأردف قائلاً: أسأل عن سيد بلغني أنه نزل ضيفاً على أهله. إثر حادث ألم بساقه وأزيدك إيضاحاً أنه شاعر وموسيقي فعلمت أنه يسأل عنك.

تشاندس (باهتمام): وماذا كان جوابك؟

جرفت: قلت نعم، إنه لا يزال عندنا.. أتحب أن تراه؟

تشاندس: لا بأس، دعه يدخل. واذهب في قضاء حاجتك.

جرفت: إنني عهدتك شريعاً. لذلك سأذهب مطمئناً (يخرج).

تشاندس (لنفسه): هاقد حضر الشقي روبرت. فلأستخلصنه لنفسي. إنه شيطان رجيم. وهو نعم الكاهن المطلوب.

روبرت (يدخل): المعذرة، ياسيدي تشاندس (رافعاً قبعته) إذا جاءت زيارتي على غير دعوة منك.

تشاندس: أهلا بك يا روبرت.

روبرت: لقد دعنتي إليك الحاجة الشديدة، يا لورد.

تشاندس: وأنا لا أنكر الوفاء بوعدتي.

روبرت: لقد أوشك الدائنون أن يسدوا في وجهي كل الطرقات.

تشاندس (يضحك): إنك داهية، يا روبرت. أخبرني كيف علمت أنني هنا؟

روبرت: انتظرتك طويلا، فلما لم تشرفني بزيارتك، كما وعدت، تنسمت أخبارك.

تشاندس: حسناً، لقد كنت أفكر فيك قبل دخولك عليّ ببضع دقائق؟

روبرت (بدهشة): عسى أن يكون الأمر خيراً.

تشاندس: رأيت أن أنفحك بمبلغ كبير ليكون لك رأس مال يضمن لك حسن

المستقبل.

روبرت (بدهشة): مبلغ كبير! إنك بذلك تبرهن على مجد لأجدادك.

تشاندس: سأنقذك خمسين ذهباً.

روبرت (بدهشة): خمسين ذهباً؟ إنني لا أكاد أصدق ذلك.

تشاندس: إنها الصداقة تدفعني إلى مساعدتك، يا عزيزي روبرت.

روبرت: سأتمكن بهذا المال من القيام برحلة تعود عليّ بالثروة.

تشاندس: وسفرك إلى بلادك ثانية هو جل مرغوبي.

روبرت (بدهشة): جل مرغوبك! إن هذا لعجيب.

تشاندس: إنني أتمنى لك السعادة والخير من وراء ذلك السفر.

روبرت: لقد عدنا إلى الفلسفة، إذ يرييني منك هذا العطاء.

تشاندس: إنه يهمني أن يكون صديقي غنياً، فأبعد عن رأسك سوء النية.

روبرت: الآن صرت على تمام الثقة، فهل يمكنك أن تدفع لي الآن شيئاً على

الحساب؟

تشاندس: لا شك.

روبرت (بدهشة): إنك تعاملني اليوم معاملة ما كنت أتوقعها. ويغلب على ظني أنك ستطلب مني قضاء مهمة.

تشاندس: لا تكن كثير الفضول، ياروبرت، فستصبح سعيدًا.

روبرت: إنك أسرتني بلطف معاملتك. وستجدي طوع أمرك من الآن.

تشاندس (بدهاء): ولولا ثقتي بك ما اخترتك (يضع يده على كتفه) روبرت! أتذكر عهد المدرسة؟

روبرت: نعم.

تشاندس: استجمع ذاكرتك. واذكر السنة الأخيرة من دراستنا، وأخبرني هل تتمثل أمام عينيك الرواية التي مثلناها في ذلك العهد؟

روبرت: نعم وأتخيلها الآن. وكنت فيها تجيد تمثيل البارون أليس كذلك؟

تشاندس (يضحك): ونسيت أنت الدور الذي كنت قائمًا بتمثيله، وأحرزت فيه السبق على جميع الممثلين.

روبرت (يضحك): نعم. القس.

تشاندس: منذ ذلك العهد شاهدت روايات عديدة. ولم أوفق لرؤية ممثل أجاد دور القس إجادتك إياه لذلك أطلب منك تمثيل هذا الدور غدًا في التاسعة صباحًا!

روبرت (بدهشة): غدًا في التاسعة صباحًا!

تشاندس: نعم لتعقد زواجًا بين شاب وفتاة.

روبرت: لا شك أنك تمزح، إذ كيف يكون العقد محترمًا أمام القانون؟

تشاندس: دعنا الآن من القانون، وافترض أنك تمثل ذلك تمثيلًا..

روبرت: الممثل غير مسؤول يا لورد.

تشاندس: لك ذلك.. فأجبنني: هل تقوم بهذه المهمة فتستحق الذهب، أو ترفضها فأضطر لمساومة سواك؟

روبرت (باهتمام): وأين يكون العقد؟

تشاندس: في كنيسة القديس مرقس القديمة.

روبرت: على الضفة اليمنى من نهر التو.
تشاندس: إذاً يجب أن تكون هناك قبل الساعة العاشرة من صبيحة الغد.
روبرت: ومن هما؟
تشاندس: أما الشاب فهو أنا.
روبرت (بدهشة): أنت نفسك؟
تشاندس: نعم، ألم أقل إنها ألعبوبة؟
روبرت: وهل هي راضية، وتعلم سر الموضوع؟
تشاندس: عليك أن تقوم بواجبك كقس حقيقي. سلها أراضية هي أم لا، وسوف تجيبك.
روبرت (بازعاج): إسمح لي أيها السيد أنني أشعر بأن هناك سرًا، وأخشى أن يكون خطرًا عليّ.
تشاندس: إطمئن، فلا خطر عليك.
روبرت: ومن هذه الفتاة؟
تشاندس: هذا ليس من شأنك.
روبرت: وهل سنكون وحدنا في الكنيسة؟
تشاندس: خوفًا من افتضاح أمرك، سأحضر معها فقط. فهل أنت على استعداد؟
روبرت: تنقصني ملابس القس، وسأستأجرها اليوم.
تشاندس (يضع يده في جيبه ويخرجها بالذهب): خذ هذا على الحساب. يجب ألا تستريب بك الفتاة.
روبرت: كن مطمئنًا (يعد الذهب) والباقي من الخمسين؟
تشاندس: سأدفعه بعد تمام العقد.
روبرت (يمد يده): إلى الملتقى.
تشاندس (وهو يصافحه): غيرت إسمي هنا، فأصبح دجوفري بارل. (بصوت خافت) فإذا صادفك الخادم الشيخ وسألك فلا تنسى.
روبرت: فهمت دجوفري بارل (يخرج).

تشاندس (لنفسه): لقد تم كل شيء. وأصبحت ليرا لي، ألهو بها ما شئت.
فيالسعادتي!

جرفث (يدخل ومعه الدواء): لقد أحضرت الدواء.
تشاندس: حسناً. أسرع إلى المريض. (يدخل جرفث إلى مخدع المريض).
تشاندس: سأمثل دوري الأخير، متي حضرت ليرا.
ليرا (تدخل متلفتة): يخيّل إليّ أنني كنت أسمع محاورّة هنا. كانت تدور بينك وبين رجل آخر.. فهل أنا على يقين؟

تشاندس (باهتمام): هل وصل إلى سمعك منها شيء.
ليرا: كلا إنني كنت منصرفة بكليتي إلى العناية بأبي.
تشاندس: اسأل الله له تمام الشفاء.
ليرا: شكراً، يا مستر بارل.

تشاندس: لقد دعّنتني حوادث مهمة وظروف حرجة إلى المبادرة بإتمام عقد زواجنا قبل فوات الوقت.

ليرا: إنك غريب الأطوار يا سيدي. ما هي تلك الدواعي المهمة؟
تشاندس: هنالك سببان قويان. أولهما أنه وردت الآن رسالة إلى أبيك من مستر دجارفن الدائن يطلب فيها وجوب وفاء الدين بعد غد، وإلا اضطر إلى تنفيذ ما اتفقا عليه ورفقاً بحال أبيك، سأخفي عنه ذلك.
ليرا: ويلاه! (مرتجفة) أين هذه الرسالة؟
تشاندس: هاهي معي لأبرهن بها على صداقتي وحسن نيتي (يهمُّ بإخراجها ليوهمها أن ذلك حقيقي).

ليرا (بسذاجة): دعها إنك صادق. تكفيني منك الصراحة.
تشاندس: أما الثاني، فقد حمل إليّ الرسول الذي كان هنا الآن نبأ مزعجاً، ألا وهو أن عمّتي البارونة في فراش النزاع، وهي لا وريث لها وتسالني العودة حالا لأستلم الوصية.

ليرا (تتنهد): إذا ستسافر حالا؟

تشاندس: يمكنني تأجيل السفر إلى ما بعد إتمام العقد غدًا.
ليرا: ولم هذه السرعة؟
تشاندس: لأدفع المبلغ مطمئنًا هادئ البال.
ليرا: وماذا عليك لو دفعت المبلغ وسافرت، وبعد عودتك يتم ما أردت، وربما تماثل أبي للشفاء، فيشترك معنا في هذا الزفاف؟
تشاندس: كان بودي أن أقوم بجميع أوامرك. غير أنني أخشى تغيير رأيك.
ليرا: أتخشى أن أنقض عهدك؟ أقسم لك بأبي وأمي...
تشاندس: لا داعي للقسم، وخير البر عاجله.
ليرا: آه، ولكن ...
تشاندس: لا تردددي وتشجعي.
ليرا: أتشتريني بالمال، يا مستر بارل؟ إنني أعتبر هذا قسوة منك.
تشاندس: كفي. ها أنا راحل عنك. آسف لرفضك يدي.
ليرا (تبكي): إرحم دموعي، يا مستر بارل، أيسمح شرفك أن تترك هذا الذي وضعك في منزله واعتنى بك أيام آلامك لكي يذهب ضحية المال؟
تشاندس: كفى أيتها العذراء. فإنقاذ أبيك يتوقف على كلمة منك.
ليرا: آه! أيها القاسي ألا تزال مصممًا. (تتنهد).
تشاندس: لن أتحول قيد شعرة عن عزمي. وأقسم لك بشرفي أنك إن لم تدعني لأمرّي ارتحلت عنكم حالا. إن كلمة واحدة تزف إليك السعادة.
ليرا: أليس للرحمة سبيل إلى فؤادك؟
تشاندس: لا أمل في استعطائي، أيتها العذراء. واحد من اثنين إجابة أم رفض.
ليرا (بجنون): تمهل. انتظر يا صاحب المال. نج أبي، وافعل ما شئت (تبكي).
تشاندس (يعود عودة الظافر): إنك الآن تستحقين حبي، يا مس ليра. فهل أنت راضية عن زواجنا؟
ليرا: والمال، أتدفعه حالا متى قبلت؟
تشاندس: بلى، وها أنا على قدم الاستعداد. فغدًا صباحًا يعقد العقد ويدفع المال.

ليرا (برعب): ويلاه. غداً يتم هذا الزواج العجيب!
تشاندس: في كنيسة مرقس القديمة.
ليرا (بذهول): يا آلهة السماء! (لنفسها) أأندس هيكها المقدس! أه. كيف أطرده
خياله عني. يا ألهي. (تسقط).
تشاندس (يساعدها على النهوض): ماذا أصابك؟ (لنفسه) بماذا كانت تتمم
كأنها مأخوذة! لا بد أن يكون لها سرٌّ سأكتشفه بعد. (إليها) انهضي يا ليра.
ليرا (تفريق قليلا. وهي تهذي): زواج؟ هيكل القديس مرقس؟ كهف صباي؟ لا!
لا!

تشاندس: ليرا! عودي إلى رشدك.
ليرا (تمسح جبينها): نعم. (تقف) أنقذ أبي. واعلم أن ليرا العذراء باعت نفسها
لتفدي شرف أبيها.
تشاندس: مسكينة أنت، يا ليرا. (يضع يده على كتفها) أعيريني سمعك، سأذهب
إلى برنستابل الآن لأستحضر المال. وأعود في الثامنة صباحاً إلى الكنيسة مصحوباً بالأب
المحترم. فيجب أن نجدك. ولن يكون لنا رابع أفهمت؟
ليرا: نعم، فهمت.
تشاندس: وماذا أنت قائلة؟

ليرا (تنتحب): لا شيء. وإن لم يتيسر لك الحصول على المال، فماذا يكون العمل؟
تشاندس: التحويل معي، فاطمئني جداً. إلى الغد (يخرج).
ليرا (لنفسها): ما أشد ما أقاسي! (تسقط على الكرسي) أه. أين أنت يا أماه؟ إني
أكاد أرى روحك الطاهرة تحلق بأجنحة رحمتها فوق غصن شبابي الذابل. أماه، كيف
تركيني فريسة هذا الوحش القاسي، ينشب مخالف قسوته في هيكل ابنتك المقدس؟
أبت، أين أنت لتذود عن ابنتك؟ لقد ضرب سوء طالعي حولك سوراً من حديد.. (تقف)
ويلاه بماذا أشعر؟ ماذا أرى؟ أفي يقظة أنا أم في منام؟ لورد داين، أيها الحبيب! أين
رحلت عني شهامتك في وقت الحاجة إليها؟ عفوً أيها الشريف، إني مرغمة. ترى أين
أجدك الآن قبل أن يفوت الوقت؟ (تتنهد) إلهي أنت وحدك القادر على الأخذ بناصري.
فإليك أضرع وبك أستجير. إلهي أترضى أن أبيع نفسي كالسلعة؟ أقدرت علي العذاب،
وكتبت لي الشقاء؟ أنا لم أقترف ذنباً أستحق عليه هذا الجزاء. فلم كتبت علي التعاسة
والشقاء؟ (تبكي) إلى أي حمى غير حماك ألتجئ؟ وبأي قدرة غير قدرتك أتوسل؟ كنت

أكل أمري إلى أبي وحبيبي، بيد أن مشيئتك أقصتني عني. (تبكي) إلهي إني أكاد أجن من هول هذه الضربات المتواليات. آه، ماذا أرى؟ (بحزن) وحقك يا ملك الموت (تركع) رفقا به، رحمة بأبي. أتوسل إليك، اتركه لي. (تبكي). أيتها الروح الطاهرة، أتوسل إليك بدموعي (تحقق ببصرها وترتجف فاتحة ذراعيها). أماه! أماه! يا من أرى سعادتي في قربها، هل أنت راحلة كسابق عادتك، أم اخترت البقاء لحماية ابنتك؟ ويلاه! إنها حانقة علي. أماه رفقا بابنتك. لم أجن ذنباً إني بريئة. ما رضيت إلا كرهاً، وما قبلت الأمر إلا مرغمة. اختفى عني من كان يستطيع إنقاذي، لو علم. أبي يحتضر، المرابي لا يرحم، الدين يجب أن يدفع بعد غد. (تجهش بالبكاء) أماه، إنقاذاً لشرف أبي قذفت بنفسي إلى الهاوية. نعم، سأكون بالكنيسة في الأجل المضروب. (تسقط على الأرض وهي تلفظ أ ... ما ... ه ... إ ... ني لاحقه ... بك).

(تسدل الستار على مهل أثناء نطق الجملة الأخيرة)

الفصل الرابع

المنظر الأول

(طريق النهر)

(تدخل ليرا بملابس سوداء وعلى رأسها القبعة متأهبة للسفر)

ليرا: أخشى أن يفوتني القطار، ومسر ليزلي في انتظاري. لماذا لم يحضر جرفث، وقد وعدني ألا يتأخر؟ (تتأمل) كفاني أيها الدهر، أصبحت خيالا. (تبكي) مات أبي، نعم قضي من كان يحيا من أجلي. أيتها السماء، أمطري قبره غيوث رحمتك، ومري ملائكة الرحمة أن تبارك جسده الطاهر. (تبكي) أيها الوالد الشهيد، إن ابنتك قامت بالواجب عليها، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان. فلا تلعني، واشفق علي لقد قبلت بغير علم منك، وذهبت معه إلى الهيكل بدون مشورتك. نعم هذا عقوق. إنني لم أحترم أبوتك التي أقدسها، ولكنني كنت مرغمة. ولو علمت السبب لغفرت لي ذنبي. (تبكي) ترى أين ذهب ذلك الوحش المفترس، إنه كان يحسبني أبيع شرفي. لذلك أبى أن يسلمني المال الذي تعاهدنا عليه حين علم بموت أبي المسكين. إنه لنذل دنيء.

جرفث (يدخل ومعه حقيبة السفر): ألا تزالين مصممة على السفر؟

ليرا: نعم وأشعر أن فيه سعادتي.

جرفث (يمسك يدها ويضع الحقيبة على الأرض): ليرا، يحزنني جدًا أن أراك تقذفين بنفسك بين أمواج عالم لم تتعوديه من قبل. وكيف تظنين أن هناك السعادة، وشيطان الشر كثير الجنود؟ ليرا، أنعمي النظر جيدًا في خادمك الأمين، ولا يربك منه

شعره الأبيض. هاهو لا يزال أمامك يشعر أن قوة شبابه تعاوده، ويخيل إليه أن ما أصابه من البلاء بموت أبيك وضياع الكوخ ...

ليرا (تقاطعه): نعم لقد خسرنا كل شيء. (تبكي).

جرفت (يستطرد): كل ذلك طرد عني ضعف الشيخوخة، وأرجع إلي شرخ الصبا وفتوة الشباب، حتى أراني الآن أنافس ابن العشرين جلدًا على العمل. فلماذا لا تثقين بقوة ساعدي، وقد أوقفت حياتي على خدمتك منذ نعومة أظفارك يا ليра؟ أنسيت أن شخص أمك وروح أبيك يتمثلان الآن في شخصي أنا؟ فلم تطوحين بغضّ شبابك اليانع بين برائن ذلك الدهر القلب؟ أما تخشين ما عساه يخبئه لك القدر؟ إرجعي إلى صوابك، يا ابنتي، واختاري البقاء معي في كوحن الحقير.

ليرا: في كوحن الحقير؟ هل أرجعه لنا دجارفن بعد أن سلبه منا أمس؟

جرفت: لقد تنازل لي عن ايجار الغرفة التي كنت أأخذها مخدعًا لي.

ليرا: أما تعلم أنّ هذا التنازل في نظير حراستك أملاكه الجديدة؟ (تبكي).

جرفت: إن هذا يقطع كبدي. فهوني عليك، وأخبريني علام عولت، إذًا. ألا تزالين

على عزمك؟

ليرا: هذا لا شك فيه. سأذهب حالا إلى برنستابل، ومنها إلى لندن لأقابل صاحبة العنوان مسز لزي، وإني لأظننها ربة قصر تروز.

جرفت: نعم إنها رئيسة حاشية القصر، وهي المكلفة من قبل الليدي بانتخاب الوصيعة.

ليرا: حسنًا إنهم يريدون فتاة يتيمة (تبكي) تحسن القراءة ومن أسرة شريفة، تعيش في القصر لغير أجل محدود. وقد توفرت في كل هذه الشروط، وقلما تتوفر في سوى، لذلك أراني مطمئنة لهذه الوظيفة الجديدة.

جرفت: إنك هكذا يا ليرا، فعلى الطائر الميمون يا ابنتي العزيزة، واذكري أنك تركت شيخًا أحنى ظهره الكبر، وأضعف بصره الهرم، حملك طفلة بين ذراعيه، وكان يحنو عليك حنو الأم، ويرضعك لبان الأدب، حتى نشأت مثال الطهارة والعفة، وساعده على ذلك أنك سلية النبل والشرف (يبكي). تذكري هذا الهيكل الفاني يا ليرا، وإذا ما وانتك لحظة يمكنك فيها أن تكتبي فلا تدعيها تمر عبثًا، وإذا شعرت بوحشة فأسرعي بالعودة إليّ لأفتح لك ذراعي وأضمك إلى قلب يتقطع لفراقك، ولأستنفد آخر نقطة من دمي في الذود عنك، باذلاً قصارى ما وهبني ربي من القوة في حمايتك من غائلة الفاقة

يا ليرا، لا زالت لدى القوة الكافية لكسب ما يطرد عنا ألم الجوع، فلم العجلة؟ أما كان يجدر بك انتظاري حتى أوارى لحدي؟ وما ذلك اليوم ببعيد، إذ ذاك أموت قرير العين وأرقد هادئ البال.

ليرا (تبكي): إنك تقطع أحشائي بتوسلاتك المرة، ولكن فات الأوان؛ إنني فقدت كل شيء، أصبحت لا أجد مخلوقاً يحنو علي سواك، ولما كانت راحتك غاية مناي، فقد آليت على نفسي الشقاء والعمل، فابق أنت، واعلم أنني أسعى ليعيش كلانا آمناً على نفسه من الفقر. جرفث! هون عليك أمر فراقي، وثق أنني لن أنساك ولن أتناسك، يا من أضعت زهرة حياتك في الدفاع عن عفتي وشرفي؛ إنني أعترف لك بالفضل، وأشكر لك حسن الصنيع؛ ولما كنت آخر مخلوق له علي حق التصرف، وله وحده ميزة الرعاية، فها أنا ذا لا أخطو خطوة واحدة إلا بأمر منك، وإنني لا زلت ربيبتك المطيعة.

جرفث (يبكي): إنني لا أحب أن أكون حائلاً بينك وبين السعادة، فما دمت تشعرين بالهناء لسفرك هذا، فأني ألزم الصبر مرغماً، وأوصيك خيراً بشخصك المحبوب وبشيخوختي الفانية.

ليرا: كن مطمئناً فأني سأجعل طريق المراسلة مفتوحة بيننا ولن أوصدها ما دمت أنسم هواء الحياة، وسأبعث لك بكل مرتبي الشهري لتقتصده عندك، حتى إذا اضطررتني الحياة أن أهجر لندن عدت إليك فنعيش ما بقي لنا من العمر آمنين طوارئ الدهر.

جرفث: أه يا ليرا، إنك طيبة القلب (يبكي) إلهي! أقدرت لي أن أراها ثانية! ليرا: هديء من روعك، فالحياة كلها شقاء. وأخبرني، هل أصبت الشقي حين أطلقت النار عليه؟

جرفث: أي شقي؟ نعم، تذكرت: دي جوفرى بارل المعتوه، أليس كذلك؟ ليرا: نعم، هذا الوحش المفترس.

جرفث: كلا، إنه نجا بأعجوبة، ذلك لأنه توارى عن نظري بين ملتف أغصان الغابة فأخطأته، ولكني أعدك أنه هالك من يدي متى وقع بصري عليه، وسأنتبع آثاره ولو تعلق بأهداب الرياح، إنه جني علينا جناية ما أظنها تغتفر؛ ذلك لأنه كان السبب في موت أبيك، لأن زهابك معه إلى كنيسة القديس مرقس كان شؤماً على سيدي، إذ ظن ما لا أحب أن أطلعك عليه.

ليرا: أبي ظن بي السوء؟ (تبكي).

جرفث: ومع هذا، أخذت أبرهن له جهد مستطاعي، فلم أفلح. (يبكي) مسكين لقد قتله بارل باختطافك من يده وهو على فراش النزع. أنظري يا ابنتي، كيف مات أبوك وهو يتوسل إلي أن أنقذ عفتك من الضياع.

ليرا: أبي! (يحزن) أشهد الله أنني طاهرة بريئة. نعم، نم هادئًا، وستعلم في قبرك أن ابنتك دافعت عن نفسها أحسن دفاع. (تبكي) إنه غشني وكفى. فاترك الله عقابه.

جرفث: إنني حتى الآن لم أعلم شيئًا عن هذا السر الذي أخفيته عني فهل لك أن تطلعي علي عليه حتي يستريح ضميري؟

ليرا: أه، يا جرفث. لست أستطيع ولساني لا يجسر أن يفوه بكلمة. وكفاني تعذيبًا ولكن اطمئن فسأجعل اعترافي لك على لسان الرسائل. والآن أخاف أن يفوتني القطار، فأستودعك الله؟

جرفث: رغم تبكيت ضميري سأنتظر.

ليرا: وداعًا يا جرفث. وستراني إن شاء الله بارة وفيه.

جرفث (يضمها إلى صدره ويقبلها بحرارة): إلى الملتقى يا ليра. تجلدي يا ابنتي. واعتقدي أن الله سيتكفل بحراستك بعينه التي لا تنام. فلن تصل إليك يد الشر، مهما كانت قوية. ليرا! سأعود إلى غرفتي فأوحد علي بابها، وأمتنع عن رؤية العالم بأسره واضحًا أمام عيني الضعيفتين صورتك المحبوبة. ويخيل إلي أنني لن أرفع نظري عنها إلا متى تناولت منك الكتاب الأول مبشرًا بسلامة الوصول. فبالله عليك لا تتركييني فريسة الإنتظار، وأعلمي أنه لا سلوان لي، أنا الشيخ الفاني، سوى الرسائل.

ليرا: هون عليك، يا ولدي المحبوب. واسمح لي أن أدعوك بوالدي منذ اليوم (تعانقه وتبكي).

جرفث: بارك الله فيك يا ابنتي. (ينظر في الساعة) لقد أذنت التاسعة. فعلى الطائر الميمون. ليرا! ها أنا ذا أضرع إلى الله أن يسمح لي برؤيتك قبل أن أموت.

ليرا: أستودعك الله. (تبكي) جرفث! أسألك الصبر والجلد. (تعانقه بحرارة) إلى الملتقى أيها الأمين (تخرج).

جرفت (لنفسه بذهول بينما يمسخ دموعه): إلى الملتقى يا من نزعت الروح عني بفراقك (يبكي) إلهي لقد مات تشستر، وسافرت ليرا، وبقيت انا، فلم اخترت هذا؟ ولم لم تترك الوالد لابنته، حتى لاتضطرب الفتاة العذراء إلى ماأضطرت إليه الآن؟ سبحانه. ويا إلهي، كن معها أينما حلت، وهيء لها الخير أنى توجهت، وأبعد عنها الأذى (يمشي. إلى الباب ببطئ وتفكير).

(يغير المنظر بعد أن تطفأ الأنوار بغاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بقصر كاستل تروز. بها مكتب وبيانو على الجانبين)

(ليدى تيودوسيا هاينلت جالسة على مكتبها وأمامها أوراق تفحصها وأمام المكتب قسان: مارتن فاترو والفرد، وعلى الجهة اليسرى امرأة في سن الأربعين، مسز ليزلي)

تيودوسيا (تكتب ثم ترفع رأسها): ألم يتأخر أحد الأعضاء أمس؟
فانشو: كلا يا حضرة الليدى، وقد قرأت له ورقة الاعتذار المقدمة منك.
تيودوسيا: وهل وافقت قبولا؟ (تعاود الكتابة).
فانشو: نعم (يدخل داين أرمتايدج).

(داين يحيي القسيس برأسه ويبتسم لتيودوسيا ويجلس بجانبها)

فانشو (ينظر إلى اللورد بامتعاض): متى شرف حضرة اللورد؟
داين: الآن.

تيودوسيا (ترفع رأسها فترى اللورد): داين، أهلا بك ياأبن العم، نحن في اجتماع كما ترى، وأنت سيد القصر فاختر لنفسك أى مكان تستحسن ريثما ينفض الاجتماع.

داين: حسنًا (يظل جالسًا ينظر إلى فانشو من طرف خفي).
فانشو: يلوح لي أن سيدي اللورد يفضل أن يحضر الإجتماع.
داين (بسخرية): إن هذا يشجعني على عمل الخير.
تيودوسيا: يا حبذا لو صح ذلك! (تستطرد وهي تكتب) ستة وثلاثون ياردة من
الفلانيل بحساب شلن وخمسة بنسات للياردة الواحدة (ترفع رأسها فترى داين).
داين: أنا لا أظن أنني كنت كاتب حسابات.
تيودوسيا: عفواً، أنا لم أوجه إليك عملية الحساب.
فانشو (عابساً): جنيهان وأحد عشر شلناً فقط.
تيودوسيا (تكتب): نعم، جنيهان وأحد عشر شلناً بالضبط، وكم عدد الأعضاء؟
فانشو (ينظر في الأوراق): ثمانية وعشرون عضواً.
تيودوسيا: وكان كل عضو يدفع قيمة اشترك قدرها بنس في الأسبوع، فبعد كم
من الزمن يدفع الثمن؟
داين (بسخرية): بعد مائة سنة.
فانشو: دع عنك المزاح يا اللورد، أنسيت أن اجتماعنا هذا لصالح الفقراء؟ فلم
التهمكم؟
داين: معذرة يا حضرة المحترم، أنا لا أتهكم.
فانشو: لا داعي للسخرية بنا يا حضرة اللورد.
تيودوسيا: أتجهل أهمية هذا العمل يا عزيزي داين؟ إنا نجتهد في تأليف قلوب
جماعة من الموسرين لنحصل منهم على مبالغ من المال يكفي لشراء ملابس للفقراء
تقيهم قسوة البرد.
داين: أما أنا فأني على استعداد لدفع هذا المبلغ فوراً، ولا داعي لهذه المشاغل.
تيودوسيا: ليس هذا هو الغرض، إنما الغرض هو الاستمرار في عمل الخير. فلو
لم تشكل جمعية تقوم بكل ما يطلب منها من المعونة دون ارهاق، أعني بدفع مبلغ
زهيد في كل أسبوع، لأستحال على فرد واحد أن يقوم بأي عمل خيري مستديم.
داين: وإذا لم يتيسر جمع المبلغ من حضرات الأعضاء، فلا شك أن العقاب سيقع
على الفقراء المساكين.

فانشو (بغضب): إني أستحسن أيتها الليدي المحترمة أن تؤجلي هذا الإجتماع إلى فرصة أخرى.

داين: هل أزعجكم وجودي؟

فانشو: كلا يالورد، فقد أضعنا من وقت حضرة الليدي زمناً طويلاً في هذا العمل، وهي الآن تحتاج إلى الخلوة والراحة. فلنؤجل هذا الإجتماع إلى ما بعد الغد إن أمكن ذلك. (يقف).

تيودوسيا: رأى موفق. (تقوم وتصافح القسين) إلى ما بعد غد.

فانشو: إلى الملتقى يا حضرة اللورد. (يصافحه).

داين (يمزح): أتحب أن أكون أحد الأعضاء في الإجتماع القادم؟

فانشو: أنت السيد الأمر. (يخرج ورفيقه).

تيودوسيا (إجلس يا داين): لماذا لم تسألني عن صحتي كما هي عادتك؟

داين: لأنني وجدتك مشغولة (يجلس) وأحببت ألا أصرفك عن المهم.

تيودوسيا: أو تحتقر عملنا هذا يا لورد؟

داين: كلا يا عزيزتي. إما أستسهل دفع المبلغ عن جمعه في سنوات.

تيودوسيا: إن دفع هذا المبلغ وأضعافه صفقة واحدة لمن السهل جدًّا على فرد غني، ولكن من المستحيل أن يستمر ذلك.

داين: إني أنظر إلى هذا الموضوع من وجهة نظري تخصني وحدي. ومعنى ذلك أنني أفضل دفع ألف شلن عن أن أشتغل بعمل كهذا نصف ساعة.

تيودوسيا: إنك مخطئ جدًّا يالورد — ويا ليت المصور أبدعك في القالب الذي أفرغت أنا فيه.

داين: أعوذ بالله (يضحك) أأصبح عاشقًا للمحابر والأوراق؟

تيودوسيا: وهل في هذا عار عليك؟

داين: كلا. ولكنني أميل إلى الهدوء والسكينة.

تيودوسيا: دعنا من هذا، واشرح لي أين كانت سياحتك. وهل، كنت تشعر فيها بالسعادة؟

داين: نعم كنت في سعادة وهناء، غير أنني لم أكن أعلم شيئاً عن أستار منستر، ولا كاستل تروز. ذلك لأنه يندر أن تمس يدي صحيفة. ولا تنسى ذلك الجهل.
مسز ليزلي: حماك الله من ذلك يا لورد! كيف تنسب لنفسك ما ليس فيك؟
تيودوسيا: إنك بذلك تفتحين لي سبيل التماذي في معتقده، يا عزيزتي ليزلي.
داين: أصبت المرمى يا ابنة العم. فلا عدمتك أبداً.
تيودوسيا (إلى ليزلي): كان يجب عليك مساعدتي لتفتحي لعينيهِ طريق الخير فيسلكه.

داين (يضحك): لقد انقضت جلسة الحسنات، وبدأت جلسة السيئات. ولكني مع هذا أراك ملكاً مصلحاً أيتها القديسة المحسنة.

تيودوسيا: إن آراءك هذه تبرهن على أنك لا تدرك كنه مركز العظيم، ولا تشعر بمقامك الرفيع. إن شاباً في صحتك وثروتك وجاهك يجب أن يمد يد المساعدة إلى المحتاجين؛ فيطعم المسكين، ويكسو اليتيم، وينتشل البائس من مهاوي الفاقة، ويأخذ بناصر من أحنى عليه الدهر.

داين (غارقاً في تأملاته): أترضي مكارم أخلاقك، أيتها الواعظة الحسنة. سليلة أسرة هابنليت، أن تصميني هذه الوصمة؟

مسز ليزلي (إلى تيودوسيا): يظهر أن حضرة اللورد كان في تفكير عميق، وكانت وجهته غير كاستل تروز، وإلا ما كان قد فهم ما فهم.

داين (لليزلي): شكراً لك أيتها الأمينة. لقد كنت أحسبك أكثر محبة لي مما بدا الآن.
تيودوسيا: إنها تقول الصراحة، فما معنى التهكم؟ إنني أستحلفك بشرفك أن

تخبرني هل كنت مصغياً إلى كلماتي الأخيرة؟

داين: لا أنكر عليك أنه فاتني منها شيء.

تيودوسيا: وكيف استنتجت هذا الحكم الجائر علي وعلى صديقتي العزيزة؟

داين: أنه أوحى إليّ به من صيد السمك. فما أسعد الذين ينقطعون للصيد!

تيودوسيا (بأسف): دعنا مما لا فائدة فيه، واشرح لنا شيئاً من سياحتك الأخيرة.

داين: لقد طفت بجميع المداين والقرى الواقعة على ضفتي نهر التو، وصادفت المعتوه في فندق برنستابل.

الفصل الرابع

تيودوسيا (بدهشة): ومن هو هذا المعتوه؟

داين: شاعر، ومصور، وموسيقي العائلة.

تيودوسيا (تضحك): لقد فهمت (إلى ليزلي) إنه يعني تشاندس ارمتايدج.

داين: نعم هو ذلك الأبله. ولقد وقعت بيننا مشاجرة عنيفة أدت بي إلى طرده من غرفتي.

تيودوسيا: إنك تمقته مقّتًا شديدًا يا لورد. فهل من سبب؟

داين: لا داعي لذكر السبب الآن، لأنه مشين ومخجل. (يستطرد) ولما انقضت تلك الليلة المشؤومة بكرت أتمم سياحتي حول النهر. فأعجبني بقعة أرض هناك كأنها روضة من رياض الفردوس (يتنهد) فأحببت أن أستظل تحت وارف ظلالها. وما أستقر بي الجلوس لحظة حتى ذكرت ساعة صيد السمك (يتنهد) وزن في أذني أن الصيد خطيئة.

تيودوسيا: إذن ماذا صنعت؟

داين: بدأت أصيد. (يتذكر) وما هي إلا هنيهة حتى هبت ريح عاصفة كادت تقتلع أشجار الوادي، فارتديت معطفي. وسرعان ما فارقت تلك الروضة الأنيقة (يتنهد) التي سلبتني عقلي لما أبدعته فيها الطبيعة من الرونق والجمال.

تيودوسيا: أو تستبيك روضة، يا لورد؟

داين: إني بدأت أن اتعلم الغزل.. (يتأوه) ولكن آه! فارقني حسن الحظ.

تيودوسيا: إنك تتكلم بلغة تستر تحتها أسرارًا غامضة.

داين: لا وحقك، يا ابنة العم. إني خلو من الأسرار الغرامية، إذا كنت ترمين إلى ذلك.

تيودوسيا: لا بأس. ألم تر تشاندس منذ تلك الليلة؟

داين: كلا ولا أحب أن أراه.

تيودوسيا: لقد كتب إلي منذ شهر لأقبله عضوًا عاملاً في جمعيتنا الخيرية، فقبلناه. وقد طلب مابقي له من إيراد هذه السنة، فأرسلت إليه تحويلًا بمبلغ خمسمائة جنيه. وعلمت منه أنه نزل ضيفًا على عائلة فقيرة في طريق برنستابل. دون أن أعرف السبب. ومنذ ذلك الحين انقطعت عني أخباره تمامًا.

داين: نزل ضيفاً على عائلة فقيرة في برنستابل؟ هذا ما لا أصدقه (لنفسه) إنها ليست فقيرة. (يستطرد) ولكن مالنا ولهذا الأبله!
تيودوسيا: ما عهديك على هذه الدرجة من الكراهية له قبل الآن. أنسيت أنه يحمل لقبك؟

داين: إنه لا يستحق هذا اللقب. (يصمت قليلاً) نسيت أن أسألك عن صحة حضرة الإيرل المحترم، والدي.

تيودوسيا: بخير.. يواصل عمله بهمة لا تعرف الملل ساعات متواليات.

داين: إني أشعر بألم الجوع.

تيودوسيا (إلى مسز ليزلي): مري يا عزيزتي بإحضار المائدة.

ليزلي (تقف): هل نسيت مولاتي موعد قصر جاردن سكوير في لندن؟

تيودوسيا (تنظر في ساعتها): يجب أن تسافر بعد الطعام مباشرة؟ هل بعثت بالعنوان الكافي لوصيفتها الجديدة؟

داين (إلى تيودوسيا): أبعثت في طلب وصيفة جديدة؟

تيودوسيا: نعم، لآترك شؤون القصر إلى ليزلي. وأختص بها لنفسني.

ليزلي: نعم أمرتها أن تصل إلى محطة واترلو، حيث تكون العربة في انتظارها. وسأقبلها في قصر مولاتي بلندن، ثم أرافقها إلى هنا.

تيودوسيا: أسرعى بتنفيذ ذلك بعد فراغك من المائدة مباشرة.

(ليزلي تنحني وتخرج)

تيودوسيا (إلى داين): ألم تعلم أن أباك سيشرفني بزورته اليوم، يا لورد، فلقد تناولت كتاباً منه أمس وعدني فيه بأنه سيشرف قصري اليوم. فما أشد سروره برؤيتك هنا!

داين: كان يدور في خلدي أن أترك كاسل تروز إلى استار منستر اليوم حيث أتشرف بمقابلة. أما وقد صار على وشك الوصول، فمن الواجب انتظاره هنا.
شارل (ينحني ويدخل): المائدة في انتظار مولاتي.

تيودوسيا: ومسر ليزلي؟

شارل: تجهز أمتعة السفر.

تيودوسيا (تقف): إلى المائدة بالورد.

داين (يقف): هات ذراعك يآأبنة العم. (يخرجان).

شارل (لنفسه وهو يرتب الصالون): ما أسعد حياة الأغنياء وما أهنأها!

وليم (من الداخل): شارل! شارل! (يظهر وليم بالباب) شارل! لقد وصل مولاي

الإرل.

شارل (يسرع الخطى إلى الباب ليستقبل الإيرل): أوصلت العربة إلى باب القصر؟

وليم: استعد، فهو الآن على الدرج.

الإيرل (يدخل فينحني شارل ووليم): أين مولاتكما؟

شارل (ينحني): على المائدة.

الإيرل: ألم تصلكم أخبار عن ولدي لورد داين؟

شارل: مولاي اللورد هنا في القصر من صبيحة اليوم.

الإيرل (بدهشة): داين هنا في كاستل تروز؟ (لنفسه) ولم لم يصل رأسًا إلى أستار

منستر؟ (إلى شارل) إذن هو على المائدة الآن؟

شارل (ينحني): نعم، يا مولاي.

الإيرل: حسنًا، لا تعلن خبر قدومي إلى الليدي إلا بعد انتهاء المائدة.

(شارل يدخل ينحني ويخرج ووليم)

الإيرل (لنفسه): أحمد الله، فقد وصل سالمًا بعد رحلته الطويلة (ينادي) شارل!

شارل (يدخل وينحني): مولاي!

الإيرل: إني أسمع الأميرة تودع انسانًا، وأخشى أن يكون اللورد.

شارل: إن مولاتي تودع مسز ليزلي. لتلحق بقطار لندن كي تحضر وصيفة

جديدة.

الإيرل: إنك شديد النباهة يا شارل.

تيودوسيا (تدخل ومعها دايين): لقد شرفتني بزورك قصري، يا سيدي الإيرل.
(تصافحه).

داين (يصافح الإيرل): تحيتي إلى الوالد المحترم.
الإيرل: أهلا بكما يا ولديّ. (يجلسان. دايين عن يمينه وتيودوسيا عن شماله).
تيودوسيا: أهلا بك من كل قلبي، يا سيدي اللورد الأكبر.
الإيرل (لتيودوسيا): أشكر لك هذه العناية. (لداين) وأين كانت سياحتك الأخيرة؟
داين: إنني بفضل رضاء سيدي الوالد المحترم أتمتع بالصحة والهناء في كل مكان.
الإيرل: وهل كنت سعيدًا في تلك السياحات الفريدة؟
داين: نعم، وكنت أمتلئ قوة ونشاطًا.

الإيرل (مبتسمًا): أو كان قلبك يذكرني، وأنت في سرورك ولهوك؟ ما ظننت ذلك؟
داين (بحياء): أما في سروري فنعم، وما أظنني ألهو الآن.
الإيرل: بارك الله فيك يا ولدي، أعزني أذنًا صاغية. (إلى تيودوسيا) أسمحين
بمشاركتنا يا عزيزتي الليدي؟ (إلى دايين) أما أن لك أن تفكر في مستقبلك؟
داين: يسعدني أن أكون مشمولًا من سيدي الوالد بالعطف، أما مستقبلي فهو ما
يوجهني إليه حظي.

الإيرل: أعددت لك مركزًا ساميًا لا يحتاج إلى اجهاد، وسترى أنه سيحسدك عليه
كل شريف.

تيودوسيا: ستملأ قلبي ابتهاجًا بقبولك، يا عزيزي دايين.
داين: إن رحلاتي الكثيرة في معظم مدن الدنيا المتحضرة زادت ثقافتني وأكسبتني
خبرة واطلاعا، وإني آنس في نفسي القدرة على القيام بكل ما يسند إليّ من الأعمال.
تيودوسيا (بشفقة وحنو): عزيزي دايين، إنك ترفع دعائم بيتك العريق بحسن
ثقتك بنفسك.

الإيرل: لو أنعمت النظر، يا ولدي، فيما نطق به الليدي، لعلمت مقدار حبها لك
وشغفها بحسن مستقبلك.

شارل (يدخل وينحني): مولاتي الليدي!

تيودوسيا (باهتمام): ما وراؤك يا شارل؟
شارل: إن جمعية ملجأ الأيتام الجديد التي شرعت مولاتي في إنشائه قد تكامل أعضاؤها، وهم في انتظار حضرة الرئيسة.
تيودوسيا: ألم تعلم أن حضرة الإيرل هنا، وهو ضيفنا اليوم؟
شارل: أعلم ذلك يا مولاتي.
تيودوسيا: ولم لم تستعمل عقلك حين الحاجة إليه؟ كان يمكنك أن تقدم اعتذاري، أو أن تنيب عني حضرة القس.
شارل: حاولت إنابة حضرة القس المحترم فلم أفلح، وقد ألح عليّ أن أعرض على مولاتي الأمر أولاً، فإذا صدر أمرك السامي بإنابته، قبل مرغماً.
تيودوسيا (بدهشة): مرغماً؟ وما معنى ذلك يا شارل؟ (بحدة).
شارل: إن بعض الأعضاء غير راض عنه، هذا هو سر الخلاف.
تيودوسيا: وكيف علمت ذلك؟
شارل: رأيتهم يتغامزون، وسمعت الناقلين عليه يتهامسون، فتجلت أمام عيني نار الحقد التي تشتعل في صدورهم، وخفت سوء العاقبة. لذلك أسرع لعرض الأمر.
تيودوسيا: إذاً يجب أن أتلافى الموضوع بنفسى قبل أن يستفحل. (إلى الإيرل)
أيسمح لى سيدى الإيرل ببضع دقائق؟
الإيرل: لقد أعجبتني شهامتك، يا عزيزتي. لك ما تشائين.
تيودوسيا (إلى شارل): شارل. أعلن قدومي. (ينحني ويخرج. تقف) لا تقلقا لغيابي (تخرج).
الإيرل: في حراسة الله (إلى داين) إنها أشرف فتاه كللت تاريخها بأكليل المجد. ولقد أضافت إلى أسرتنا أحسن ذكرى بما خلدت من آثارها من الحسنات.
داين: الحق معك يا والدي العزيز. إنها مثال الفضيلة والخير.
الإيرل: إني أخلو بك الآن. فهل تحب أن نتكلم في شأنها؟ وما هو رأيك؟
داين: نتفاوض في شأنها؟ وكيف أعلن لكم رأيي في شأن لا علم لى به؟
الإيرل: ألعك نسيت الخطبة التي أرتبطت بها منذ حادثتك؟

داين (باضطراب): إني لم أفكر في هذا الشأن قط.
الإيرل: ولكنني أهتم بسعادتك. أتجهل أهمية هذا الموضوع، وما يقع كلانا فيه إذا
فصمت عراه لا قدر الله.
داين: نعم أعلم ذلك.
الإيرل: لقد أرحت ضميري بها التصريح. وكان يخيفني أن تكون أصبحت قليل
العناية به.

داين: وكيف لا أهتم بما أنت مهتم به. وغرضك الهناء والراحة لي.
الإيرل: أحمد الله الذي وفقك إلى معرفة الواجب عليك.
داين: إني أحترم رأيك، يا ولدي المحبوب، وأقدس طاعتك. بيد أنني أخول لنفسي
الحق في شيء واحد.
الإيرل (يقاطعه): هو الزواج. أليس كذلك؟ إني لمحت غرضك بمجرد الإشارة.
داين: نعم. أحب أن أطلق لنفسي فيه حرية الاختيار، حيث أرى السعادة والشقاء
مقرونين به.

الإيرل: أنت محق يا داين. وأضف إلى ذلك أنني أبوك. فلا تقطع صلة أبوتي
واحترم مقامي.

داين (بخجل): احترام مقامك واجب مفروض علي. ولا يجرؤ أقوى عامل في الحياة
أن يعيث به أو يزعزع من مركزه. ورأيك فوق ما تحب أن يكون. غير أنني في هذا
الموضوع أميل بطبعي إلى دقات قلبي، وأنصاع إلى نداء ضميري. فبالله عليك، يا ولدي،
دعني وشأني في أمر زواجي. ولا تزف بيديك، التي ما تعودت غير الرحمة والعدل،
التعاسة والشقاء لوحيدك الخاضع المطيع (يتنهد) والدي العزيز! لقد عودتني الجرأة،
وعلمتني الصراحة، فلا يغضبك أنني استعملتها في حضرتك وأمام شخصك المحترم.
الإيرل (يتنهد): لقد سال منك دم الشرف على أسنة الطيش، إذ سولت لك نفسك
مخالفة أبيك، فرضيت له الإهانة، وقد بلغ هذه السن.

داين: رحماك، والدي!

الإيرل: إني تعاهدت ولورد هاينلت على ذلك — فكيف يسوغ لك أن تسفه رأيي،
وأنا نافذ الكلمة. إنك بذلك الرفض تمزق أحشائي، وتضم أسمى بوصمة عار لا تمحى.
أأختم حياتي بهذه النتيجة؟ ومن المحزن أنها لا تصدر إلا عنك أنت!

داين (بخشوع): هدى روعك، يا أبي، وأسمح لي بتقبيل يدك اعترافاً مني بالخطأ،
يقبل يده) وجباً في طلب العفو، (باستعطاف) يا والدي العزيز، أعلن أنني طوع أمرك.
الإيرل (بارتياح): أَرْضِيتَ أن تكون زوجاً لليدي تيودوسيا هينلت؟
داين (ينظر إلى الأرض باضطراب): نعم قبلت، ولكن أمهلني ريثما أكون على
استعداد.

الإيرل: لك مني ذلك. ولكن ضع نصب عينيك تنفيذ رغائبي. وتعهد لي من الآن
ألا ترفض يدها مهما كانت الأسباب.
داين: إني أعاهدك يا والدي الأعز على احترام رأيك، واتباع مشورتك.
الإيرل (يضع يده على كتفه): بارك الله فيك. وآمل أن أبني استار منستر لا ينقض
عهده.

داين: أثبت لا تسترب بعهدي لك.
الإيرل (ينظر في الساعة ثم ينادي): شارل!
شارل (يدخل وينحني): مولاي!
الإيرل: إني تركت أوراقاً هامة في حقيبتني الصغيرة، فسل خادمي أن يسلمك
الحقيبة بما فيها وأتني بها.
(شارل ينحني ويخرج) لك أن تساعدني في ترتيب أوراق يهمني إنجازها اليوم.
ولقد اخترت لك ذلك حتي لا تسأم وحدتك هنا.
داين: إني طوع الأمر.

شارل: يدخل فينحني ويضع الحقيبة أما الإيرل.
الإيرل: حسناً، ها هو العمل ياداي فها بنا إلى غرفة المكتب.
داين: هيا بنا (يتناول الحقيبة. يقف).
الإيرل (إلى شارل): شارل! إذا انتهت حضرة الليدي من عملها قبل أن نترك غرفة
المكتب وسألت عني واللورد، فعرفها أننا ندرس أوراقاً هامة، يجب أن ننهي منها
الليلة. (يخرجان).
شارل (ينحني. يرتب البهو): يندر وجود شيخ بهذا النشاط.

وليم (يدخل لمساعدة شارل): شارل! ما رأيك في هذا الشيخ الجليل؟
شارل: هذا هو الرجل العامل النافع اليقظ.. ويا حبذا لو حذا لورد داين حذوه.
وليم (يمسح البيانو ويفتحه ويلعب بأصابعه عليه): إنها ألعوبة منعشة (يعزف بأنغام رديئة) غريب! يظهر أن الأصابع التي تدق على هذه الآلة (ينظر إلى أصابعه) هي أصابع الأغنياء والجميلات فقط، لذلك أرى أصابعي تخونني، لأنني ألتمس ما ليس من شأني.

شارل (يسرع إليه ويغلق الآلة): اسكت يا متهوس. متى تترك الرعونة أيها الأحمق! ماذا يكون عقابك لو داهمتك مولاتي الآن؟
وليم (غاضباً): إنك تهينني، يا شارل، وسأطلب من مولاتي ألا أكون معك في عمل واحد منذ اليوم. (يخرج).
شارل (لنفسه): إنني أتعذب جداً في إصلاح هؤلاء الخدم، فلا بد من استبدال غير النافع منهم. (يخرج).

(سكوت طويل. تظلم الأنوار تدريجياً. تدق الساعة ٦ دقائق)

مسز ليزلي (تدخل وتتبعها ليرا ووراءهما وليم): مالى أراك غاضباً يا وليم؟
وليم: لست على وفاق مع شارل، وسأنتظر ريثما تنتهي مولاتي من اجتماعها، فأبسط إليها شكائتي.

ليزلي: كن واسع الصدر يا وليم.
وليم: إن شارل اهانني.
ليزلي: إنه يمزح معك، وهو أكبر منك سنّاً وأطول عهداً في خدمة مولاتنا الليدي. فلا تتعجل في عمل ما عساه يعود عليك باللائمة والتعنيف.. أقدم لك الانسة ليرا تشستر وصيفة مولاتنا الجديدة.

وليم (ينحني): لقد شرفت كاسل تروز.
ليرا: شكراً، يا وليم.
ليزلي (إلى ليرا): استريحى، يا عزيزتي. فقد صرفنا وقتاً طويلاً في السفر. (إلى وليم) إذهب بأمّعة الانسة ليرا إلى مخدعها الخاص.

(وليم ينحني. يهم بالخروج)

ليزلى: انتظر! لم لم تخبرني أين مولاتنا الليدي؟
وليم: مولاتي في إجتماع أظنه أوشك أن ينتهي وأرى أنها لن تنتظر أكثر من ذلك.
ليزلى: حسنًا، اذهب، ومر خادمة الغرفة أن تجهزها، (يخرج وليم) إني سعيدة بك يا عزيزتي ليرا.

ليرا: إن شفقتك على ياسيديتي، جعلتني أسيرة احساسك الشريف.
ليزلى: أشكر لك هذا العطف وأزيدك علمًا بأن مولاتنا مثال المروءة ومكارم الأخلاق.

ليرا: والله إن قصرًا يحويك بين جدرانها لخليق بأن يكون معبدًا مقدسًا، فإذا كنت أنت بهذه المكارم، فما بال سيدة القصر؟
ليزلى: شرحت لك، يا عزيزتي، ما يجب اتباعه لمولاتنا من الواجبات، فإذا اتبعت ما رسمت لك، كنت سعيدة.

ليرا: إني وعيت كل شيء، فاطمئني.
ليزلى: بارك الله فيك يا ليرا. (تنصت) ماذا أسمع؟ الخدم يهرجون.
شارل (يدخل بعجلة): أين وليم؟ ولماذا لم يوقد الشموع وقد هجم الظلام؟
ليزلى: ما بالك يا شارل؟
شارل (ينحني): عفواً يا حضرة الرئيسة (يجرى إلى الباب وينحني) مولاتي الليدي!

الليدي (تدخل): أهلا بك يا ليزلى (مشيرة إلى ليرا) ليرا تشستر؟
ليزلى (تنحني): أجل يا حضرة الليدي، لقد وصلت إلى جاردن سكوير في الموعد، ولم نلبث أن قمنا إلى كاسل تروز.
الليدي (تجلس): إني سعيدة جدًا برؤيتك يا مس ليرا، وأتعثم أن تكوني صديقة لا وصيفة.

ليرا (بابتهاج): إن هذه أسعد لحظة مرت بي منذ تنسمت الحياة.
الليدي: اجلسي بجانبى يا أميرة الكوخ، وقصي على أدوار حياتك موجزة. (إلى ليزلى) اجلسي يا ليزلى.

ليرا (تجلس بجانب الليدي): إن قصتي محزنة.
ليزلى: لقد أهاجت عواطفني منذ أول نظرة وقع بصري عليها في جاردن سكوير.
الليدي: من هو أبوك يا ليرا؟ ومن أي أسرة؟
ليرا (تتنهد): أبي آدون تشستر، كان شريفًا غنيًا، سكن أمريكا وأثرى فيها، ولكن خانه الحظ، وأظنه فقد ثروته فعاد إلى إنجلترا يحملني طفلة بعد أن ماتت أمي، وكنت في الربيع الأول (تبكي).
الليدي: لا تجزعي يا عزيزتي، وثقي أنك أصبحت منذ اليوم في أحضان أخت وأم معًا.

ليرا: عاد أبي إلى برنستايل يحملني رضيعة، وابتاع كوخًا صغيرًا على ضفة نهر التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة، وكان يقوم بتربيتي شيخ أمين (تتنهد) ظل في خدمة أبي أربعين عامًا، ولقد قام بتهذيبي خير قيام، وكان يحنو عليّ حنو الأم، فيدراً عني كل مكروه حتي ترعرعت لا أعلم عن الدنيا غيره ووالدي، ولم أصادق رجلاً غيرهما لأننا كنا في معزل عن العالم (تتنهد) ومنذ أيام قلائل داهمتنا مصيبة يالهلولها (تبكي) أوقعت الفشل في ذلك العش الهاديء المطمئن وشتت شمل ساكنيه (تبكي).

الليدي: يا إلهي (بحزن) وما موضوع ذلك المصاب؟
ليرا: فوجئنا بدين كان على أبي منذ بضع سنين. وكان لمراب غليظ القلب جامد العواطف، وكان ذلك المرابي قد شعر بعجز أبي المسكين عن وفاء دينه. فبعد أن كان يقنع سنويًا بالفائدة، جاء يسأله دفع الدين صفقة واحدة، وإلا سلب منا جميع ما نملك، وطردها من الكوخ. (تبكي).

الليدي: يا إله السماء (بشفقة) ليتني علمت ذلك في حينه! مسكينة! وكم كان مقدار ذلك الدين؟

ليرا (تتنهد): خمسمائة ذهبًا.
الليدي: فقط! نعم، لقد كان عظيمًا عليكم لأنكم لا تملكونه.

ليرا: أجل يا مولاتي — لقد تصدى لنا ذلك المرابي الصخري القلب، وأقسم أن يسلبنا كل ما نملك، إذا انقضى أسبوعان ولم نوفه دينه. فهوى أبي الشيخ مصعوقًا (تبكي) على فراش الألم. وظل ينزع حتى بقي من الأجل المضروب يوم واحد (تبكي) فلم يجسر على رؤية شمس ذلك اليوم الرهيب، فاستغاث بملك الموت، فأغاثه. (تبكي) نعم، لقد لفظ النفس الأخير وهو يباركني. وتركني أتخبط في ديجور الشقاء. (تخنقها

العبرات) آه! إنها ذكرى يقشعر لها بدني، يا سيدتي. (يغمى عليها) آه! رحماك أيها الوالد المسكين.

الليدي (بحزن واهتمام): شارل! على بالمنعشات. مسكينة أيتها الفتاة. (يخرج شارل).

ليزلى: إنها قطعت نياط قلبي بحديثها المؤلم.

شارل (يدخل على عجل بالمنعشات): هاهي يا مولاتي.

الليدي (وتتناول الكأس. للليزلى): بيدي أنا لا بيدك يا عزيزتي.

ليزلى: إنك رحيمة يامولاتي.

الليدي (ترش ماء الزهر على وجه ليرا): انتظري ياليزلي، إنها ستكون أسعد فتاة في كاسل تروز، وربما كانت أسعد مني.

ليرا (تستفيق): عفوا ياسيدتي. (تحاول الوقوف فلا تتمكن) إني خادمة.

الليدي (تجلسها بيدها): كلا إنك أميرة هذا القصر، يا ليرا، فاستقبلي السعادة والهناء وإذا كان الدهر قد لعب معك دورًا محزنًا، فأنا أرغمه على أن يزف السرور إليك كرهًا لا اختيارًا.

ليرا (بسرور): أنت جديرة بالعبادة يا مولاتي، فلا عدمتك أبدًا. (تتنهد) مات أبي وهجم علينا ذئب المال فأجلاني وخادمي الشيخ عن الكوخ. ولما سالت عبراتي على يديه وأوسععتها ثقيلًا، هبط رسول الرحمة إلى قلبه الصلد، فتنازل لنا عن أجره سكنى غرفة خادمي نظير حراسة الكوخ. (تتنهد) مسكين أنت يا جرفث! فظللنا بها إلى أن أراد الله أن أكون تحت رعايتك؟

الليدي: لا تحزني. فأنا أمك وأبوك يا ليرا. وماذا صنعت بخادمك المسكين؟

ليرا: تركته في غرفته يئن لفراقي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا. (تتأوه).

الليدي: إن هذا لمحزن (تشعر بأن الصالة مظلمة، تنادي شارل) مالي أراكم

أهملتكم الواجب هذا المساء؟ لم توقدوا الشموع كالعادة؟ أين وليم؟

شارل (ينحني): هذا من واجب وليم يا مولاتي. واني أراه غائبًا.

ليزلى: لقد ذهب إلى مخدع مس ليرا.. ليرتب أمتعتها.

الليدى: وأنا بنفسى يجب أن أرتب لها غرفة النوم. فهلم بنا يا عزيزتي لأوصلك بيدي إلى مخدع هنائك الجديد (تقف الليدى وليرا وليزلي).

ليرا: إنك تعجزين لساني عن الشكر، يا مولاتي.
ليزلي (إلى شارل): سأرسل لك وليم يساعدك على إنارة البهو ليكون في استعداد لإستقبال حضرة الليدى بعد قليل.

الليدى: شارل! لقد نسيت أن أسألك عن حضرة الإيرل واللورد، فأين هما؟
شارل (ينحني): في غرفة المكتب. لقد شدد على مولاي الإيرل ألا يزعجه، لأن عمله هام جدًا. وإذا رغبت مولاتي أن تشاركهما فيه فلتتفضل.
الليدى (بسرور): وهل قبل اللورد أن يشترك مع أبيه في العمل؟
شارل: نعم.

الليدى (بارتياح): إنها لمعجزة مدهشة. دعهما في عملهما، لأنني أوافق مس ليра إلى مخدعها وعليك أن تصدر تنبيهاً عامًا إلى جميع خدم القصر أن يكون احترام مس ليرا من احترامي! أفهمت.
شارل (ينحني): سأنفذ أمر مولاتي. (تخرج الليدى وليرا وليزلي. يبدأ بإيقاد الشموع).

وليم (يدخل): لماذا بعثت في طلبي؟
شارل (يضحك): ها.. لقد عدت يا أحمق. أنسيت أني أقوم بواجبك الآن؟
وليم (بذهول): ولكني غاضب منك، فما رأيك؟
شارل: أنا رئيسك، فيجب أن تطيعني. وآنحن أمامي من الآن وإلا ...
وليم (بغضب): أنحني أمامك من الآن؟ ومن أنت؟ أأصبحت مولاتي؟
شارل (يضحك): إنك ظريف جدًا يا وليم. هل أنت غاضب مني؟ إنني كنت أمزح معك.

وليم: قبلت اعتذارك. وأرجوك ألا تكثر مزاحك لأنني سريع الغضب.
شارل: هل رأيت الوصيصة الجديدة؟ وهل بلغت الأوامر؟
وليم: رأيتها، ما أجملها. ولكن لم أستلم أوامر؟

شارل: صدر أمر مولاتنا اللیدی أن تخاطب الوصيفة الجديدة بيامولاتي بعد الإنحناء.

ولیم (يضحك): ومن بلغك هذا الأمر الجديد؟
شارل: مولاتنا اللیدی نفسها. فاذهب وادع جميع الخدم لأصدر إليهم الأوامر الجديدة.

ولیم (ينحني): لك الطاعة يا مولای (يضحك ثم ينحني ويخرج).
شارل: إنه خفيف العقل والروح معاً (يبتسم. يدخل الخدم جميعاً ويقفون حول البهو) هل بلغكم أمر مولاتكم؟
الجميع: لا يا حضرة الرئيس.
ولیم (غاضباً): كيف لا، أيها الأغبياء؟ أنسيتم الإنحناء؟ (ينحني) ألم انبهكم معشر البلداء؟ (يضحكون).

شارل: اسمعوا (يصمتون) لقد نزلت بقصرنا اليوم آنسة جديدة تدعى ليرا تشستر، فصدر أمر مولاتنا أن يكون احترامها من احترام مولاتنا. أفهمتم؟
الجميع: نعم.

ولیم (يجرى إلى الباب ثم يعود مسرعاً وينحني): الأميرة!
الليدى (تدخل ومعها ليزلى وليرا فينحني جميع الخدم): أقدم لكم مولاتكم الجديدة مس ليرا تشستر، فيجب احترامها كشخصي في كاسل تروز، ولقد أصبح لها حق التصرف في شؤونكم جميعاً ... أفهمتم؟
الجميع (بانحناء): لتحي الأميرة.

الليدى: اذهبوا إلى أعمالكم، وليبق شارل وولیم بالباب. (يخرج الخدم، وتذهب الليدى إلى جهة المعزف) ليزلي! ألك أن تطربينا قليلا احتفالاً بليرا؟
ليزلى: لك الطاعة، ياربة الإحسان. (تجلس وتعزف).

الليدى (تجلس بجانبها): اجلسي يا ليرا. أتجيدين التوقيع على هذه الآلة الشجية؟
ليرا (بخجل): كلا، ياسيدتي. وما وقع نظري عليها قبل اليوم (تضع يدها على جنبها).

الليدى: مابالك؟ أنتشعرين بألم؟

ليرا: إن شدة سروري سببت لي دوارًا خفيفًا.

الليدى: لا بأس عليك. إنه سيزول حالا متى استرحت قليلا، فاجلسي (تجلس ليلا).

ليرا: إن السعادة التي أشعر بها الآن أنستني كل آلامي. فلا عدمتك يا إلهة المكارم.

الليدى (بسرور): إنك بدأت حياة جديدة، فاصبري عنك الهم.

شارل (يدخل وينحني): مولاي اللورد.

داين (يدخل مسرعًا): هل أنتم محتفلون بأبي؟ (يذهب إلى الليدى) تركته وأسرعت

بالحرب. (يضحك).

ليرا (تصرخ وترتمي): آه! (تتمتم). هو بعينه. إذا هي تيو... (يغمى عليها).

داين (يرى ليلا): ويلاه! إنها هي (يتراجع) ليلا (يمسح جبينه) افتحوا النوافذ.

إنني أكاد أختنق. بماذا أشعره؟ آه! (يرتمي على مقعد).

الليدى (تقف مشدوهة وتسكت ليزلي عن العزف): أسعفوها بالمنعشات (تنظر

إليها تارة وإلى اللورد أخرى) انتظروا، احملوها إلى غرفتها (يحملون ليلا ويخرجون)

لورد (تذهب إلى داين) لورد! ماذا دهاك؟ (شارل) إلى بطبيب القصر حالا. (يخرج

شارل) هل أصابك شيء؟ (تجلس بجانب اللورد) تكلم يا داين. ماذا اعتراك يا عزيزي؟

لماذا لا تتكلم؟ ويلاه! (بقلق) لماذا لم يحضر الطبيب؟ لقد تأخر.

الطبيب (يدخل مع شارل): بماذا تأمر الليدى؟ (ينحني ويرفع قبعته) ماذا أصاب

اللورد؟ (يهتم به جدًا).

الليدى: لا أعلم سوى أنه دخل البهو ونحن في شبه احتفال، وما إن توسط القاعة

حتى انتابه ما ترى.

الطبيب (يعالجه فيفريق): لا بأس عليه ... لقد ثاب إلى رشده.

داين: أين أنا؟ الطبيب! ليدى هاينلت! (يتلفت على ليلا) ماذا أصابني أيها الطبيب؟

(يتمتم) أين هي؟

الطبيب: إنك في إغماء بسيط يا لورد لن يلبث أن يزول تمامًا. وأنصح لك أن

تذهب لتستريح في غرفتك.

داين (يساعده الطبيب على النهوض): نعم يجب أن أستريح. ولكن مالي أراني ضعيفًا؟

الليدي (تقف): شارل. وليم.

الخدامان (يدخلان وينحنيان): بماذا تأمر الأميرة؟

الليدي: ساعدا اللورد حتى مخدعه، وافتحا جميع النوافذ. ولا تزعجا حضرة الإيرل.

الطبيب: نعم، سيعود إلى رشده تمامًا بعد نصف ساعة (يخرج الخادمان باللورد).

الليدي (للطبيب باهتمام): ما رأيك فيما اعترى اللورد من الإغماء؟ وما هي أسبابه؟ (تصمت قليلا) أعرني سمعك، فسأطلعك على سر صغير شاهدته بعيني الآن. (تتنهد) لقد دخلت في خدمتي وصيفة جديدة. وهذه الليلة هي أول عهدها بالقصر. ولم يقع نظر اللورد عليها سوى هذه اللحظة التي فارق فيها شعوره. ولقد أصابها ما أصابه في نفس الزمن. فأمرت بنقلها إلى غرفتها في الحال، فماذا ترى في هذا الإتفاق الغريب؟ إن قلبي يحدثني أن هناك صلة قديمة بين اللورد وهذه الفتاة، ويزيد من هذا الشك أنه تمتم باسمها وتمتعت باسمه. فما هو رأيك؟

الطبيب (بدهشة): لم أر، حين اختبرت قلب اللورد، ما يدل على ذلك. بل كل ما عنده نتيجة إفراطه في عمل أجهد فيه نفسه. فهل كان مشغولا قبل أن يدخل البهو مباشرة؟

الليدي: صدفة غريبة. نعم كان في عمل مع حضرة الإيرل، ومكث مدة طويلة، ولقد سئم العمل فهرب مسرعًا.

الطبيب: هذا سبب إغمائه، فإن كثرة العمل العقلي مع شدة الضوء والإكثار من التبغ، كل هذا يسبب الإغماء السريع.

الليدي: عليك إذاً أن تعود الوصيفة الآن في مخدعها، ثم تطلعني على النتيجة. وها قد شرحت لك ما يحدثني به قلبي، وإنني في انتظارك هنا حتى تعود، وإذا كانت تهذي فراقب كل كلمة تخرج من فيها.

الطبيب: سأعمل الواجب عليّ. (يبتسم) أريحي ضميرك، ولا تسرعي بنقمتك،
فربما كانت الفتاة مظلومة. (يخرج).

الليدي (حانقة): ما أغرب طوارئ الحداث! لقد بدأت أشعر بحركة جديدة، أنا
التي ما تعودت غير السعادة والصفاء. داين. يألبن ستار منستر: حذار أن تكون قد
نقضت عهدي، فتكون بذلك قد وصمت أسرتك بعار لا يمحي. (تفكر) ولكن كيف ذلك؟
أي ذنب جنت تلك المسكينة، إذا كان قد أوقعها سوء حظها في حبه وكان ذلك منذ عهد
طويل؟ أترضى مكارمي أن أفرق بين عاشقين تعاهدا في الحب والوفاء؟ أنا التي أوقفت
حياتي على البر والإحسان. كلا! (بشفقة) أأسبب المصائب لفتاة تعسة منكودة الطالع،
جرعها الدهر مر عذابه، ورماها بسهم نقمته وغضبه؟ أفقدها أمها رضيعة، واختطف
أباها فجأة، وسلب مالها ونعيمها، وطردها شريفة من عشاها الهادئ. كل ذلك بغير
ذنب جنت. أيليق بي أن أنتزع منها آخر أمل لها في تلك الحياة المحزنة؟ وإذا كانت قد
أحبته وأحبها. فمن الظلم أن أفرق بينهما. (بشهامة) أيتها الفتاة، قري عيناً فسأزفه
إليك بيدي إن كان هذا متمناك. ليرا لقد أحببتك لأول نظرة، فمن الشرف والمروءة أن
يظل حبي لك كما هو. ليرا.

شارل (يدخل وينحني): الطبيب يامولاتي.

الليدي: ليدخل. (يخرج شارل).

الطبيب (يدخل مبتسماً وفي يده ورقة صغيرة كتب فيها ما سمعه من ليرا):
لقد علمت كل شيء. الفتاة في إغماء طويل، وهي تهذى فتذكر ألفاظاً لا دخل لها في
الموضوع، لقد سمعتها تلفظ أماء، مسكين أنت ياوالدي، رحماك يا مستر دجارفن. تنح
عني يا بارل، هون عليك يا جرفث، إنني أكاد أختنق، ترى أين أجذك أيها النائي عني؟
(يقرأ هذا في ورقة) وتغمغم فيما بين ذلك ألفاظاً غريبة، فعلمت أن هذه الفتاة قد
أصابها الدهر بضربة قطعت نياط قلبها، فهي في بؤس لا غرام، لأن الفاظها هذه تشف
عن آلام نفسانية، وهياج عصبي شديد، وظهر لي أنها قروية لم تطأ قدمها القصور
قبل اليوم، فكثرة الأضواء واختلاف ألوانها وشدة السرور بعد نهاية الحزن، كل ذلك
سبب لها الهياج الدموي الشديد، فهي بريئة من حب اللورد، كما أنه بريء من حبها،
إذ لا علاقة بين لورد عظيم وفتاة قروية مسكينة، فاصرفي ما عندك يا مولاتي واعتقدي
في براءتها.

الفصل الرابع

الليدى: لقد اقتنعت الآن، هل أمرت لها بالدواء؟
الطبيب: نعم وأعطيت التعليمات الكافية إلى خادمتها.
الليدى: واللورد أتتركه بغير عناية؟
الطبيب: وهل يليق ذلك؟ إن دواءه النوم، فمتى أغمض جفنه ساعة، حصل على تمام الشفاء، ولكن ذلك لا يمنع أن اعوده الان.
الليدى: حسنًا، إنني أقدم لك شكري لجليل خدمتك.
الطبيب (ينحني): لا شكر على واجب (يخرج).
الليدى (لنفسها): إن الحوادث التي صادفتني اليوم لخليقة بالإعجاب.
شارل (يدخل وينحني): لقد نام هادئًا يامولاتي.
الليدى: هل كان يهذى في نومه؟
شارل: كان مضطربًا يغمغم ألفاظًا ما فهمت منها شيئًا.
الليدى: ومولاتك الجديدة، هل زرت مخدعها؟
شارل: كلا يامولاتي.
الليدى: اذهب فادع مسر ليذلي إلى هنا (يخرج) لابد أن تكون ليذلي قد علمت منها أكثر من الجميع.
الإيرل (يدخل): أتأذن لي حضرة الليدى بالدخول؟ (بابتسام).
الليدى (تقف): أهلا بك يا حضرة الإيرل المحترم.
الإيرل (بسرور): لقد شغلته مدة طويلة، ولكنه غافلني. تركني أمعن النظر في موضوع هام وهرب (يضحك) لا بأس، سأعوده شيئًا فشيئًا (يجلس وتجلس الليدى) حالما تركني وخرج، سمعت جلبة وضوضاء سكت على أثرها صوت المعزف، ثم ساد سكون غريب ... في القصر. فهل هذا صحيح، أم كنت واهمًا؟
الليدى: نعم حدث ذلك، إثر مصاب ألم بالقصر ومن فيه.
الإيرل (بدهشة): إثر مصاب؟ وماهو؟
الليدى: أجل. لقد خرج اللورد من غرفة المكتب إلى البهو، فألفانا في شبه احتفال بتشريفكم وكانت الوصيفة الجديدة وصلت القصر منذ أكثر من ساعة، فما توسط البهو، ونظر إليها، حتى سقط في إغماء.

الإيرل (باضطراب): داين؟ ولدي؟ يغمى عليه لرؤية خادمة؟ ما معنى ذلك؟ إنك بلا شك واهمة يا حضرة الليدي.

الليدي: ومن غريب الإتفاق أن هذه الفتاة ما إن وقع بصرها عليه حتى سقطت مغمى عليها أيضًا! فماذا ترى في هذا الإتفاق المدهش؟
الإيرل (بغربة): وأيضًا الفتاة؟ إن هذا لغريب إذًا، كيف اتفق ذلك؟ وماذا قال الطبيب؟

الليدي: لقد اهتم بهما اهتمامًا عظيمًا. ولشدة دربته أسند إغماء اللورد إلى كثرة عمله العقلي وشدة الضوء والتدخين، وأسند إغماء الفتاة إلى سرورها الفجائي بعد حزنها العظيم، وإلى الإنقلاب الذي شمل حياتها المضطربة، فأخرجها من حقارة الأكواخ إلى جلال القصور.

الإيرل: نعم الطبيب. لقد أجاد التعليل. وأين داين الآن؟
الليدي: في مخدعه ينام نومًا هادئًا. فاطمئن عليه. ولقد أفهمني الطبيب أن دواءه النوم.

الإيرل (يقف): يجب أن أراه.
الليدي: إنه سيفيق بعد ساعة، فمن الحكمة أن ننتظر حسب أمر الطبيب.
الإيرل: سأراه بعيني فقط، ولن أكون سببًا في إقلاق راحته. فهل لك أن ترافقيني يا عزيزتي؟

الليدي (تقف): سألحق بك متى حضرت مسز ليزلي، لأنني أرسلت في طلبها الآن.
(يخرج الإيرل. لنفسها) إنه شديد المحبة لولده، ويهمه ألا يكون اللورد عاشقًا.
شارل (يدخل وينحني): مسز ليزلي يامولاتي. (تدخل ليزلي).

الليدي: كيف حالها الآن، ياعزيزتي ليزلي؟
ليزلي: لقد تحسنت، بيد أن إغمائها الطويل جعلها تتفوه في هذيانها، بما يصدر الأفتدة حزنًا عليها.

الليدي: وما رأيك في هذا الإتفاق المدهش؟
ليزلي: إن رأيي يعزز رأي الطبيب، يا حضرة الليدي. وأنا أثق من براءتها وثوقي من نفسي..

الليدي: لقد آليت على نفسي ألا أكون حجر عثرة في سبيل هنائها، إذا صح ظني.
ليزلى: إنك أسمى من أن تنغصي حياة فتاة مسكينة. إنها احتمت بنا، فمن المروءة ألا نتخلى عنها في آونة الشدة، وفوق ذلك فإن قلبي يحدثني أنها بريئة.
الليدي: لقد اقتعت برأى الطبيب.
ليزلى: ومولاي اللورد، كيف هو الآن؟
الليدي: انه بخير. ولقد أقر الطبيب أن علاجه النوم. ومنذ برهة خرج حضرة الإيرل من هنا ليعوده، ووعدته أن ألحق به. فانهبي أنت للعناية بليرا.
ليزلى: سأقوم بواجب المروءة خير قيام. (تخرج).
الليدي (لنفسها): سوف ينكشف الغطاء، ولكني لن أنقض عهدًا نطقت به. إنني أعتقد في قدرة الله. داي، لورد ارمتايدج! كن كما تحب أن تكون. إنني وهبتك مالي ونفسي، فإن أحببت كنت لك قرينة صادقة، وإن أبيت كنت لك صديقة مخلصه. وأنت أيتها الفتاة المسكينة، لا يخفك انتقامي. إنني سأكون لك درعًا متينة. تدرأ عنك الأذى، وتقيك شر حوادث الدهر. فكوني هادئة مطمئنة، واستقبلي السعادة والهناء.

الفصل الخامس

(غرفة فاخرة بقصر أستار منستر، لإقامة حفلة شائقة)

(ولفرد خادم لورد دايين ارمتايدج يرتب البهو)

ولفرد: ما أعجب حوادث هذا الدهر! (يبتسم) لقد أصبح مولاي اللورد مغرمًا، أيها اللورد! يا للسعادة من بها كلفت! غريب! من كان يظن أن دايين ارمتايدج رب أستار منستر العظيم تستبيه وصيفة؟ أيسمح شرفه العظيم أن يفصم عرى الخطبة التي ارتبط بها مع ليدى تيودوسيا هاينلت الشريفة الغنية؟ وكيف يكون مركز مولاي الإيرل، لو تم ذلك؟ (بعجب). لقد بات القصر، ولا حديث فيه غير غرام اللورد. وما أظن هذا بخاف عن مولاي الإيرل، ولا عن الليدى نفسها. أصدق أصدقائه، لورد سانت أوين يعزز له هذا الحب، ويساعده على إشهاره. من يجسر أن يحول قلب العاشق إلى غير من يهوى؟

بول (يدخل): هل بلغك خبر الحفلة، يا ولفرد؟

ولفرد: أي حفلة تعني؟

بول: الحفلة الشائقة التي ستقام هذا المساء في القصر. ولقد أوفد اللورد رسولا إلى ليدى تيودوسيا أميرة كاسل تروز ومسر ليزلي ومس ليرا تشستر ليحضروا هذه الحفلة. وسيكون لوجود مس ليرا شأن عظيم في هذا الإجتماع.

ولفرد: أي شأن ياترى؟

بول: ربما أصبحت مس ليرا تشستر ليدي داين ارمتايدج؟

ولفرد: ويحك! كيف تجرؤ على هذا التصريح، ومن أفضى إليك بذلك؟ أواثق أنت مما تقول؟

بول: إنه اتفق لي أن سمعت محاورة بين مولاي اللورد، وبين لورد أوبن، علمت منها ما تنبأت به الآن.

ولفرد (بدهاء): لا تنطق بكلمة واحدة مما سمعت لأي إنسان في القصر، وإلا اعتبرت خائناً.

بول: أليت على نفسي ألا أنطق بحرف مما سمعت.

ولفرد (بخداع): اجتهد أن تنسى كل حرف فاه به مولاك. أفهمت؟

بول: نعم. لك مني ذلك.

ولفرد: ومن يؤيد لي ذلك؟

بول: يمكنني أن أسر لك ماسمعت. وإذاك يكون السر بيني وبينك. فإذا أذيع هذا السر، كنت أنت الواشي.

ولفرد (بانتصار): حسناً إنني أوافق على هذا الرأي. اجلس. (يجلسان).

بول: كان مولاي بغرفة المكتب على موعد مع صديقه لورد سانت أوبن. وما أن دخل الصديق، حتى أسرع مولاي فأوصد الباب. وكنت إذ ذاك في الغرفة المجاورة أرتبها، فسمعت مولاي يتأوه، فاستفزني الفضول أن أنصت عساي أعلم شيئاً من سبب آلامه فأفتديه بمهجتي إذا لزم الحال، وبينما كانت تساورني تلك الشواغل، إذ سمعت مولاي، بعد أن، تنهد، يقول: صديقي الأعز! سألتك أن أراك في خلوة كي أشرح لك ما صادفني في رحلتي الأخيرة. فأجاب اللورد: إنني مصغ لك، يا عزيزي، وستجديني أجود بدمي راضياً في سبيل هنائك! فأجاب مولاي: هذا أمني فيك أيها الصديق! واستطرد: لقد اتفق لي أن رأيت غادة يتلاعب بها قارب صغير في مياه التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة. وخيل لي أن الفتاة تحاول إنقاذ نفسها من الغرق، فألقيت بنفسي في الماء، وكدت أغرق لو لم تسعفني بقاربها. وسرعان ما انتشلتني من الماء. وهنا توقف مولاي قليلاً وتنهد من أعماق قلبه، ثم أردف: وصل بنا القارب إلى الشاطئ، فساعدتني حتى عشاها الجميل، وهو كوخ صغير آية في الإبداع، وقدمتني إلى أبيها، وهو شيخ جليل عليه سيما الوقار. فاستضافني حتى جفت ثيابي، ولسوء حظي كانت المدة الوجيزة

التي لا تبحر ذاكرتي كافية لولوعي بتلك الحسناء. نعم إنها جديرة بحبي، إنها فتاة عفيفة حوت وحدها نصف جمال العالم، تعيش بين شيخين أحنى ظهرهما الكبر: أب وخادم أمين. وهنا اشتد تأوه مولاي، فخاطبه اللورد قائلاً: وهل تبادلتما نظرات الحب؟ فأجاب مولاي بتأوه: نعم ولكن وأسفاه! وعدتها أن أعلمها صيد السمك في صبيحة اليوم التالي، وما بزغت شمس ذلك اليوم حتى أسرع إليها وفاء لوعدي. ثم أردف: ليت شمس ذلك اليوم ما طلعت! فلقد كانت سبب بلائي، إذ دفعني طيش الشباب إلى اختلاس قبلة، يا لهول ذكراها! فانتصبت جامدة كأنها تمثال، وأرسلت إلى نظرة أنخلع لهولها قلبي، ثم فرت شاردة كالظبي دون أن تعير توسلاتي أقل التفات، فطار صوابي، ووقفت جامداً كالصنم أشيعها بنظرة الندم حتى توارت عن عيني الدامعتين. وهنا أفاض العبرات، وأردف قائلاً: فرجعت وأنا أعرض بنان الندم في يأس وأسف. وهنا سمعت مولاي الإيرل يستأذنها في الدخول، فانقطع الحديث ولم أعد أسمع شيئاً. إنني أسمع وقع أقدام. (يجري إلى الباب) يقف ولفرد.

داين (يدخل داين وبجانبه لورد سانت أوبن إلى ولفردوبول): ستشرف القصر بعد قليل ليدي تيودوسيا، فيجب أن يكون قصري على تمام الإستعداد. انصرفا. (يخرجان بعد أداء التحية إلى سانت أوبن) أجلس يا عزيزي. (يجلسان) عدت إلى كاستل تروز فعلمت عزم حضرة الإيرل على زورة القصر في ذلك اليوم، فرأيت وجوب انتظاره. (يتنهد) وما حضر حتى خلق لي عملاً شغلني. ولما سئمته خرجت إلى ردهة الإستقبال، وما توسطتها حتى جمد الدم في عروقي، ذلك لأنني فوجئت برؤيتها.

سانت أوبن (بدهشة): ومن جاء بها إلى كاسل تروز؟

داين (يتنهد): إنها دخلت في خدمة ليدي تيودوسيا على إثر حادث مؤلم أفقدها أباه، وأقصاها عنوة عن عشها الهاديء الجميل.

سانت أوبن: حديث مؤلم. وماذا حدث حين وقعت العين على العين؟

داين: شعرت أن الأرض تموج تحت أقدامي، وكأن سماء البهو تهبط فوق رأسي، وما لبثت أن سقطت لا أعى شيئاً وتصادف أن غشيها ما غشيني، فأسرعوا بنقلها إلى مخدعها. ولقد دخل الشك قلب الليدي، بيد أن الطبيب أزال هذا الريب. ولما افقت بادرت إلى غرفتها واعتنيت بها بنفسي (يتنهد).

سانت أوبن: ذلك الذي ولد الشك ثانية في قلب الليدي، وأكثر اللغط بين الخدم.
داين: أجل، ولكن تم ذلك على رغم إرادتي، ولم أحفل بكل ما أذيع عنا في القصر.
بل ظللت بجانبها حتى أفاقت تمامًا. ويظهر أن الليدي تابحت في الأمر مع حضرة الإيرل، فبرح القصر دون أن يراني، فساءني ذلك جدًّا، وعرفت أنني لن أدخل أستار منستر ما حييت. غير أن حضرة الإيرل لاحظ خطأ، فبادرني برسالة سألني فيها سرعة الوصول لأمر جلل، فلم أر بدًّا من الطاعة. حاولت أن أخلو بالفتاة لأشرح لها الأمر، فلم أفلح بادئ ذي بدء، إذ رفضت بتاتًا أمر اجتماعنا. خلوت بها فترة قصيرة بعد جهد جهيد، فوجدت منها نفورًا جعلني أرتاب فيها. كانت تسمح دمعها المتناثر فوق خديها كأنها تكتم سرًّا غامضًا تندلع نيرانه في فؤادها، فأنبرت إلى التوسل، فلم يجد نفعًا. (يتأوه) لم أتمالك أن فاتحتها في أمر الزواج. فنظرت إلى نظرة ملؤها الرعب ووثبت من مكانها كالمأخوذة. كانت دموعها أكبر شفيح لها عندي، فأصبحت كالمصعوق تكاد رأسي تحترق. سألتها عن سبب ذلك الإعراض وقد وضعت تحت أقدامها ثروتي ولقبي وحياتي، فأجابتنني وهي ترتجف وقلبها يكاد يفارق صدرها من هول ما هي فيه من الإضطراب: إليك عني، فلم أعد لك. وتولت حياء بعد أن سترت وجهها بيديها ثم وقفت وأرسلت إليَّ نظرة لن تبرح مخيلتي إلى الأبد. ثم صاحت: وداعًا يا لورد إنك لن تراني بعد الان. ولا أمل في خلوتك بي بعد ذلك. ثم غمغمت بصوت خافت: قائلة لبتك علمت، وياليتني رأيتك في حين الحاجة إليك، ثم اختفت وهي تقول: مات الأمل. (يتأوه) ماذا تراه يا صديقي في كل ذلك؟

أوبن: يلوح لي أن ما أشقى الفتاة أنها كملت قلبًا وقالبًا، فيا لسعادة من كانت له!
داين: هذا كل ما أشقى من أجله. ولقد قضيت ليلة الأمس حتي انبلج الصبح وأنا أقنع والدي الإيرل بوجوب زواجي منها، فهاله الأمر، وشق عليه احتماله. فأخذ يعنفني، ولكنه كان يضرب في حديد بارد. ولما آنس في نفسه اليأس، لجأ إلى إرهابي والغضب متمكن منه.

أوبن: وبعد؟

داين: لم يثن ذلك من عزمي وصممت على فصم عرى الخطبة التي بيني وبين تيودوسيا، وأن أعود فأتوسل إلى ليرا.

أوبن: وهل أطلعت حضرة الإيرل على ذلك التصميم؟

داين: نعم بعد عناء طويل.

أوبن: وهل وافقك أخيراً؟

داين: وافقني مضطراً، ووعدني مكرهاً، ولم يقبل إلا بعد أن تولاه اليأس.

سانت أوبن: وعلى ماذا عولت، حين تحضر الليدى هنا؟

داين: أترك كل شيء لوالدى، فقد أخذ على عاتقه ذلك.

سانت أوبن: ومن تظنه يتقدم ليطلب يد الليدى تيودوسيا هاينلت؟

داين: لقد قضت السنين الطويلة في صحبة رجل تقول إنه مثال التقوى، رجل

خلق ليكون لها، كما انها لم تخلق إلا له، انقطعت إليه بكليتها، فهو لا يفارقها لحظة واحدة بدعوى أنه مساعدتها في عمل الخير.

سانت أوبن: ومن هو؟

داين: مارتن فانشو.

سانت أوبن (بدهشة): القس؟

داين: هو بعينه!

أوبن: إذا صحَّ ذلك تمَّ ما أرادت.

ولفرد (يدخل. وينحني): سيدي الإيرل.

الإيرل (يدخل إلى سانت أوبن): هل أنت هنا. يا أعز الأصدقاء؟ (يخرج ولفرد).

أوبن (يقف وداين): نعم منذ ساعة، يا سيدي الإيرل.

الإيرل: هل صرح لك داين بآلامه ونواياه؟

أوبن: نعم.

الإيرل: وما رأيك الخاص في موضوعه الهام؟

أوبن: إن صديقي محق في كل ما صمم عليه.

الإيرل: حتى وفي رفض يد الليدى تيودوسيا؟

أوبن: أجل يا سيدي الإيرل، فإنه إن لم يرفض يدها اليوم، وسترفض هي يده

غداً.

الإيرل (بغرابة): ومن أين أوحيت لك تلك النبوءة المستحيلة؟
أوبن: لم أُنَبِّأ، بل هي الحقيقة. إن ليدي تيودوسيا هانيلت على وفاق تام مع
حضرة القس مارتن فانشو. لا تعجب يا سيدي الإيرل، هذا هو الواقع، وهي التي تفكر
في إيجاد الطريقة التي تسوغ لها قطع علائق تلك الخطبة التي تربطها باللورد. لقد
آن لك يا سيدي الإيرل أن تعرف كل شيء، فإن كان صديقي (مشيراً إلى داين) يفكر في
إيجاد طريقة يقطع بها تلك الخطبة، فهذا نفس ما تفكر فيه الليدي الآن.
الإيرل: إنك اليوم غريك بالأمس، يا عزيزي أوبن. فلم التحامل على الليدي؟
أوبن: حاشاي أن أتحامل على من أقدر احترامها. إنها أشرف أميرات هذا العصر.
الإيرل (يألم): إني كنت أدخرها لولدي.
أوبن: أيقوى سيدي على معاندة القدر؟ إنها أصبحت والهة بحب فانشو، وكذلك
هو.

الإيرل: إني لم أكن أنتظر ذلك.
أوبن: أما وقد علمتم كل شيء، فقد وجبت عليكم مساعدة صديقي (مشيراً إلى
داين).
الإيرل: إن استطعت ما تأخرت.
أوبن: وكيف لا يستطيع سيدي الإيرل، إذا كان يريد؟
الإيرل: ذلك معناه أنني كنت لا أود..
سانت أوبن (باستفهام): زواج الأنسة ليرا تشستر من صديقي اللورد؟ (مشيراً
إلى داين).
الإيرل: أجل.

أوبن: لأنها فقيرة، أم لكونها فقدت والديها؟
الإيرل: لا هذا ولا ذاك. بل لأنني لا أعلم شيئاً عن سر مولدها، ولا عن أسرتها.
أوبن: كيف لم تمر بذاكرة سيدي الإيرل أسرة تشستر في لوكشير، وهو يعلم كل
شيء عن جميع الأسر الكبيرة؟
الإيرل (يفكر): أسرة تشستر في لوكشير؟ نعم إني أعلم أشياء كثيرة عن هذه
الأسرة، إن أملاكها تتاخم أملاكنا في لوكشير. إنها أسرة كبيرة فهل مس ليرا منها؟

أوبن: نعم. وهي ابنة أكرم رجل في تلك الأسرة.

الإيرل: نعم الفتاة. إنني قبلتها عروسًا لداين.

داين (بفرح شديد): لا عذمتك، ياوالدي الأعز.

الإيرل: إنني أسعى وراء سعادتك يادايين، وأنت تعلم علم اليقين أنني واسع الثروة وأنها ستؤول من بعدي إليك، فما دمت تحب ليرا تشستر، فها هي ثروتي بين يديك، وهي تضمن لك ولزوجك السعادة عن سعة. طب نفسًا واجتهد في أن تزف ليرا تشستر إليك.

ولفرد (يدخل وينحني): لقد وصلت مولاتي اللیدی يا مولاي.

الإيرل (إلى دايين): أسرع في استقبال اللیدی يا دايين؛ (لسانت أوبن) وأنت إذا

سمحت يا لورد (يخرجان وولفرد).

الإيرل (لنفسه): إنه يهواها، وليس لي أن أسيطر على القلوب. تيودوسيا، إنه لم يخنك، ولكنك انشغلت عنه، وأهملت الإتصال به، فليست لك عليه من حجة (يسمع ضوضاء) هاهي اللیدی!

ولفرد (يدخل وينحني): مولاتي اللیدی!

اللیدی (تدخل وبجانبيها سانت أوبن ومن ورائها دايين وليرا ومن خلفهما القس

فانشو ومسز ليزلي): تحيتي إلى سيدي الإيرل المحترم.

الإيرل (يقف): أهلا بك يا ابنتي العزيزة. (يصافحها) لقد شرفت استار منستر يا

أميرة كاسل تروز. (يصافح ليرا ومسز ليزلي) إنني سعيد جدًا بتثريفكن قصري.

اللیدی: إنني بلسانها أقدم إلى السيد الإيرل شكرًا عظيمًا على هذه العواطف

السمحاء. (مشيرة إلى فانشو) وأقدم لكم حضرة القس مارتن فانشو المحترم.

الإيرل (يصافح فانشو): أهلا برجل التقوى. لقد حملت إلى قصري بزورتك هذه

ملائكة الرحمة وآيات الغفران.

فانشو (ينحني): أعز الله سيدي الإيرل.

داين (لتيودوسيا بفرح): إنني أرى كل شيء يبتسم.

تيودوسيا (بسرور): إنني سعيدة جدًا برؤيتك، ياأبن العم.

الإيرل (يجلس): تفضلوا بالجلوس (يجلسون، إلى ليرا) لقد أنست استار منستر يا سليلة أسرة تشستر العظيم!

داين (يفرك يديه من شدة الفرح ويهمس إلى داين): إنه رفع مقامها في عين اللیدی.

ليرا (تبتسم بفرح): إني بالإنابة عن مولاتي اللیدی اشكر عواطفكم السامية يا مولای.

اللیدی: هل تعرف أسرة مسز ليرا، يا حضرة الإيرل؟
الإيرل: نعم، وهي من أجد الأسر القديمة، ولا تزال أملاكها تتاخم أملاكنا في لوكشير.

اللیدی (بعجب): في لوكشير؟
الإيرل: نعم، ولا غرابة في ذلك فأنا أعرف رؤوس هذه الأسرة الكبيرة، وكأنه يلوح لي منذ عشرين سنة إني سمعت عن كبير تلك الأسرة الشريفة إنه رحل إلى أمريكا، هاجراً بعض أفراد أسرته، فأثرى هناك وأصبح من كبار المالين.

ليرا (باهتمام): أتذكر يا مولای اسم هذا الشريف؟
الإيرل (يتذكر): أظنني لا أستطيع ذلك الآن لأن مشاغلي العظيمة أبعدت عن ذاكرتي مثل تلك الروايات. (يصمت قليلاً). ها قد فطنت، إنه بلا ريب السيد آدون نشستر.

ليرا (تبكي): هو والدى، يا مولای.
الجميع (باندھاش): أبوها!
الإيرل (بسكون): أبوك، أنت، يا ابنتي؟
داين (بفرح واهتمام): نعم يا والدي، وقد سبق لي أن تعرفت به في سياحتي إلى برنستايل، وتناولت الشاي في بيته، وهناك رأيت المس ليرا تشستر لأول مرة.
الإيرل (باهتمام): ولم لم تخبرني عن هذه المصادفة الغريبة، يا ولدى؟
داين: لم أكن أعرف شيئاً عن ذلك ياسيدى الوالد.
الإيرل (إلى ليرا): وما السبب في عودتكم من أمريكا، يا ابنتي العزيزة؟

ليرا: لا أعرف السر في ذلك، وربما عرفه خادمي الأمين، جرفث.

الإيرل: وأين جرفث؟

ليرا: يسكن كوخنا، لا يزال في برنستابل.

الإيرل: وهل هو مسن؟

ليرا: نعم، إنه أكبر من والدي سنًا. (تتأوه) لقد كان ساهراً على حراستي وهو طيب القلب.

الإيرل (يتذكر): نعم، إنني رأيته مع أبيك غير مرة في المزرعة. ولقد أعادت هذه الذكرى إلى ذاكرتي أشياء كثيرة عن هذه الأسرة التي ربما تكونين أنت وريثتها الوحيدة.

ليرا (بفرح واهتمام): أفي يقظة أنا أم في منام؟

الإيرل (بسرور، يضحك): في اليقظة يا عزيزتي، وسأرد لك ما سلبك الدهر، وأزف بيدي هذه إليك الهناء والسعادة.

ليرا (بفرح عظيم): كم أنت كريم يا مولاي!

ولفرد (يدخل وينحني): المائدة على استعداد.

الإيرل (يقف): هلموا إلى المائدة (إلى الليدي) تفضلي يا ليدي.

الليدي (باندعاش): تفضل ياسيدي الإيرل (تقف).

داين (إلى الجميع): إن قصر استار منستر يتلألاً نوراً بضيوفه هذا المساء (يتأبط ذراع الليدي يخرجون).

بول (يدخل ليرتب البهو): حقاً لقد أحسن رئيسي ولفرد في اقتراحه عدم التدخل في شئون الأمراء. نعم إنني لست سوى خادم ضعيف يمكن استبداله من أجل هفوة، فكيف أجحد هذه النعم، ولا أشكر الله عليها؟

الإيرل (يدخل متوكئاً على ذراع ليرا): رغبة في الخلوة بك، دعوت الليدي إلى قصري هذا المساء، وسألتها بإلحاح أن تصحبك بمعيتها. (يجلس) اجلسي إلى جانبي يا ليرا، وأعيريني كل التفاتك.

ليرا (تجلس): ها أنا ذي خاضعة لأمرك يا مولاي.

الإيرل: أتعلمين إنني عظيم الثروة، وليس لي وريث شرعي غير وحيدي اللورد داين، وهل تعلمين أيضاً كم أحبه؟

ليرا (تتنهد): نعم أعلم ذلك.
الإيرل: وكنت قد تعاهدت وأخي لورد هاينلت أن تزف تيودوسيا إلى دايين متى عرفا معنى الحياة. وكانا إذ ذاك في المهدي. ولما ترعرعا شرحت لهما إرادتنا فوافقا عليها. غير أن الدهر أبى أن تتحقق تلك الأمانى، ووقع دايين في حب غادة شريفة سواها.
ليرا (باهتمام): ومن هي هذه الغادة التي كلف بها اللورد؟
الإيرل: أظنك لا تنسين صيد السمك على ضفة نهر التو.
ليرا (تخفي وجهها بين يديها): أبلغ مولاي السر؟
الإيرل: نعم، أعلم كل شيء. (يمسح شعرها بيمينه) كوني مطمئنة فلم يخرج السر من لسان الولد إلا إلى صدر الوالد.

ليرا: يامولاي!
الإيرل: اطمئني فقد اخترتك عروسًا لولدي ولم يبق إلا كلمة القبول من فمك.
ليرا (بانزعاج): أنا؟
الإيرل: وهل في ذلك شك؟
ليرا: ولكن ... (في تفكير عميق).
الإيرل: ولكنك فقيرة، أليس كذلك؟ أظنن، يا أبنتي، أن الفقر عار؟
ليرا: لا، يا مولاي (بدهشة) ولكن ...
الإيرل: ولكن ماذا يا عزيزتي؟ أراك مرتبكة فهل يؤلمك سر اعتراك في حياتك الأولى؟

ليرا (ترتجف): آه، يا مولاي! (تبكي).
الإيرل: تبكين أيضًا؟ أرافضة أنت طلبتي، يا ليرا؟
ليرا: إن المضطر يركب الصعب يامولاي.
الإيرل: وهل يضطرك شيء إلى رفض طلبتي؟
ليرا (بخجل): ربما كان ذلك، ياسيدي، وأراني مرغمة.
الإيرل: أتبخلين عليّ بشرح ما يؤلمك؟
ليرا (بألم): لا يجسر لساني على النطق، يا مولاي.

الإيرل (يمسح شعرها بيمينه): أنظري مليًا في المسألة، وأعلمي أنني أريد لك الخير. ليرا: كان يسعدني ذلك، لو استطعت.

الإيرل: إنه ليدهشني رفضك يد اللورد، مع أنها تسعد أغنى شريفة في لندن. ليرا: هذا صحيح، يا مولاي.

الإيرل: إذًا، كيف ترفضينها؟ وفوق ذلك فهي يد من يهواك لدرجة العبادة. ليرا: يا إلهي! (بحزن) إن رفضي يد اللورد يقذف بي إلى هاوية الهلاك أيامًا قليلة، ثم يبعث بي إلى عالم الأبدية، حيث أرقد هادئة بعيدة عن تلك الآلام التي يصعب عليّ احتمالها.

الإيرل: لا بد أن هناك سرّ تدفينه على صدرك الكتوم. ولكن مهما كان هذا السر فلا أظن أنه يحول دون قبولك الإقتران باللورد.

ليرا (تبكي): مولاي، أستحلفك بكل عزيز أن تغير موضوع هذا الحديث! الإيرل: تطلبين محالا يا أبنتي؛ لأنك بهذا العمل تزعجين حياة شاب أوقفها لحبك. وأقسم بشرف أسرته ألا يتزوج سواك.

ليرا (ترتجف): مولاي، رحمتك! واذكر أنني فتاة ضعيفة. الإيرل (باستغراب): من منا يطلب الرحمة؟ واذكري أيضًا أنني إيرل أستار منستر أ طرح تحت أقدامك ثروتي وسعادة ولدي، وأنت ترفضينها! فيالك من قاسية! ليرا (تنتحب بشدة وتنظر إلى السماء): إلهي، رحمتك أسألك، المعونة! الإيرل (يحنو): ليرا، اذكرني أنني شيخ يلعب بي الفناء، فلا تكذري عليّ صفو لحظاتي الأخيرة.

ليرا (تمسح جبينها إثر دوران شديد): ارحمني، يا مولاي، فإنني أكاد أختنق. واسمح لي بالإنصراف لأنشق الهواء، وأمامنا متسع كبير من الوقت نعاود فيه الحديث، (تقف ببطء فتخونها رجلاها، فتسقط) أنقذني، يا سيدي، وأسعفني بالهواء ... الهواء! الإيرل (يسرع إلى النافذة فيفتحها): لا بأس عليك يا عزيزتي. (باهتمام) كيف أنت الآن؟

ليرا (بكلام متقطع): أحمد الله ... إن الهواء أنعشني ... فشكرًا لك يا سيدي الإيرل.

الإيرل: سأتركك قليلاً، يا عزيزتي، لمفاوضة الليدي في فسم عرى الخطبة، كي أذف إليكما السعادة. (يخرج).

ليرا (لنفسها): إلهي! أمي! أبي! أين أنتم؟ لماذا لم تسرعوا لنجدتي من هول ما أنا فيه؟ دايـن! حبيبي! إني أحبك لدرجة العبادة. ولكن ما حيلتي وقد رماني الدهر بنكبة لا مخرج لي منها، وقيدني بأغلال لافكاك لها؟ (تقف) دى جوفرى بارل! ليت شمس اليوم الذى عرفتك فيه ما طلعت، بل ليتني مت قبيل أن أضع يميني البريئة في يدك الخائنة أونة ذلك اليوم المشؤم. إلهي! كيف سمحت لهذا الوحش المفترس أن يرتبط إلى الأبد بفتاة يتيمة بائسة! مات أبي الذي كان يرعاني، ورحلت أمي التي كانت ترحم دموعي، وفارقت خادمي الأمين الذي أوقف حياته لحراستي. ويلاه! أتلقت حوالي فلا أرى منهم أحداً. (تنظر إلى السماء) لم يبق لي سواك ياخالق الرحمة. النجدة، يا إله السماء.

(في هذه الحالة يسمع صوت ينادي: مولاتي! فتلفت لتجد ولفرد منحنيًا وفي يده طبق فيه كتاب)

ولفرد (يدخل وفي يده طبق فيه كتاب): مولاتي! (ينحني).

ليرا (بأنزعاج): ما وراؤك؟ (لنفسها) إنه سمع كل شيء.

ولفرد: كتاب برسم مولاتي المس ليـرا تشستر بقصر كاسل تروز.

ليرا (تتناول الكتاب بيد مرتجفة): برسمي أنا؟ تنظر العنوان برنستابل (بفرح) لاشك أنه من جرفث. (تقبله).

ولفرد: هل من خدمة يا مولاتي؟

ليرا: هل وقع نظر مولاتي الليدي على هذا الكتاب؟

ولفرد: نعم، وهي التي سلمتني إياه وأمرتني بتسليمه إليك متى وجدتك في خلوة.

ليرا (بدهشة): في خلوة؟ ولم ذلك؟

ولفرد: هكذا أمرت، ولم أعلم السبب.

ليرا: حسنًا. أنا لا أحتاج إلى شيء. (ينحني ويخرج. تفتح الكتاب باهتمام) إنه وصل متأخرًا. (تنظر في التوقيع) جرفث. (تقبل الإسم) ما أطيب قلبك الطاهر! (تجلس وتقرأ) «سيدتي وابنتي الوحيدة، رعاك الله في غربتك. لقد انقطعت عني أخبارك منذ سفرك. إنه ليزعجني ذلك لأنني لا أعلم السبب. هل أنت سعيدة كما أتمنى، فأشكر

إلهي لقبوله توسلاتي أم تتألمين فأعد ذراعي إلى ضمك إذا أحببت العودة؟ أو أطيّر على أجنحة الرياح إليك إذا فضلت البقاء؟ ابنتي، لقد شاهدت حادثاً أمس يهكم الاطلاع عليه...» (لنفسها) يهمني الاطلاع عليه! ماذا عساه يكون؟ (تعيد القراءة). «بينما كنت أتصيد بجانب المغارة، أبصرت جماعة على ضفة النهر يهرجون، فعبرت النهر إليهم، فإذا هم مجتمعون حول جثة رجل حملها الماء إلى الشاطئ، ولكنها مشوهة جداً وممزقة الثياب. فلم يتمكن أحد منا من معرفة صاحبها، فساعدتهم على حملها إلى المغارة ولقد حانت مني التفاتة، فألفيت على القطعة الباقية من معطف الغريق زراً من الأزرار اللامعة المصنوعة على شكل كوكب والتي كنا نراها على معطف دى جوفرى بارل...» (لنفسها) يا الله، أيمكن أن يكون هو الغريق؟ (تواصل) «... ولما خلعنا المعطف عن الجثة، وجدنا في جيب الصدر الداخلي دفترًا تذكرت أنني رأيت مثله معه ولما فتحناه لم نتمكن من قراءة شيء، بل عثرنا بين طياته على أوراق مالية قيمتها خمسمائة جنيه...» (لنفسها) خمسمائة جنيه! هذا سر لا يعلمه أحد غيرى أنا وحدى. (تواصل) «... أخذني الفضول فبحثت الوجه جيداً، فرأيت فيه علامات دلّني على أن الغريق إنما هو دى جوفرى بارل بعينه...» (لنفسها) وافرحته! (تقبل الكتاب تقرأ) «... لقد مات من كنت تخشيه، يا عزيزتي. فكوني هادئة، وأطمئني. وإني أهنتك على خلاصك من التصورات المؤلة التي سببها لك هذا الوحش القاسي. أنا لا أعلم السر في رعبك منه للدرجة التي شاهدتها...» (لنفسها) نعم، إنه لا يعلم. (تقرأ) «... صحتي جيدة. ليس لي شاغل سواك. سأحضر متي حانت الفرصة. مني إليك قبلي الأبوية. المربي جرفث» (تطوي الكتاب وتضعه في صدرها) الآن أشرق نجم سعادتي، فشكراً لك يا إلهي..

ولفرد (يدخل وينحني): مولاي الإيرل.

الإيرل (يدخل): لعلك أحسن حالا الآن يا ابنتي.

ليرا (تنحني): شكراً لعواطفكم الرحيمة، يا مولاي.

الإيرل: لقد تم كل شيء، وقبلت الليدي عن طيب خاطر، وستجهز لك بيدها ملابس العرس. إنها طيبة القلب، ولم يبق لي الآن إلا أن أسمع كلمة القبول منك.

ليرا (بفوز): إني مطيعة يا مولاي.

الإيرل: بارك الله فيك، يا أبنتي، إذا كنت راضية.
ليرا (بخجل): نعم رضيت. وإني رهينة أمر مولاي.
ولفرد (يدخل وينحني): سيدي اللورد وصديقه لورد سانت أوبن.
الإيرل: ليدخلا. (يدخل داين وسانت أوبن).
سانت أوبن: نرجو ألا نكون قد أزعجنا سيدي الإيرل ومس ليرا.
الإيرل (يضحك): إنه يسرني حضوركما، لأنه جاء في الوقت المناسب. (ينظر إلى داين) إني أهنك يا ولدي العزيز بعروسك (مشيرًا إلى ليرا).
سانت أوبن: وأنا أيضًا أقدم تهنئتي القلبية لصديقي الأعز.
داين (بفوز): أحمد الله، وأشكر لسيدي الوالد هذا العطف الكبير.
الإيرل: اجلسا يا ولدي. (يجلسان).
سانت أوبن: إن ليدي تيودوسيا قابلت هذا النبأ بكل سرور.
الإيرل: يسرني أن تكون سعيدة، لأن لها في قلبي مكانة الإبنة.
ليرا: إنك أثقلت كاهل الجميع بحسناتك المتواليات، يا سيدي الإيرل.
الإيرل: لم أفعل غير الواجب عليّ كما لو كنت ابنتي. هيا بنا يا عزيزتي إلى مكتبي الخاص. (تقف فيقف الجميع ويتأبط ذراع ليرا) أيسمح لنا ولدي؟ (ينحني داين وسانت أوبن).
ولفرد (يدخل وينحني): مولاتي الليدي أأمرت بإعداد المركبة.
داين: إلى كاسل تروز؟
ولفرد: نعم.
داين (إلى سانت أوبن): يجب أن تشيعها، يا لورد.
سانت أوبن: حسنًا هيّا بنا. (يخرجان).
ولفرد (يرتب الأثاث): لاشك أن هذه العذراء الجميلة تقربت إلى الله بثوب العفاف والطاعة حتى أن الله زف إليها هذه السعادة التي كانت تتمناها أجمل وأثرى النبيلات.
بول (يدخل): هل من خدمة يا حضرة الرئيس؟
ولفرد: هل تحمل أخبارًا عن عراك القلوب الذي يدور اليوم في قصرنا الذي ظل هادئًا السنين الطويلة؟

بول: لقد لاحظت أن سيدتي الليدي قد سرها فصم عرى الخطبة التي تربطها بسيدي اللورد ويظهر أنها ستستعيز عنه بحضرة القس المحترم، لأنها — على ما سمعت — تميل إليه كل الميل، وأنا لا أنكر أنني قرأت في وجهه علائم البشر والإرتياح، إذ سمعته يقول لها وهو يكاد يطير فرحًا: إنه بدأ يشعر منذ اليوم بالأمل والسعادة الدائمين.

ولفرد: حسنًا، وسيدي اللورد، علام عول إذا؟

بول: إنه بلا شك سيتزوج الحسنة صاحبة القصة التي عنفتني على سماعها.
ولفرد: إنك بعيد النظر، شديد الذكاء، يا بول. إنني أسمع جلبة، فمن القادم يا ترى؟

بول: لا تشغل بالك، فحركة القصر اليوم غير عادية. (يدخل دايين وفانشو وسانت أوبن).

داين (إلى ولفرد): هل لا يزال مولاك الإيرل في مكتبه مع مس ليرا؟

ولفرد: أجل، يا مولاي.

داين: ليطمئن في خلوته (إلى ولفرد) انصرف. (يخرج ولفرد وبول.. إلى صديقيه) تفضلا بالجلوس (يجلسون. لفانشوا) لم رفضت الليدي أن نصحبها إلى كاسل تروز؟
فانشو: لم تكن وجهتها كاسل تروز. إنها أسرع لرأس اجتماعًا خيرًا هامًا.

داين: ولم لم تستصحب حضرة المحترم، كما هي عاداتها؟

فانشو: لقد أنابتني في رئاسة اجتماع آخر لم يحن وقته بعد، فأثرت البقاء معكم
ريثما يأتي الوقت المناسب. (بدهشة) وهل يسوؤكم وجودي؟

داين: استغفر الله. إن وجودكم بيننا يضاعف سرورنا.

فانشو: أشكركم.

ولفرد (يدخل حاملا بطاقة صغيرة ويقدمها إلى فانشو): حامل هذه يلتمس مقابلة سيدي شخصيًا.

فانشو (يتناول البطاقة وينظر فيها. بدهشة): مُرّه بالدخول (ينحني ويخرج).

ولفرد (يدخل): أرجوكم المذرة ياسادة (إلى فانشوا) عندنا رجل يحتضر، وقد ألح كثيرًا في طلبكم شخصيًا للإعتراف. ومن غرائب ما شاهدت منه أنه يغمم بين آن وآخر بكلمة ارمتايدج ولم نعلم لذلك من سبب.

داين (باهتمام): أرمتايدج؟ إن هذا عجيب. من هو يا ترى هذا المحتضر؟ أعلمت ما اسمه؟

ولفرد: نعم، لقد قال أن اسمه روبرت رودن. ويظهر أنه كان من رجال الكنيسة، لاحظت ذلك من ترتيله في صحوته أناشيد الهياكل الكهنوتية وبعض المقدسات.

داين (يجهد ذاكرته): روبرت رودن؟ إني لا أعرف عن هذا الإسم شيئاً، ولكن من يدري، فربما كانت له علاقة بذلك الأحمق تشاندس؟

فانشو (إلى ولفرد): ها أنذا ألبى نداء الواجب المقدس. (إلى داين وسانت أوبن) أسمحان لي بالانصراف لتأدية هذه الخدمة الدينية (يقف اللورد وسانت أوبن).

داين: أيمكن أن نصحبكم؟ وهل يجوز ذلك؟ أراني مدفوعاً بعامل حب الإطلاع إلى سماع اعتراف هذا المحتضر.

فانشو: هذا شأن يتعلق به وحده، فإن شاء كان، وإن رفض استحال.

داين: ما دام يذكر ارمتايدج، فهو لا شك يرتاح لوجودي.

فانشو: هلموا بنا، وسننظر في ذلك متى وصلنا..

داين (إلى ولفرد): هيئوا لنا العربية. (يخرج ولفرد. خرجون، تدخل ليرا في ثوب أبيض).

ليرا: ما أطيّب قلب ذلك الشيخ! إنه يذكرني بوالدي. (تجلس) إن حنانه ضاعف

في قلبي من حب داين، ليته يعيش طويلاً كي أنسي بقربه فقدان أبي. (تصمت قليلاً ثم تمسح جبينها) رباه، بماذا أشعر! إن دقات قلبي تنذرني بحدوث أمر، فما هو ياترى؟

ولفرد (يدخل وينحني): مولاتي، وصل إلى القصر شيخ طاعن في السن، فسأل

عنك. ولما علم بوجودك هنا، طلب مقابلتك في خلوة، فدهشت من ذلك الطلب، ولما رأيته متردداً، قال: لا بأس عليك، اذهب إلى مس ليرا، واذكر كلمة جرفث.

ليرا (تصرخ بإندهاش): جرفث! جرفث! هل حضر؟ أحقاً ما تقول؟ إني لا أكاد

أصدق. ليدخل! (بدهشة) وافرحته ... لا تعجب.. إنه أبي. ما أشد سروري! (يخرج ولفرد).

جرفث (يدخل ممتلئاً سروراً): حملني الشوق إليك، يا ابنتي.

ليرا (تجري إلى الباب وتطوقه بذراعيها وتقبله): جرفث؟ جرفث! هذا أنت؟ أهلا بك. أفي يقظة أنا أم في منام!

جرفث: هأنذا، يا ابنتي العزيزة! أأنت سعيدة؟

ليرا: تمت سعادتي بوجودك الآن.

جرفث (بانشراح): ضاعف الله سرورك. (يجلس وتجلس ليра بجانبه) كنت أعرف أنك تسكنين كاسل تروز مع ليدي تيودوسيا هاينلت. ولما وصلت إلى القصر علمت أنك انتقلت إلى ستار منستر فما سبب هذا الانتقال؟

ليرا: نعم (تتأوه) إن الحوادث التي مرت بي والمصائب التي تقلبت في أحضانها، تذوب لهولها صم الصخور.

جرفث (بدهشة): أأتكلمين عن شخصك المحبوب.

ليرا (بتوجع): نعم، عن نفسي أنا.

جرفث: أما كفي ماجرى حتى تضاعفي أحزاني بحر شكايك؟ ابنتي، بالله عليك ما سبب هذه الآلام؟

ليرا: فارقتك بعد المصاب الفادح إلى كاسل تروز، مصحوبة بمسز ليزلي التي أرضعتني لبان نصائحها، وبالغت في مواساتي. (تتنهد) وعندما دخلت القصر قابلتني ربة الإحسان وسيدة كاسل تروز، ليدي تيودوسيا، بكل حفاوة وترحيب ورفعت مكانتي بين حاشية القصر، حتي أصبحت مكانتي لا تقل احترامًا عنها. وقد مزقت بأيديها البارة الكريمة تلك الحجب الكثيفة التي كانت تخيم حول سعادتي؛ وأقصت عن قلبي المتوجع جميع الهموم والأحزان. (تتأوه) ما أطيب قلبها يا جرفث!

جرفث (باهتمام): وبعد؟

ليرا: كنا نحتفل باللورد الأكبر إيرل ستار منستر. وقد أخذ القصر زينته. وكنت موضع إعجاب الجميع، وما هي إلا لحظة (تتنهد) حتى رأيته يدخل فجأة (ترتعث) ويلاه! (تسكت).

جرفث (بغربة): من هو؟

ليرا (تتنهد): بريك، كفى! لا تضطرنني إلى ...

جرفت (بشغف): إلى، إلى ماذا؟ أتخفين عني ما يؤلك؟

ليرا (بحزن): كلا. (بخجل) ولكن ...

جرفت: أنا أبوك.

ليرا: نعم. أنت وحدك الذي يهكم شأني (تبكي) لورد داين أرمتايدج.

جرفت (يبتسم): فهمت، الذي علمك صيد السمك، أليس كذلك؟

ليرا: نعم هو بعينه. (تتنهد، فيرتفع صدرها).

جرفت: لا شك أنك تحبينه. أقرأ في عينيك.

ليرا: نعم، أحببته منذ ذلك الحين.

جرفت: وماذا حدث عند دخوله؟

ليرا: لما وقعت العين على العين انتابني إغماء شديد، فسقطت على الأرض فاقدة

كل حس. ولم أعلم ماذا جرى بعد ذلك. (تتنهد متوجعة) ولما أفقت وجدتني في سرير

وبعض الخدم يعتنون بي، وعلمت في صحتي أن داين أصابه ما أصابني في نفس

الوقت ونقل إلى سرير الليدي، وظل الكل حوله حتي أفاق.

جرفت (بدهشة): اتفاق غريب. (يدنو من ليرا).

ليرا (بخجل): شاع على الألسنة منذ ذلك اللحظة أن حبنا متبادل وقديم. نعم،

(بحنان) إني وهبته كل قلبي منذ أول نظرة. وثق أنه خيل إلي أن الليدي أخذتها الغيرة،

إذ أن الجميع كانوا يعتقدون أن ليدي تيودوسيا ولورد داين قد خلق كل منهما للآخر.

وبهذا كانت تتم رغبة الإيرل وأخيه لورد هاينلت.

جرفت (باهتمام عظيم): هل نالك من غيرتها أذى؟

ليرا (بحنو وعطف): حاش لله أن تمد ليدي تيودوسيا يدها بإساءة إلى مخلوق،

مهما نقت عليه، إنها مثال العفو والإحسان.

جرفت (بانشراح): إذًا، كيف تخيلت أن الغيرة تسربت إليها؟

ليرا: تجسم لي ذلك من اهتمامها واستدعائها الطبيب، وسؤاله عن سبب الإغماء،

وكيف أتفق أن يقع في وقت واحد ولأول مقابلة. (تتنهد).

جرفت: حسنًا، وماذا تم بعد ذلك؟

ليرا (تتنهد): لم يقو اللورد على إخفاء ما يخالج نفسه نحوي، فكاشفني بحبه، ورجاني أن أقبل يده فأكون عروسًا له، فلم أقبل.

جرفث (بغرابة): عروسًا له؟ ولم لم تقبلي؟

ليرا: ولما يئس من قبولي لجأ إلى حضرة الإيرل والده، فقضينا الساعات الطويلة وهو يرجوني بإلحاح، وأنا مصممة على الرفض.

جرفث (بدهشة وحزن): إني لا أجد سببًا لامتناعك. فهل لذلك من سبب؟

ليرا (تتأوه بألم شديد): ويلاه! (تفرك على يديها) إنك لا تعلم ...

جرفث: لا أعلم؟ (باستغراب) أحدث لك هنا شيء مؤلم؟

ليرا (تبكي بحزن): هنا؟ (تنتفض) أما هنا، فلا؟

جرفث (بفرع وغضب): إذًا هناك، قبل أن تبرحي العش.

ليرا (بوجل ورعب): نعم هناك. (تصمت قليلًا) يالها من ذكرى مؤلمة ...

جرفث: إنك قد صوبت سهمًا إلى صميم قلبي. نعم لقد تحققت هواجسي. إني كنت ألأحظ عليك يوم سفرك أنك تكتمين عني ألامًا كانت ترسم على محياك، وتوسلت إليك أن تصارحيني، فالتزمت الصمت. (بتململ وأسف) ولكن ما علاقة كوخ المطحنة بقصر ستار منستر؟

ليرا (تمسح دموعها): مسكين أنت، يا جرفث. إنك لا تعلم شيئًا. نعم، أخفيت عنك كل شيء.

جرفث (باهتمام): كيف سولت نفسك هذا؟

ليرا (بتوسل): رحماك، يا إلهي! (تتنهد).

ولفرد (يدخل وينحني): مولاي الإيرل في حاجة إلى رؤية مولاتي حالا.

ليرا (تقف مذعورة): الإيرل؟ (إلى جرفث) هلم معي لأقدمك إلى سيد القصر، ولنؤجل ما نحن بصده حتى نعود. (يقف جرفث ويخرجان).

ولفرد (يرتب المقاعد): إنها ملاك، فليهنأ بها مولاي اللورد. يلوح لي أن هذا الشيخ الذي يتجسم الشباب في سواعده، ويتجلى الإخلاص. تحت جبينه المتجدد، وتسطع الشهامة حول شعره الأبيض، قد أفرغ كل ما وهبه الله من حكمة في تربية هذه الزهرة حتي أينعت.

داين (يدخل ومعه فانشو وسانت أوبن. إلى ولفرد): هل لا تزال مس ليرا تتشرف بصحبة الإيرل؟

ولفرد (ينحني): زهبت الآن مع جرفث، بناء على طلب مولاي الإيرل.
داين: من هو جرفث؟

ولفرد: خادمها الشيخ. لقد حضر اليوم من برنستابل.

داين (باهتمام): حسنًا، إذهب وهيء الغرفة المجاورة لهذا البهو. إنني أريد أن أسمع بأذني كل كلمة تدور بين هذا الشيخ ومس ليرا. أفهمت؟ (ينحني ولفرد ويخرج).
داين (إلى فانشو وسانت أوبن): ما رأيكما في اعتراف روبرت رودن؟ (يجلسون).
فانشو: إنه غاية في الغرابة.

سانت أوبن: إنني لا أكاد أصدق ما سمعت.

داين: إن ما يدهشني قبولها يدي، وهي تعلم ما بينها وبين تشاندس من العلاقات.
فانشو: هذا الموضوع غريب في بابه، فلا بد أن يكون قد وصلها عن تشاندس أخبار تأكدت منها أنه لن يعود، وبعد ذلك قبلت يد اللورد، ومع هذا فهي بريئة، أَلقت بنفسها بين مخالب ذلك الوحش تحت تأثير حادث مؤلم سوف نعرف حقيقته.

داين: أحب أن أسمع كلمات روبرت رودن الأخيرة، فأين الورقة؟

فانشو (يخرج الورقة): هاهي (يقرأ) «.. جاءني يومًا صديق لي عرفته في المدرسة، وسألني أن أساعده في تمثيل رواية، وكان يعلم ماضيَّ وأني كنت من خدمة الكنيسة، فعرض عليَّ أن أمثل دور قس. وكنت حين ذاك في أشد حالات الضيق لتراكم الديون عليَّ، وكنت سكيرًا، فسقاني وشرب معي حتى نزع عني البقية الباقية لي من الضمير، ثم أخرج المال، فألجأني الفقر إلى موافقته. إن هذا الرجل كان شيطانًا، فزين لي المستقبل، وكان غرضه أن أمثل عقد قران نظير إعطائي مبلغًا كبيرًا من المال. فاتفقنا على أن يحضر هو والفتاة إلى كنيسة خربة، فأعقد له عليها...»

سانت أوبن: لا شك أنه زواج باطل.

فانشو (مستأنفًا): «.. في اليوم المعين زهبت إلى الكنيسة المهدامة، وآسفاها! ويلاه، إنني أشعر الان برهبة ذلك المكان الموحش! وبعد قليل أقبل هو والفتاة، وكنت أتوقع أن أرى فتاة عادية، فإذا بي أرى غادة خلاصة المحاسن لها سذاجة الأطفال، تغلب عليها معاني الطهارة والشرف...»

داين: ويل لذلك النذل، إن انتقامي سيكون شديداً.
فانشو (مستمراً): «... ومع أن ذلك الرجل الشيطاني كان يؤكد لي أنها جاءت مسوقة بإرادتها فإنه لم يظهر عليها ما ينم عن ذلك، كان يلوح لي أن حزناً عميقاً، أو مصيبة عظيمة دفعتها إلى ذلك المكروه...».

سانت أوبن (لداين): أرايت يا عزيزي أنها كانت مسوقة رغم إرادتها؟

داين: سننظر في ذلك يا لورد.

فانشو (يوصل): فلم أقو على ضبط نفسي، ولكن الشيطان كان يبسط إلى كفيه، فأرى الذهب يلمع، فيصل بريقه إلى أعين الفاقة التي كانت تحيط بي من كل مكان، فسولت لي نفسي الطامعة أن أقرأ كلمات الإكليل. رحماك يا إلهي! وبعد أن تم ذلك أخذت المال وسافرت إلى أستراليا، إلا أن خيال تلك المسكينة المنكودة الحظ كان يطاردني أينما ذهبت، ففرت إلى الهند، ثم جبت بلداً كثيرة أملاً في أن يختفي عن عينيَّ شبح تلك الفتاة الطاهرة. ولكن عبثاً كنت أحاول. ولقد داهمتني الأمراض حتي رمتني الأقدار بين أيديكم. إنني أحتضر الآن.. وهذا يريحني؛ إذ به أتخلص من رؤية ذلك الشبح المخيف. اسمي روبرت رودن واسم الفتاة ليرا، والإسم الحقيقي للرجل تشاندس ارمتايدج، واسمه عند الفتاة دجوفري بارل. واسم الكنيسة القديس مرقس، ببرنستابل قرب النهر. إذا كانت لكم معرفة بالفتاة أو أمكن أن تعثروا عليها، فاسألها الصفح والمغفرة.

داين (بألم): إن حواسي تضطرب. فما الرأي؟

ولفرد (يدخل وتنحني): مس ليرا وخادمها الشيخ قاصدان البهو.

داين (يقف وسانت أوبن وفانشو): هلموا بنا إلى الغرفة التي هيأها لنا ولفرد.

(يخرجون من باب داخلي).

ليرا (تدخل وجرفت يتوكأ على ساعدها): إنه يحبني، كما لو كان أبي حياً. أرايت

كيف أكرمك وطلب إليك ألا تفارقنا أبداً؟

جرفت: إن لساني ليعجز عن وصفه.

ليرا (بألم): إنني وعدته، فكيف العمل؟

جرفت (بدهشة): ما معنى هذا؟

ليرا: أنصت إلى ساطلعك على الحقيقة، وكنت أتكتمها حتى الآن، ولم أبح بحرف منها لمخلوق.

جرفت (باهتمام): ماهي هذه الحقيقة؟ اشرحها حتي أسدي إليك نصيحتي فيستريح ضميري.

ليرا: ارجع قليلا إلى الكوخ، وفكر، في حياتنا الأولى. لقد حضر معي شاب كاد يغرق وانتشلته من الغرق. وفي اليوم الثاني حضر ليعلمني صيد السمك. هذا هو اللورد داين ارمتايدج ابن الإيرل. وهو المخلوق الوحيد الذي أحببته منذ أول نظرة. (تبكي).

جرفت: ولم البكاء، وقد أصبح قرانكما مؤكداً.

ليرا: إسمع. بعد أن سافر داين (تتنهد) حضر إلى كوحننا ذلك الشيطان دجوفري بارل، الذي استضافناه مدة طويلة.

جرفت: إطمئني، فأنا ما حضرت إلى هنا إلا بسببه.

ليرا: لقد أفهمني أن أبي مدين في خمسمائة ذهباً، وأن صاحب الدين هددنا بطردنا من الكوخ واستيلائه عليه وعلى مزرعتنا الصغيرة. وجسم لي مصيرنا ونحن نتسول في الشوارع، وبرهن لي على ذلك حتى أقنعني أن هذا صحيح. وفعلنا كنت أقرأ على وجه أبي علامات الضجر والخوف كلما قرب أجل الدفع. ولما زادت العلة على أبي تمكن مني الشيطان، وأكد لي أن نجاته في دفع الدين. وتوسلت إليه وأنا في حالة اليأس، أن يدفع هذا الخطب عنا، إذا كان ذلك في مقدوره. فأخبرني أن المال موجود، ولكن هناك شرط يجب أن أقبله، فسألته مطمئنة، فقال إنه يدفع الدين، إذا قبلت أن أتزوجه (تتاوه بآلم).

جرفت: يا للشيطان! وبعد؟

ليرا: حاولت تارة بتوسلاتي وطوراً بدمعي أن أثنيه عن غرامه، فلم أفلح. وكنت كلما أبصرت أبي يتوجع، طار قلبي شعاعاً وانفطر هلعاً. فجثوت على أقدامه متوسلة أن يدفع المال وينقذ شرف والدي، فأبى إلا بالقبول. ولما رأيت أن أبي هالك، وتحققت ألا نجاة إلا بقبولي. (متنهدة) قبلت ...

جرفت (باهتمام عظيم): ليـرا، ما هذا الذي أسمع؟

ليـرا: عندها أخبرني أنه ذاهب حالا إلى بترال ليصرف المبلغ ويحضره معه، وطلب مني أن أكون في صباح اليوم التالي في كنيسة القديس مرقص القديمة على ضفة النهر حيث يكون في انتظاري مع القس (تتنهد) أدهشتني هذه السرعة، فسألته عن سببها فأجاب بأنه سيسافر في أقرب فرصة للحاق بعمته المريضة. ولما سألته عن سبب تكتّم هذا الزواج. قال: إن عمته لم علمت بزواجه حرمة من الوصية. (تتاوه) مضت تلك الليلة.

جرفت: يا للمصيبة! ليتني علمت منك هذا في حينه.

ليـرا: ذهبت إلى الكنيسة (بتوجع) فألفيته والقس روبرت رودن في انتظاري والإضطراب باد عليهما، إذ كنت أقرأ في عيني القس علامات الخوف والتردد كأنه كان يخشى أن يفاجأ، أو كأنه كان مسوقاً رغم أنفه إلى عمل يأباه ضميره. وبعد تردد تلا كلمات الإكليل وهو يرتجف ولسانه يتلعثم. ومد دجوفري بارل يده إلى القس بقبضة من الذهب. فتناولها القس وخرج يعدو. وكأنه لص يتوارى عن أعين لاحقيه. (تبكي).

جرفت: يا للخيانة! إنه عقد باطل، لأن هذا القس لم يكن سوى لص مأجور، لتتوهمي أن هذا صحيح. كفكفي الدمع يا ابنتي، وكفى فقد انتقم الله لك من عدوك. ليـرا: حاول أن يظفر مني ولو بابتسامة، فشردت عنه ولم أتمكن يده الدنسة أن تمس حتى طرف ثوبي. رجعت ودموعي تتدفق على فقد حبيبي، وما وصلت الكوخ حتى وجدت أبي جثة هامدة. (تبكي بحرقة) فوقفت جامدة أمام جسده الطاهر أندب سوء حظي. ولما رأيته بجانبني طلبت منه المال لأدفعه عن أبي محافظة على وعده وشرفه، فرفض بدعوى أن الدين أصبح حقاً لي بعد موت أبي. فطار صوابي وصرخت، عندما رأيته، وكان ما كان من هروبه. ولم أسمع عنه شيئاً حتى الآن غير ما جاء بكتابك من أنه مات غريقاً.

جرفت: أبشري يا ابنتي، فإن هذا العقد باطل، والرجل الذي يخيفك قد هلك.

ليـرا (بفرح): بالله، زدني إيضاحاً.

جرفت: إسمعي يا ابنتي: حدث بعد أن بعثت إليك بكتابي أن دجوفري بارل، ذلك الشيطان، حضر يتنسم أخبارك، ظناً منه أنك لا تزالين في عشك القديم.

ليرا (باستغراب): عجيب! إلى الكوخ؟ (باندهاش) وبعد؟
جرفت: أخذ يحوم حول المزرعة، فأبصرني، ففزع لرؤيتي.
ليرا: وبعد؟

جرفت: تناولت معولا من حديد وهممت أعدو وراءه فأخذ طريقه إلى النهر،
فانطلقت أثب خلفه كالنمر يطلب فريسته.
ليرا (بتلهف): وبعد؟ وبعد؟

جرفت: قفز إلى قارب المزرعة، واتجه إلى الشاطئ الثاني، فصممت على اللحاق به
سابقًا. وما كاد يصل إلى الشاطئ حتى ألقيت بنفسى في الماء، وما توسط النهر حتى
أخذته رعدة وأقسم أنه ما أراد بك سوءًا، وأن زواجه منك ما كان إلا مهزلة أو ألعوبة،
وأنه غير شرعي، لأن القس لم يكن سوى رجل بائس فقير كان يمثل دورًا مأجورًا عليه.
ليرا: هذا مدهش. (بسرور)، إنك أحييت ميت آمالي، وأعدت لي الحياة المطمئنة
التي كنت قد يئست من الحصول عليها.

جرفت: لم تؤثر في تلك الكلمات، بل استشاطتني غضبًا، لأنني كنت خالي الذهن
من كل هذا، فألقيت بنفسى في الماء، وقد أخذتني رعدة هائلة، فلما أبصرني قذف بنفسه
إلى الماء طلبًا للفرار سابقًا إلى الشاطئ الثاني. ولما كان لا يحسن السباحة ساعده
حسن الحظ بأن رآه أحد الصيادين وهو يستغيث فأغاثة بقاربه.

ليرا (باهتمام عظيم): يا إلهي! وبعد؟
جرفت: بينما كان يعصر ثيابه على الشاطئ الثاني وكنت أنا في قارب المزرعة،
أعالج تحويله عن كومة الرمل لا تزال به، قرعت أذني صرخة مفزعة، فسرحت نظري
ناحية الصوت، فرأيت جمعًا محتشدًا تتقدمه امرأة عارية الرأس مبعثرة الشعر، وهي
تصيح: هو هو بعينه!

ليرا (بخوف): ويلاه! إنني أرتعد.
جرفت: وما كدت أصل إلى الشاطئ، حتى كانت المرأة قد انقضت عليه، واندفعت
به إلى الماء مطوقة إياه بذراعيها، وما هي إلا لحظة حتى غاصا معًا تحت الماء في النهر.
حاول الكثير من الحضور إنقاذهما فلم يفلحوا.. كانت المرأة قابضة على عنقه فاستحال
عليها الخلاص، وهلكا تحت الماء ...

ليرا (بذهول): إذًا لقد مات دجوفري بارل؟ وافرحته!

داين (يدخل وسانت أوبن وفانشو): شكرًا لله، لقد هلك الخائن.

ليرا (تقف وجرفت. تنظر إلى الأرض بخجل. بارتجاف): داين؟

داين (بانسراح): نعم، إنه أنا (ينظر إلى جرفت) لقد شرفت قصرنا، وأدخلت علينا السرور، وجلبت لنا الهناء بتشريفك ستار منستر اليوم.

جرفت (ينحني): شكرًا لك، يا مولاي.

ليرا (مشيرة إلى جرفت): إنه مربّي الذي أرضعني لبان الفضيلة.

داين: نعم الرجل. لقد عرفت كل شيء. (ينظر جرفت إلى ليра اختلاسًا) لا تنظر إليها، فإنني أرى قلبها يرقص فرحًا. (يبتسم) لا تعجبا من هذا فإنني سمعت كل كلمة دارت بينكما، ووعيت الحديث من أوله إلى آخره.

ليرا (بخجل): أسمعت كل شيء؟ (تتنهد).

داين: وأعلم عنك أكبر مما تعلمين. (يلتفت إلى فانشو وسانت أوبن) أقدم إليك صديقنا فانشو مارتن، الأب المحترم، ولورد سانت أوبن.

ليرا (تنحني): لي عظيم الشرف.

داين (إلى صديقه): إنني أشرف بأن أقدم لصديقيّ المخلصين ليدي ليرا ارمتايدج.

سانت أوبن (بسرور): إنى أهنئكما من كل قلبي بهذا الإتصال الدائم.

جرفت: وأنا الآن لا يسعني شيء من الفرح الذي هز قلبي من أعماقه، ذلك القلب الذي لم يدخله السرور منذ عهد الشباب إلا هذه اللحظة فقط. (يمسح عينه) هذه دموع الفرح تجلل شعري الأبيض، فليبارككما الله يا ولدي.

داين: اسمعي يا عزيزتي، فسأزيدك ثقة بأنني ملم بالموضوع أكثر من إلمامك به. لقد حضرنا، أنا وصديقي، اليوم اعتراف محتضر. ولم يكن هذا المحتضر سوى اللص روبرت رودن الذي كان يرافق ابن عمي تشاندس ارمتايدج، الذي تعرفينه باسم دجوفري بارل.

ليرا (بأسف ورعدة): ابن عمك؟ هذا عجيب.

جرفت (بصوت خافت): ابن عمه؟ ياللداهية!

داين: لا تأسف، فإنني غير آسف، لأن سلوكه كان مشيناً، وستعلمان عنه أشياء كثيرة. لقد شرح روبرت كل ما حصل في كنيسة القديس مرقص القديمة. وها هو ذا اعترافه مع صديقي المحترم (مشيراً إلى فانشو). سأطلعكما عليه فيما بعد، إن روبرت لم يكن راضياً عن ذلك وقال إنه كان دوراً هزلياً وأن هذا العقد لا شك باطل. واعترف بأنه عطف عليك لأنك كنت ملاك الطهارة، وكنت غير راضية عنه، مسوقة إليه بدافع قوي لا يعلمه، وختم كلامه بطلب العفو منك فأسألك الصفح عنه.

جرفث: حقيقة إن مولاي يعرف أكثر مما تعرف والآن، وقد وضح كل شيء، لا يسعنا إلا أن نشكر الله على هذه النتيجة.

داين: وأثر من هذا أن أنباء غرق تشاندس وصلت إلينا على لسان البرق وفي صحف لندن ولم يعلم والدي الإيرل بذلك بعد.

فانشو: إنا نقابل هذا الخبر بمزيد الأسف.

سانت أوبن: وأنا أشارك صديقنا فانشو في هذا الأسف.

داين: بارك الله فيكما، هذا مصير كل حي. والآن أسألكما ألا تطلعا والدي الإيرل على شيء من هذا الحادث، لأنه سريع التأثير، وصحته تهمني. ألا توافقان على ذلك؟
سانت أوبن: أصبت. وإني سأتناسى منذ هذه اللحظة كل ما علمته عنه.
فانشو: الحق معك، يا عزيزي داين، وأنا أشارك اللورد (مشيراً إلى سانت أوبن) في عواطفه السامية.

داين: أشكركما على هذا الإخلاص. (إلى ليرا) بقي علي أن أسمع من فمك الطاهر الحلو الجميل كلمة القبول، فهل أنت راضية؟

ليرا (بابتهاج): نعم راضية؟، ومن كل قلبي.

سانت أوبن (بسرور): أهنتك، يا عزيزي، بهذه الدرة اليتيمة. (يصافحه).

فانشو: إن ملائكة الرحمة تحرس هذا الهيكل الشريف (مشيراً إلى ليرا)، وإني أتمنى لك عمراً طويلاً، وحياة طيبة سعيدة.

جرفث: أما الآن فلا يسعني، أنا الشيخ الذي لعب به الدهر زمناً طويلاً إلا أن أتقدم بقدم ثابتة وحنان قوي إلى آنسة ليس لي في الدنيا غيرها (يأتي من الخلف فيمسك يد داين بيمينه ويد ليرا بشماله ويضعهما معاً. ينظر إلى داين) هذه هديتي إليك، وأمانتي عندك، فاحتفظ بها إنها كنز ثمين. (ثم يضع يديه على رأسيهما وينظر إلى السماء) اللهم باركهما، وهب لهما العمر والهناء!

